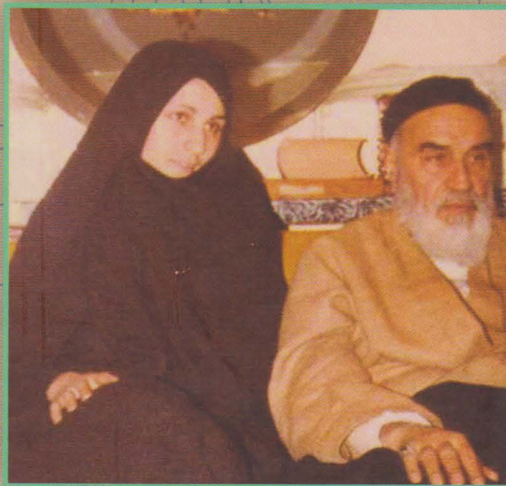
ذكرياتي



الدكتورة فاطمة طباطبائي
زوجة السيد أحمد الخميني

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

ذِكرياتي

ذكرياتي

الدكتورة فاطمة طباطبائي
زوجة السيد أحمد الخميني

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

- اسم الكتاب: ذكرياتي.
- الكاتبة: الدكتورة فاطمة طباطبائي.
- ترجمة ومراجعة: عبد الكريم سلماني.
- الناشر: دار المؤرخ العربي - بيروت.
- تاريخ الطبعة: ٢٠١٤م - ١٤٣٥ هـ.

دار المؤرخ العربي



بيروت - حارة حريك - قرب جامع الحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢
تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص.ب: ١٢٤/٢٤
البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com

لا خـــير في هـــذا الـــزمـــان وإنمـــا

لا بدّ من سفر إلى ما قد مضى

* * *

الفهرس

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

حينما أردت كتابة مقدمة لمذكراتي هذه، خطر في ذهني مطلع ديوان الشاعر الإيراني الكبير سعدي الشيرازي «گلستان» (روضة الورد) ورأيته يصف حالي، حيث جاء فيه:

«في إحدى الليالي تأملت في ماضي الأيام وتأسفت على عمري الذي انقضى وذرفت الدموع حزناً والماً، ورأيت هذه الأشعار خير وصفٍ لحالي:

كلّما مرت سنوات عمري ونظرت إلى القادم منها لم أرَ الكثير.

يا من عبرت الخمسين ولم تزل نائماً، عليك استثمار القليل ممّا تبقى منها.

أسفاً لمن انقضى عمره ولم يقدم شيئاً، فقد دقت طبول الرحيل ولم يتزود منها».

ولكنني سرعان ما طأطأت رأسي خجلة، ورأيت الأجمل من ذلك أن أحمَد الله سبحانه، وهو الخالق الأوحد الذي لا معبود سواه، ولا الذُّ من عبادته وذكره، وأشكره لأنه خصّني بأن أعيش في مرحلة شهدتُ فيها حوادث كبرى، وأن أكون إلى جانب شخصياتٍ عظيمةٍ تلألأت كالنجوم

وخُلّدت في التاريخ، وهي التي جسدت بنجاح، معنى الحياة مع الله وأن لا ترى غيره أبداً، بل وأفهمت الآخرين إمكانية أن يعيش الإنسان في هذا العالم المادي بشكل آخر وتحت رعاية الله وهو الحقيقة المطلقة، وفي الوقت ذاته لا يتخلّى عن مسؤوليته حيال خالقه جلّ وعلا.. أجل عشت مع أشخاص ذاقوا مرارة اللوم والعتاب في طريق المعشوق ولم ينسوا، أبداً، أن يردّدوا هذا الدعاء: (اللهم أذقني حلاوة محبتك).

كما أعترف، هنا، بأنني حتى ولو لم أوفق في تذوّق طعم الحقيقة، إلّا أنني شهدت كيف كانت نجوم أرضي الطاهرة تتذوق ذلك الطعم الشهد، وتتلذذ به، عسى أن أوفق في فتح نافذة الحقيقة أمام أنظار القراء الأعزاء، لأنقل لهم جوانب مشرقة من إيثار وبطولات وتضحيات أبناء إيران الكرام، الذين عاشوا بقلوبهم مع الله ولم يطلبوا سوى رضاه جلّ وعَلا.

وهكذا، فإن هذا الكتاب يصنّف ضمن دائرة التاريخ الشفهي، بكل نقاط الضعف والقوة التي تميّز هذه الدائرة، حيث أن أي تاريخ مدوّن كان في البدء تاريخاً شفهياً يسرد وقائعه شاهد عيان عاش بالقرب منها وكان أحياناً، أحد صانعيها.

إذن، فإن التاريخ الشفهي يمثل المصدر الرئيس للتاريخ المدون عبر مختلف العصور والأزمان مع الأخذ بنظر الاعتبار التطور الكبير الذي أوجده التقدم العلمي والتقني في مجال الأجهزة السمعية والبصرية، ودورها المؤثر في كتابة التاريخ، كذلك مع قبولنا بهذه الحقيقة، وهي أن التاريخ الشفهي ليس هو علم التاريخ، حيث أنه ليس سوى شاهد عيان للباحث والمؤرخ الحاذق الذي لا بدّ له أن يكتشف وقائع التاريخ ويدونها بكل تجرد وحياد، وهذه نقطة مهمة للغاية في كتابة التاريخ، لأن

التاريخ ـ للأسف ـ كتب على الأغلب، من قبل الفاتحين الذين دوّنوا وقائعه حسب رغباتهم وأهدافهم، كما أن ناقل الخبر وراوي الحادثة، كغيره من بني الإنسان، يتأثر بالأجواء المحيطة به، وتترك مشاعره وأحاسيسه ـ مهما تكن ـ أثرها على كيفية نقله للحدث وروايته للوقائع. ولا بدّ أن نأخذ ذلك بنظر الاعتبار عندما نريد أن نتعامل، ونتفاعل، مع حوادث التاريخ على قاعدة «إن حب الشيء يعمي ويصم أحياناً».

على أي حال، إن هذا الكتاب هو تاريخ شفهي حاولت أن أنقل حوادثه، وأروي وقائعه، بكل أمانة وصدق، بعيداً عن نقاط الضعف التي تميّز مثل هذا التاريخ على الأغلب، مع الالتزام بالنقاط المهمة الآتية:

١ ـ قمتُ بمقارنة ما نقلته من أحداث في الكثير من الحالات، مع الوثائق وأقوال الآخرين وتطبيقها معها لأبعدها عن الخطأ، أي لم أكتف في نقل الحوادث من ذاكرتي، بل استفدت من آراء وذاكرة الذين شهدوا تلك الوقائع.

٢ ـ حاولتُ الابتعاد عن التحليل والتفسير، وأن لا ألجأ إلى النقل الحدسي، وإن اضطررت، أحياناً، لذلك. فقد سردتُ الوقائع بشكل يتمكن القارىء معه من التمييز بين الحوادث التي شهِدتُها أو سمعتُ عنها، وتلك التي أوضحتها مع التحليل والتفسير المناسبين.

٣ ـ سعيتُ خلال سرد الحوادث، أن أبتعد عن أي نوع من مشاعر الحب والكراهية، واكتفي بسرد الحقائق، لأنني أعتبر الصدق والأمانة على رأس الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها كاتب المذكرات. ومع الإذعان بتأثير مشاعر المحبة على الكاتب حين سرده لبعضها، إلّا أنني حاولتُ أن التزم بالرسالة التي أحملها بهذا الشأن وأن أكون وفية لها.

٤ ـ خلال نقلي للحوادث التاريخية، حاولتُ أن أنظر لها من المنظار التاريخي البحت، بل أن أضع نفسي في تلك المرحلة التاريخية، كما تجنبتُ أن أقرأ حوادث التاريخ من منظار الحوادث التي تجري حالياً.. مع الإقرار بأن كشف خبايا حياة الشخصيات العظيمة، ليست مهمة صعبة وعظيمة فحسب، بل إنها فضيلة كبرى لا بدّ من أن تكون متلازمة مع الأمانة والصدق، لأنها إن لم تكن كذلك، فلربما تؤدي إلى المسّ بها، أو أن تؤدي إلى الانحراف والتحريف، فالمعروف إن تاريخ أي شخص يبدأ مع ولادته وينتهي مع موته، إلّا أن تاريخ الرجال العظام لا ينتهي مع رحيلهم عن هذه الدنيا، بل يمكن أن يستمر مع مرور الأيام ليصبح شعلة تنير الطريق للأجيال الحاضرة والقادمة.

٥ ـ أشرتُ في هذا الكتاب إلى أسرتي لأنها لعبت دوراً معيناً في حركة الإصلاح الاجتماعي في إيران، وتميزتْ بمكانة مّا في تاريخ هذه البلاد.

٦ ـ أضفتُ إلى الكتاب مجموعة من الصور والوثائق لتعين المؤرخين والباحثين في أعمالهم، كما أضفت تعليقات وهوامش توضيحية في ختام كل فصل (غير التي في صفحات المتن)، للتعريف أكثر ببعض الشخصيات والحوادث المهمة والمؤثرة.

ختاماً، أرى من الواجب أن أتقدم بالشكر الجزيل لمن أعانني في إعداد وإخراج هذه المذكرات، بالأخص السادة: محمد جواد مراد نيا، وحميد بصيرت منشي، وأصغر مير شكاري وزملائهم في مؤسسة إعداد ونشر مؤلفات الإمام الخميني (رض)، فضلاً عن متابعة آية الله روحاني، وتشجيع الدكتور محسن بهشتي سرش، والأستاذة الهة أفشار التي

راجعت النص الفارسي. كما أشكر جميع زملائي في مركز أبحاث الإمام الخميني (رض) والثورة الإسلامية. كذلك أشكر السادة المترجمين الذين ترجموا هذه المذكرات إلى اللغة العربية وهم، الأساتذة: سمير أرشدي (الفصل الاول) وعباس رضوي (الفصلين الثاني والثالث) وعبد الكريم سلماني (الفصول ٤ ـ ٨) مع الدعاء للجميع بكل خير وتوفيق إنه سميع مجيب.

الدكتورة فاطمة طباطبائي

شتاء ٢٠١٢

* * *

الفصل الأول

حادثة بسيطة

الفصل الأول

حادثة بسيطة

إن مصيري بكل تفاصيله، وحياتي بكل منعطفاتها المرّة والحلوة، بدأت من حادثة بسيطة في خريف عام ١٩٦٨م.

في عام ١٩٦١م لم يكن في مدينة قُم[1] مدرسة ابتدائية دينية للبنات، كان هناك عدة مدارس ابتدائية حكومية، وكانت بعض الطالبات مجبرات على استقبال الشخصيات الحكومية والترحيب بها وتقديم أكاليل الزهور- طبعا بدون ارتداء الحجاب - ومع أن والدي كان حريصاً على دراسة أبنائه وتحصيلهم العلمي، إلّا أنه، خشية وقوع مثل هذه المواقف، حال دون ذهابي إلى المدرسة، وكنت أذهب إلى بيت المعلمة «السيدة مشايخي» حيث تلقيت الدروس الابتدائية، وتلاوة القرآن الكريم، على يديها حتى الصف الثالث الابتدائي. آنذاك قامت بنت عمتي «نوري خانم» والخالة «بتول» بإخبار والدي بوجود مديرة متديّنة وموثوق بها، فسحبوا إسمي من الصف الثالث الابتدائي إلى مدرسة «١٧ دي»[2] التي تديرها السيدة «دادكر» وتعني بالفارسية «المرأة العادلة» وكانت بحق إسماً على مسمّى! كنت ولا زلت، أكنّ لها إحتراماً خاصاً.

---

(١) للمزيد من المعلومات عن مدينة قُم ـ مراجعة الهامش الأول في نهاية الفصل.

(٢) «١٧ دي» (٧ كانون الثاني) هو يوم السفور (كشف الحجاب) عن المرأة الإيرانية.

منذ اليوم الأول للدراسة وعلى الرغم من لهفتي وشوقي، علِقتْ في ذهني حادثتان مُرّتان: الأولى هي أن «المانطو» الذي كنت أرتديه كان أطول من المعتاد مما أدى إلى إستهزاء زميلاتي، وقد اقترحَتْ إحداهن، بسخرية لاذعة، أن أغسله عسى أن يقصُر. والثانية هي أن المعلمة، وبسبب طول قامتي، أمرتني بالجلوس في المقعد الأخير بين طالبتين ثرثارتين انزعجتا من وجودي بينهما، وطالما كانتا تعترضان عليّ.

بعد انتهاء المرحلة الابتدائية ومع رغبتي الجامحة في مواصلة الدراسة في الثانوية، إلّا أنني، وبسبب الأجواء السيئة التي كانت تخيم على المدارس الثانوية للبنات آنذاك في كل أرجاء إيران، ولاسيما في مدينة قُم، لم أتمكن من الالتحاق بالثانوية، ووفقاً لاقتراح بنت عمتي التحقت بمعهد «الشعلة»[1] لتعليم الخياطة. وكانت معلمة المعهد سيدة طهرانية وهي «كنّة آية الله: فيض». كان الجميع يطلق عليها اسم «السيدة فيض». كان المعهد جزءاً من بيتها في منطقة حديثة بمدينة قُم. فناء البيت لم يكن كبيراً، لكن حديقته كانت غنّاء ومليئة بالأشجار والزهور التي تتناسب مع مناخ مدينة قُم.

كنتُ آنذاك في الرابعة عشر من عمري، مفعمة بالنشاط والحيوية وغارقة في أحلام الفتوة والصِّبا. دورة الخياطة لم تكن بالنسبة لي سوى فترة للتسلية للتخفيف من الأذى ـ النفسي ـ الذي لحِقني من ترك المدرسة.

السيدة «فيض» التي لاحظت عدم استمتاعي بدروس الخياطة التي لم تكن تلبي طموحي ورغباتي، اقترحت عليّ الانتساب إلى دورة صناعة الزهور.

---

(١) معهد الشعلة: يقع في شارع صفائية (الشهداء) زقاق آمار.

أتصور بأنه كان اقتراحاً وجيهاً، فصناعة الزهور بإمكانها أن تسليني أكثر. وبموافقة والدي الذي انتبه إلى شغفي ونشاطي، كان يوصي بالتحاقي بصفوف صناعة الزهور بعد انتهاء دورة الخياطة، فالتحقت بالدورة الجديدة، وكانت تكاليف الدورة باهضة حيث سدّدتها على قسطين بناءاً على اقتراح «السيدة فيض».

لم يمض زمن طويل حتى تعرفت على العديد من الطالبات في دورة صناعة الورود. من بين هؤلاء لفتت نظري سيدة كانت تتمتع بشخصية راقية. أثناء التدريب، كانت جادة ودقيقة وودودة ومتواضعة، وكانت ترشدني، أحياناً، في أعمال الزهور.

إنها «فريدة مصطفوي» كريمة آية الله الخميني. ذلك المرجع الثوري، الذي كان يمضي فترة النفي بسبب كفاحه ضد الشاه، وفي نفس الصف تعرفت على طالبة أخرى تدعى «مليحة نيك بخشيان»[١] وأدى هذا التعارف إلى صداقة عميقة ومستدامة.

السفر إلى العراق

برودة الشتاء كانت تخترق الأجسام رويداً رويداً. كانت السنة الأولى التي تركْتُ فيها المدرسة ولديَّ ساعات طويلة من الفراغ تكفيني لمساعدة والدتي في الأعمال المنزلية، لكن عدم رغبتي بمثل هذه الأعمال لم يقنع والدتي بهذه المساعدات الطفيفة.

في أحد الأيام[٢] أخبرني والدي بعزمه على السفر إلى العراق. تم ترتيب مقدمات السفر وذهبت أنا ووالدي ووالدتي وأخي عبد الحسين ـ

---

(١) مليحة نيك بخشيان: هي بنت أخت الدكتور بروجردي ـ صهر آية الله الخميني. وكانت تعرِّفُني على عائلة آية الله الخميني من خلال أحاديثها.

(٢) شتاء عام ١٩٦٨ م.

الذي كان يصغرني بثلاث سنوات ـ إلى طهران. مكثنا يوماً أو يومين في بيت خالتي «طاهرة»، ثم ذهبنا إلى مطار مهراباد. ركبنا الطائرة متوجهين إلى بغداد. قبل ذلك كنت قد جئت مرة من مشهد إلى طهران بالطائرة. كان مشهد المطار والطائرات المتناثرة في زواياه منظراً رائعاً ومثيراً بالنسبة لي.

جلست على المقعد في الطائرة.. لحظات وأقلعت تشقُّ عنان السماء. البيوت والشوارع بدت أصغر فأصغر حتى انمحت. السُّحب البيضاء والمتراكمة كانت تزيّن السماء، وكانت تغمرني السعادة حينما أشعر بوجودي في السماء وإلى جانب الغيوم الكثيفة. غلبني النعاس وأنا في غمرة التفرُّج حتى استيقظتُ على صوت أخي. ألقيتُ نظرة للخارج وإذا بنا نقتربُ من سطح الأرض. رأيتُ نهراً يجري تحت أقدامي ويخترق السهول ملتوياً ليدخل المدينة من جانب ويغادرها من الجانب الآخر.

قال والدي: هذه بغداد، وهذا هو نهر دجلة؛ حتى هبوط الطائرة على المدرج، لم تغفل عيناي عن النافذة ولو للحظة، وكنت سعيدة لجلوسي إلى جانب النافذة ومتابعتي للمناظر الخارجية. كنت أرى المباني الضخمة وهي بحجم علبة الكبريت، وكلما كانت تهبط الطائرة، كانت المباني تكبر وتكبر. تذكرت كلام والدي حين كان يقول: كلّما تتجه نحو الدنيا وزخرفها تراها أكبر وأهم وتزداد تعلقاً بها، وكلّما تعزف عنها تصبح تافهة وحقيرة.

في مطار بغداد وبعد الانتهاء من إجراءات الوصول، كان في استقبال والدي رجل يرتدي الثياب العربية الراقية ويعتمر الفينة[1]

---

(١) الفينة: قبعة دائرية الشكل من الصوف بيضاء على الأغلب. كان يعتمرها المصريون والهنود وقبلهم الأتراك والعثمانيون. زرت في البوسنة مركزاً للدراويش حيث أخبروني بأن لكل فرقة من الدراويش فينة خاصة.



والدي آية الله السيد محمد باقر سلطاني طباطبائي   والدتي السيد صديقة الصدر



مؤلفة الكتاب



أخي عبد الحسين طباطبائي

الحمراء على رأسه، وبعد المصافحة والترحيب باللغة العربية، قال بأن هناك سيارة وبيتاً تحت اختيارنا. وتجاذب والدي ـ الذي كان يُتقِن العربية ـ معه أطراف الحديث.

حينما ابتعدنا عنه، سألت والدي باستغراب: من هذا السيد الذي دعانا بحرارة إلى بيته؟ فأجابني: أنا أيضاً لا أعرفه، لكنني أظن أنه من الذين يؤجرون منازلهم للوافدين ويأتون إلى المطار للعثور على المسافرين.

كانت للرجل العربي سيارة أنيقة وفارهة حيث جلس والدي في المقعد الأمامي وجلسنا نحن في المقعد الخلفي، انطلقت السيارة تجتاز شوارع بغداد[١] حيث ذهبنا مباشرة إلى بيت الرجل الذي استقبلنا، في مدينة الكاظمية[٢] التي لم تكن تبعد عن بغداد كثيراً.

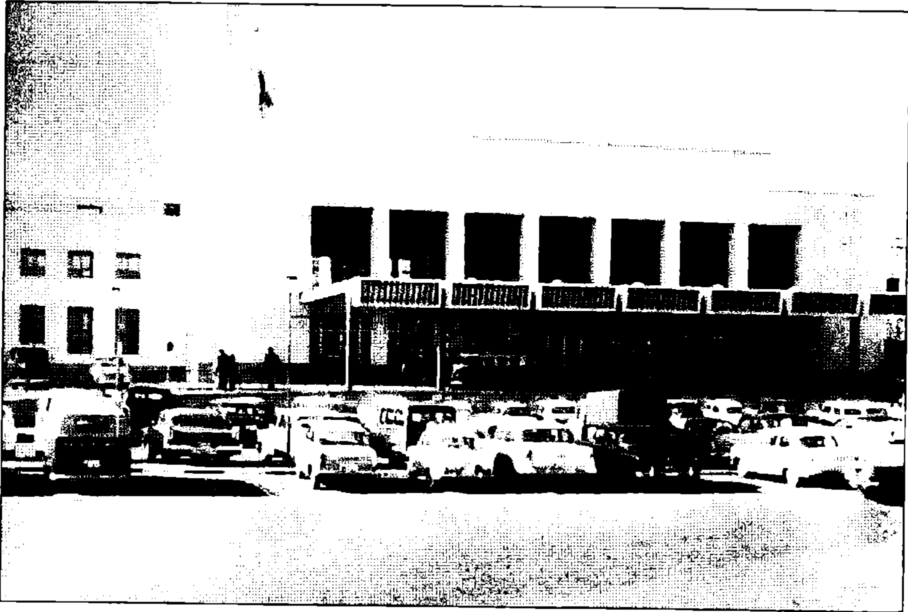
كان البيت فخماً ومؤثثاً بطراز أنيق، وبعد تناول الغداء الذي كان قد أعده مضيفنا، توجهنا إلى الحرم الشريف لزيارة حرم الإمامين السابع والتاسع (الكاظم والجواد) (ع) كان برأيي أقل ازدحاماً من حرم السيدة فاطمة المعصومة (ع) في مدينة قُم، وهذا الأمر أثار دهشتي. بعد الصلاة وشعائر الزيارة عدنا إلى البيت.

حتى تلك اللحظات كانت تغمرني حالة من الانتعاش واللهفة من الصعب وصفها، لكن حينما عدنا من الحرم شعرت بالغصة.

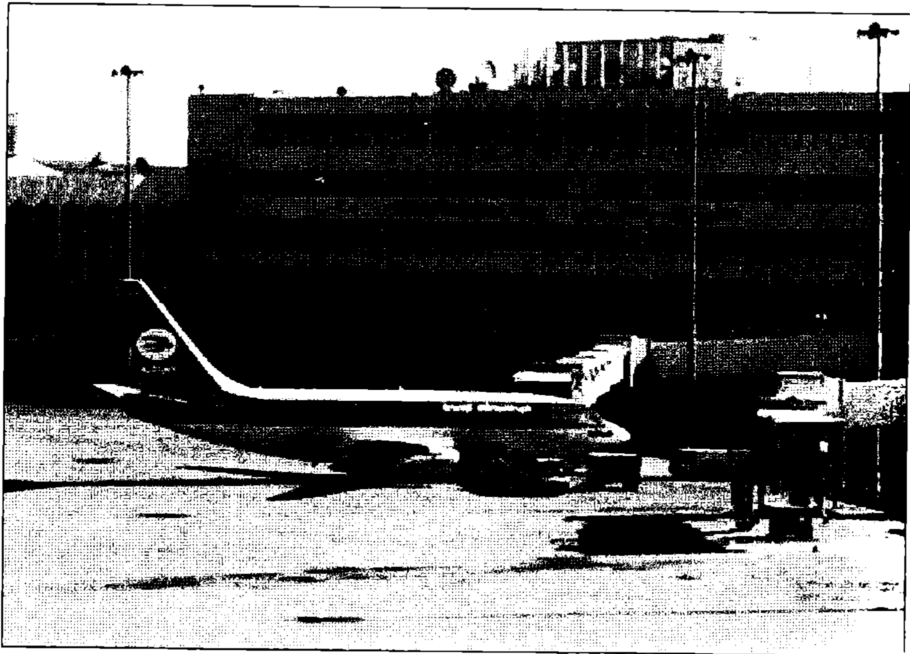
---

(١) بغداد: عاصمة العراق وأكبر مدنها، وهي مركز محافظة بغداد. ونهر دجلة من الأنهار الغزيرة حيث تجري فيه المراكب وينبع من تركية ليمر بالعراق.

(٢) الكاظمية: مدينة في ضواحي بغداد كانت تعرف سابقاً بمقبرة قريش ومقابر آل قريش، ثم أصبحت تدريجيا مقبرة بغداد، وبعد دفن الإمامين الطاهرين موسى الكاظم ومحمد الجواد (ع) أصبحت مدينة يؤمها الشيعة.



مطار مهراباد عام ١٩٦٨م



مطار بغداد عام ١٩٦٨م

الصديق القديم

عند الغروب ذهب والدي للقاء آية الله السيد إسماعيل الصدر في المسجد الذي يقيم فيه صلاة الجماعة وبعد عودته من الصلاة أخبرنا بالدعوة الموجهة لنا من السيد الصدر[١].

في إليوم التالي جاءت خالتي «فاطمة» والتي تقطن في مدينة النجف لزيارتنا وقالت بأن السيد إسماعيل ـ شقيق زوجها ـ قد بشرها هاتفيا بقدومنا حيث جاءت من النجف لهذا الهدف.

اخذتنا خالتي إلى بيت السيد إسماعيل الصدر حيث كان صديقا قديما لوالدي. وتعود صداقتهما إلى فترة دراسة والدي في النجف. دخولنا إلى بيت آية الله السيد إسماعيل الصدر قلب مزاجي واستبدل ضجري بالسرور والطمأنينة.

حديقة البيت كانت عامرة بأشجار النارنج وكانت ممتعة جداً بالنسبة لي حيث ولدت في مدينة قُم الصحراوية.



آية الله سيد اسماعيل الصدر

(١) آية الله السيد إسماعيل الصدر: هو ابن السيد حيدر وشقيق آية الله السيد محمد باقر الصدر من العلماء المجتهدين الشباب والمثابرين في مدينة الكاظمية. توفاه الله في عام ١٩٦٨ وهو في الثامنة والأربعين من العمر. يقال بأن النظام الحاكم في العراق آنذاك قد دس له السم بسبب موقفه المندد بطرد طلاب المدارس الدينية غير العراقيين من الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

فترة محفورة في الذاكرة

مكثنا في الكاظمية في بيت آية الله الصدر، ثم توجهنا مع خالتي إلى مدينة كربلاء، وبعد الزيارة ذهبنا إلى بيت خالتي «فاطمة»[١] في النجف. كنا نشعر بالراحة والبهجه في بيتها لأن آية الله السيد محمد باقر الصدر[٢] (زوج خالتي فاطمة)، كان أحد أصدقاء وأحباء والدي القدامي، فضلاً عن صلة القرابة التي تربطنا، وكانت تربطهما قواسم عاطفية وفكرية مشتركة وعديدة، وبحسب ما تناهى إلى أسماعي، فإن السيد الصدر كان يستشير والدي حين تأسيسه لحزب الدعوة الإسلامية[٣] وكان لهما تعاون مشترك في بعض المجالات، ومن هذا المنطلق، فإن حزب البعث[٤] قد ضم اسم والدي إلى قائمة الممنوعين من دخول العراق[٥]. خالتي كانت معروفة بالمودة والصبر وكان جوارها بالنسبة لي، حيث ذقت حلاوة المحبة

---

(١) الخالة فاطمة: في عام ١٩٦١ وبدعوة شقيقها السيد موسى الصدر وبعد خطبتها من ابن عمها السيد محمد باقر الصدر سافرت إلى لبنان مع والدتها وشقيقتها الصغرى (الخالة رباب) وبعد مراسم الزواج وقضاء شهر العسل ذهبت إلى العراق.

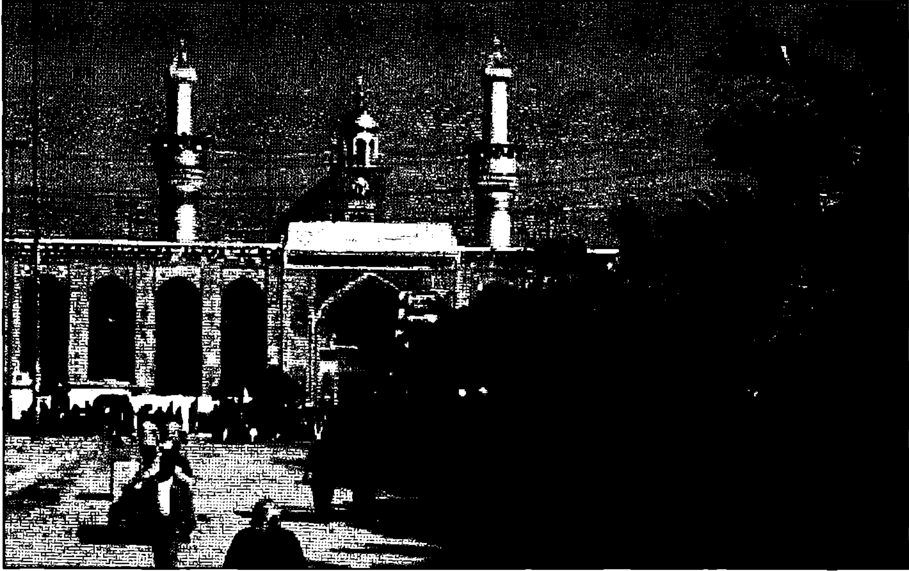
(٢) آية الله السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٤ ـ ١٩٨٠) أحد المفكرين المسلمين وحسب تعبير الإمام الخميني فقد كان «العقل الإسلامي المفكر». للمزيد يرجى مراجعة الهامش الثالث في نهاية الفصل.

(٣) حزب الدعوة الإسلامية: تأسس في العراق في مطلع الستينيات بغية إنشاء دولة إسلامية شيعية في العراق. للمزيد من المعلومات مراجعة الهامش الرابع في نهاية الفصل.

(٤) حزب البعث: كان حزبا سياسيا استلم مقإليد الحكم بإنقلاب عسكري في عام ١٩٦٨. تمت الإطاحة به بعد الهجوم الامريكي على العراق ٢٠٠٣.

(٥) في إحدى المرات حينما كنا نذهب من لبنان إلى العراق منع موظفو مطار بغداد والدي من الدخول. والدي ودون أن يبدي أي إستغراب اوضح لنا بأن سبب منعه هو تواصله مع السيد محمد باقر الصدر وفي ذلك إليوم كان السيد محمود دعائي يسكن في مدينة النجف الأشرف وجاء إلى بغداد لاستقبالنا وتوسطه أدى إلى معالجة الموضوع.

وطعمها من خلال وجودي إلى جانب جدي، أمراً شيقاً. وهي بدورها كانت سعيدة بحضورنا حيث خفف عنها عناء الغربة وآلامها.



مشهد خارجي لمرقد الإمام الحسين (ع) ـ كربلاء

إن حضور سيدتين آخريين في ذلك البيت ضاعف من جاذبية ومرح ذلك المكان: الأولى هي الحاجة «بيبي بتول آل ياسين»[١] (والدة السيد محمد باقر الصدر) والثانية هي السيدة «آمنة» المعروفة ببنت الهدى[٢] (شقيقة السيد محمد باقر الصدر) حيث كانت مجالستهما لذيذة ورائعة.

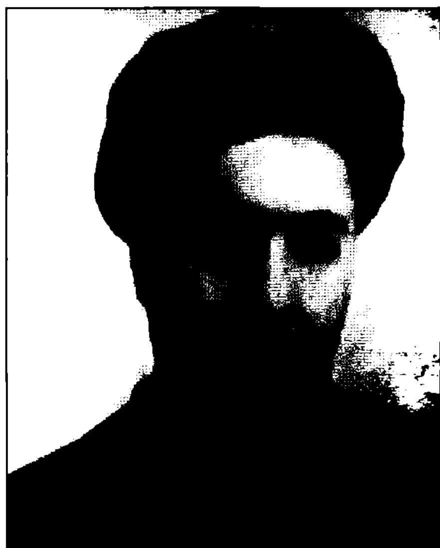
لم تتزوج السيدة بنت الهدى وبقيت عزباء حتى آخر حياتها. لقد كانت سيدة ودودة ووقورة ومثقفة وجذابة وكانت تمارس التدريس في المعاهد الإسلامية غير الحكومية في بغداد والكاظمية والنجف.

---

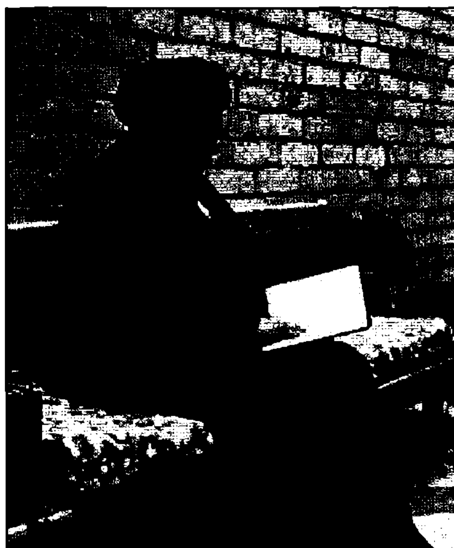
(١) توفيت سنه ١٩٨٦م.

(٢) السيدة آمنة المعروفة بنت الهدى الصدر: تم إعتقالها مع شقيقها عام ١٩٨٠ حيث استشهدت بعد إسبوع من الأسر والتعذيب في زنازين البعثيين. للمزيد من المعلومات ـ مراجعة الهامش الخامس في نهاية الفصل.

عصر كل يوم كانت السيدات من المعارف والأصدقاء، يهرعن للقاء هذه العائلة وتتم ضيافتهن بالبسكويت والشاي ويتناقشن حول مختلف الشؤون والقضايا. السيدة «آمنة» كانت تلم باللغة الفارسية وتترجم لي بعض الأحاديث. كانت تعتذر بسبب عدم إتقانها التحدث بالفارسية الفصحى وتقول بأنها تعلمت الفارسية من العاملات الناطقات بالفارسية اللاتي كن يعملن في بيتهم، ولهذا فقد يتعذر عليها انتقاء الكلمات الجميلة وتضطر للتحدث بالعامية. طبعاً لم يكن الأمر كذلك حيث كان لحديثها لكنة عربية. الحاجة «بيبي» والتي كنا نطلق عليها (حرم العم الحبيب) تأسياً بخالتي، كانت تتقن الفارسية إلى حدٍ مّا وكنا نستمتع بحديثها. كل هذه المودة والحميمية والمحبة، أدت إلى بقائنا لمدة شهر واحد معهم في البيت، وبعدها استأجر والدي بيتاً بالقرب منهم، وبعد تزويده بأثاث متواضع أنتقلنا إليه.



آية الله السيد حيدر الصدر والد آية الله اسماعيل وآية الله محمد باقر الصدر



آية الله السيد باقر الصدر



السيدة آمنة (بنت الهدى الصدر)



السيدة فاطمة الصدر (الخالة فاطمة)

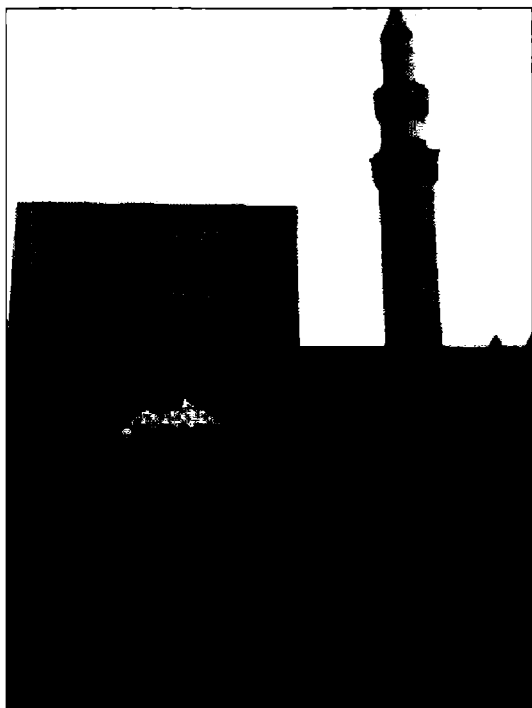
سجادة المودة:

في مطلع وصولنا للنجف الأشرف، حينما كنا في ضيافة خالتي، ذهبنا عصر أحد الأيام (كان يوم الثلاثاء) مع خالتي ووالدتي إلى مقبرة النبي يونس ـ مزار بالقرب من الكوفة ـ وكانت المقبرة مكاناً جميلاً ورائعاً يتموضع إلى جانب نهر الفرات[١]، تحيط به أشجار النخيل الباسقة. والتقينا على شاطىء الفرات بسيدة إيرانية ترتدي عباءة عربية. أمي وخالتي تعرّفتا عليها وسلّمتا بكل احترام. أمي همست في أذني قائلة: إنها زوجة آية الله الخميني[٢]. كان لقاءاً شيقاً وممتعاً، وكانت

(١) الفرات: نهر يقع في غرب العراق.

(٢) السيدة خديجة ثقفي المعروفة ب (قدس إيران) مواليد ١٩١٣ م هي كريمة آية الله الحاج ميرزا محمد الثقفي وقد اقترنت بالإمام الخميني عام ١٩٢٩م.

ترافقها سيدة كبيرة في السن[١]. وبعد المجاملات المتعارفة، سألتنا: «ماهو برنامجكم»؟ أجبنا: «نريد أن نصلي في مقام النبي يونس»، فقالت: «أنا زرت المقام لكني سأرافقكن»، اتجهنا نحو المقام، وحين هممت لإقامة الصلاة، فإذا بالسيدة[٢] (زوجة الإمام الخميني) تفرش سجادتها أمامي وتقول: «صلِّ على هذه السجادة»، فشكرتها وأديت الصلاة على تلك السجادة. بعد الصلاة تجاذبنا أطراف الحديث حيث قلت لها بأني كنت أذهب مع السيدة فريدة إلى معهد صناعة الزهور في مدينة قُم، فقالت: «نعم، فريدة كتبت لي ذلك». قبل ذلك كنت قد سمعت من صديقتي مليحة في صف تعليم صناعة الزهور، بأن السيدة فريدة قد كتبت رسالة إلى والديها تفيد بأنكم لو أردتم انتخاب زوجة للسيد أحمد، فإن كريمة السيد آية الله



مقبرة النبي يونس

(١) خادمة تسمى مشهدي عصمت قدمت من إيران إلى النجف الأشرف لمساعدة السيدة أم أحمد.

(٢) كل المعارف والمقربين من آية الله الخميني يطلقون عليه إسم (آغا ـ السيد) وعلى زوجته (خانم ـ السيدة).

سلطاني[1] هي الاختيار الموفق، وكانت قد أخبرتني بأنهم وافقوا على اقتراح السيدة فريدة ومن المقرر أن تأتي السيدة والدة أحمد إلى قُم وتطلب يدي، ولهذا كنت أحاول أن أعرف صحة ما سمعت.

الطريق الاخضر

قضينا ذلك اليوم وحتى غروب الشمس في مزار النبي يونس. ثم استقلّينا عربة للذهاب إلى مسجد السهلة لنمضي ليلة الأربعاء هناك، أثناء الطريق قالت السيدة (زوجة الإمام الخميني)، بأن عزيزي أحمد حينما جاء إلى النجف الأشرف اقترح عليّ أن أعبُر من هذا الطريق الأخضر، أحياناً، لكونه يبعث على البهجة ويزيل الهموم. فهمت من كلام السيدة بأن أحمد صاحب ذوق ويهتم بالحالة النفسية لوالدته. عند الوداع أبدت السيدة رغبتها في زيارتنا. بعد عدة أيام جاء آية الله الحاج السيد مصطفى ـ النجل الأكبر لآية الله الخميني ـ عند والدي وخطبني لأخيه. تعود معرفتهما لعدة سنوات ماضية حيث كان يدرس عند والدي. أحال والدي الجواب النهائي لحين عودتنا إلى إيران والتحقيق حول السيد أحمد. طبعاً أكد والدي بأنه يعرف والد وشقيق السيد أحمد جيداً وليس هناك أدنى ترديد حول مكانة العائلة، لكنه لا يعرف السيد أحمد عن قرب ومن الضروري أن يتعرف عليه أكثر.

---

(١) لقب سلطاني الملحق بلقب والدي هو للتمييز بين أفراد عائلة طباطبائي. حيث اختار بعضهم إلحاق كلمة أحمدي أو حسني أو نبوي أو غير ذلك للتمييز بين بعضهم البعض. وإن اللقب المضاف (سلطاني) مقتبس من سلطان العلماء وهو لقب جدي وعمي الأكبر، إلّا أن والدي قام بمراجعة السجل المدني ادراة تسجيل النفوس) لحذف الإضافة حيث تمت الموافقة على حذفها من جنسية أولاده فقط، لان كل الناس وطلبة المعاهد الدينية يعرفونه بهذا الاسم ويطلقونه عليه دوماً.

النفي إلى الكوفة

كانت تزورنا خادمة بإسم «ننه مريم» عدة مرات خلال الأسبوع وتساعد والدتي في الأعمال المنزلية. وكانت «ننه مريم» تذهب إلى بيوت أخرى أيضاً للعمل.

في أحد الأيام تطرقت «ننه مريم» إلى شخص يدعى سيد محسن[١] كانت تذهب إلى بيته للعمل. سألتها: من هو سيد محسن؟ فتعجّبتُ حينما علمت بأن المقصود هو آية الله العظمى السيد الحكيم! ـ لم يكن متداولاً في ثقافتنا أن نشير للعلماء بهذا التعبير ـ كنت حريصة على أن أعلم منها المزيد. فقالت لي: البعثيون ألقوا القبض على (سيد محسن) ونقلوه إلى بغداد، ثم فرضوا عليه الإقامة الجبرية. سألت: «ماذا كان رد فعل أنصاره»؟ قالت: «لا شيء، حتى صاحب البقالة في الحي لم يجرأ على غلق باب محله. وجهوا إليه الإهانات في وضح النهار وأمام أعين الناس. لم يحصل أي اعتراض في النجف»! حينما سمعت كلام «ننه مريم» أدركت مدى معرفة الشعب الإيراني ولاسيما أهالي قُم، واعتزازهم بمكانة آية الله الخميني. كنت قد سمعت لعدة مرات بأنه في إليوم الذي أتى محمد رضا شاه[٢] إلى قُم، فإن آية الله الخميني قد خالف استقبال علماء الدين له، واعتبر خروج الناس من منازلهم في ذلك اليوم محرماً. وقد استجاب أهالي قُم لهذا الأمر وتعطلت الأسواق في المدينة. وحتى عند زيارته لحرم السيدة المعصومة لم يذهب لاستقبال الشاه، ولهذا غضب عليه الشاه ونفاه من قُم.

---

(١) آية الله العظمي السيد محسن الحكيم (١٣٠٦ ـ ١٣٩٠ هجري قمري) أحد المراجع الكبار للشيعة ـ للمزيد من المعلومات ـ مراجعة الهامش السادس في نهاية الفصل.

(٢) في يوم ١٩٦٣/٠١/٢٤ م ـ ذهب الشاه إلى مدينة قُم.

واستطاع الشاه الغاضب والفاشل، أن يلقي كلمة لعدد من الموظفين وعدد من الأشخاص الذين قدموا من طهران إلى قُم لهذا الهدف[١].

دمعة وابتسامة

وهكذا انقضى شهر محرم.. وفي أواخر شهر صفر وفي حرم الإمام علي (ع) رأينا السيدة أم أحمد مساءاً حيث قالت: «ننتظر انتهاء شهر صفر لنقوم بزيارتكم». شكرتها والدتي وقالت: «نحن بصدد السفر إلى إيران وكنا ننوي وداعكم».

وفي يوم آخر، أعربت السيدة أم أحمد عن رغبتها في زيارتنا، وقد أرسلت السيدة «مشهدي عصمت» محمّلة بكمية كبيرة من الحلويات والياميش (الفواكه المجففة) إلى منزلنا، وفي عصر نفس اليوم، أتت السيدة أم أحمد برفقة أمها السيدة «خازن الملوك»[٢] وابنتها الكبرى السيدة «صدّيقة»[٣]، وبناتها الشابات الثلاثة[٤] من أجل زيارة والدي.

---

(١) الشاه في هذه الكلمة أطلق على أعدائه المتدينين لقب (الرجعية السوداء) واعتبرهم أشد خيانة من الشيوعيين.

(٢) السيدة خازن الملوك: ابنة خازن الممالك، الذي كان أمين الخزانة في عهد ناصر الدين شاه. والأقرباء قد أطلقوا عليها اسم (خازن جون) خلفاً لأبيها. مات والدها في طفولتها. وقد ترعرعت في بيئة مليئة بالدلال والنعم، حتى أنني سمعت أنه كان يتدلّى من على ضفائرها قماشا محلّى بالذهب الخالص. وقد انتقلت إلى الرفيق الأعلى سنه ١٩٨٠ ووريت الثرى في حرم السيد عبد العظيم الحسني بمدينة ري.

(٣) السيدة صديقة مصطفوي: أكبر بنات الإمام الخميني، ولدت عام ١٩٣٦.

(٤) السيدات هن: نفيسه، زهراء، نعيمة.. وقد تزوجن بالترتيب من أبناء كل من آيات الله العظمى السيد محمد صادق روحاني، السيد روح الله خاتمي أردكاني، والسيد جلال الدين طاهري، وقد كانوا جميعاً من رجال الدين المجاهدين في عصر الشاه.

وقد جاءت السيدة «معصومة»[١] زوجة الحاج السيد مصطفى وابنتها[٢] إلى منزلنا، وفي البداية خاطبتني بوصفي عروستهم وقامت باحتضاني وتقبيلي وأخذت تتفنّن في استخدام الكلمات الجميله للإشادة بي، بعد ذلك ذهبوا إلى غرفة لا يوجد بها مصباح كبير وقد زينت بأمتعة بسيطة ومرتفعة عن فناء المنزل ببضع درجات.

تعجبت كثيراً من حديث السيدة أم أحمد والتي كانت تصفني في محاوراتها بعروستها، لأنه لم يكن لدي أي استعداد نفسي لهذه الكلمة، رغم أنني كنت أعلم أن ما يحدث هو طلب خطبتي، ولكن لم أضع الموضوع في اعتباراتي ولم آخذه مأخذ الجد، مثل سابقيه، ولهذا السبب ضغطت على نفسي، وجلست أبكي، حتى أنني لم استطع أن أذهب إليهم من أجل ضيافتهم وقد اتخذت صديقتي[٣] مكاني لتقوم بضيافة الضيوف.

وفي الوقت الذي تساقطت فيه دموعي على وجنتي، تذكرت موقفاً، وارتسمت البسمة على شفتاي.. فقد تذكرت وقتما كنت في عامي الخامس، سمعت أمي تتحدث إلى سيدة وتقول لها في إلحاح: «لا يا سيدتي، ليس لدي بنات». فتعجبت من حديث أمي!! وتساءلت: «لماذا تنكر أمي وجودي»؟ وتوجهت إلى أمي لأصف لها حيرتي وحتى أثبت وجودي. فأشارت أمي لضيفتها «السيدة» إليّ وقالت: «أرأيتِ يا سيدتي الفاضلة!! إن ابنتي تبلغ فقط خمسة أعوام». فقالت السيدة: «ليس هناك

(١) السيدة معصومة حائري: الابنة الكبري لآية الله الشيخ مرتضى حائري يزدي، وحفيدة آية الله الشيخ عبدالكريم حائري. وظلت بالعراق حتى إستشهاد الحاج السيد مصطفي بعام كامل، ثم عادت إلى إيران مرة أخرى.

(٢) السيدة مريم مصطفوي: والتي تزوجت من السيد علي نخجوان بور.

(٣) السيدة مهري ملايري: كانت تعيش مع اسرتها بجوارنا، من أجل التعرف إليها أكثر يرجى مراجعة الهامش السابع الفصل.

مشكلة، سوف نصبر، فابننا يبلغ من العمر ستة عشر عام فقط». فهمت بعدها أنها كانت قد أتت لتخطبني. ذهبت مسرعة إلى الغرفة وأحضرت كرسياً مرتفعاً لأقف عليه لأتمكن من رؤية وجهي في المرآة الموجودة على الرف، وأردت أن أعرف، إذا ما كان شعري مرتباً وممشطاً أمام السيدة المتقدمة لطلب يدي؟. هل كان شعري مرتباً وهندامي نظيفاً؟ غافلة عن أخي «جواد» الذي رآني وقد أثاره الموضوع، فأخذ يحدث ضجة ويضحك، وقد قام بإعلام خالتنا، حتى أنهم اتخذوا ما حدث مدعاة للتهريج والضحك. وقد ظننت أن ما فعلوه أمراً عادياً، ولم أفهم أسباب ضحكاتهم.

اقترب صوت أحاديث الضيوف مني، فمسحت دموعي وذهبت إليهم، وجدت سيدة في أوج زينتها، حسنة المظهر، متواضعة وجميلة الملامح. ففكرت بيني وبين نفسي: تلك العروسة التي ستكون تلك السيدة حماتها، بلاشك هي عروس محظوظة.

لم يكن لدي أبداً، خبرة في هذا النوع من اللقاءات، بمعنى المواجهة المباشرة بيني وبين المتقدمين لطلب يدي، لأنه قبل ذلك ومع إصرار أمي، لم أذهب قط إلى خطّابي، وعادة أنهم كانوا يذهبون من منزلنا مكسوري الخاطر، ولكن الوضع اختلف مع هذه الأسرة، وقد قدمنا لهم احتراماً خاصاً. في النهاية ودعتنا السيدة أم أحمد ومرافقاتها وقد أعربت عن أملها في اللقاء مرة أخرى في إيران.

مشهد رائع

عندما رأيت «آية الله الخميني» في حرم أمير المؤمنين الإمام علي (ع)[١] أحببت عند دخوله إلى الحرم أن أراه عن قرب وأن أسلم

---

(١) صيف عام ١٩٦٨.

عليه، ولكن للأسف، لم يكن هذا الأمر ممكنا، لأنه لم يكن مسموحاً في داخل الأسرة الدينية أن تتحدث النساء للرجال في الشوارع والطرقات. ولكن شقيقي عبدالحسين استطاع أن يتقدم نحوه ويعبّر عن محبته له. وقد تذكرت تلك الليالي التي كان الحرم يصبح فيها مزدحماً، حيث اعتاد عبد الحسين أن يسارع إلى الجلوس في المكان الذي كان يقضي فيه الإمام الخميني أكثر أوقاته، وعندما كان يدخل الإمام إلى الحرم كان عبد الحسين ينهض ويعطيه مكانه. وقد رأيت هذا المشهد من بعيد واعتبرته الأكثر جمالاً وروعة. وعلى الرغم من أنه لم يكن لدي أي معرفة عميقة وحقيقية عن شخصيته، لكنني كنت أعلم أنه مرجع عظيم قد تم نفيه من قبل النظام الإيراني إلى العراق.



الإمام الخميني (رض) داخل مرقد الإمام علي (ع)



الإمام الخميني (رض) داخل مرقد الإمام علي (ع) برفقة حجة الإسلام فرقاني

وذات ليلة جلس عبد الحسين مثل الليالي السابقة في انتظار آية الله الخميني حيث دخل بصحبته الشيخ عبد العلي قرهي[١] الذي كان يعمل في مكتبه، وذهبا معاً إلى مكانه المفضل. تقدم الشيخ عبد العلي وطلب من عبد الحسين أن يذهب قليلاً نحو الركن القريب، فاعترض آية الله الخميني وسأله لماذا يريده أن يبدل مكانه. وحينما كان عبد الحسين يهمّ مغادراً مكانه أوضح قائلاً: أنه جلس ها هنا من أجل سماحته.

في تلك الليلة ترك الإمام الحرم بعد إقامة الصلاة والدعاء، ولم يكن معه إلّا السيد قرهي. وقد سمعت من والدي أن بعض محبي المراجع يبقون بجانبهم من أجل السؤال في بعض المسائل الشرعية حتى يزداد مريدوهم حولهم، وقد كانت هذه عادة بعض المراجع، لكن

---

(١) الشيخ عبد العلي قرهي: كان مدير مكتب الإمام الخميني في النجف ومسؤولاً عن تنظيم اللقاءات. وقد جاء إلى إيران بعد الثورة بعدة سنوات ثم تسلم آية الله غلام رضا رضواني الاعمال منه.

سماحة الإمام كان يقف بفِراسته[١] ليجيبهم ثم يودعهم، ولم يكن يقوم بمثل هذا العمل بهذا الشكل شخص آخر غير سماحته.

استرجاع الذكريات


بابا اسماعيل

عندما رأيت سماحة آية الله الخميني، غبطت عبد الحسين الذي كان يجلس بالقرب منه، وأخذت في استرجاع ذكرياتي عن الإمام الخميني.

تذكرت، عندما عاد مجدداً إلى قُم[٢]، بعد أن أفرج عنه من السجن، كان يذهب للقاء العلماء الذين كانوا يزورونه بانتظام. وبعد مدة سمعت عن إقتراحه بأن تعقد هذه الجلسات بانتظام كل أسبوع، وقد طلب، أيضاً، من علماء الدين بالمدن الأخرى أن ينضموا لمثل هذه الجلسات حيث يتم تبادل وجهات النظر والآراء حول مشاكل الدولة آنذاك.

في تلك الأيام وفي إحدى المرات، كان أبي ضيفاً عليه، وبلا شك لم أتذكر الكثير نظراً لصغر سني حيث لا تسعفني ذاكرتي إلّا تذكر تلك الصور المبهمة حول هذا اللقاء، ولا شيء غير ذلك. في منزلنا،

---

(١) الفِراسة: التأمل.

(٢) تم القبض على الإمام الخميني بسبب خطبة ساخنه قالها ضد النظام البهلوي في فجر ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ. ش (٥ حزيران ١٩٦٣ م)، وقد تم إبعاده من منزله بقُم إلى السجن في طهران وظل حبيساً حتى ١٨ فروردين ١٣٤٣ هـ. ش (٦ نيسان ١٩٦٤ م)، ثم أطلق سراحة عائداً مرة أخرى إلى مدينة قُم، أهل قُم وأكثر أهالي المدن الأخرى شاركوا في حفل استقباله وذهبوا للقائه جَماعياً.

كان لدينا خادم عجوز اسمه «مشهدي إسماعيل»[١] ـ كان يقول عنه أبي ـ إنه كان يعمل في منازل علماء الدين، وقد ذكر سوابقه بفخر أنه كان حاملاً للمصباح[٢] لآية الله الصدر (جدي). وعند مجيء آية الله الخميني إلى منزلنا كان أبي حاضراً، وانعكس ذلك على سلوكه. وأخذ أبي ينقل مشاعره وخواطره عن هذا اللقاء بمزيد من الشوق والحنين إلى الآخرين لفترة من الزمن. وكان يقول: «عندما كان آية الله الخميني يريد الوضوء، سألني عن مكان الوضوء، وطبقاً للعادة حملت الإبريق حتى أملأه ثم أعطه إياه، ولكن السيد الإمام لم يسمح بذلك. فأخذ مني الإبريق وقام بملئه».

قلت: «سيدي! هذه وظيفتي».

فأجاب: «لا يا أبي العزيز، لن أرضى بإرهاقك معي. أنا سأقوم بهذا العمل بنفسي».

أخذ مشهدي إسماعيل في الثناء على هذه القصة بالتفصيل وازداد تحليله للموقف وقال: «لقد رأيت العديد من رجال العلم رفيعي المستوي، ولكني حقيقة لم أرَ مثل هذا السيد في الدنيا قط. فهذا السيد شجاع لا يخشى شيئاً».



علي اميني ـ رئيس وزراء العهد البهلوي

---

(١) مشهدي إسماعيل: كان من خدام آية الله صدر الدين الصدر. وقد جاء إلى منزلنا وبقي عندنا ولم يتزوج قط، ولمعرفة أكثر عن حياته يرجى مراجعة الهامش رقم ٨ في نهاية الفصل.

(٢) كان الناس في ذلك الوقت يستخدمون المصباح الجازي، ولكن الكبار العاجزين إذا ما خرجوا في المساء جاء معهم أحد ليحمل لهم المصباح ويسير أمامهم لينير لهم الطريق حتى يستطيعوا المضي في طريقهم.

حتى أنه في أثناء خطابه ضد الشاه وإدارته وأتباعه، قال: «إنني الآن على استعداد أن يغرس أتباعك رماحهم في قلبي ولكني لن أقبل أبداً قول الزور أمام عجرفتك وجبروتك»[١]. هذا السيد، يدفع المرء لتذكر جده الإمام الحسين (ع)». فبكي مشهدي إسماعيل أثناء قوله هذه الكلمات واخذ يقول: «لم أستطع فهم هذا السيد». وفي نفس الوقت أوصانا أن لا نتحدث في هذا الأمر مع أي من الأطفال، لأن أتباع الشاه كانوا متناثرين في كل مكان، وهذا الأمر سوف يسبب لنا المشاكل.



اضراب سوق قم

---

(١) جزء من خطبة آية الله الخميني المعروفة بإسم «مصادقة الشاه تعني السلب والنهب» والتي انتشرت في مدينة قُم.



مجلس النواب

في أحد الأيام، أخذ يدق بعصاه على الأرض قائلاً: «إن رئيس الوزراء رد على اعتراض العلماء قائلاً: لن تتراجع الحكومة عن برامجها. بهذه الكلمات تبين أنه لا يكترث حيث وقف في مواجهة العلماء». وأضاف مشهدي إسماعيل قائلاً، «إن المواجهات التي تمت ـ بين آية الله الخميني ـ مع علي أميني الذي كان رئيساً للوزراء في تلك الفترة حيث خطب خطبة كانت بالنسبة لنا ممتعة ومشوقة».

ويوماً مّا عدنا بصحبة مشهدي إسماعيل من منزل المعلمة، فرأيت وضع الشارع قد تغير وقد كُسّرت نوافذ وواجهات المحلات التجارية،

ولم تكن حركة الناس عادية، فسألته: «لماذا أغلقت المحلات أبوابها»؟. فأجاب قائلاً: «لاشيء، واخفضي صوتك قليلاً». ولم أفهم ماذا كان يعني، وبإصرار الأطفال طلبت منه أن يوضح لي أكثر، فوعدني بأنه سيشرح كل شيء ما أن نصل إلى المنزل.

وقطعت الطريق الذي لم يكن بعيداً على عجل، وما أن وصلنا إلى المنزل ذهبت إلى حجرته الصغيرة التي كانت في الطابق الأعلى للمنزل وكانت لها نافذتان تطلان على الشارع، ـ كان أخي «جواد» يسمي هذه الغرفة برج المراقبة ـ استرعى انتباه مشهدي إسماعيل تردّدي إلى تلك النوافذ، فقال لي: «لو ذكرتِ اسم آية الله الخميني في الشارع، سوف يقبض عليكِ أتباعُ الشاه، لأن السيد الخميني قد تم القبض عليه وأودع السجن. واليوم قد خرج الشعب إلى الشارع ليعضد موقفه وليحرره. ولكن أتباع الشاه قاموا بضربهم واحتجاز بعضهم، لهذا السبب كان زجاج المحلات مكسوراً».

وفي مرة أخرى، في طريق العودة من مدرستي، فجأة رأيت عدداً من الناس الذين يضربون على رؤوسهم ووجوههم ويرددون «الموت أو الخميني». فقال لي مشهدي: «في رأيي هؤلاء أتباع الشاه ويريدون إثارة الناس من أجل معرفة أتباع الخميني ومن ثم القبض عليهم». لم أفهم وقتها كلامه، فكيف يكونون معارضين للسيد الإمام ويرددون مثل هذا الشعار؟! وأخذت أنظر إليهم في حيرة ودهشة. أوصلني السيد مشهدي إلى منزل المعلمة وقال: «أبلغي معلمتك أن الدرس سيتوقف بضعة أيام! حتى تهدأ أوضاع البلاد».

في منزل المعلمة كانت الأحاديث كلها تتمحور حول الأوضاع الحالية للبلاد. فقد جاءت إحدى جاراتها لرؤيتها وقد نقلت إليها كل الأمور بقلق وبهدوء. وفي نفس الوقت كانتا تتحدثان بصوت منخفض حتى لا

نسمع أحاديثهم، ولكنني سمعت بعض ذلك الكلام وقد حفر في ذاكرتي. قالت الجارة: «لقد طلب الشاه من نواب المجلس أن يعملوا على تعديل بعض المقررات منها أنه لا داعي لأن يُقسِم نواب المجلس على القرآن». وأضافت: «اعترض الخميني، أيضاً، على أمريكا ولماذا تتدخل في شؤون بلد إسلامي»[١]. فأجابتها المعلمة: «حقاً ما يقولون، فقد قالوا في الأمثال «لا تقل الحق، حتى لا تقطع رأسك»، فأجابتها الجارة: «إنهم يقولون فلتقل الحق، سيتركونك تذهب» (الصدق منجي) وبهذا العمل يريدون استخدام الذرائع والحجج لإدخال أتباع أمريكا إلى مجلس النواب».

وفي الظهيرة رجعت إلى المنزل بصحبة مشهدي إسماعيل وأردت أن أنقل إليه ما عندي، لكنه لم يسمح لي أن أتكلم بأي شيء في الشارع، وما أن وصلنا إلى البيت، ذهبت إلى أخي وطلبت منه أن يفسر لي ما سمعت اليوم. فأجاب أخي قائلاً: «إن السيد الخميني يقول أي قانون هذا؟ إذا جاء أمريكي ودعس الشاه بسيارته لا شأن لأحد به، ولكن إذا دعس الشاه بسيارته كلباً أمريكياً، يقومون باستجوابه». وكانت تلك الخطبة السبب في نفيه.

وفي يوم آخر، وعلى خلاف العادة، لم يعد أبي بعد صلاة الظهر. وقد كنا في غاية القلق بالشكل الذي لم يتمكن أي منا تناول الطعام. كما حدثت مشادة بيني وبين أخي «مرتضى» وكنت لا أطيق صبراً إلى حين عودة والدي لأشتكي له، ولكن من شدة قلقي على والدي، نسيت ذلك. وأمي، أيضاً، قد شغلت نفسها بالصلاة والدعاء. وفي وقت الغروب،

---

(١) في خطبته المعروفة في الرابع من ابان ١٣٤٣هـ. ش (٢٥/ ١٠/ ١٩٦٤ م) قال آية الله الخميني: «إن كل مشاكلنا من أمريكا» وقد خالف بشدة المصادقة على لائحة الكابيتولاسيون بالمجلس. وفي نفس إليوم أصدر بياناً هاماً أعرب عن استيائه الشديد من التدخل الأمريكي في شؤون البلاد.

جاء أبي وقال: «لقد تناولت طعام الغداء في منزل أحد أصدقائي». وبعد عدة أيام، بحث أخي «جواد» ليجد أن «السافاك» قد قبض على عدد من الأشخاص بالمدينة، وقد أصبحت المدينة غير آمنة، فنصح بعض أصدقاء أبي أن نترك المدينة.

والخاطرة الأخرى التي أنزعج بشدة كلما تذكرتها، هي أنه في الوقت الذي تم نفي آية الله الخميني إلى العراق[١]، قام رجال «السافاك»[٢] في قُم بالهجوم على مكتبته[٣] وقد أخذوا كل الكتب والمخطوطات، وحتى البوم صوره العائلي وألقوها بالنهر ـ وكان النهر في ذلك الوقت قليل الماء في الجزء الذي يمر بقُم ـ، وكان عندنا في ذلك الوقت خادمة تدعى «سُكينة»، عادت من خارج البيت وقالت لأبي الذي كان يجلس في فناء المنزل: «ألم تعلم ما الذي يحدث بالخارج يا سيدي!!!! لقد ألقيت الكتب والأوراق بالنهر. وقد أخذ الأطفال وأصحاب المحلات بجمع تلك الكتب. كل شخص أختار الكتاب الذي يتناسب معه وحمله من الماء. فسألت: «ما الذي يحدث هنا»؟ فقال شخص: «جاءت شاحنة وألقت بهذه الكتب». وقال الطلبة بصوت منخفض: «تلك الكتب تتعلق بآية الله الخميني. فقد سجن آية الله وألقوا كتبه بالنهر»».

---

(١) في يوم ١٣ مهر ١٣٤٣هـ. ش (١٩٦٤/٩/٤ م) تم نفيه برفقة نجله الحاج السيد مصطفى من تركية إلى العراق.

(٢) منظمة المخابرات والأمن الإيرانية واسمها المختصر «السافاك» والتي تم تأسيسها بواسطة خبراء أمريكيين في عام ١٣٣٥ هـ. ش (١٩٥٦م). لمعرفة معلومات أكثر يرجى مراجعة الهامش رقم ٩ في نهاية الفصل.

(٣) عام ١٣٤٣ هـ. ش (١٩٦٤م) قام أحد الأشخاص بعمل جيد في قُم، حيث كان له منزل في شارع حجتيه أمام مدرسة «حجيته»، قام بإهدائه إلى الإمام، وقام بتحويله إلى مكتبة ليستفيد الطلاب من تلك الكتب.

في أحد الأيام كنت في منزل جدتي مشغولة باللعب، جاء أخي جواد وأخذ يتحدث بصوت منخفض مع بعض شباب العائلة. فأخذت اتفحص الأمر لأسمع ما يقوله جواد. وقد سمعت أن بعض أهالى طهران خرجوا إلى الشوارع من أجل مساندة آية الله الخميني، وقد جرح رجال الشرطة بعضهم وقبضوا على البعض الآخر. أيضاً، قام عدد من العلماء وكبار المسؤولين من كل أنحاء إيران بكتابة توصيات ومقاطعة الانتخابات. كانت لفظة انتخابات بالنسبة لي، لفظة جديدة. واستكمل أخي حديثه قائلاً: «جاء في هذه التوصيات إن شرط استقرار الدستور أن تكون الانتخابات حرة ونزيهة ومقبولة من وجهة نظر الشعب. ولكن في الوضع الحالى لا وجود للحرية، ويسود الفشل أرجاء الدولة. والعلماء إما في السجون أو تحت المراقبة، فلا معنى للانتخابات. وإن أسماء الأشخاص الذين يخرجون من الصندوق، يرتبط بالفساد والعمالة». قال جواد هذا الكلام بصوت منخفض، وبعد الانتهاء، أخذ كل واحد في التعبير عن غضبه.

بعد أن سمعت هذه الأخبار، ذهبت إلى زميلاتي، وظننت أنهن سيتحركن، أيضاً، على أثر سماع هذه الأخبار كما فعل السامعون لخطاب أخي. إلّا أن المعاني التي حفظتها بصعوبة ـ مثل الفشل، استقرار الدستور، تحت المراقبة ـ والتي لم أفهمها أنا نفسي، فلن تفهمها زميلاتي لأعيدها على مسامعهم. في ذلك الوقت قوبل كلامي بردة فعل باردة ومختلفة من زميلاتي فارتبكت، وما أن نقلت خبر القبض على علماء تبريز وإضرابات الأسواق، وكسر أبواب وواجهات المحال التجارية، حتى تعجبوا وأثيرت دهشتهم وردوا قائلات: «لماذا أخذوا العلماء؟ هل أخذوهم ليرسلوهم إلى حيث آية الله الخميني؟ وماذا سيفعلون معهم»؟ فطلبت منهن أن لا يتحدثن مع الكبار في هذا الشأن،

لأني تذكرت كلام مشهدي إسماعيل حيث قال أنه لو علم «السافاك» أنهم سمعوا هذا الكلام منك، فسيقومون بإيذاء أبيك وإخوتك، ثم سيلقون بهم في السجن جميعاً.

في يوم آخر، في إجتماع ليلة النصف من شعبان لعام ١٣٤٣ هـ. ش (١٩٦٤م)، قام الحضور بالوقوف احتراماً عندما تم إدخال صورة الإمام وأخذوا وأخي جواد يرددون معاً هذه الابيات الشعرية:

يا من أبعدوك عن الوطن، أيها المجاهد الأسير
يا من ارتبطت بمحبتك قلوب الشعب
سرعان ما سينتهي هذا الليل الدامس
ليأتي شروق الثورة مغرداً بالابتسامة العذبة

أتذكر أنه بعد نفي الإمام، جاءت إحدى السيدات إلى منزلنا وهمست في أذن أمي وأخذتا بالبكاء. فذهبت لأحتضن أمي متسائلة: «ماذا حدث؟ من مات؟»، فأجابت أمي قائلة: «لا تقلقي! اذهبي وأعدي كوباً من الشاي وأحضر إلى هنا»! فهمت انهنّ لا يرغبن في الحديث أمامي. ذهبت إلى مشهدي إسماعيل الذي أوصاني مرة أخرى، ألّا أذكر أي شيء لأي أحد مما أسمع! وأنا بسبب خشيتي من أن يأخذوا أبي لم أتحدث مع أي شخص قط، وبعد مدة فهمت أن تلك السيدة قد أخبرت أمي بخبر نفي آية الله الخميني إلى تركية.

الهوامش

١ ـ **محافظة قُم**: تبلغ مساحتها حوالي ١١٢٣٨ كيلو متراً مربعاً، تقع في جنوب محافظة طهران، وتدخل في تصنيف كونها إقليماً ذو مناخ صحراوي جاف. فصل الصيف بها حار وشتاؤها قليل البرودة. لمحافظة قُم تاريخ قديم ومكانة دينية خاصة في قلوب المسلمين الشيعة.

بعد قبول أهل قُم للإسلام والتشيع، كانت الأحداث التي صنعت مصير وتاريخ مدينة قُم، حيث قَدِمت السيدة/ فاطمة المعصومة (ص) ابنة الإمام موسى بن جعفر (ع) إلى مدينة قُم. وذلك إثر سفر شقيقها الإمام علي بن موسى الرّضا (ع) إلى مروَ متخذاً منها موطناً، ولكن القدر حال دون حدوث ذلك خاصة بعد أن مرضت واستمرت إقامتها في مدينة قُم. وفي النهاية وبعد مرور سبعة عشر يوماً على مرضها، رحلت إلى بارئها وأصبح مكان دفنها من أكبر المزارات الشيعية.

وكذلك كان وجود الحوزة العلمية بقُم المقدسة التي تقف بثبات في مقدمة ساحات العلم والتقوى منذ عدة قرون والتي ساهمت في تعليم ونشر العقائد الشيعية بين الآلاف من طلاب العلوم الدينية.

٢ ـ **آية الله السيد إسماعيل الصدر**: عالم كبير كان يعيش في الكاظمية. وكانت نشاطاته السياسية سبباً في غضب النظام العراقي عليه ووضعه محلا للشك. لديه ابنان وابنة واحدة. الأول يدعى «سيد

حيدر» ذهب في عام ١٣٨٦ هجري شمسي (٢٠٠٦ م) إلى الأردن لإجراء عملية جراحية بعد سقوط حكومة البعث العراقية. وعند عودته إلى مطار بغداد، اختطف وطلبوا من أخيه السيد حسين مبلغاً كبيراً من المال مقابل الإفراج عنه. ولكن هؤلاء الحكام العملاء للأمريكيين بهذا المنطق، قد فتحوا الأبواب لأعمال الخطف، لذا فهو لم يسمح بمثل هذا العمل، ووعدوا بإطلاق سراحه، ولكن حتى الآن لم ينفذ هذا الاتفاق، ولم تعرف أية أخبار عن مصيره. ابنه الثاني السيد حسين الصدر من علماء الكاظمية، وأصبح امتداداً للسيد محمد باقر صدر. السيدة حنان وهي الابنة الوحيدة للسيد إسماعيل، تزوجت من السيد حسين الصدر حفيد السيد محمد الصدر. والذي كان يعيش في فترة حكم الملك فيصل (ابن عم الملك حسين ملك الأردن السابق) وكان رئيس وزراء العراق. وكذلك أخت السيد حسين تزوجت من السيد عبد العزيز الحكيم نجل آية الله الإمام السيد محسن الحكيم (رض). وبذلك ارتبطت عائلتا الصدر والحكيم.

٣ ـ **آية الله السيد محمد باقر الصدر**: (١٣١٣ ـ ١٣٥٩ هجري شمسي) (١٩٣٤ ـ ١٩٨٠م) ولد في الكاظمية. وتتلمذ على أيدي الأساتذة العظام مثل آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين وآية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي. ونال درجة الإجتهاد. ومن أهم أعماله نذكر: «غاية الفكر في علم الأصول» و«فدك في التاريخ» و«بحث حول المهدى» والعشرات من الأبحاث والمولفات القيمة الأخرى. وقد ارتبط السيد محمد باقر الصدر بالإمام الخميني ارتباطاً وثيقاً أثناء إقامته بالنجف الأشرف في العراق لمدة ١٤ عاماً. وبسبب مكافحته المضنية لممارسات النظام العراقي غير

المقبولة، قام أتباع النظام العراقي بسجنه عدة مرات وتعذيبه. وفي تلك الأيام وعند دخولنا إلى منزله بالعراق، قالت لنا زوجته الخالة «فاطمة» عن شخصيته: «لقد كتب كتاباً حول الفلسفة الإسلامية بعنوان «فلسفتنا» ولفت أنظار العلماء إليه والذي أثبت فيه الدلائل على وجود الله سبحانه وتعالى. ومن أجل مواجهة الماركسية وتطبيق الإقتصاد الإسلامي الصحيح، كتب كتاباً آخر أسماه «إقتصادنا»، وكذلك كتاباً آخر في نفس المجال بعنوان «ماذا نعرف عن الإقتصاد الإسلامي»، وقد كتب هذين الكتابين في الوقت الذي ذهب فيه إلى لبنان من أجل الزواج. وقد سألته: «ألن تنصرف قليلاً عن الكتابة في مثل هذا الوقت ـ الزواج ـ؟ فأجاب قائلاً: «إنني أحيا بالكتابة والبحث». ومن ضمن مؤلفاته الأخرى «البنك اللّاربوي في الإسلام».

اعتقلته الحكومة العراقية أربع مرات، وقد استشهد في النهاية بسجن البعث العراقي.

٤ ـ **حزب الدعوة الإسلامية**: ظهر حزب الدعوة إلى النور في أواخر خمسينيات القرن الماضي وكان يضم عدداً من طلاب العلوم الدينية والشباب ومفكري الشيعة في خطوة لمواجهه الظلم البعثي في حق المسلمين الشيعة. وقد تشكل الحزب ليكون أول حركة شيعية قوية وذات أهداف، لايجاد دولة إسلامية شيعية بالعراق. وقد تشكلت جماعة أخرى أيضاً بإسم «جماعة العلماء» وكان السكرتير العام لهذه الجماعة هو السيد «آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين خال الشهيد السيد «محمد باقر الصدر». ونقلاً عن الخالة «فاطمة»: «لقد كان السيد محمد باقر الصدر عماد هذه الجماعة، ولكن بسبب صغر سنه، لم يذكر اسمه ضمن أعضاء الجماعة».

وعلى كل حال كان الهدف من هذه الجماعة مواجهة الماركسية (الشيوعية) والإلحاد والتي كانت موجودة بالعراق عام ١٩٥٨ م نتيجة لوجود فراغ في الدور السياسي.

٥ ـ **السيدة آمنة الصدر**: (١٣١٦ ـ ١٣٥٩ هجري شمسي) (١٩٣٧ ـ ١٩٨٠ م)، وهي أخت الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وقد عملت على ترجمة بعض القصص الإسلامية حول العلوم والمعارف الإسلامية للأطفال والشباب وذلك بمساعدة «مؤسسة الإمام موسى الصدر للثقافة والبحث» في إيران إلى اللغة الفارسية، هذا بجانب عملها كمدرسة للعلوم الإسلامية في مدارس البنات. وكانت تعتقد أنه من أجل الزيادة في المعرفة الإلهية وتقوية الأساس الثقافي للشباب، يجب العمل على إتقان لغات وآداب جديدة. ومن كتاباتها «المرأة في عهد رسول الله»، «الميلاد الثاني» و«مكة المعظمة»، وقد قام النظام البعثي العراقي بسجنها مع أخيها، ولكنها لم تتحمل التعذيب حتى فاضت روحها إلى بارئها، ولا يعرف مكان دفنها، ولكن يقال إنها دفنت في مقابر أسرة آل ياسين. وقال خادم أمين يدعى خضير هذا الكلام إلى الخالة «فاطمة» وزوجة عمي حيث قال: «بعد استشهاد السيد محمد باقر الصدر، وفي منتصف الليل، جاؤوا بجنازة العلوية (بنت الهدى) إلى هنا وقُمت بدفنها، ولكن بسبب خوفي من أزلام صدام لم استطع أن أقول لكم، والآن أطلب منكم ألّا تقولوا أنكم سمعتم هذا مني».

٦ ـ قال **آية الله الحكيم** حول مفهوم السياسة: إذا كان معنى السياسة إصلاح أحوال الشعوب بناءاً على أصول الدين الصحيحة، والعقلانية، ورفاه العيش، والتسهيل على عباد الله، فإن هذا هو

عين الإسلام، وإذا لم يكن هناك مفهوم آخر للسياسة، لم يكن للعلماء أي عمل آخر. لو أن هناك لهذا المفهوم مفهوم آخر فإن الإسلام ليس غريبا عن هذا المفهوم. لقد كان لآية الله الحكيم ولع في إنشاء وتأسيس المدارس والمكتبات والمساجد والصروح العلمية والدينية. ومن هنا نجد له العديد من الآثار والمكتبات في هذا الشأن. ومن أشهر المكتبات المعروفة والتي تحمل اسمه في مدينة النجف الأشرف «مكتبة الإمام الحكيم» وهي من أكثر المكتبات الإسلامية تجهيزاً ولها ما يزيد عن مائة فرع بالعراق.

ومن بعض مؤلفاته:

- مستمسك العروة الوثقى، أول شرح بالأدلة لكتاب «العروة الوثقى».
- نهج الفقهاء، هو كتاب توضيحي لمفهوم مباحث البيع في كتاب «المكاسب» للمرحوم الشيخ الانصاري.
- حقائق الأصول، شرح القائم على شرح مفهوم كفاية الأصول.
- دليل المناسك، شرح على كتاب: مناسك الحج لأستاذه آية الله ميرزا حسين نائيني.
- رسالة في إرث الزوجة من الزوج، تعليقاً على كتاب «رياض الجنه».
- الرسالة المختصرة في الدراية.
- مختصر منهاج الصالحين.
- حواشي لنجاة العباد.
- شرح ملاحظات العلامة الحلي.
- حاشية على رسالة الصلاة.

٧ ـ **السيدة مهري ملايري**: ابنة حجة الإسلام ملايري وحفيدة آية الله

العظمى السيد حسن قُمي، وأفضل أوقاتي تلك التي كنت أقضيها برفقتها وأمها السيدة «أقدس قُمي». حجة الإسلام ملايري كان أيضاً صديقاً لوالدي. وفي أول مرة ذهبت لأصلي بمسجد «السهلة» سمعت من يقول إن إمام الزمان (عج) يصلي في ليالي الأربعاء بمسجد «السهلة». وفي لحظة رأيت سيداً حسن المظهر اختفى في وسط جمع من الناس. فزادت حيرتي من ذلك.. وبعد مدة، عندما ذهبت لمنزل السيد ملايري، فهمت أن ذلك السيد الذي رأيته بالمسجد كان هو السيد ملايري، وهو، أيضاً، ابن خال آية الله العظمى «السيد علي السيستاني».

٨ ـ كان **مشهدي إسماعيل** يتصرف في المنزل كما لو كان خبيراً بأحوال الطقس. ففي بعض الأوقات في الصباح ونحن ذاهبون إلى المدرسة، كان يخرج رأسه من نافذة غرفته ثم يقول: «احملوا معكم الشمسية»! أو يقترح: «اغلقوا نوافذكم فهناك عاصفة»! ونرد قائلين: «الطقس مشمس، فلماذا نحمل معنا الشمسية»؟ فيرد قائلاً بنبرة صوت خاصة: «الأمطار ستتساقط». وأحياناً عندما تكون السماء ملبدة بالغيوم نسأله: «هل ستهطل الأمطار»؟ فيجيبنا قائلاً: «لا، فهذا مجرد عبور للسحب وسوف تمطر في كاشان أو..... إلخ»، مشهدي إسماعيل كانت له آراؤه الخاصة، فقد كان يعتقد أنه لا وجود للطب، ويعتبر استخدام الأدوية الكيميائية أمراً مضراً. وفي كل مرة كان يمرض يتناول وصفاته الخاصة ليتماثل للشفاء، وكان له اعتقاد مثير حول سفر الأمريكيين إلى كوكب المريخ، وطلب منّا ألّا نصدق هذا الخداع والسحر، بلاشك كان كثيراً ما يتبادل الحديث مع أخي جواد ويقول: «إنهم يقولون هذا الكلام حتى يعلموكم أنهم قادرون ويستطيعون بعد ذلك التسلط عليكم»،

فنرد قائلين: «لقد عرضوا فيلم الوصول إلى المريخ». فيجيبنا قائلاً: «إلى أي حد أنتم سُذّج! ألا يستطيعون أن يصنعوا فيلماً؟ من أين لكم أن تعرفوا أن هذا الفيلم واقعي وموثق»؟ ويقول بسخرية وتعجب: «أنتم الذين ذهبتم إلى المدارس وتعلمتم.. لماذا أنتم سُذّج إلى هذه الدرجة وتصدقون كل شيء سريعا»؟.

٩ ـ **منظمة المخابرات والأمن الإيرانية** ومختصرها «سافاك» وكانت موجودة في عهد محمد رضا شاه من ١٩٥٦ إلى ١٩٧٩ م، وكانت وظيفتها الأصلية معرفة وتتبع الأشخاص الذين يعارضون الشاه، وكان لهذه المنظمة الصلاحيات الكاملة في اعتقال أي شخص واستجوابه. وكانت تستخدم كل أنواع أدوات التعذيب، فقد تعلم طاقمها على أساليب التعذيب في المخابرات المركزية الامريكية وإسرائيل. وكانت أدوات التعذيب مثل: الصعق بالكهرباء، الجلوس على الكراسي الحارة، تقليع الأسنان والأظافر وإلخ.. في السنوات التي كثر فيها النشاط الثوري أعدم «السافاك» أكثر من مائة سجين سياسي. وتعد «السافاك» المؤسسة الحكومية الأكثر تخويفاً وترهيباً بين الناس.

الفصل الثاني

أسرتي

الفصل الثاني

أسرتي

الوالد

والدي هو آية الله السيد محمد باقر سلطاني طباطبائي الذي ولد في عام ١٩١٥، في مدينة بروجرد، لعائلة متدينة وغنية، وعندما كان صغيراً، كان والده، الحاج السيد علي أصغر طباطبائي، نائباً برلمانياً في الدورة الثالثة لمجلس الشورى الوطني عن بروجرد، وعلى هذا النحو، فقد سجل ثبوت نسبه للإمام الحسن المجتبي (ع) عن طريق ثلاث وثلاثين صلة.

طفولة والدي ومراحل تعليمه

كانت الأوضاع المالية لوالدي جيدة وكان مشهوراً بين الناس، فقد عُرف علماء طباطبائي أنهم ذوو شخصيتين؛ أي أنهم علماء دين وأشراف، وفي بيت العائلة، كان لكل من الأبناء مربية وطباخ وبستاني وعدد من العمال في مجالات عمل مختلفة، لكن والدي لم يكن سعيداً بهذه الحياة، وكان يميل إلى قضاء وقته بجانب أسر العمال أكثر مما كان يقضيه بجانب أسرته، وحينما سألته لماذا؟ رد قائلاً: إن المحبة والبساطة التي بينهم تجلب لي السعادة والطمأنينة.



الوالد في ساحة المنزل

في الشتاء يجلس جميع أفراد الأسرة من أكبرهم إلى أصغرهم على وسادة، وخلفهم المخدات الملونة وتحتهم العديد من المراتب الأخرى المزركشة يتوكأون عليها، وفي هذا الجو الدافىء اللطيف، وبعيداً عن التكلُّف فيما بينهم، يقصون الحكايات ويتناقلون الخواطر، وكانت هذه العلاقات الدافئة تؤثر في نفسي، بينما لم تكن أسرتي على هذا النحو، فكان كل من والدي ووالدتي وأخوتي، منشغلاً في غرفته.

في عام ١٩٢٩، وبعد الانتهاء من التعليم الابتدائي(١)، في الرابعة عشر من عمره، وعلى الرغم من امتعاض والدته (شوكت الحاجية)، ذهب إلى مدينة قُم لاكتساب العلوم الدينية، وتزامنت هذه الهجرة مع ضغوط رضا شاه على الحوزات العلمية، في ظل غياب رؤية واضحة في الأفق لمستقبل مدارس العلوم الدينية.

---

(١) أتم أبي التعليم الابتدائي في الكتاتيب.

قرر والدي، دون أي ندم، وبعزيمة راسخة، أن يستمر في تحصيل العلوم في حوزة قُم العلمية لثماني سنوات، وكان من جملة معلميه الكبار، آية الله الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي، السيد محمد تقي الخوانساري، الحاج السيد محمد حجت والحاج السيد صدر الدين الصدر، وحصل منهم على إجازة الاجتهاد. وكان دائماً يقول عنهم أنهم من الطينة الشريفة، ويقصد المراجع الثلاث (حجت، الصدر، الخوانساري)، ويحدثنا عن صلاة الاستسقاء التي أقامها آية الله الخوانساري(١).

اتجه والدي، فضلاً عن تعلُّم ودراسة الفقه وأصوله، إلى دراسة الفلسفة على الرغم من أن أجواء الحوزة العلمية لم تكن آنذاك تتحمل مثل هذه الأبحاث، حيث استفاد من دروس آية الله الخوانساري في هذا المجال. وفي عام ١٩٣٧، ذهب إلى النجف الأشرف. وبعد عدة سنوات من نهل علوم كبار علمائها، كآية الله الحاج السيد أبو الحسن الأصفهاني والحاج آقا ضياء العراقي، عاد إلى مدينة قُم.

كان والدي يتمتع بذاكرة جيدة. وكان يحفظ معظم أبيات ألفية ابن

(١) صلاة الاستسقاء: في اوائل عام ١٩٤١م، كانت الدولة تحت احتلال الحلفاء (الحرب العالمية الثانية)، فأصابها الجفاف والقحط، فتوجه أهل قُم، سعياً للتخلص من هذا الوضع، إلى آية الله الخوانساري لإقامة صلاة الاستسقاء، وقد أقامها بجمع غفير من المصلين قدّر بعشرين ألف مصلٍ. وقد سمعت أن أمطاراً غزيرة هطلت في تلك الليلة على المدينة. وقد كان الأمر مهماً لدرجة أنه لا يوجد شخص في قُم لا يتذكره، حتى أنه قد أذيع هذا الخبر العجيب، عن طريق إذاعات الحلفاء في كلٍ من اذاعتي أمريكا إنجلترا، وانتشر في العالم أجمع.

مالك[١]، نظامي، حافظ الشيرازي ومولانا جلال الدين الرومي، بالإضافه إلى الفلسفة والمنطق للسبزواري (المنظومة).

وفي مرحلة المدرسة الابتدائية، كان يقدم لي العون في حل مسائل الحساب وكتابة الإنشاء والتعبير. أما في المرحلة الثانوية كنت أداوم في الفترة المسائية وأقدم الامتحان بشكل حر. وحينما تأتي ليلة الامتحان أذهب أحياناً إلى والدي، وكان يلقنني الدروس حتى الصباح، وقد كانت في معظمها عربية وفلسفية، ولم يوبخني والدي قط بسبب تقاعسي، حيث كان يتجنب توجيه اللوم بشدة، وأتذكر حينما أراد أحد أخوتي معاقبتي، قال له والدي: ليس هذا وقت الملامة. يجب مساعدتها حتى تنتهي من مشكلتها. وكان دائماً يذكرني وينبهني بشكل متواصل بعد الامتحانات: لو عندك سؤال حول دروسك فاستفسري عنه ولا تسمحي للمواد والدروس أن تتراكم: وحينما أطرح عليه سؤالاً في الفلسفة والآداب العربية، كان يبدأ الجواب بأشعار حاجي[٢] أو ألفية ابن مالك ثم يتناول إجابة السؤال.

تعاليم والدي الدينية قلّما كانت تتناول محوري الجنة والنار، وكان دائماً يشير بسلوكه اللائق، إلى خصائص الإنسان الشريف، ويحاول تشجيعنا لإكسابنا هذه الصفات الحميدة.

---

(١) ألفية ابن مالك: حفظت العديد من كتب الأدب العربي، من بينها كتاب ألفية ابن مالك التي تعد مصدراً غنياً ورئيسياً للأدب العربي. وقد قام علماء عظماء مثل السيوطي وابن هاشم الأنصاري وابن عقيل بشرحها وتوضيحها.

(٢) من أجل المزيد من المعلومات حول الحاج مُلّا هادي السبزواري، يرجى مراجعة الهامش رقم ١ في آخر الفصل.

الزواج

ذهب والدي بعد عودته من العراق، لطلب يد بنت آية الله صدر الدين الصدر، وبعد الحصول على الموافقة للزواج من الإبنة الكبرى «صديقة» ولتأمين مقومات الزواج، شق طريقه إلى بروجرد ليتمم، بعد العودة، حفل الزفاف ومراسم العرس. ولكن هذا السفر طال لسبعة شهور. في هذه الأثناء تقدم رجل آخر من أصفهان لأجل الزواج من «صدّيقة» خانم، فقال السيد الصدر لوالد الخاطب الجديد، الذي كان ابن أخيه: لقد طلبها السيد سلطاني وأنا أجبته بالموافقة، وسأنتظر عدة أيام أخرى، وإذا لم يأت، سوف أتحدث معك بهذا الشأن. حينها اتّفقا بأنه إن لم يتم زواجه بـ «صديقة» خانم، سيطلب الأخت الأخرى «طاهرة» خانم. وصبرت عائلة الصدر حتى الوقت الموعود، وحينما لم يأت خبر عن والدي، قرروا عقد الخطبة الجديدة، حتى أنهم انتهوا من شراء مستلزمات العقد، ولكن والدي وصل إلى قُم في ظهر اليوم نفسه، وبعجالة ذهب إلى منزل السيد الصدر، وبعد شرح سبب تأخره أعيدت خطبته مرة أخرى.

كانت أمي تقول لي: رتبت اللوازم التي جُلبت لي، مثل المرآة والشمعدان والحذاء والقُماش وغيرها، وتركتها لأختي طاهرة. واللوازم التي جلبها السيد سلطاني كان من بينها صندوق صغير جميل ملفت للنظر. وفي ذلك الوقت كان من المعتاد حينما يتم شراء لوازم العروس، يشترون أحذية لأم العروس وبعض سيدات العائلة وعاملات بالمنزل. وقالت أمي: إن العدد الكثير للأحذية الذي يُهدى للمقربات من العروس، يظهر مدى سخاء وكرم العريس.

وخلافا لنمط عائلة العريس، وبطلب من عائلة العروس، أقيم حفل بسيط جداً لعقد القران، وهكذا تزوج والدي ووالدتي.



المرآة والخزانة



صندوق جميل من مشتريات عقد الوالدة

تقول والدتي: لم يكن من المعتاد في ذلك الوقت أن يرى العريس عروسه في مرحلة الخطبة، وسرى علينا هذا العرف، فكان يكتب لي رسالة ويضع على الغلاف إسم (زهرا سلطان) عاملة المنزل، وشاء القدر أن تصل الرسالة إلى يد والدي، فذهب إلى (زهرا سلطان) وصاح فيها لتسليمها الرسالة. وكانت سيدة ذكية ولبقة وقالت: إني أنتظر رسالة من ولدي، فردَّ والدي: الرسالة من بروجرد وبخط يد السيد سلطاني.

وكان مطلع الرسالة بيت غزل لحافظ الشيرازي:

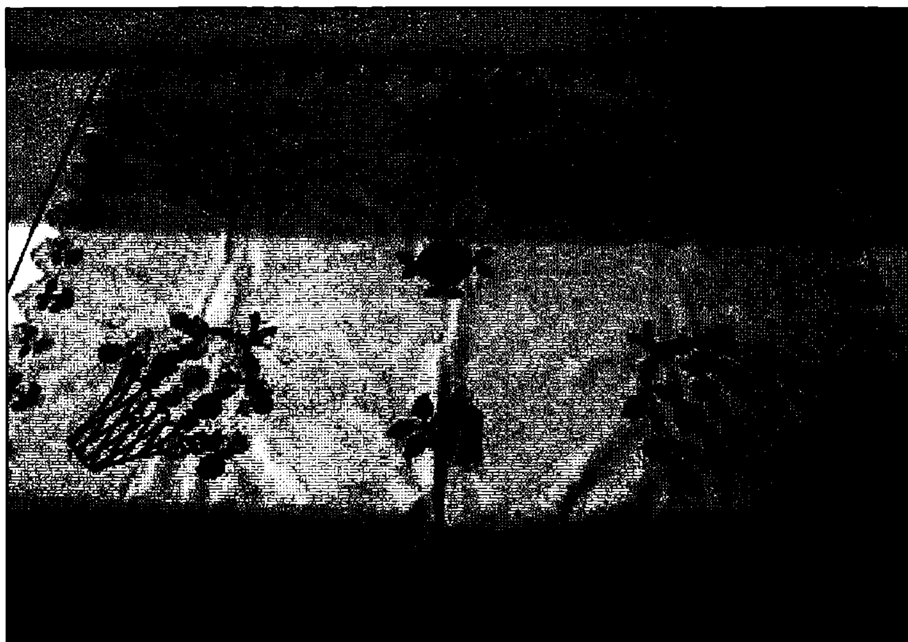
قلمك الأسود حينما يتذكرني يوماً

فإنه يأخذ أجر عتق رقبة مئتي عبد

بعد عدة شهور، ذهبت أمي إلى بيتها بمهر بسيط، وكانت تحتفظ بمهرها المكوّن من قطعة قُماش مطرزة لحفظ الملابس[1]، قطعة من القُماش يتم الوقوف عليها لدى ارتداء الملابس في الحمام.. وبعض القطع النحاسية.

---

(١) في أغلب التجهيزات المعدة للعروس كان يوجد صرتان مطرزتان بهما أقمشة قيّمة، هذه الاقمشة تكون من الحرير المزركش والمطرز بالذهب والفضة من أجل عمل الألبسة اللازمة.



قطعة مطرزة من عمل أمي

السنوات الأولى المشتركة بين والدي ووالدتي تزامنت مع أعوام الحرب العالمية الثانية[١] وما تبعها من قحط ومجاعات، وبالرغم من أن هذه الحرب هي في الواقع بين القوىٰ الغربية ولا يوجد أي علاقة بينها وبين إيران، إلّا أن شعبنا تحمل الإفرازات النفسية لموجاتها المتتابعة، وفي تلك الأعوام أصبح الوضع الاقتصادي لطلاب العلوم الدينية سيء للغاية؛ فباتوا تحت الضغط السياسي والاجتماعي للنظام البهلوي، وشخص رضا شاه، ولم يبق لهم حول ولا قوة إلى ما يقرب من عقدين.

تقول أمي عن هذه الفترة العصيبة، إن والدي كان يقسو على نفسه، ولا يفضل الاعتماد على عائلته ولم يظهر احتياجه. ثم سردت لي

(١) الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م)، بدأت بعد أن عبر الألمان بولندا وأدت إلى موت ٥٥ مليون شخصاً بالعالم أجمع، أصبحت هذه الحرب تعد الأكبر والأكثر دماراً في التاريخ البشري.

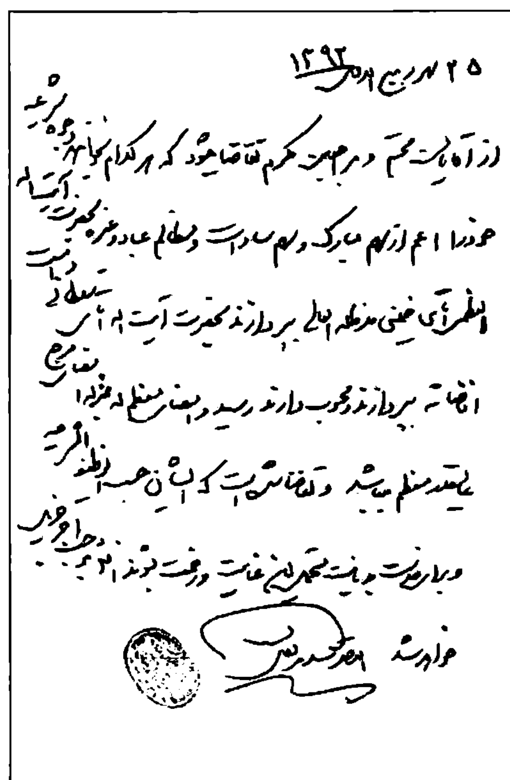
خاطرة من ذكرياتها وقالت: «طلبت منه يوماً أن يشتري العدس، وحان وقت الظهر، ولم يأت به. فأعددت طعاماً آخر للغداء. وعندما أتى لم أحدثه بهذا الموضوع، وحينما خرج من المنزل وقت العصر، ذكّرته بأن يشتري العدس، فذهب وعاد ليلاً ولم يكن قد اشترى العدس، وبعد عدة أيام قال والدك: ذلك اليوم لم يكن لدي المال الكافي لأشتريه».

وتستطرد أمي: «لو أن عائلته، في بروجرد، عرفت بما نحن فيه لأرسلت إلينا الكثير من البقوليات، ولكنه فضل أن يعيش حياة بسيطة كبقية طلاب العلوم الدينية».

ورِث والدي الكثير من الأملاك وكانت عوائدها كبيرة؛ لأن الكثير من الأراضي ورثها من والدته. قال والدي: «لو أردت أن أحصل على سهمي الحقيقي من المزارعين، لكان نصيبي أكثر من هذه العوائد، ولكني لا أرضى أن أطلب من المزارعين الذين يعملون هناك، نصيباً أكبر».

وكان والدي يحتاط في الاستفادة من الوجوه والأموال الشرعية بشكل خاص، وحينما كان وكيلاً لآية الله بروجردي وآية الله الخميني والعلماء الآخرين، كان يصله الكثير من الأموال لكنه لم يكن يستفيد من حصته، وكان يشجعنا على الحياة البسيطة.

أتذكر أني قلت لوالدي في إحدى المرات: هذا السجاد قديم، وعلينا تبديله. فلم يقبل وقال: «يزورنا العديد من الأشخاص من مستويات معيشية مختلفة. وعندما يأتي الطلبة إلى منزلي ويرون أني مدرس في الحوزة وأحيا مثلهم، فسيشعرون بالرضا. كذلك عندما تأتي أسرهم إلى هنا وترى منزلنا وحياتنا، فهم أيضاً سوف لن يضغطوا على أولياء أمورهم لتأمين حياة أفضل، ولن يجبروا على ممارسة أعمال أخرى تؤدي لعدم تفرغهم للدراسة.



الوكالة التامة الاختيار للوالد من آية الله بسنديدة (شقيق الإمام الخميني)

ولا أستطيع أن أنسى عندما حصل أخي الأكبر «صادق» على الثانوية العامة. رغب، وبتوصية عمي موسى وخالي مسعود الذي كان يعمل طبيبا بألمانيا، أن يذهب لإكمال دراسته هناك، إلّا أن والدي أكد له أنه لا يستطيع تحمُّل أعباء وتكاليف حياته في المانيا، وإذا أراد الذهاب يجب أن يعتمد على نفسه، وعلى هذا النحو أمضى «صادق» حياة مريرة في المانيا، حيث، بالإضافة إلى دراسته، كان يشتغل أيضاً.

ويسرد والدي ذكرياته: «حينما كان «جواد» (أخي) شاباً يافعاً سألني: كم سنة قرأت فيها دروسك؟ فقلت: تقريباً ثلاثون عاماً. فقال: وكم سنة قُمت بالتدريس؟ فأجبته: بضع وعشرين عاماً. ثم سألته هل تريد أن تصبح مثلي؟ فقال: لا. قلت: لماذا؟ فقال: أنا أريد عملاً يكسبني الكثير من المال، فإذا طلب مني ولدي ريالاً أعطيته توماناً (عشرة أضعاف).

كان والدي مدرّساً ليس له مثيل في كفاية الأصول، إذ قال عنه بعض الكبار: تدريس الكفاية مثل الشمع في يده (كناية عن سهولة التحكم به) ولكونه يتمتع بأسلوب شيّق وممتع، فإن درسه كان جذاباً.



الوالد في مكتبه



الوالد أثناء التدريس

وفي أحد الأيام وبشكل مفاجئ، قام والدي بإلغاء الدرس في المسجد «الأعظم» بمدينة قُم، واستمر في إعطاء الدرس في حجرة صغيرة في منزلنا، ولم يكن واضحاً لنا سبب هذا العمل، وثم سمعنا من البعض إن الطلبة تأتي لوالدي تباعاً وتشيد بأهمية ومهارة والدي في التدريس، وقال أحدهم ذات يوم: درسك مزدحم أكثر من بعض المراجع! وحين سمع والدي هذا الحديث أوقف الدرس وقال: لا يجب أن يقلل درسي من رونق دروس المراجع.

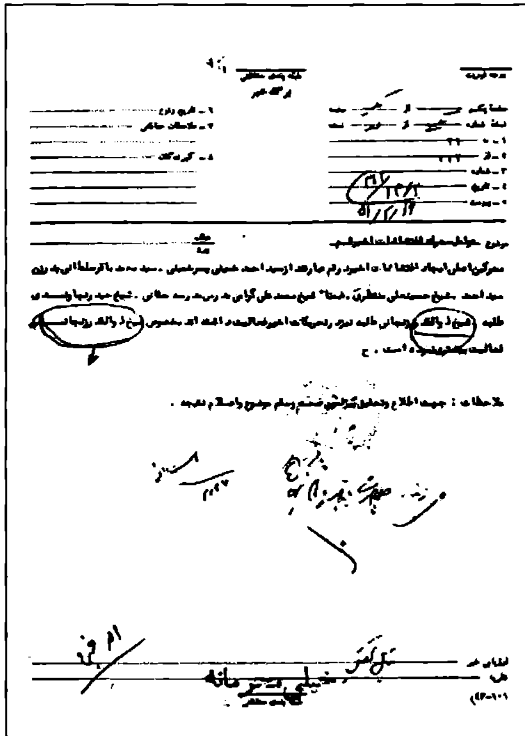
أتذكر أنه كتب أجزاءاً من الأصول ليقدمها بشكل كرّاسات للطلبة لكنه غيّر رأيه دون أن يفصح عن سبب ذلك، فقال له الطلاب إنك تشرح المواضيع المعقدة تُفهِمُها لنا بحيث نستغني عن مراجعة الكتاب. فرد والدي قائلاً: هذا الأمر يضر بالطلاب إذ عليهم أن يستنتجوا المفاهيم من النصوص بأنفسهم.

كان والدي على نحو كبير من مكارم الأخلاق بحيث كان يضرب به المثل في سمو الخُلق بين الأقارب والأصدقاء.. وكان يتجنب الجاه والمقام، وأحياناً كان يأمرني وأنا في العاشرة أو الثانية عشر عاماً، أن آخذ العطايا والهدايا إلى الأفراد ويؤكد على عدم ذكر اسمه.

وكان كلما ألح عليه أصدقاءه بشرح أحواله ومكارمه، فإنه يقول: ليس لدي شيء لأقوله.

استيقظت ذات ليلة في منتصف الليل، ورأيت والدي في ساحة البيت وكان منهمكاً بفتح باب البئر، ثم ألقى أوراقه بداخله. في اليوم التالي فهمت من أحاديث الطلاب وذهابهم ومجيئهم أنهم يريدون من والدي أن يطبع كتابه الذي قام بتأليفه، وقد عقد العزم على أن يترك لهم كل ما كتبه بخط يده، من أجل أن يقوموا بطباعته. وفي الليل وحينما

كان في خلوته مع الله.. شعر بأن طباعة الكتاب ونشره من الممكن أن تؤدي إلى إحساسه بالغرور والفخر، وكان يحدث نفسه بأن تلقي العلوم الشرعية يجب أن يمحي الأنانية والغرور وأن العالِم الذي لم ينجح في إزالة العجب والتفاخر من نفسه، لا يمكنه أن يربي طلاباً يطمحون لنيل الحقيقة. وبعد هذا النزاع الفكري يقوم العالم الجليل ويلقي بكتابه في البئر.



احدىٰ وثائق السافاك ويُذكر والدي فيها كقوة محركة للاضطرابات

وكان يُعلّم بعض أصدقائه من المتشوقين للتهجّد، أذكاراً خاصة، ففي أحد الأيام أوصى أحد أصدقائه بشأن حمد ومدح الله: إذا رغبت بحمد الله بشكل كامل، فاقرأ هذه الآية: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(١)].

ولم يغفل والدي عن النشاط والعمل السياسي[(٢)] رغم اشتغاله

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٣٦.

(٢) بعد انتصار الثورة الإسلامية، تم انتخاب والدي بوصفه ممثلاً لمجلس الخبراء لكتابة الدستور، وذلك من قبل المواطنين عن محافظة لرستان.

بالتدريس والبحث، وقد عرف في وثائق السافاك على أنه القوة المحركة ودينمو الاضطرابات.

كان لوالدي دور هام في دعوة سماحة آية الله البروجردي للإقامة في قُم وإدارة الحوزة، فقد ذهب إلى طهران ممثلاً عن آية الله الصدر ومرافقاً للإمام الخميني لدعوة آية الله البروجردي إلى قُم، وبعد مجيء آية الله بروجردي إلى قُم، عمل معه كمستشار، كان السيد البروجردي يكن لوالدي الكثير من الاحترام، أمّا بشأن القضايا المتعلقة بالسيد نواب صفوي[(١)] فقد تعكرت العلاقة بينهما نوعاً مّا[(٢)].

من آثاره ومؤلفاته الباقية:

- رسالة في الاستصحاب.
- رسالة في شرح منظومة التنكابني.
- رسالة في الخيارات.
- رسالة في الأدب الفارسي.

فارق الحياة في صيف سنة ١٩٩٧ وعمره إثنان وثمانون عاماً بشكل مثير للإعجاب، ففي أحد الأيام بينما كان جالساً على سريره، محدقاً بنقطة معينة، بتعظيم واحترام، مسلماً بدعوة الحق، يسلّم على

(١) سيد مجتبي نواب صفوي: (١٩٢٤ ـ ١٩٥٧م) ولد في أسرة دينية، وكان من زعماء جمعية «فدائي الإسلام»، ومن أجل مزيد من المعلومات عنه يرجى مراجعة الهامش رقم ٣ في آخر الفصل.

(٢) بعد القبض على السيد نواب صفوي، ذهب الإمام الخميني وأبي إلى آية الله البروجردي وطلبا منه أن يتوسط لدى الشاه حتى يطلق سراح السيد نواب ولكن لم يرَ آية الله البروجردي المصلحة من وراء ذلك ورفض، فكان ذلك سببا لتألم والدي.

الإمام أبي عبد الله الحسين (ع) مردداً ذكر «يا سيدي»[(١)] لبّى نداء بارئه.

والدتي

كانت أمي السيدة «صديقة» الصدر (المولودة ٢٥ ـ ٦ ـ ١٩٢٤م) أكبر بنات آية الله الصدر، وفي ريعان شبابها دفع بها والدها إلى الكتاتيب لتعلُّم تلاوة القرآن وقراءة كتب الأحاديث والأخلاق. بالإضافة أيضاً، إلى قراءة كليلة ودمنة وبوستان وكلستان الشاعر سعدي الشيرازي. وقالت ذات مرة بتعجب: «ما كنا نتعلمه في ثلاث أو أربع سنوات، الطلاب اليوم لا يتعلمونه في اثني عشر عاماً»! كانت أمي تحفظ العديد من الأشعار. واثناء المباريات الشعرية ـ إحدى هواياتنا ـ كانت تتفوق علينا وحتى أواخر حياتها كانت تتذكر أكثر أشعارها.

ولم يعجبها رأي بعض أصدقائي بفكرة حرية الأطفال، وكانت تقول حينما يؤدبون أولادهم: إن تصرخي وتبكي اليوم أفضل من أن أبكي أنا غداً.. لأن بكائك مقطعي وقصير، لكن بكائي على سلوكك غيرالسوي، سيكون دائماً.

ذاكرتها القريبة لم تكن قوية، ولكنها تتذكر جيداً خواطر السنوات الماضية. وحينما تذكر تلك الخواطر فإنها تلقيها علينا بطلاقة كأنها حدثت مؤخراً، مثل إعادة سردها لجزئيات سفرها للحج بكل إحساس.

في ليالي الجمعة، وحينما يتجمع أفراد الأسرة والأصدقاء المقربين، فإنها تلقي علينا دعاء كميل بن زياد بشكل فصيح وصوت شجي وحزين.

(١) كان والدي يحل ضيفاً بمنزلنا.

كان لها قلب مثل المرآة، ينكسر بسرعة، وقطرات دموعها تتساقط على خديها، ولكن لا تتسبب الغصة لأي صدأ لمرآة قلبها.

كانت دائماً توصي الجميع بمحبة واحترام الوالدين، وقد قالت مرات عدة لنا: «يجب أن تحبوا والدكم أكثر مني». وبلا تردد أضافت: «وهذا حقكم، فقد كنت أيضاً أحب والدي كثيراً». ثم قالت: «كنت أستيقظ كل يوم صباحاً، فأذهب إلى والدي، ألقي عليه التحية وأقبل يده؛ حينها أشعر بأن لدي قوة استطيع معها أن أبدأ أعمالي اليومية، وإذا لم أستطع رؤية والدي لا يستقر يومي ويصبح غير متزن». خالتي كانت تنقل محبة أمي لأبيها قائلة: «رقد والدي في مستشفى (فيروز أبادي) بطهران بسبب المرض، وبعد تحسن صحته نسبياً، اقترح الأطباء أن لا يقيم في مدينة قُم، وأن يذهب إلى إحدى القرى القريبة من مدينة قُم ليقضي فترة النقاهة، ولما سمعت والدتك بهذا الأمر وقفت لساعات طويلة في حرّ صيف مدينة قُم اللاهب، تنتظره في الطريق لتلقي عليه تحية خاطفة»..

كانت أمي تبرر الكثير من العشق والحب الوافر تجاه والدي، وقالت: «والدي ووالدُكِ لم ليسا أشخاصاً عاديين، فهما علماء دين. إن القاء النظرة إلى وجه العالم، بل إلى باب داره، تعتبر من العبادات». وحينما كنت أطلب مرافقتها للذهاب إلى حرم السيدة المعصومة (ع)، ويكون والدي في المنزل، لا تقبل. وتقول لي: «لو كنت أقصد العبادة، فإن النظر لوجه والدك يعتبر عبادة».

ومن المثير أن تلك المحبة التي تكنها والدتي لوالدها قد أظهرتها للإمام الخميني، ففي الوقت الذي كانت تراه فيه[1] تقول له بصفاء

(١) كانت هناك في جماران فرص لقاء أكثر.

خاص: «سيدي! أنا أحب والدي كثيراً، وأحبك أيضاً مثله». فيرد قائلاً: «سُعدتُ من حبك لي مثل حب والدك؛ لأن آية الله الصدر إنسان شريف ونبيل».

كانت أمي تحكي هذه القصة عن ذلك اللقاء وكانت كل مرة تسردها بسرور بالغ وسعادة.

قالت أمي لي: «ذهبت ذات يوم لتنظيف حجرة والدك. نظفت الكتب والأوراق بنفسي لكي لا أفسد ترتيبها، وعندما رأيت الكتب سقطتُ ساجدة لا إرادياً، وفي نفس الوقت جرت دموعي، فحمدت الله وشكرته. وكان أبوك ينظر إليّ من الخارج وظن أني سقطتُ على الأرض، فهرول مسرعاً ومضطرباً إلى الغرفة. فقلت له: كنت أشكر الله، لأنني ترعرعت في بيت كان والدي يقضي حياته مع كتاب الله ورسوله (ص) والأئمة (ع) ليل نهار، وأنا الآن أعيش مع رجل مثله».

سمعت منها مرات عديدة قولها: «يا الله، أنت تعلم الخير فأرزقني ما فيه الصلاح»، كانت عبداً شاكراً لله إن أعطى وإن أخذ». وبعد أن مات والدي عاشت أياماً عصيبة، وكانت دائماً تقول: «لا أعلم ما هي مشيئة الله؟ لأنني كنت أدعو الله أن لا يبقيني يوماً واحداً بعد وفاة السيد سلطاني، ولكن إرادة الله هي فوق كل إرادة، وكان قدر بأن أتحرق على فراق زوجي». وأكملت قائلة: «في أحد الأيام حينما كنت أدعو بهذا الدعاء، قال لي والدك: لا تأمري الله ولا تحددي له مصائر الناس»!

توفيت والدتي في تموز عام ٢٠٠٤م، ودفنت بجوار والدي في مرقد الإمام الخميني.

أُسرة والدي

جدي لوالدي هو الحاج السيد على أصغر الطباطبائي، وكان ملقباً بسلطان العلماء، ابن السيد مهدي الطباطبائي، يقول والدي حول سبب إقامة أجداده في بروجرد، إن جده الأكبر المرحوم السيد محمد الطباطبائي[١]، سبط العلامة محمد باقر المجلسي الذي كان من كبار فقهاء عصره، حينما انطلق من أصفهان ليزور العتبات المقدسة وعبَر من بروجرد في عام ١١٤٦هجرية، «أصرّ علماؤها وبعض من كبار الشخصيات فيها، على أن يسكن بروجرد». وأضاف والدي: «كان في بروجرد في ذلك الوقت مجموعة من الصوفية وكان لهم نفوذ أقوى في مواجهة أهل الشريعة[٢]؛ ولهذا السبب طلب علماء وأهالي بروجرد من جدنا أن يدعو إلى الشريعة الإسلامية هناك. وقد كانوا على معرفة بأن لديه الخبرة ما يجعله قادراً على تولي أمر كهذا، ولكن توفي في عام ١١٦٠ هجرية راحلاً عن هذه الدنيا ليكون قبره في بروجرد مزاراً اليوم».

جدي، سلطان العلماء، نائب مدينة بروجرد في مجلس الشورى، وكان مع آية الله الشهيد مدرس في تكتل برلماني واحد، وعلى هذا النحو نقل بعض الأقارب أنه كان يُعد أحد معارضي الحكومة في ذلك الوقت، وقد سمعت من الدكتور كني[٣]، وهو صديق قديم لوالدي، أن مدرس

---

(١) لمعرفة المزيد عن مؤلفات آية الله طباطبائي يرجى مراجعة الهامش رقم ٤ في آخر الفصل.

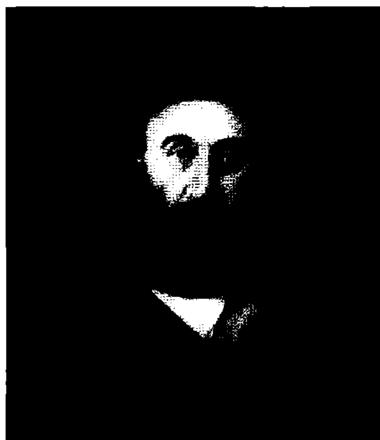
(٢) ما زال مكانه في بروجرد موجوداً ويسمى بإسم هذه الطائفة (منطقة الصوفيين).

(٣) الدكتور علي نقي كني: من أحفاد المرحوم السيد آية الله مُلّا علي كني، من علماء الصف الأول في طهران في زمن ناصر الدين شاه. الدكتور كني، حسب اقتراح أسد الله علم، كان عضواً في الحكومة لفترة قصيرة، ثم استقال ولم يقبل أي عمل حكومي مرة أخرى، وكان واسع الاطلاع وله من المعلومات التاريخية الدقيقة الكثير. وقد تم استدعاؤه من قبل شاهبور بختيار من أجل أن يشارك في الحكومة، وأدرج اسمه ضمن أعضاء الحكومة، لكنه رفض.

وعراقي وميرزا هاشم آشتياني وسلطان العلماء كانوا معارضين للحكومة، وفي إحدى الجلسات، قدمت لائحة تتعلق بالضرائب على المشروبات الكحولية للمجلس، ظن الجميع أن هؤلاء الأربعة يسعون لمعارضة اللائحة، وحينما صعد الشهيد المدرس بالنيابة عن الآخرين إلى المنصة قال: «ليشرب هؤلاء هذا السم المميت، وليكن للحكومة دخل كبير منه».

الشخص الثالث من اليسار هو جد المؤلفة الأكبر (آية الله السيد مهدي طباطبائي)

وبناء على قول البعض من الأقارب، اختلف سلطان العلماء في بداية الثورة الدستورية، مع المطالبين بها. واستدل على هذا بأن الفكرة مأخوذة من أوروبا والغرب ولا تتماشى مع الأحكام الإسلامية، ويجب تشكيل مجلس من المختصين الإسلاميين، وأن ترد جميع أحكامه إلى الإصلاح الإسلامي؛ ولهذا السبب انضم إلى المتشرعين، إلّا أنه في


سلطان العلماء آية الله السيد علي أصغر طباطبائي (جد المؤلفة)

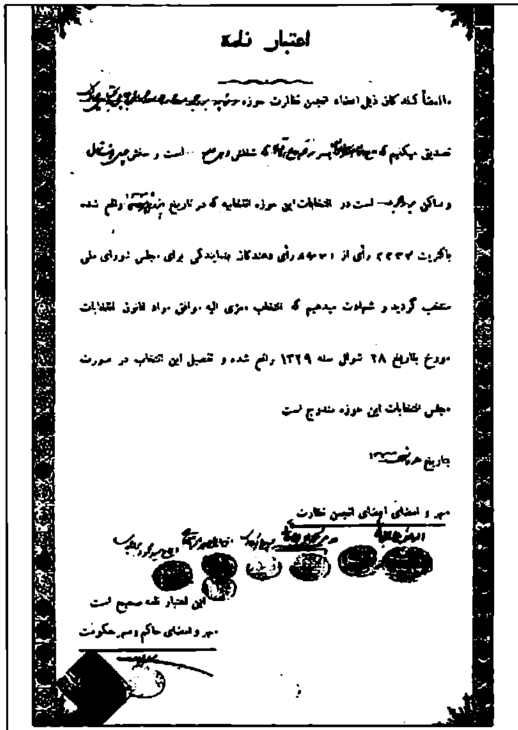
النهاية انضم إلى المطالبين بالدستورية، وبعد أن تم انتخاب سلطان نائباً في المجلس، غادر إلى طهران، لكن زوجته (جدتي) ـ وبحسب العادات المتبعة لدى الأشراف بأن لا تترك الزوجة بيتها وترافق زوجها ـ آثرت البقاء. وحين وصل سلطان العلماء إلى طهران وأعد منزلاً كبيراً رائعاً بجوار ساحة بهارستان وسط طهران، وأقام به، اقترح عليه شقيق زوجته[١] أن يتزوج من كريمة أتابك الأعظم[٢].

سافر جدي في أحد أيام الجمعة لزيارة سيدنا عبد العظيم الحسني (س) في «ري»، ولقاء عدد من العلماء البارزين في تلك المدينة، وفي وسط الطريق أقلع عن السفر وعاد إلى المنزل، فسمع صوت موسيقى تعزف بالقرب من منزله، فأرسل خادمه داخل المنزل ليتحرى عما يحدث، وعاد خادمه خجلاً ليقول: «صوت الموسيقى من بيتك، السيدة لديها مجلس للضيوف، وكانت مطمئنة أنك لن تعود قبل الغروب». لم يرتح سلطان العلماء لهذا وأرسل لزوجته رسالة مفادها

---

(١) خال أبي (ميرزا تقي خان أمجد الممالك) كان ملقباً ب «سفير» حيث كانت كلمة سفير في ذلك الوقت بمعنى «مسؤول الاتصال الحكومي» وكان يُرسل من قبل الحكومة إلى باريس.

(٢) اتابك كان لقباً يعطى إلى رئيس الوزراء في العصر القاجاري، وفي كل عصر كان يعين شخصاً خاصاً، ومن ضمن رؤساء الوزراء هؤلاء علي أصغر خان أمين السلطان والذي قتل أثناء الثورة الدستورية. للمزيد من المعلومات يرجى مراجعه الهامش رقم ٥ في آخر الفصل.



اعتبار نامه

ما امضاء کنندگان ذیل اعضاء انجمن نظارت حوزه …

تصدیق میکنیم که … پسر … که شغلش … است و سنش …

و ساکن … است در انتخابات این حوزه انتخابیه که در تاریخ … واقع شده

باکثریت … رأی از … رأی دهندگان بنمایندگی برای مجلس شورای ملی

منتخب گردید و شهادت میدهیم که انتخاب معزی الیه موافق مواد قانون انتخابات

مورخ بتاریخ ۲۸ شوال سنه ۱۳۲۹ واقع شده و تفصیل این انتخاب در صورت

مجلس انتخابات این حوزه مندرج است

بتاریخ …

مهر و امضای اعضای انجمن نظارت

این اعتبار نامه صحیح است

مهر و امضای حاکم و مهر حکومت

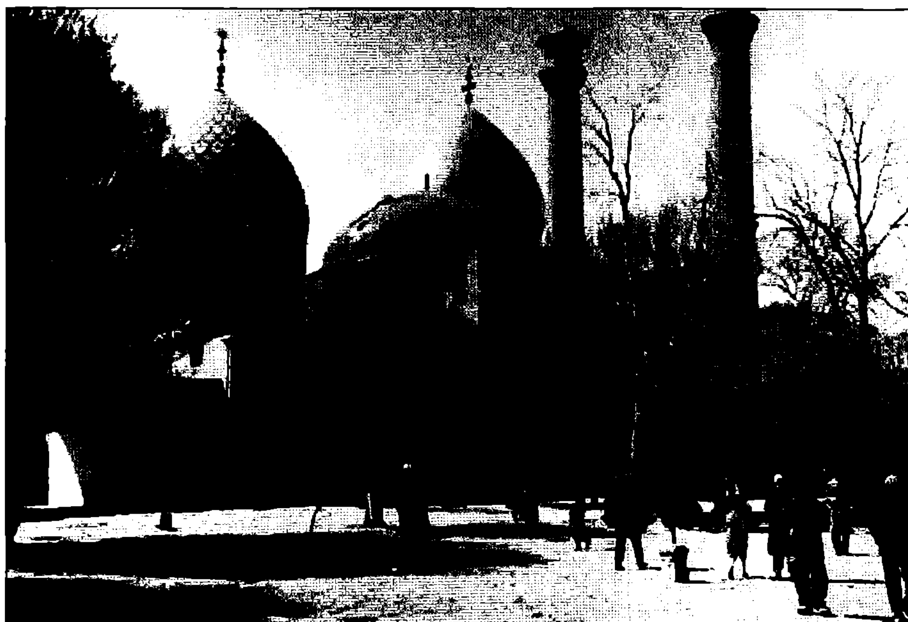
الوثيقة الرسمية للمسؤولية النيابية للحاج السيد علي أصغر طباطبائي (سلطان العلماء) (الدورة الرابعة)

أرجو أن تعودي إلى منزل والدك. «المرأة التي تحترم قرارات زوجها في حضوره فقط، ولا تراعي ذلك في غيابه، ليست جديرة بالحياة الزوجية». ثم انفصل عنها[١]. وبعد الانفصال، تزوج من «سرور أقدس»[٢] حفيدة ناصر الدين شاه ـ والتي توفي زوجها ولديها ولدان وبنت ـ قالت «سرور أقدس» لسلطان العلماء: ستعتني أمي بأطفالي، ولكن سلطان العلماء أوصاها بضرورة مرافقة بنتها لأن البنت تحتاج لعطف الأم أكثر من غيرها، وبعد انتهاء دورة النيابة، عاد سلطان العلماء مع زوجته السيدة «سرور أقدس» وابنتها مريم إلى بروجرد.

---

(١) نقلَ إليّ هذه الملاحظة لأول مرة آية الله ثقفي والد السيدة أم أحمد؛ بعد زواجي، وقد أثنى على شجاعة وإدارة جدي.

(٢) سمعتُ من الدكتور كني أن والد السيدة «سرور أقدس»، كان فخر الدولة ومن أكثرالأمراء القاجاريين ثقافة، وقد وجدتُ له عدة آثار قصصية، حيث توفي فخر الدولة إثر مرض السل.



صورة من مقام السيد عبد العظيم الحسني ـ مدينة ري

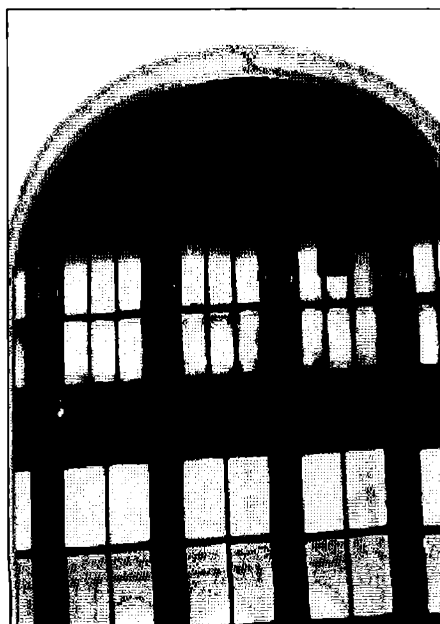
عودة سلطان العلماء إلى بروجرد

قال والدي: «انتشار خبر عودة أبي جلب السرور والفرحة إلى المنزل والحارة والمدينة كلها، وشعر الجميع بالسعادة، وامتلأت الشوارع والأزقة بأعلام الزينة والإنارة، وارتدى الخدم الملابس الجديدة، ودخل والدي المنزل مصطحباً زوجته «سرور اقدس» والسيدة مريم، وتم إعداد فناء خاص لإسكان الزوجة الجديدة».

وأضاف والدي: «ولم يكن لدي في صغري تصور عن الزوجة الثانية، وكنت أشعر بالسعادة لأن والدي أضاف امرأة شابة لأفراد عائلتنا، ولم تكن والدتي تدرك سعادتي، وكنت أقضي معظم وقتي في غرفة زوجة أبي، وأحياناً كانت أمي تعارض ذهابي؛ لذلك كنت اعمد إلى الذهاب إليها خلسة، وفي أحد الأيام أخرجت لي «سرور اقدس» قطعة قماش غالية الثمن من صندوق كبير وجميل وأخذت مقاسي وخاطت لي معطفاً طويلاً أحببته كثيراً. حيث لم أكن ـ حتى ذلك اليوم ـ







منزل جدّي سلطان العلماء (مدينة بروجرد)

أحب الملابس الجديدة والغالية، حتى أنه في أحد الأيام ألبستني أمي ملابس فاخرة للذهاب لأحد المضايف، فامتطيت حصاناً بمفردي وأسقطت نفسي عنه، فتوسخت ملابسي بالطين، ولم أستطع الذهاب للحفل وجلست مع الخدم، ولكن لا أعلم لماذا في هذه المرة فرحت كثيراً بهذا المعطف، وارتديته وذهبت إلى والدتي، وعلى عكس ما ظننت، قالت لي والدتي بصوت عاتب: حينما ترغب في شيء أخبرني وأنا سأعدّه لك. فشعرت باستياء شديد، وسألت نفسي: أمي دائماً تحب الملابس الجديدة فلماذا توبخني».؟

قهوة قاجارية

سمعت من أحد الأقارب، أنه في أحد الأيام اقتُرِح على المجلس لائحة، وكانت تخالف شريعة الإسلام، وطُلب من جدي الموافقة عليها. فصرّح بغضبٍ بالغ: «أفضّل أن أخلع عمامة جدي على أن أوافق على هذا الرأي». وأبدى اعتراضه وترك المجلس، فذهب إليه بعض النواب ووعدوه بأنهم سيرفضون هذه اللائحة في حال عودته إلى البرلمان.

وبعد مضي فترة من الوقت ذهب إلى حفل وقدموا له القهوة ـ كانت تعرف بالقهوة القاجارية[١] ـ ولم يطل عمره كثيراً. وفي طريقه إلى بروجرد وافاه الأجل في عام ١٩٢٢م.

السيدة «سرور أقدس»، أنجبت بنتاً بإسم «شكوه أقدس» ولكن بعد مرور عامين حرمت من نعمة الأب، فتزوجت «سرور أقدس» بعد موت سلطان العلماء، من أخيه حاج آقا علي أكبر[٢].

---

(١) القهوة القاجارية: عرف بعض الملوك القاجاريين بانهم يقتلون الأشخاص الذين لم يستطيعوا قتلهم علناً بتقديم القهوة المسمومة لهم والله أعلم.

(٢) للتعرف علي نسب الأسرة الطباطبائية يرجى مراجعة كتاب (مرور التاريخ) «گذار تاريخ» لكاتبه نادر نبوي طباطبائي.

والدة والدي (جدتي)

جدتي لأبي اسمها «شوكت الحاجية» واشتهرت بـ «منير الحاجية»، وكانت بنت ميرزا[١] إبراهيم خان وزير، وحفيدة ميرزا موسى خان وزير[٢]، ميرزا موسى قتل على يد (لور) حينما كان خارجاً من منزله؛ توفيت جدتي بعد عام من موت عمي.

وكانت إحدىٰ هواياتي أن أذهب مع جدتي إلى حرم السيدة المعصومة (ع). وكانت تذهب للحرم للزيارة والتضرع وتبقى لساعات. وأحياناً نخرج من الحرم أنا وصديقاتي ونتجول في الباحة ونعود من دون أن تلاحظ شيئاً.

توفيت جدتي عام ١٩٦٦م ودفنت في الصحن الكبير في مرقد السيدة فاطمة المعصومة (ع).

أعمامي

لدي من الأعمام ستة وهم على الترتيب التالي:

أول أعمامي السيد محمد سلطاني، الملقب بسلطان العلماء الثاني وقد حصل عليه من أحمد شاه بعد وفاة والدي. وكان نائباً في المجلس لثلاث دورات ١٥ و١٦ و١٨. وحُلّ المجلس في الدورة السابعة عشرة بأمر من الدكتور محمد مصدق[٣]، ولم يذهب نواب من بروجرد، تزوج من ابنة

---

(١) لقب ميرزا: كان لقبا منتشرا في العصر القاجاري، وإذا جاء كسابقة قبل الاسم مثل: ميرزا خان امير كبير فإن ذلك يدل على قدرة الشخص في الشؤون الوزارية والحكومية وإذا جاءت كلاحقة للإسم مثل: محمد على ميرزا، فانها دلالة على ان حامله من الأمراء. وقد كان لهذه الالقاب حتى أواخر العصر القاجاري صفة رسمية حيث تم تعميمه في العصر البهلوي.

(٢) الوزير لم يكن بالمعنى المتعارف عليه الآن، ولكن كان لقباً لأصحاب المناصب الحكومية.

(٣) الدكتور محمد مصدق: (١٨٨٢ ـ ١٩٦٦م)، رجل دولة وسياسي محنك، وقد اعتلى


عمي الأكبر آية السيد محمد سلطاني

الحاج مُلّا أسد الله نوربخش حجتي «كوجك آغا خانم» وتوفي في عام ١٩٥٣م، في نفس الدورة البرلمانية.

بعد وفاة عمي، اعتادت زوجته السيدة «كوجك آغا خانم»، وكانت سيدة بيت من الطراز الأول ومديرة مدبرة ومؤدبة للغاية، أن ترسل إلى مدينة قم قبل حوالي أسبوع من حلول عيد النوروز، عدداً من عمّالها (نساءً ورجالاً) ليستأجروا بيتاً مناسباً ويقوموا بإعداده وتجهيزه بشكل مناسب.

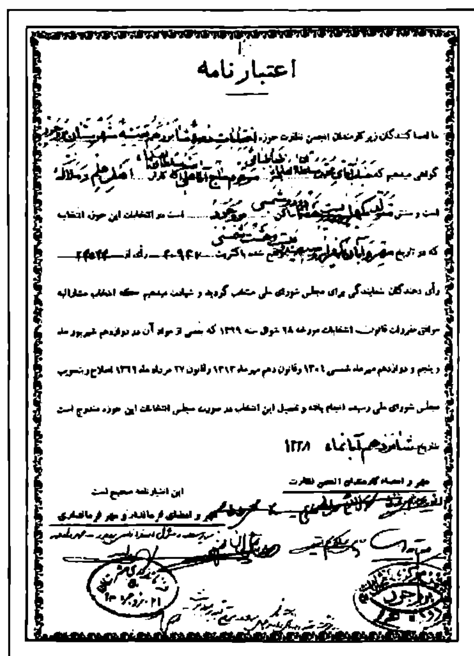
كما كان هؤلاء العمال يجلبون معهم إلينا عدداً من علب الحلويات الخاصة بمدينة بروجرد والمعدّة باتقان في البيت ويخبروننا عن تاريخ سفر زوجة عمي إلى مدينة قم.

بعدها يصل أولادها الستة (ثلاثة ذكور ومثلهم إناث) إلى قم من طهران أو المدن الاخرى.

وما أن تصل السيدة (كوجك آغا خانم) إلى قم نقوم أنا ووالدتي برفقة عمتي السيدة «منيرأعظم» بزيارتهم قبل حلول موعد بدء السنة الإيرانية الجديدة (نوروز) وفي المقابل يبادروا هم لزيارتنا في بيتنا في اليوم الأول من السنة الجديدة.

وكنا نفرح كثيراً بسبب المبالغ المالية التي تهدى إلينا بمناسبة العيد،

= منصب نائب في البرلمان لعدة دورات ثم نصّب كرئيس للوزراء (١٩٥١ ـ ١٩٥٣م) للمزيد من المعلومات عنه يرجى مراجعة الهامش رقم ٦ في ختام الفصل.



اعتبارنامه

رأی دهندگان نمایندگی برای مجلس شورای ملی منتخب گردید و شهادت میدهیم که انتخاب مشارالیه موافق مقررات قانون انتخابات مورخه ۲۸ شوال سنه ۱۳۲۹ که بعضی از مواد آن در دوازدهم شهریور ماه و پنجم و دوازدهم مهرماه شمسی ۱۳۰۴ وقانون دهم مهرماه ۱۳۱۳ وقانون ۲۷ مردادماه ۱۳۲۶ اصلاح وتصویب مجلس شورای ملی رسیده انجام یافته و تفصیل این انتخاب در صورت مجلس انتخابات این حوزه مندرج است

بتاریخ شانزدهم آبانماه ۱۳۲۸

مهر و امضاء کارمندان انجمن نظارت

این اعتبارنامه صحیح است

امضای فرماندار و مهر فرمانداری

الوثيقة الرسمية للمسؤولية النيابية للحاج السيد محمد طباطبائي (سلطان العلماء الثاني) (الدورة السادسة عشرة)

حيث كنا نجمع مبالغ طائلة لكثرة الأشخاص الذين كانوا يقدموا لنا تلك الهدايا النقدية.

وفي أحد الأعوام اشترينا، أنا وأخي عبد الحسين جهاز راديو صغير[1] من مبلغ العيديات التي حصلنا عليها وخبأناه، وكان سعره تسعين توماناً، وفي بعض الأيام كنا نجلس بعيداً عن أعين الأهل ونشغل الراديو ونستمع إلى برنامج العمال، وكان صوت الراديو يشعرنا بسعادة. وبعد أن نستمع إلى جميع برامج الراديو، نخرج من الغرفة.

أما ثاني أعمامي، فهو سيد أبو الفضل سلطاني، والذي ندعوه الحاج آقا عمو. حاصل على ليسانس في الحقوق من جامعة طهران، وأيضاً هو مستشار لدار القضاء العالي، وبسبب ابتلائه بمرض السرطان، فقد مكث في بيتنا بقُم عامه الأخير من حياته؛ لكي يكون تنقله ما بين قُم وطهران أسهل، وعلى هذا النحو، فقد كان عطوفاً وودوداً جداً،

---

(١) في ذلك الوقت، كان جهاز الراديو كبير جداً وأبعاده أقرب للمتر وبعدة لمبات كبيرة، وهناك خشبتان طويلتان موضوعتان على سطح البيت بشكل صليب، وهاتان الخشبتان كان يربطهما سلكان ذو طرفين نحاسيين يشكلان هوائي لتلقي موجات بث الراديو. في البداية كان للراديو موجة واحدة، بعد ذلك أصبح الراديو أصغر في الأبعاد وموجاته أكثر.



العقيد الطيار المفقود شهاب الدين سلطاني الطباطبائي ابن عمي أبو الفضل



عمي الثاني السيد أبو الفضل سلطاني



عمي الثالث السيد جلال الدين ناصر سلطاني



عمي الرابع المهندس السيد حسن سلطاني

وفي الساعات القليلة التي كان يذهب فيها لتلقي العلاج، كنا نشعر كثيراً بالضيق من أجله، ومع صغر عمري إلّا أنني كنت أصلي كل ليلة وأدعو له بالشفاء، وكان ثمرة زواجه غير الموفق، العميد شهاب الدين سلطاني طباطبائي، طيار «إف٥» في القوات الجوية، وقد فُقد في إحدىٰ المهمات الحربية في العراق في أول أعوام الدفاع المقدس عام ١٩٨٠؛ وكان صديقاً للعميد الطيار جواد فكوري[١].

أما ثالث أعمامي، فهو سيد جلال الدين ناصر طباطبائي، كنا ندعوه (عمو ناصر)، درس الحقوق وأصبح مدعي عام، وهو، أيضاً، لم يوفق في زواجه من زوجة أخيه (حاج آقا أبو الفضل) وانفصل عنها بدون أولاد. وبعد فترة تزوج من فتاه من بروجرد اسمها «زيبا طباطبائي بور» ولديه منها ولدان وابنة.

وفي أحد الأيام أتت «زيبا» خانم وأولادها الثلاثة إلى قُم، ورأيتهم لأول مرة، وكانت «زيبا» خانم ترتدي معطفاً من الجلد. واحتراماً لوالدي، كانت تضع على رأسها وشاحاً، وفي ذلك اليوم حدثتنا عن أسفارها ولقاءاتها مع رجال الدولة والفنانين.

أما عمي الرابع السيد حسن طباطبائي، كان يعرف بـ «عمو جون مهندس»، وكان خريج جامعة طهران فرع هندسة المناجم، وقد أكمل دراسته في فرنسا. قبل الثورة، كان رئيس مناجم منطقة كاجره وشمشك، وبعد زواجي وحينما رآه السيد أحمد قال لي: «كم أحببت عمك، إنه متفتح وقوي الشخصية جداً»، فقلت لوالدي ما قاله السيد أحمد فقال لي: «كنت أظن أن السلوك الجاف لعمك سوف يزعج السيد أحمد». نعم «عمو جون»، كان ذا وقار وقليل الحديث، وزوجته «أشرف» خانم بنت الحاج محمد تقي افتخار الإسلام ابن الحاج سيد فخر الدين طباطبائي المعروف

---

(١) قائد القوة الجوية ووزير الدفاع في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في حكومة الشهيد «رجائي».

بصدر العلماء، وصدر العلماء كان على صداقة مع القائد أسعد بختياري أحد فاتحي مدينة طهران بعد الاستبداد الصغير[1]، وكان يعد من المطالبين بالثورة الدستورية ويرسل خطابات لآية الله آخوند خراساني بهذا الشأن.

وكان لهذا العم ثلاث بنات وولد، وبفضل الزواج من «ترانة» خانم ابنة عمي الثالثة والسيد محمد علي موسوي حفيد آية الله الخوئي وآية الله كلبابكاني أيضاً، حصلت عائلة الصدر على القرابة السببية مع هاتين العائلتين.

عمي الخامس (آقا سيد جعفر)، وقد سمعت باسمه فقط، لأنه توفي قبل ولادتي ولم يكن له أولاد.



أصغر عمومتي الدكتور مسعود طباطبائي

وأصغر أعمامي وندعوه «آقا زاده»، السيد مسعود طباطبائي، وقد اختار لنفسه اسم مسعود عند إصدار بطاقة الهوية المدنية. أنهى دراسته في قسم الصيدلة في جامعة طهران وسافر إلى المانيا ليكمل دراسته في الطب هناك، وبعد انتهائه من مرحلة التخصص في أمراض النساء من جامعة (ماربورك)، أقام في المانيا وتزوج من فتاه المانية اسمها (ليزه لوته آمند)[2] وأنجبا طفلاً أسمياه كريم. وكريم أيضاً، درس في نفس المجال وعمل بعيادة والده.

---

(١) يعد مصطلح «الاستبداد الصغير» من مصطلحات الثورة الدستورية. ويطلق تاريخاً على الفترة الممتدة من حادثة قصف مجلس الشورى من قبل محمد علي شاه حتى فتح طهران من قبل القوات المنادية بالدستور (١٩٤٨ ـ ١٩٥٧م).

(2) Lieselotte Amend

عمّاتي:

وهن بالترتيب عمتي «زينت آغا» وكان لها بنتان وثلاثة أولاد، وقد توفيت قبل مولدي، و«آغا ملوك» وقد توفيت وكنت حينها في سن الشباب، وكان لديها ولدان وكلاهما توفيا أيضاً.

وعمتي الثالثة كانت تدعى «شكوه أقدس». وكانت أخت غير شقيقة لوالدي، وهي حفيدة ناصر الدين شاه. وتزوجت من ابن عمها السيد حسين مهدوي في بروجرد، وانفصلا بعد ثلاثة عشر عاماً من الزواج دون إنجاب، وعندما كانت ضيفة في بيت أخيها (العم ناصر) في طهران، طلب يدها أحمد علي فتا، وهو موظف بالبرلمان الوطني فوافقت، واستقرا في طهران.

وكانت ثمرة هذا الزواج بنتاً تسمى «منصورة»، كانت تأتي إلى بيتنا في عيد النوروز مع العمة خانم. وكانت منجذبة لأمي بشدة. والدي أيضاً كان يكن لها احتراماً خاصاً، كما أن الجميع كانوا يهتمون بمنصورة بشكل خاص. «منصورة» كانت لا تحب الكثير من الطعام وبالإصرار والترجي، والتمني، كانت تأكل وجبة لتحصل على الجائزة. وبعد ذهابهم، قلت في أحد الأيام أنا أقلد «منصورة» حيث كان لدينا الأرُز باللحمة والباذنجان، فقلت: «أنا لا أحب هذا الطعام». تصورت أن الجميع سيحاولون أن يُعدوا طعاماً آخر من أجلي، ولكن أبي قال بهدوء: «الأرُز مع اللحم جيد، تناولي الطعام». قلت: «لا أحبه». فقال: «من الجيد أن تأكلي الأرُز مع اللبن». قلت: «لا أحبه». فقال أبي: «من الواضح أنك لست بجائعة». جلست في زاوية الغرفة، في الوقت الذي كان الجميع يأكل الطعام الشهي وكنت لا أتحمل رائحة الطعام الشديدة. تذكرت حينها ما قالوه لـ «منصورة»: «ماذا تأكلين؟ أتريدين أن نشتري لكِ الكباب»؟. وكم تمنيت من الله أن يدعونني ولو لمرة أخرى، حتى آكل بشهية الأرُز باللحم والباذنجان، ولكن هذا لم يحدث. وعندما

نهضوا من على مائدة الغداء وذهبوا للنوم بعد الظهر، ذهبت للمطبخ وأكلت ذات الطعام بشهية رغم أنه كان بارداً.

وفي كل مرة كنت أذهب للحرم والسوق مع عمتي و«منصورة»، وكنت أسعد كثيراً، لأن «منصورة» إذا رأت شيئاً وطلبته كانت أمها تشتريه لها. وأنا بجوارها أحصل على بعض المكاسب. العمة خانم كانت تشتري وجبات الطعام المعلبة وأحياناً نسير لمسافات طويلة حتى تشتري من الأسواق وجباتها المعلبة والأكثر نظافة. كما أن (بابا إسماعيل) دائماً ما يشتري لي المأكولات من دكان قرب المنزل كنا نسمي صاحبه الخال محمود. وفي أحد الأيام اشتريت البزر في خلسة من بابا إسماعيل بريالين. فأحضر البزر في عبوة ورقية على شكل قمع وأعطاها لي. فأكلتها بسرعة وأعطيت العبوة الخالية إلى الخال محمود وقلت له: يا خال أكلتها كلها وفرغت. خُذ العبوة واعطني نقودي. وفجأة رأيت الأشخاص في متجر



من اليمين: مؤلِّفة الكتاب، العمة منير أعظم، الوالد

الخال يضحكون. الخال محمود لم يهتم، وأعطاني الريالين. لم أفهم معنى الضحكات، ولهذا السبب رويت ما حدث على طاولة الطعام في المنزل. وتعجبت حينما رأيت الجميع يضحك. وفكرت لماذا عندما أعطيته نقودي لم يضحك أحد، لكن حين استعدت النقود ضحك الجميع؟!.

توفيت العمة خانم «شكوه أقدس» عام ١٩٨٥م.

رابع عماتي العمة خانم «منير أعظم» وكانوا يلقبونها بـ «الأميرة»؛ وقد انتقلت من بروجرد إلى قُم في عام ١٩٦١م. زوجها السيد ضياء الدين حسني كان يعمل في الدائرة المالية بقُم.

أُسرة والدتي

والد أمي:

وُلد جدي لأمي آية الله السيد صدرالدين الصدر في عام ١٢٩٩ هجرية، في مدينة الكاظمية وسط أسرة أصيلة ومحبة للعلم، ومن مراجع الشيعة. تلقى دروسه الأولية والعالية في حوزة النجف الأشرف وسامراء. وجاء إلى إيران في عام (١٣٢٩ ق) وسكن بمشهد. ثم بعد ذلك شارك في دروس آية الله العظمى الحاج حسين القُمي وبعدها تزوج بابنته.

وبعد زواجه عاد للنجف وتلقى دروسه عند الميرزا نائيني. ومن ثم عاد مرة أخرى إلى مشهد في عام (١٣٤٩ ق). بعد ذلك سكن في قُم استجابة لدعوة آية الله حائري اليزدي المعروف بـ «الحاج الشيخ»، مؤسس الحوزة العلمية في قُم. وبعد رحيل المرحوم «الحاج الشيخ» في عام (١٩٣٦م)، وكان وصيُّه، بادر مع شخصين من تلاميذ المرجع الراحل وهما آية الله خوانساري وحجت، وكانا من المجتهدين وأصحاب الفتوى، إلى اقتسام أعمال الحوزة فيما بينهم وأن يقوموا بإدارتها.



من اليمين: خالي الإمام موسى الصدر، جدي آية الله سيد صدر الدين الصدر

في تلك الأيام كان وضع الحوزة المالي سيء جداً، وأكثر الطلاب ضاقوا من سوء الحال. خالي، السيد علي الصدر، نقل عن أبيه (آية الله السيد صدر الدين صدر) أنه في أحد الأيام اقترب مني بضعة من طلاب الحوزة وأخبروني: «نحن والآخرون لا نقدر على العيش في قُم». وكان الكثير من الطلاب أرسلوا عائلاتهم إلى القرى والمدن القريبة بسبب صعوبة المعيشة وليس لديهم الأموال الكافية لحجز تذاكر السفر لينضموا إليهم. وقد حزنت من هذا الوضع كثيراً. وذهبت لحرم السيدة المعصومة (ع)، وبدون ترقب، اندفع قلبي وقلت: «يا سيدتي! حتى اليوم نواجه التقشف، ونصون الحوزة وندرِّس فقه آل محمد (ص) وآبائك الأطهار. انظري كيف صار الحال وقد ترك الطلاب قُم بسبب الفقر والعوز، وأريد منك أن تساعدينا أو تطلبي من أخيك الإمام الرضا (ع) إذا كانت حوزة قُم العلمية موضع تأييدٍ له، أن يطلب من الله أن

يفرجها». وخرجت من الحرم. لم يطل الوقت حتى جاء إلى منزلي بعض التجار وقالوا: كنا عازمين على السفر من طهران إلى أصفهان. ووصلنا إلى قُم، وفجأة انتبهنا بأن علينا ديون شرعية يجب أن ندفعها، وبناء على هذا، قررنا أن نتوقف في قُم ونزورك لنؤدي ديننا.

وبهذه النقود استطاع أن يحل مشكلة الطلاب إلى حدٍ مّا. حتى جاء آية الله بروجردي إلى قُم وأنشأ الحوزة، وجدد النظام التعليمي.

آية الله الصدر لديه مؤلفات[١] كثيرة وأشعار أنشدها باللغة العربية مترجمة للفارسية، وقد كتب أشعاراً ثُبّتت على قبر آية الله عبد الكريم حائري. وبهذا المصراع أنهاها في مادة التاريخ[٢]: (لدىٰ الكريم حل ضيفاً عبده).

ودّع آية الله الصدر دار الفناء يوم السبت ١٩ ربيع الأول عام (١٣٣٣ ق)، وقد صلّى على جثمانه آية الله بروجردي ودفن في (مسجد بالاسر) في حرم السيدة المعصومة (ع).

والدة أمي

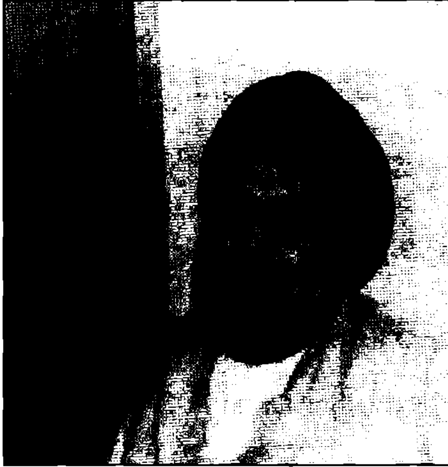
جدتي لأمي هي «صفية» خانم، الأخت الكبرى لآية الله الحاج حسين القُمي، عاشت فترة طفولتها في مشهد المقدسة، وبعد وصول آية الله الصدر مشهد تزوجها. أبوها هو آية الله القُمي المعروف بأنه من زمرة العلماء، ومرجع بارز. جاء من مشهد إلى طهران خلال حكم رضا شاه، لاعتراضه على الأعمال الخارجة عن الشرع مثل (كشف الحجاب).

---

(١) لمعرفة مؤلفات آية الله الصدر، يمكن مراجعة كتاب (المعجم الفارسي)، تأليف محمد معين، ج ٥.

(٢) مجموع الاعداد المعدلة لحروف الابجدية في المصراع الاعلى، وافق سنة وفاته (١٣٥٥ ق).

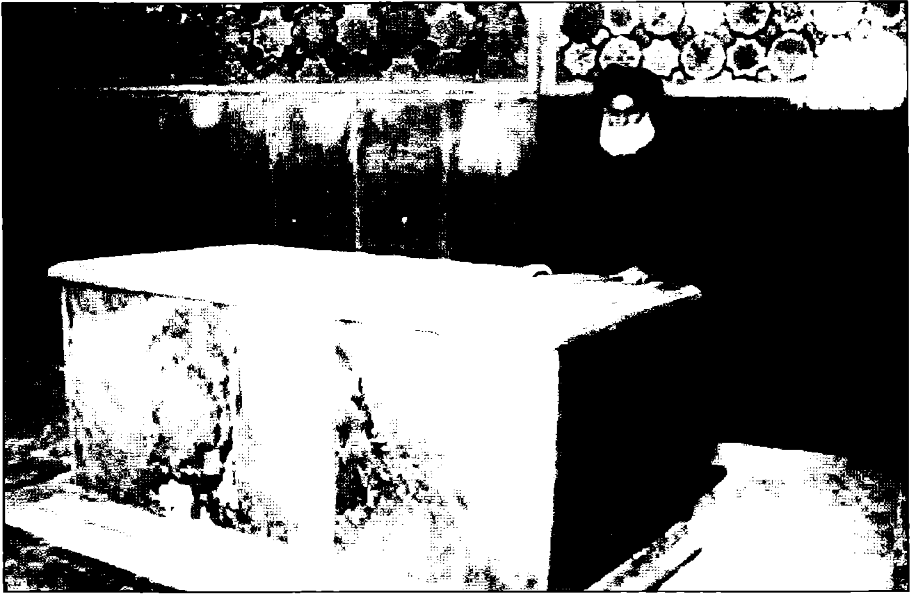
أخوالي



خالي الكبير، آية الله سيد رضا الصدر

الخال الأكبر السيد رضا الصدر (١٢٩٩ ـ ١٣٧٧ هـ. ش) كان من علماء حوزة قُم البارزين. ذهب إلى طهران وكان لعدة سنوات، يؤم المصلين في مسجد الإمام الحسين (ع) الواقع في ساحة الإمام الحسين (ع) في العاصمة طهران. كان تلميذاً يدرس الفلسفة والعرفان عند آية الله الخميني، ويشارك في البحث والدراسة مع الحاج السيد مصطفى الخميني. عشية الجمعة كان يعطي دروساً ومحاضرات لتعليم الأخلاق، وكان يحضره الكثير من الطلاب وغيرهم. كما درس أيضاً، كتاب (فصوص الحكم) لابن عربي. وتزوج بابنة خالته، ابنة الحاج بحر العلوم الرشتي. خالي وزوجته كلاهما توفيا.

ثمرة حياة خالي الزوجية ثلاث بنات وثلاثة أولاد.. ابنته الكبرى «مريم» خانم، تزوجت من حجّة الإسلام علي حجّتي، وخلال حفل زفافها، كنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمري. تعرفت على السيدة الشابة التي ستكون (حمى) العروس، أعني زوجة حجّة الإسلام الشيخ محمد جواد حجّتي. وفهمت من كلامي معها أن زوجها من الناشطين والثوريين، وفي العام الذي أُفرج عنه فيه تزوجت منه. وبين الفينة والفينة في لقائنا تعاود الحديث عن نضال زوجها. وعرفت أن السيد محمد جواد حجّتي اعتُقل مرتين، وفي الثانية حكم عليه بالسجن المؤبد. وقد أرسل رسالة إلى زوجته: «الآن هذا مصيري، وتستطيعي أن تنفصلي عني وأن تبدأي حياة أخرى». حين قرأت هذه الكلمات تأثرت كثيراً.



أب والدتي آية الله العظمى الحاج السيد حسين طباطبائي قمي إلى جانب المرقد القديم للإمام الرضا (ع)

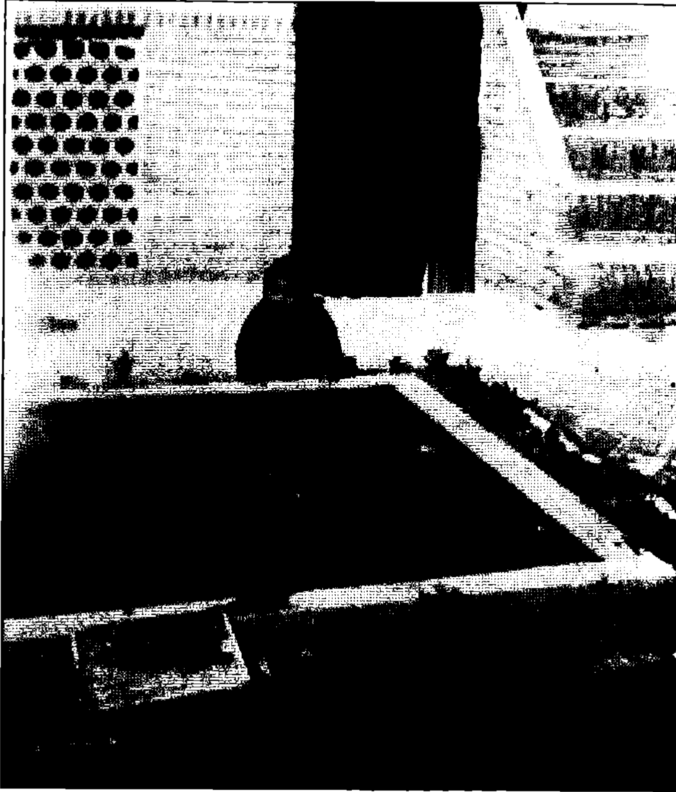


آية الله العظمى الحاج السيد آقا حسين طباطبائي قمي إلى جانب الضريح القديم للإمام الرضا (ع)

توفي خالي في ٢/١١/١٩٩٤م ودفن في صحن السيدة المعصومة في قُم.

الخال الثاني هو الحاج السيد علي الصدر، وكان يعمل في دائرة التأمين بطهران، كما كان لعدة سنوات، رئيساً لشركة التأمين في قُم.

خالي الثالث هو السيد موسى وكان يعرف بالإمام موسى الصدر (ولادته كانت في عام ١٩٢٨م)، تلقى دروسه في مدرسة «سنايي» بقُم وتخرج في عام ١٩٤٣ م، وبعد أن أنهى الدروس المتقدمة بالحوزة في قُم، درس على يد آياتٍ عظام مثل الإمام الخميني، الصدر، المحقق الداماد، أبي والمنتظري، وذهب إلى طهران لتلقي العلوم العصرية بعد



الساحة الخارجية لمنزل جدي (آية الله الصدر)
أخي مرتضى إلى جانب حوض الماء


خالي الثاني، حاج السيد علي الصدر

أن دعمه آية الله مرتضى حائري وأباه. وتعتبر آراء آية الله الصدر وحائري خروجاً على التقاليد وكسر قيودٍ كانت معروفة في الحوزة آنذاك، حيث قررا أن يخرجا من عزلة الحوزة.

وبعد أن درس السيد موسى الحقوق في جامعة طهران، اقترح عليه آية الله العلامة الطباطبائي(١) تولي الإشراف على مجلة «مكتب الإسلام»(٢) وكتابة المقالات فيها. ولأجل إتمام دراسته، استقر أربع سنوات في النجف الأشرف، وهناك كان على صلة علمية وثقافية، بابن عمّه آية الله السيد محمد باقر الصدر.

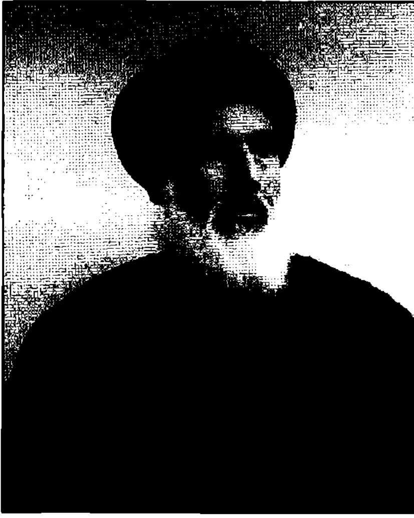
وقد نال الإمام موسى الصدر درجة الاجتهاد في السابعة والثلاثين من عمره. وفي عام ١٩٥٥م، تزوج بالسيدة «بروين خليلي» (حفيدة آية الله ميرزا حسين خليلي).

---

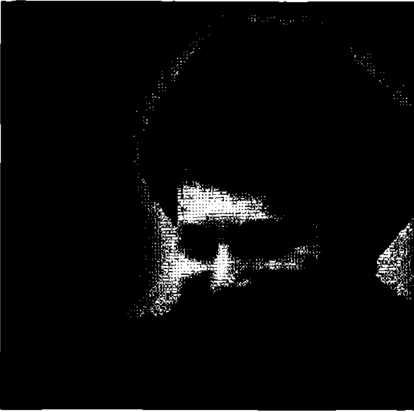
(١) ولد آية الله السيد محمد حسين طباطبائي المعروف بالعلامة طباطبائي في تبريز، وهو فقيه وشاعر وفيلسوف ومفسر للقرآن. وله العديد من المؤلفات أبرزها «تفسير الميزان» في ٢٠ مجلداً باللغة العربية. وكان له أسلوب خاص في تفسير القرآن. من آثاره الهامة كتاب «أصول الفلسفة» ذو الأسلوب الواقعي ويعد كمبحث في الفلسفة.

(٢) دروس من (مكتب الإسلام): كانت تحت إشراف آية الله السيد كاظم شريعتمداري. وهذه المجلة انتشرت في أنحاء إيران، وكان يوزّع منها أكثر من مائة ألف نسخة. مؤسسو هذه المجلة هم السادة: ناصر مكارم الشيرازي، جعفر سبحاني، السيد مرتضى جزايري، السيد موسىٰ الصدر و.....

بعد وفاة العالم الجليل السيد عبد الحسين شرف الدين[١]، مرجع الشيعة في لبنان، وتلبية لدعوة أبناء الطائفة هناك، حضر السيد موسى الصدر وبدأ نشاطاته الدينية والثقافية والاجتماعية التي ما زالت قائمة إلى اليوم. فقد أسّس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى[٢] وانتُخب كأول رئيس له. وذلك من أجل اتحاد أبناء الطائفة الشيعية وإنقاذهم من الفقر المادي والمعنوي وتحسين أوضاعهم، حيث استطاع أن يحولهم إلى مجموعات مقتدرة وقادرة على تبديل أحوالها، وقد شكل وجوده هناك حرجاً كبيراً لمعارضيه. وفي عام ١٩٧٨م، سافر إلى ليبيا تلبية لدعوة من معمر القذافي رئيس الجمهورية الليبية آنذاك، وهناك اختفى بأسلوب غامض[٣] وحتى الآن لا يُعرف عنه شيء.



العّلامة سيد عبد الحسين شرف الدين



خالي الثالث، الإمام موسى الصدر

---

(١) العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠ ـ ١٣٧٧ ق). لمعرفته أكثر يمكن مراجعة الهامش ١١ في نهاية الفصل.

(٢) المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي تأسس عام ١٩٦٩م.

(٣) ٣١/ أغسطس/ آب/ ١٩٧٨.

من ذكرياتي معه، أنه في العالم الأول من زواجه، حينما جاء إلى إيران (مدينة قُم تحديداً) في عام ١٩٧١م، وفي صباح أحد أيام الشتاء، جاء لمنزلنا، ففتحت الباب متحيرة، رأيت سماحته من خلف الباب، كان ذو قامة طويلة، ووجه جميل، وولّعتُ بهيبته مثل الآخرين. جاء بلا خبر مسبق، وارتبكت كثيراً. دخل وجلس على الكرسي. أحضرت الشاي، وكنت أحاول إخفاء اضطرابي أمامه. طلب مني الجلوس وعدم تقديم الضيافة. انتظرت كلامه. وبلطافته المعهودة، بعد السؤال عن الأحوال بهدوء واحترام، بادرني: «كيف تمضين أيامك؟.. ماذا تدرسين؟.. وماذا تعرفين عن السيدة الزهراء (ع)»؟.. ففي يقيني، حتماً كنت أعرف الكثير عن السيدة الزهراء (ع) ولكن فجأة فقدت القدرة على تجميع أي معلومات.. وغادرنا بعد نصف ساعة.

بعد فترة علمت أنه يذهب لجميع المنازل ليصل الرحم.



من اليمين: آية الله السيد هاشم الحكيم، العلامة شرف الدين، آية الله السيد محسن الحكيم

تقول أمي: «إنه بأخلاقه الوديعة استطاع أن يكسب حتى محبة الخصوم، وفي يوم مّا ألقى أحد الأشخاص كلمة انتقد خلالها زيارة سماحة السيد موسى الصدر إلى بعض الدول التي سماها بالمشركة ـ وقد كان السيد حاضراً في المجلس ـ وقال: «إن الإسلام يرفض الأشخاص الذين يدّعون بأنهم مسلمون ولكنهم يزورون بلاد الكفر والإلحاد في وقت عصيب». وحين نزل المحاضر من على المنبر احتضنه خالي بمحبة، فاندهش الناس من تصرف السيد، وهمس المحاضر لخالي في أذنه قائلاً: «بتصرفك هذا أبطلت مفعول كل نقدي لك».

دائماً كان خالي يردد: «في خضم هذه الأوضاع المعاصرة، يجب على العلماء أن يتوجهوا نحو الناس». وهو بنفسه كان يدعو الناس في جنوب لبنان، للتجمع لليالي الخميس والجمعة، ليتداولوا في مختلف الشؤون الإسلامية. وبهذه الموهبة جذب الشيعة في الجنوب،



علّامة شرف الدين وآية الله كاشاني (لبنان)

وكانوا يعيشون في فقر مادي مدقع وثقافة دينية مقتصرة على الواجبات والأحكام الشرعية غالباً. سمعت من أبي: «من الإصلاحات الاجتماعية الهامة للسيد موسى في لبنان، نجاحه في إقناع بعض العشائر التي كانت ما تزال تسلك مسلك الأخذ بالثأر عند وقوع نزاع بينها، إلى حل الخلافات والنزاعات بالحوار والصلح».. وقال أبي: «يوماً مّا جمع خالي الناس وقال: لماذا تمارسون هذا الأسلوب المقيت الدموي؟ إن كان مرادكم المال والجاه اعطوني الفرصة لكي أهيؤه لكم. ولنجعل المال شاهداً على قبر هذه الظاهرة المنبوذة أخلاقياً واجتماعياً، ولو كنتم متلهفين للحرب هيا نذهب إلى أرض القدس ونحررها بأجسادنا.. ولو أن لديكم رغبة إراقة الدماء، فلتستهدفوا قلبي». ثم قال الخال موسى: «أنا لن أوجه لكم الأوامر، ولكنني أدعوكم بالخير والصلاح». بعد هذا الكلام أقسم ـ أهل بعلبك والهرمل[١] ـ على نبذ هذه العادات المقيتة لحل قضاياهم، وكانوا يلجأون إلى القضاء.

للسيد موسى مؤلفات وخطابات ولقاءات مدوّنة في مجالات مختلفة: دينية وثقافية[٢].

---

(١) تقع مدينتا بعلبك والهرمل في منطقة البقاع شرقي لبنان.

(٢) لمعرفة المزيد عن مؤلفات الإمام موسى الصدر، مراجعة الهامش ١٢ في نهاية الفصل.

خالاتي



من اليمين: حجة الإسلام السيد مهدي الصدر العاملي،
والدي والسيد موسى الصدر

لدى أمي ست أخوات هن:

١ ـ السيدة «طاهرة» الصدر: تزوجت من حفيد العم، حجّة الإسلام السيد مهدي الصدر العاملي الذي أنهى الدراسة وعمل أستاذاً في كلية المعقول والمنقول (الشريعة) جامعة طهران. وثمرة هذا الزواج بنتان وولدان. ابنتهم الكبرى «فاطمة» خانم، تزوجت من أخي صادق. ابن خالتي الصغير، الدكتور علي الصدر طبيب متخصص في القلب وشارك ضمن الفريق الطبي للإمام الخميني الراحل في جماران.

٢ ـ السيدة «منصورة» الصدر: تزوجت حجّة الإسلام والمسلمين السيد الدكتور علي أكبر صادقي أستاذ الحقوق بجامعة الشهيد بهشتي، ولديها ابنتان وولد. ابنتها الكبرى «زهرة» خانم، زوجة حجّة الإسلام والمسلمين السيد محمد خاتمي، رئيس الجمهورية الإسلامية في الدورتين السابعة والثامنة.



حجة الإسلام والمسلمين الدكتور علي أكبر صادقي

٣ ـ السيدة «بتول» الصدر: تزوجت حجّة الإسلام هادي عبادي من أهل مدينة طالقان وهو من مجموعة علماء الدين المجاهدين في الحوزة العلمية بقُم. كلاهما انتقل إلى رحمة الله دون أن ينجبا.

٤ ـ السيدة «زهرة» الصدر: تزوجت من السيد المرحوم اسكندر فيروزان، والذي كان يعمل في التجارة والشؤون الثقافية، ابنها المهندس مهدي فيروزان وهو من الشخصيات الثقافية وتزوج من السيدة «حوراء» كريمة الإمام موسى الصدر.

٥ ـ السيدة «فاطمة» الصدر: تزوجت بابن عمها الذي كان يقيم في العراق، آية الله السيد محمد باقر الصدر، ولديهما خمس بنات وولد واحد. زوجها وأخت زوجها (بنت الهدى) وثلاثة من أصهارها استشهدوا بيد جلاوزة صدام. وحجّة الإسلام السيد حسين الصدر والسيد مقتدى الصدر هما صهراها الآخران.

في عام ٢٠٠٣م وتزامناً مع هجوم الجيش الأمريكي على العراق وقصف مدينة النجف الأشرف، مرضت خالتي وأجريت لها عملية في مشفى النجف الأشرف. وبعد العملية عادت إلى المنزل بسبب فقدان الأمن في المشفى وقلّة الإمكانيات. وبعد عدة أيام نقلت لإيران لاستكمال علاجها. الخالة «فاطمة» مصداق الإنسانة المتسامحة والمؤمنة، وتؤمن بأن كل الصعاب لا تساوي شيئاً أمام النعم الإلهية.

بعد استشهاد زوجها لم تخبر أبناءها بذلك ولم ترتدِ الملابس السوداء حتى لا تؤثر على معنواياتهم.. وخلال الحرب الإيرانية ـ العراقية، لم نكن نسمع أي شيء عن ظروف هذه الأسرة وما تعانيه من مشاكل آنذاك. وكانت تقوم بحل المشكلات المادية والمعيشية والغربة والوحدة (لم يُقدر لأحد أن يلتقي بهم)، حاولت جعل محيط المنزل هادىء لأبنائها ومعنوي وعلمي. ابنتها الكبرى السيدة «مرام» تزوجت بابن عمها، حجّة الإسلام السيد حسين الصدر الذي تزوجها خلال حياة الأب، وعاشوا في الكاظمية. وابنتاها الأخرتان السيدة «نبوغ» والسيدة «حوراء» تزوجتا بشقيقين هما السيد مصطفى والسيد مؤمل (أولاد آية الله السيد محمد الصدر، ابن عم آية الله السيد محمد باقر الصدر) الذي كان من المراجع الدينية في النجف الأشرف. وبعد بضعة سنوات وفي عام ٢٠٠٠م، استشهد الزوجان وهما في صحبة والدهما (آية الله السيد محمد الصدر) على يد نظام صدام. وهاتان الأختان، ذاقتا طعم القسوة واليتم، وصار على عاتقهما مسؤولية رعاية أبنائهما وعادتا إلى إيران واهتمت برعايتهم خالتي. البنت الأخرى السيدة «صبا»، خلال الحرب الإيرانية العراقية هربت مع وزوجها عبر الحدود، إلى إيران. وقرب الحدود قبض عليهما من قبل شرطة نظام صدام، وكلاهما تم سَجنه. وقتل زوجها وابتليت هي بمرض نفسي شديد.

خامس البنات السيدة «أسماء» زوجة السيد مقتدى الصدر (من الزعماء العراقين الكبار حالياً).

ابن آية الله السيد محمد باقر الصدر المعروف باسم سيد جعفر، انشغل بتحصيل العلوم القديمة والحديثة[١].

٦ - السيدة «رباب» الصدر: أصغر بنات آية الله الصدر، حين وفاة أبيها كان عمرها تسع سنوات. تزوجت في لبنان من الأستاذ حسين، حفيد المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين. اهتم الأستاذ حسين بترتيب وطباعة كتب الإمام موسى الصدر. خالتي لديها أربعة أولاد. ابنها الثالث، السيد قصي تزوج بالسيدة «مليحة»، الابنة الصغرى للإمام موسى الصدر.



من اليمين المؤلفة، الخالة رباب والأستاذ حسين شرف الدين (زوج خالتي رباب)

(١) لمعرفة الكثير عن الخصائص الأخلاقية لأبناء الخالة فاطمة، مراجعة الهامش ١٢ في نهاية الفصل.

الخالة «رباب»، تشرف حالياً علىٰ مؤسسات الإمام موسى الصدر. وهي تروي حكايتها: «في بداية وجودي في لبنان، وبعد فترة من الزواج، طلبت من أخي الإمام موسى الصدر أن أشارك في الأعمال الثقافية والخيرية. فقال السيد موسى: «إن نساء لبنان وخاصة الشيعة، يعانون من ثقافة دينية محدودة ومحددة نوعاً ما. تستطيعين إرشادهم، ولكن لجذبهم يجب أن تحاولي أن يكون عملك بأسلوب غير مباشر، لأنهنّ لا يرغبن في المشاركة في المجالس الدينية». قبلت بسرور ودعوتهم للأعمال الخيرية. وخلال وقت قصير شاركتْ أكثر من مائتي سيدة، وصرن أعضاء في إطار تجمع خيري. أقمن الجلسات الدينية ثم أقمن مركز (بيت الفتاة) كمنزل للفتيات اليتيمات اللاتي لا تحظين بالرعاية. وهناك تعلمت الفتيات دروس متنوعة ومختلفة. واستطعن من خلال تشجيع ودعم أخي السيد موسى، حتى جذب النسوة المستجديات اللاتي كان لديهنّ سلوك لا يتوافق مع الآداب الإسلامية في بعض جوانبها، وأصبحت لهن أنشطة مؤثرة في المؤسسة الخيرية».

«وبعد إخفاء الإمام موسى الصدر، وعلى الرغم من التحديات والصعوبات، واصلت المؤسسات الخيرية والمدارس ورياض الأطفال ومدرسة التمريض نشاطها. كما أسسنا، أيضاً، مؤسسات أخرى. يعتبر اللبنانيون من خريجي مدارس التمريض التابعة لنا، من أفضل العاملين في مستشفيات لبنان».

«ومن أجل مواصلة النشاط الخيري، نحصل على المساعدات والمال من التجار الإيرانيين. آية الله الخميني، أيضاً، كان يساعدنا دائماً، على الرغم من المواقف المخرّبة لبعض المغرضين، ومنها أنه في أحد الأيام ذهبوا لأحد علماء إيران وكانوا يقولون: إن السيد موسى

يحضر مجالس النساء وهنّ بلا حجاب، ولكنهم كانوا على دراية وتعقل، ولم تنطل عليهم هذه المكيدة، وقالوا: السيد الصدر عالم مجتهد ويعرف كيفية مواجهة المسائل الاجتماعية».

وتروي الخالة «رباب»: «في عام ١٩٨٢م، كان الإسرائيليون يستقرون في جنوب لبنان، وطلبوا من جميع الأسر أن تراجع مكاتبهم وتقدم تقريراً عن نشاطها وأعمالها، ولاستجوابي جاؤوا إلى منزلنا وطرقوا الباب ودخلوا». طبقاً لقول الخالة «رباب»، فإن قائد القوات العسكرية مع مجموعة من مساعديه، اهتموا بكتابة محضر الاجتماع.

وبعد أن استقروا، انشغلوا بسؤالها، عن المهام الخاصة بمؤسسة الإمام الصدر ومن يتكفلها؟ «وأنتم على صلة بأي البلدان»؟ وأشاروا إلى إيران التي كانت هاجسهم وسألوا: «ما هي علاقتكم بالكميني (الخميني)»؟ قالت بكل شجاعة: «هو مرجع ديني ويستقر في قلوبنا». وسألوها: «انت تعلمين موقفنا منه»؟ قالت: «نعم»، ثم سأل: «لو أمرك بشيء ضدنا، ماذا تفعلين»؟ أجابت في رد حاسم، تصف رضوخها لأمر الإمام بأصابعها وقالت: «سنقطعكم بأيدينا وأظفارنا وأسناننا». عاد فسألها: «ما رأيك فيما يخص فلسطين»؟ قالت الخالة «رباب»: «أنا هنا للاستجواب ولست على طاولة المفاوضات. أنتم لن تطبقوا رأيي ولا داعي لأقوله». فعاد وسألها: «سنشكل برلمان لبناني وننتخب رئيس جمهورية طبقاً لمعاييرنا».. قالت الخالة: «لن نقبل بإقامة جلسة في البرلمان». وقالت: «أعدادكم قليلة ولا تقدرون على ذلك». وقالت: «سنقطع الطريق على النواب ولن نقبل بتشكيل هذا البرلمان». فقال: «أنت لا تستطيعين». قالت الخالة: «سوف نثبت لكم ذلك». قال عملاء

إسرائيل بعد ترك منزل الخالة: «في كل مدينة صور[١] يوجد رجل واحد ذلك هو السيدة «رباب» الصدر».

بالتأكيد الخالة رباب تجنبت إعادة ذكر هذا الموضوع وشرح أسلوبها في مواجهة الإسرائيليين، وقالت: «أعتبر هذا الكلام جزءاً من عباداتي وأخشى أن يكون نقلها ممزوجاً بالرياء».

ثمرة زواج والدي ووالدتي

ثمرة زواج أبي وأمي ستة أبناء، أربعة أولاد، هم: السيد محمد صادق، السيد محمد جواد، السيد مرتضى، السيد عبد الحسين وبنتان: «عفّت» التي ولدت بعد جواد وتوفيت في الصغر إثر الإصابة بمرض راح ضحيته الكثيرون، وأنا «فاطمة».

حينما كانت أمي حامل بي، كان أخوتي يتمنون أن يهبها الله بنتاً. وحينما ولدت كانوا جميعاً سعداء بشدة، وكانوا ينادوني دلعاً (ابجي) أو «ابجي خانم». وهكذا كان القريب والغريب يطلق عليّ نفس الاسم؛ وفي إحدىٰ المرات كان أحد القرويين من بروجرد، لديه عمل مع أبي، جاء إلى منزلنا ورآني وناداني بـ «ابجي خانم». وعندما اعترضته «زهرا سلطان» وواجهته لماذا تقول لهذه الطفلة بهذا الاسم، رد قائلاً: حسناً، المقصر هو من سمّى هذه الطفلة بهذا الاسم. بعد ذلك، قالت جدتي لي: «إذا لا تحبين أن يقولوا لك «ابجي خانم»، لا تردي على من يناديك بهذا الاسم وقولي اسمي «فاطمة».

---

(١) تقع مدينة صور في جنوب لبنان علىٰ شاطىء البحر الأبيض المتوسط وهي رابع أكبر مدينة في لبنان. ومعناها الصخرة. واشتهرت، أيضاً، (صور) بمدينة الإمام موسى الصدر.

أخوتي

السيد محمد صادق (مواليد عام ١٩٤٣م)، بعد أن أنهى المرحلة المتوسطة من الدراسة في عام ١٩٦١م، انتقل إلى ألمانيا وفي عامه الأول هناك، حينما كان يقضي فترة التدريب العملي في مناجم الفحم الحجري، تعرض لحادث مؤلم وتوقف عن الدراسة لمدة ١٨ شهراً كفترة نقاهة. وفي العام الثالث من إقامته عام ١٩٦٤م عاد من ألمانيا لإيران، وتزوج بالسيدة «فاطمة» ابنة الخالة «طاهرة». وأنجب طفلة أسماها «غزالة» وولد أسماه عدنان.

درس صادق العلوم الكيميائية في (جامعة اخن) وحصل على الدكتوراه من جامعة (بوخوم) في فرع الكيمياء الحيوية وعلم الوراثة، ثم بدأ عمله بالأبحاث والتدريس، وكان يعمل ـ إلى جانب الدراسة ـ على تحسين معيشته، وفي ذلك الوقت كان مشغولاً بالكفاح ضد الاستبداد في إيران. وفي عام ١٩٧٩م، عاد مع الإمام الخميني إلى إيران وشغل منصب المساعد السياسي لوزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء ومنصب المتحدث الرسمي للحكومة. وكان اسمه ضمن المجموعة الأولى المرشحة لرئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولكن قبيل الانتخابات تنازل لصالح الدكتور حسن حبيبي.

السيد محمد جواد (ولد عام ١٩٤٥م) درس الأدب الفارسي بكلية الآداب بجامعة طهران، وتزوج بالسيدة «منيجه بور مصلح» عام ١٩٨٧م وأنجب ابنة تسمىٰ «سبيدة».

السيد مرتضى (ولد عام ١٩٥٠م) مهندس معماري، درس بضع سنوات في بيروت، وبعد الثورة الإسلامة عيّن أميناً للعاصمة طهران. تزوج بالسيدة «فرشتة أعرابي» (حفيدة الإمام الخميني) في عام ١٩٧١م وأنجب منهما ولدان هما عماد وحسين.



شقيقي السيد صادق



شقيقي السيد جواد



شقيقي السيد عبد الحسين



شقيقي السيد مرتضىٰ

السيد عبد الحسين (ولد عام ١٩٥٧م)، طبيب متخصص في القلب واستشاري في الأوعية الدموية وقلب الأطفال والجنين. كان عضواً في الفريق الطبي للإمام الخميني. تزوج بالسيدة «ليلى بروجردي» (حفيدة الإمام) عام ١٩٨٤م ولديه بنتان هما «هدىٰ» و«ضحىٰ».

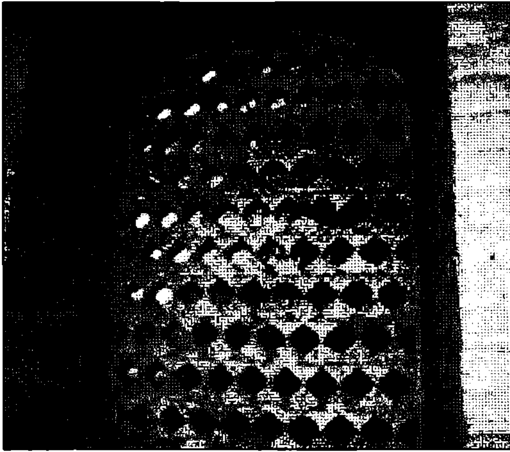
محل الميلاد

جميعنا ولدنا في منزلنا عدا صادق وجواد، وأصبح هذا المنزل سكننا الدائم، وحكاية بنائه والسكن فيه، شكلت ذكرى لطيفة لوالدتي؛ والحكاية هي أن والدي بعد الزواج، استأجر لنا منزلاً بالقرب من بيت جدي بقُم. صاحب المنزل كان يرسل مندوبه في الصباح الباكر من أول كل شهر لأخذ الإيجار، أحياناً لا يكون مبلغ الإيجار جاهزاً، وهذا كان يزعج أمي، ولهذا السبب اشترى أبي قطعة أرض بلغت مساحتها حوالي ٤٠٠ متراً مربعاً بالقرب من بيت جدي بقُم، وبدأ ببنائها؛ المنزل غير مكتمل وليس له نوافذ ولا أبواب، فذهب والدي إلى بروجرد لتهيئة مبلغ من النقود؛ وفي ذلك الوقت جاءت خالة جدتي، والتي كنا نسميها (خالة خانم)[(١)] إلى بيتنا وأصرت مع أمي بأن ننتقل للمنزل الجديد حيث أننا لا نحتاج لباب ولا نافذة في ظل هذا الحر القاسي، كما لنرتاح من دفع الإيجار، وبمساعدة (صادق وجواد) وتعاون خالاتي وأخوالي، تم جمع الحجارة لإقامة سطح للفناء وللغرف، وحملوا الفرش وأثاث المنزل الذي لم يكن فيه أشياء ثقيلة الحمل، تجمعنا جميعاً في المنزل الجديد، وبالتدريج اكتملت عمارة المنزل.

بيتنا يضم سبع غرف: أربع منها مشمسة وكانت منعشة وقت

---

(١) الخالة خانم ابنة المرحوم السيد زكريا الحكيم من الأطباء المهرة وذو قدرة على الرسم والخياطة والتطريز والطبخ وكانت في المسائل الأخرى مستشارة لأمي لمعرفة الكثير عنها. مراجعة الهامش ١٣ في نهاية الفصل.


منظر للنافذة الحجرية لسرداب منزل والدي (في قم)

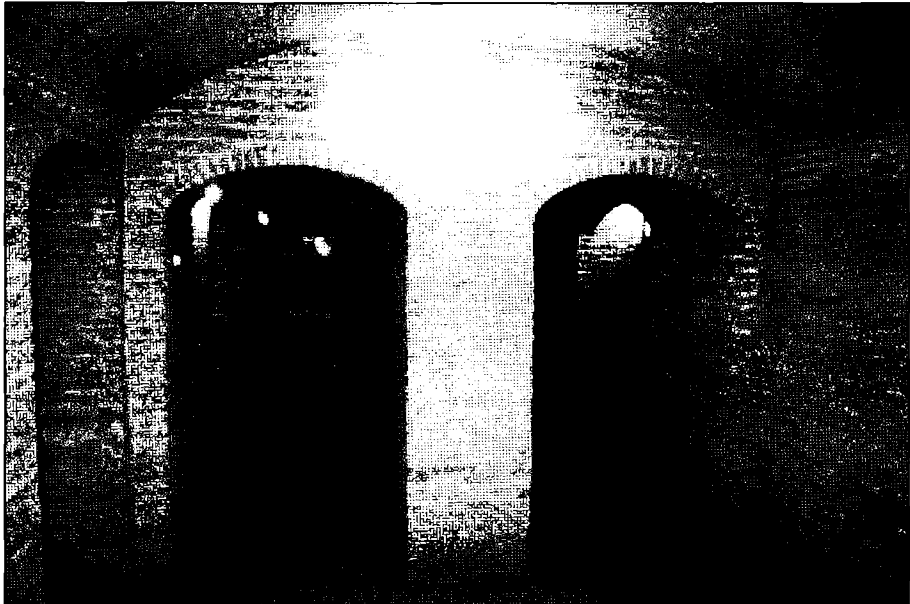
الشتاء، والثلاث الأخريات غير مشمسة، وكان تحت جميع الغرف سرداب، والنوافذ شبكية حجرية جميلة ويمر منها الهواء، ولكن بعد فترة وبإلحاح والدتي، تم تبديلها بنوافذ حديدية وزجاج للحيلولة دون دخول التراب الذي كان ينبعث من المقبرة الموجودة في أطراف المدينة، الأمر الذي أدّى إلى تقليص برودة ذلك المكان. اثنتان من غرف السرداب تُستخدمان كمخزن، وغرفة كحمام، وأخرى كمطبخ، وغرفة لخادم البيت، وغرفتان تم فصلهما عن بعض بعمود كبير للاستفادة العامة، وهذا كان يؤدي في بعض المرات إلى إحداث مشكلة ومشاحنات. وذات مرة حين خلد والدايَّ إلى النوم بعد تحمل حرارة الصيف اللاهب؛ كنّا أنا وعبد الحسين نلهو ونضحك لأبسط المواضيع وكان صوت قهقهتنا العفوي يتسبب في إيقاظ والدي ووالدتي وبقية النائمين، فكانوا أحياناً، يتجاوزون عن إزعاجاتنا بكرمهم ويكتفون بطلب سكوتنا والامتناع عن الضحك، وأحياناً يجرُّ الأمر إلى التشاجر؛ الطريف أننا كنا نتصور بأن الحكاية التي نرويها مضحكة للغاية ولهذا السبب نخرج من السرداب ببطء، ولكن كلّما نحاول الضحك هناك لا تأتينا الضحكة.

الطقس في مدينة قُم أواخر شهر مايو/أيار يبدأ بالحرارة عادة حتى يصل إلى قمة الحرارة في الصيف. وحتى عام ١٩٦٩م، كانت الوسيلة الوحيدة للتبريد هي المروحة؛ وعادة في مطلع يونيو/ حزيران كنا نجمع السجادات من الغرف ماعدا غرفة والدي وبعض الغرف غير المشمسة،

ونضع المستلزمات في السرداب، وكنا نقضي معظم ساعات النهار في السرداب، حيث يكون تناول الغداء والاستراحة، في غاية المتعة.

المطبخ كان أدنى بثلاث درجات من فناء المنزل ويتوسطه حوض صغير، وصنبور ماء يتدفق فيه الماء من مخزن المياه، وطباخ أسطواني الشكل يعمل بالنفط، وطباخ بثلاث عيون يعمل بالحطب، وموقد ذو ثلاث مشاعل وقفص خشبي بمفصلتين، وعلى الرف علب حليب مجفف مملوءة بالبقوليات.

أحياناً تعلو شعلة الموقد والدخان يملأ المكان، فيتسرب من نافذة المطبخ إلى فناء المنزل، أول من يرى الدخان عليه أن يخبر صاحب المنزل بصوت عال ليحضر صاحب المنزل أو الطباخ مهرعاً، ويرفع وعاء الطعام ويطفىء النار المشتعلة بنفخة قوية وليجد جميع أطباق المطبخ مدخّنة وسوداء والطبخة، تلفت ويبدأ البحث عن حل لأفراد الأسرة الجائعين.



سرداب بيت والدي (في قم)

في ذلك الوقت لم يكن طلب الطعام من المطاعم أمراً مألوفاً. لم يكن لدينا في قُم سوى عدة محلات لبيع الكباب وإثنان أو ثلاث فنادق تقدم الأرُز بالكباب، ولا توجد محلات أخرى لبيع الأطعمة، لحسن الحظ كانت هذه المحلات قريبة من المنزل، أحياناً يذهب بابا إسماعيل لشراء الكباب وأحياناً ينهي مشكلة الطعام المحترق بشراء الوجبات الجاهزة.

ولأن المطاعم ومحلات بيع الأطعمة في قُم قليلة، لم يكن هناك محلات لبيع السندوتشات؛ أتذكر أن أخي صادق، بعد أن أنهى مرحلة الدراسة الثانوية، عاد من طهران ومعه ساندوتشة جلبها للخالة «رباب» التي كانت بعمره، وهذه أول مرة كنت أرى طعاماً بهذا الشكل. كان ساندوتش بيض دجاج، وحصلتُ على لقُمة منها، وأتذكر حتىٰ الآن طعمها اللذيذ.

تقدير والدتي

في احد الأيام جاءنا الكثير من الضيوف وقد تكدست الأطباق لغسلها حيث كانت أمي تساعد الخادمة في غسلها، وأثناء الغسيل كانت ـ أمي ـ تثني على مودّة ولطف والدي الذي أعد وهيأ مستلزمات العمل بشكل ميسر بدلاً من أن يكون الحوض في ساحة المنزل.

في ذلك الوقت أحد الأقارب سمع دعاء أمي، فقال متعجباً: «بدل أن تقولي لماذا جاء بكل هؤلاء الضيوف ودعاهم إلى البيت؟ تشكرين الله أنه وفّر وسائل العمل»، فقالت: «ألم تسمع المثل القائل: إن نيل العزة والكرامة يذلل كل الصعاب والعراقيل».

الصباح الخبز والجبن، وأحياناً الزبدة والعسل، وفي الشتاء أحياناً لبن، ووقت العيد أو عند مجيء الضيوف، يضاف الكعك أونوع من المعجنات يسمى (كسمه).

(وصف العيش نصف العيش)

أيام الصيف كنا نسكن في السرداب ليكون تحمّلنا لحرارة الجو أهون، وكان والدي في أوائل الصيف، يشرح لنا برنامج السفر إلى مشهد ويشغلنا بهذا الحديث: كيف نسير؟ وما هي الأغراض المناسبة؟ وأي تاريخ أفضل للذهاب؟ ومن سنأخذه معنا؟ وما هي لوازمنا؟ و....... ونمضي مسرورين بهذه الحكايات حتى يحين موعد السفر لنذهب عشرين يوماً أو شهراً إلى مشهد، وبعض السنوات لا تتهيأ الظروف ونبقى مبتهجين بهذه الحكايات فقط.

طوال النهار نبقى في السرداب حتى ساعة أو ساعتين قبل الغروب، وحينما نخرج نجد فناء الدار حاراً جداً، حيث كان مفروشاً بأحجار الآجر، فنرشّه بالماء مما يساعد على تلطيف وبرودة الجو إلى حد ما. ولما نزلت بلاطات القاشاني إلى السوق، وكان غسلها وتنظيفها يسيراً، تم فرش فناء البيت بهذه البلاطات. وحين رشها بالماء تخرج منها حرارة عالية، ولهذا كنا نصرف النظر عن غسلها. أكثر أشجار المنزل كان من الصنوبر والرمان والياسمين الذي كان مشهوراً بـ «منعطف أمين الدولة»، وكنّا نلهو بنثر أغصانه الملتفة حول جذوع الصنوبر بالماء.. ثم نغطس ونسبح في حوض البيت.



فناء منزل والدي (في قم)

المنزل كائن حي

حتى الآن، حينما أنظر إلى المنازل القديمة، أتذكر سنوات صغري، فقد كنت أتصور كل أجزاء البيت هي كائنات حيّة، فكنت أخاطبها وأحاول أن أرسم لها شخصيات، فكنت أصوّر السلالم العليا بأنها الجد.. ثم بالترتيب الجدة والخال والعم والخالة وهكذا.

في أحد الأيام كنت مشغولة معهم بالكلام حين وصلت خالتي «بتول» وقالت لي لماذا تحدثين نفسك؟ قلت متعجبة لم أحدث نفسي بل كنت أتحدث مع السلالم، وكنت الفظ حرف (پ) مثل الفاء، ومن حينها استمرت هذه النكتة الطريفة تُتَداول في مجالس الأسرة ولا أفهم لماذا يضحكون بسببها؟!!.



والدي في باحة المنزل (في قم)

إيصال المياه للمنزل

أحد الأشياء المثيرة، في طفولتي، كانت موعدنا في إيصال المياه للبيت ليلاً بعد الساعة الثانية عشرة ليلاً، حينها يحدث نشاط محسوس في البيت وتبقى المصابيح مضاءة. أبي وبابا إسماعيل يذهبان إلى باب المنزل ثم يعودان. يستيقظ الجميع من النوم، وتلك الليلة نشعر بالسعادة لأن الجميع في حركة ونشاط حتى يخبرنا مسؤول ضخ المياه بأن الماء في طريقها إلى بيتنا.

يأتي الماء من خارج المدينة ويصل إلى الحارات حسب الدور، وفي بيتنا يدخل الساقية، ثم إلى الحوض ليواصل الطريق إلى خزان المياه.. ثم يتم ملء الحوض ويستلم مسؤول ضخ المياه أجره. تعود الحياة إلى طبيعتها. مياه الشرب العذبة، كنا نشربها من ذلك الخزان عبر صنبور للمياه منصوب في نهاية الخزان. كان يستخدم ماء الحوض

للوضوء وأحياناً للسباحة في الطقس الحار، لم يستغرق وقتاً طويلاً حتى تم تمديد أنابيب المياه على المدينة. بدءاً كان هناك أنبوباً ضخماً في كل زقاق لسحب الماء، فكنا نأخذ الماء منه. ثم تم تمديد الأنابيب لكل بيت وأصبح مسؤول ضخ المياه بلا عمل.

الكهرباء

كان يوجد في منزلنا عدادان للكهرباء، وعندما تقطع الكهرباء عن المدينة كنا نذهب للعداد الآخر القديم ومع ضغط المفتاح نحصل على التيار الذي كان ضعيفا. بحسب كلام أمي، فإن شركة النسيج في مدنية قُم كانت قد اشترت قسماً من التيار الكهربائي من الروس في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، قبل أن يصل التيار الرئيسي إلى عموم المدينة. وحينما يكون المعمل معطلاً، كان يبيع التيار الكهربائي لبعض البيوت وكان بيتنا أحدها؛ وهكذا حينما كانت المدينة تعيش الظلام الدامس، كانت بعض البيوت مضاءة؛ وبعد عدة سنوات دخلت الطاقة الكهربائية إلى المدينة وكانت المصابيح التي تنير الطرقات والأزقة، منصوبة على أعمدة خشبية. . . وبعدها تم إيصال الكهرباء إلى كل البيوت.

حين يكون التيار الكهربائي مفقوداً، فلا مجال للحديث عن الأدوات الكهربائية، إلّا أن عمتي «منير أعظم» كان لديها ثلاجة تعمل بالنفط والوقود وكانت جذابة لنا.

كان بابا إسماعيل قد اعتاد على شراء قالبين كبيرين من الثلج يومياً، فيقطع جزءاً منه ليضعه في البراد ويلف الباقي بإحكام بقطعة قماشية. بابا إسماعيل يحكي عن معامل كبرى لإنتاج الثلج في المدينة، مبان ضخمة كمستودعات المياه يتم ملؤها بالمياه وتبريدها بأجهزة خاصة

شماره حساب مشتری ——— شماره کنتور نویس: ——— شماره ———
مشتری ——— ورقه تشخیص مصرف ماهیانه تاریخ ——— ماه ——— ۱۳
کارخانه برق شهرستان قم
دایره روشنائی شهرستان قم
شماره کنتور در تاریخ ——— ماه ——— ۱۳۳ ——— کیلوات
شماره کنتور در تاریخ ——— ماه ——— ۱۳۳ ——— کیلوات
نیروی مصرف شده در مدت ——— روز ——— کیلوات ساعت
بهاء از قرار کیلوات ساعت ——— ریال بالغ بر ——— ریال است
اگر تا ده روز پس از تعیین مصرف بهای برق مشتری به اداره مربوطه پرداخت نشود سیم او قطع خواهد شد
بهای نیروی برق باید به صندوق دایره روشنائی در برابر قبض دیگری پرداخت شود این ورقه برای تشخیص بدهی است
امضاء

فاتورة الكهرباء

لتصبح ثلجاً، وكلّما كان يستفيض بالشرح أزداد شوقاً لرؤية هذه المعامل، وهي الأمنية التي لم تتحقق بعد.

الهاتف

أحد الأعمال التي كان يتابعها والدي والتي كنت أرافقه فيها بسعادة ولا أفهم منها شيئاً، هي الهاتف؛ كان الخلل والضعف ينتاب مركز الهاتف ـ حيث كان علينا أحياناً الاتصال بمركز الهاتف ليربطنا بالرقم الذي نطلبه؛ كان أبي يذهب إلى غرفة صغيرة في نهاية فناء البيت؛ وهذه الغرفة، بسبب قربها من الشارع وسهولة الدخول إليها والخروج منها، كانت مرغوبة من قبل الجميع، ولهذا كنا نتناوب على الحضور فيها: صادق وجواد ومرتضى وأنا وعبد الحسين.

على الرف العلوي للغرفة هناك إنائين زجاجيين أسطوانيي الشكل. كانوا يضعون السلالم ويصعدون فوقها ويرفعون الأواني ويسكبون فيها

قليلاً من الماء وأشياء أخرى لا أعرفها[١]، ثم يعيدون الأواني إلى محلها. وحين جاء الهاتف الألكتروني لم تعد هناك حاجة للاتصال بمركز الهاتف.

ذكريات طفولتي

كانت أعمال أبي أمي، في تعليمنا وتربيتنا، في نظرنا، عظيمة. كان أبي عطوفاً جداً وتجاوز حبه لنا حتى مودة ومحبة أمي، ويمكنني القول إن احتياجاتنا العاطفية كنا نشبعها من ناحية والدي. فمع وجود التفاوت في الفهم والذوق ما بين أبي وأمي، كانت أمي تؤمن بأن طاعتها لزوجها، جزء من طاعتها لربها. لذا، كانت تنفذ كل ما يحبه والدي وتبتعد عن كل ما لا يرغب فيه.

في أوائل زواجهما، مرض والدي ذات مرة وكان الطبيب قد منعه من تناول التوابل. وبعد ذلك لم يتم العثور على التوابل داخل المنزل. وحين ينام أبي كانت والدتي تأمرنا بالهدوء والسكينة لأجل راحة والدي، وكنا نتصور أن من يفعل منّا خلاف ذلك، سيحل عليه غضب الله.

أتذكر غضب أمي: عندما كان عمري سبع أو ثمان سنوات، وكان من المقرر أن أرافقها لتلبية إحدى الدعوات. في العادة كنت أعرف من قبل في أي وقت ستغادر، فأكون مستعدة حتى أتحرك وارافقها، ولكن ذات مرة لم أكن على معرفة بالوقت ولم أكن قد جهزت نفسي للذهاب معها؛ وفجأة شاهدت أمي وهي ترتدي العباءة عازمة على الذهاب، هنا بدأت أذرف الدموع لكي لا تذهب بدوني؛ وحينها سمعت صوت أمي وهي تقول ساخطة: «لن آخذك لأنك لم تمشطي شعرك ولم تغيري ثيابك

---

(١) سمعت أنهم يسكبون المياه الأسيدية وفحمات البطارية ويربطونها بأسلاك نحاسية وهكذا يوفرون الطاقة الكهربائية اللازمة لرنة جرس الهاتف.

ولستِ جاهزة». في هذه الأثناء سمع والدي الذي كان مشغولاً بالمطالعة في غرفته، الحديث الذي دار بيننا، فخرج من الغرفة وقال لوالدتي بلطف: «تريَّثي قليلاً! سوف تجهِّز نفسها بسرعة»، فردت أمي بغضب: «إذاً لن أذهب». يبدو أنها انزعجت لأن والدي لم يؤنبنِ بل طلب من والدتي الصبر.

على أي حال جهزت نفسي على عجل بمساعدة والدي، وذهبت برفقة والدتي.

وأتذكر أنهم اشتروا لي حذاءاً جميلاً ذو مقدمة رفيعة، وكنت أحب اللعب منتعلة هذا الحذاء لأنه كان مريحاً بالنسبة لي لأن أضرب به الأحجار فتنزلق أكثر. كانت أمي تقول بأن هذا الحذاء خاص للزيارات وليس للعب. ذهبت إلى والدي أذرف الدموع وطلبت منه أن يسمح لي لأنتعل الحذاء للعب، فأعطاني ذلك الحذاء وفرحت كثيراً، وقال لوالدتي: «دِعي هذه الطفلة تستمتع بلبس الحذاء، لقد وعدتْ بأن تحافظ عليه».

قلت له ذات مرة: «أريد ملابس جديدة». قال: «ليس عندي نقود». لم أقل شيئاً وواصلت اللعب. ثم ناداني بعد دقائق وقال: «إن تشاهدين أموالاً كثيرة في خزانتي[1]، فلا يمكنني أن أشتري لك ملابس منها. أقول لكِ حتى لا تتصوري أن لدي نقود وأتهرب من إعطائها لك. هذه أموال شرعية ولبيت المال»، وشرح لي كيفية الاستفادة منها.

أتذكر الثوب الأزرق وتصميمه. أحضر والدي من مكة قطعة

---

(١) كانت هناك خزانة في أعلى الغرفة جنب رفوف الكتب بابها زجاجي ومغطاة من الداخل بقُماش أبيض. من جانب الستائر كان يمكن مشاهدة داخل الخزانة المليئة بالوثائق والأوراق المهمة والنقود وغير ذلك. وهناك طاولة صغيرة للمطالعة. كان والدي يجلس على الأرض خلف الطاولة ويقرأ الكتب وكانت الكتب تحيطه دوماً.

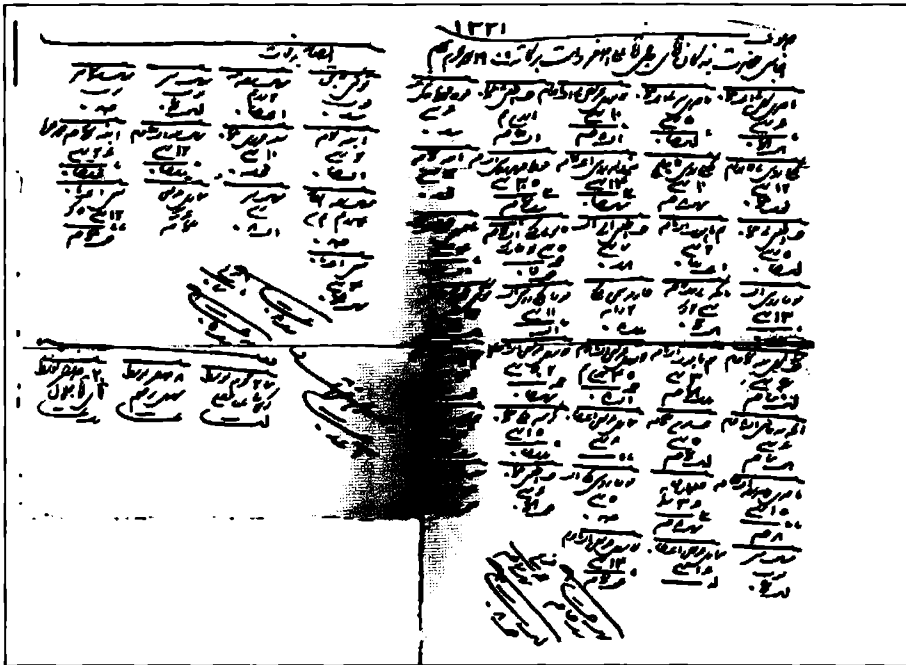
قماش كهدية لي، أعطتها أمي للخياطة لتخيط لي ثوباً، فسألتني الخياطة: «هل تريدين الكم قصيراً؟» وأنا كنت أرى البنات يرتدين الثياب القصيرة، أجبت بالإيجاب بكل سرور. وعندما أصبح الثوب جاهزاً للقياس، لبسته وفرحت به كثيراً. أمي لم تكن توافق على الكم القصير في الثياب، فأقنعت والدي ليتحدث معي. حينما وصلت إلى البيت سألني والدي: «هل قمت بقياس الثوب»؟ قلت: «نعم». ثم سألني «هل كان مناسباً وجميلاً»؟ قلت: «نعم ذو كم قصير وتنورة كثيرة الكسرات، إنه مناسب وجميل جداً». فقال بلطف ومودة: «ألا تتصوري بأن الكم الطويل أفضل»؟ قلت: «لا، هو الآن جميل ومناسب جداً.. إن كل البنات يرتدين الأكمام القصيرة». فسكت برهة وقال: «إنهنّ لسن من عائلات علماء الدين». فقلت باستياء: «لماذا؟ بعضهن كذلك!»، كنت أعلم جيداً أن هذا التشدد من قبل والدي هو في الأصل يعود لوالدتي. قال: «هذه المرة البسي الكم الطويل من أجلي، وفي المرة القادمة إذا أردت خياطة ثوب آخر، فليكن بكم قصير». وبعد هذا الحوار الودي وبسبب حبي الوافر لوالدي إقتنعت ورضيت بكلامه. ومع أني كنت أحب ذلك الثوب بالكم القصير كثيراً، ذهبت إلى محل الخياطة وطلبت من الخياطة أن تخيط الكم الطويل لثوبي. قالت الخياطة: «لم يبق شيء من القُماش والحل الوحيد هو أن أقتطع من التنورة». حينما أصبح الثوب جاهزاً ارتديته. لا أنسى شكلي في المرآة. تنورة بكسرات ضيقة وأكمام منفوخة، طويلة وعادية، فقدت أناقتها وجمالها. حينما قلت لوالدي إن ثوبي لم يعد جميلاً، احتضنني وقال: «ما المانع أن لا يكون ثوبك هو الأجمل»، وبحنانه كان يزيل مرارة سخطي من تغيير موديل الثوب.

كنت أغوص في هذه الذكريات وأستشعر حلاوة حنان والدي

ووالدتي حتى خطرت ببالي خاطرة مشابهة. والدتي كانت تؤمن بشدة بأن عليّ أن ألبس ملابس تتناسب مع شأن عائلة من علماء الدين، ولهذا كانت ملابسي أكثر نظافة وأناقة، ولكنها كانت بعيدة عن أزياء الموديلات الحديثة وتميل إلى البساطة. في إحدى المرات، وكنت في السابعة أو الثامنة من عمري، ذهبنا إلى حفل زواج. بعض البنات من أقراني، كن يسخرن من تنورتي التي كانت أطول من المعتاد. حينما عدت إلى البيت وسردت الحكاية لوالدي، أجلسني بجواره ومسح بيده على رأسي وقال: «ما فعلوه كان عملاً سيئاً للغاية، من الطبيعي أن يرتدي الشخص الملابس التي تتناسب مع مكانته ومستواه». وحينما رأى بأني لم أقتنع بإجابته حاول أن يرضيني بطريقة أخرى، وقال: «سيأتي اليوم الذي تسخرين أنت منهن». سررت من سماع هذا الخبر وأطرقت في التفكير متى سيحل هذا اليوم لأردّ لهن سخريتهن. لكن والدي قال: «طبعاً تدركين بأن العفو والصفح أجمل كثيراً من الانتقام، وإذا حل اليوم الذي تتمكنين فيه من الاستهزاء بهن وتمتنعي عن ذلك، سيكون ذلك جميلاً للغاية، ثم احتضنني وقال: «إن السخرية والاستهزاء دليل على الجهل ولا تتمنين أبداً أن تكوني جاهلة».

تذكرت ليالي الشتاء الطويلة حيث كنا نجلس حول (الكرسي). والدي لم يكن يرضى أن يترك (بابا إسماعيل) البيت في ليالي الشتاء الباردة. طبعاً هو كان يلتزم بالمشتريات النهارية وكان صديقاً لرجل عجوز عنده محل عطارة وكانت أغلب مشترياته من ذلك المحل. وكان العجوز يسجل المشتريات في دفتره بخط السياق (طريقة لكتابة العدد بالرموز)، وكان والدي يعرف هذا الخط ويحاسبه على أساسه.

ولكن في ليالي الشتاء الباردة، لو احتجنا للتبضع، فإن والدي يبعث عبدالحسين إلى خارج البيت للشراء، فكان يشتري البرتقال



خط سياق

والزلابية والبامية وشيء من الحلويات، وحينما كنا نجلس سوية كان والدي يحدثنا عن حياة الأئمة وكبار العلماء وتاريخ الإسلام أو عن ذكرياته في رحلاته والأحداث التي واجهته ويشرح لنا تأثير الدعاء والمناجاة على روح الإنسان، وبهذا الأسلوب كان يشجعنا على أداء التكاليف الشرعية. كان يؤمن بعدم إجبارنا على أداء التكاليف الشرعية ولم يكن يوقظنا لصلاة الصبح بعنف وقسوة.

في إحدى المرات كان يشجعنا لحفظ القرآن الكريم، فقال: «لو تحفظون أي سورة من القرآن الكريم سوف أقدم لكم هدية»، وكنت قد حفظت بعض السور القصيرة، فقرأتها فوراً لأحصل على جوائز بعدد السور التي كنت قد حفظتها، ولم أحفظ بعدها شيئاً.

في إحدى الليالي كان يحدثنا عن الشعور بالمسؤولية لدى المعلمين

إبان طفولته وكيف كانوا قلقين على طلابهم حتى خارج المدرسة ويتابعون أمورهم، فقال: «في أحد الأيام حينما خرجت من المدرسة قُمت بأعمال عفوية في الزقاق، ولما وصلت بالقرب من البيت واجهت أمي التي انتبهت لأعمالي، فقالت بسخط: ليخنق الباري معلمك على تربيته لك. وفجأة قال المعلم الذي كان يتابعني: «نعم أيتها الحاجّة، أنا هنا»».

وفي ليلة أخرى حدثنا أنه ذهب إلى العراق بجواز رجل عجوز، وفي الطريق سأله مسؤول الجوازات: «جواز من هذا»؟ فقال: «هو الآن بيدي». فقال المسؤول: «إن صاحب الجواز عجوز وأنت شاب». فرد والدي بابتسامة: «طالما رأيتَ شاباً يصبح عجوزاً، والآن ترى عجوزاً يصبح شاباً». فضحك الشرطي وقال: «أيها السيد! أفدي نفسي لجدك، من حسن حظك أنك وصلت في فترة مهمتي. إذهب وأدع لي في زيارتك».

الهوامش

١ ـ **الحاج مُلّا هادي السبزواري** (١٢١٢ ـ ١٢٨٩ هجري قمري)، عُرف بالسيد السبزواري وهو واحد من كبار حكماء القرن الثالث عشر الهجري. وكان أستاذا في الحكمة، والفلسفة، والمنطق، والكلام، قضى عمره في دراسة وتعليم الحكمة الإسلامية، ومن أشهر آثاره «أسرار الحكم». كتب حاشية عن الأسفار الأربعة لمُلّا صدرا و«شواهد الربوبية»، و«شرح لأذكار الصباح»، وعلق على مثنوي المولوي، وحاشية لـ «زبدة الأصول» للشيخ البهائي.

٢ ـ **آية الله العظمى السيد حسين طباطبائي البروجردي**، أنهى مرحلة المقدمات وذهب لمدينة (النجف الأشرف) ليحضر دروس العلامة آخوند خراساني. كما شارك في الثورة الدستورية. سمعت أبي يقول أنه قد سمع عنه: «تعلمت من هذه الثورة ألّا أتدخل في أمر لا أعرف بدايته ونهايته، وأن الثورة الدستورية نشأت من الاستبداد وكان دور الدين فيها ضعيفا». وبعد عودته من مدينة (النجف الأشرف) عاش في مدينة (بروجرد) حوالي ست وثلاثين سنة، في نفس الوقت الذي كان رضا شاه يظهر قمعه واستبداده. أما عن مدينة (بروجرد)، فهي تتمتع بأهمية خاصة من الناحية الثقافية، وكانت دائماً محط أنظار الحكام وقتها، كانت تتمتع أيضاً، بحوزة علمية جيدة، وقد أقام بحوزتها العلمية الشيخ مرتضى الأنصاري خلال رحلته إلى مدينة (النجف الأشرف) مدة ستة أشهر.

دعاه علماء الحوزة العلمية بمدينة (قُم) للإقامة بها وذلك بعد انتقاله من مدينة (بروجرد) إلى مستشفى (فيروز آبادي) بمدينة طهران بسبب مرضه.

آية الله الصدر (جدي) كان يعير أهمية خاصة لحضور آية الله البروجردي في قُم، حتى أنه قدم له مكتبه ومحل صلاته حيث كان يتصور أنه أفضل منه، وقد نجح في إقامة علاقات جيدة مع السلطات والحكام.

وتعين عليه أن يعطي دروساً ويؤم المصلين، وعلى هذا النحو وُفق في تحقيق مطالبهم، واستطاع أن يقيم علاقات قوية بين الحوزة وجميع الفرق والحكام.

وأصبح آية الله البروجردي هو المرجعية العامة بحوزة قُم بعد وفاة آية الله سيد أبو الحسن أصفهاني، وآية الله الحاج السيد حسين طباطبائي.

تولى آية الله البروجردي، زعامة حوزة قُم العلمية في (٥ شباط/ فبراير ١٩٤٧م). كان وضع الحوزة في ذلك الوقت مؤسفاً للغاية بسبب عدم اهتمام بهلوي الثاني بها. كان الطلاب يضطرون للعودة إلى قراهم ومدنهم من شدة الفقر، وقد سمعت أن الإمام كان غير راض عن طريقة إدارة الحوزة، وعلى هذا النحو قام بمساعدة آية الله مرتضى حائري بتقديم مشروع لآية الله بروجردي لأجل إصلاحها. وافق على هذه الفكرة، ولكن قبل أن ينفذوا ذلك، خالفهم عدد من المتزمتين في الحوزات العلمية، حيث رأى الإمام البروجردي المصلحة في السكوت عن الإصلاح، الأمر الذي أثار حفيظة الإمام الخميني وآية الله حائري.

كان آية الله البروجردي يسعى إلى تقوية الحوزة العلمية في النواحي العلمية، حتى تتحول إلى قاعدة وصرح للعلوم والتربية للشيعة. بالإضافة للاهتمام بالمسائل المعيشية التي تواجه الطلاب.

نقل والدي: «أنه أوجد تطوراً في الفقه والرجال والحديث، في الفقه لم يكتف بالآراء الخاصة ولكن كان يبحث في أصل وتاريخ ظهور الروايات ومدى مصداقيتها. كان يراجع آراء الفقهاء عامة (أهل السنة) وهذه المبادرات كانت تثير الدهشة آنذاك.

في تلك الأيام كانت تدور في منزلنا مجادلات حول زعامة وإدارة الحوزة. سمعت أن آية الله الخميني سعى كثيراً لأجل تثبيت زعامة آية الله البروجردي. في الوقت الذي كان هو يعتبر مدرساً قوياً في الحوزة، كان يحضر دروس البروجردي ووجد له مكاناً بين الطلاب حتى يعلمهم وجوب الاحترام لمدرسهم.

كما سمعت أنه أرسل رسالة إلى الحاج مرتضى حائري الذي كان يدرس في (النجف الأشرف) يقول له لماذا تقيم في (النجف الأشرف)؟ في الوقت الذي يوجد الشيخ الطوسي في (قُم)، وفي النهاية وبعد محاولات الأساتذة والمكانة التي كان يتمتع بها آية الله البروجردي، أصبحت (قُم) قاعدة كبرى للعلوم الإسلامية.

كان ينقل أبي أن نفوذ كلام وقدرة وإدارة آية الله بروجردي، جعلت والدة رضا شاه في أحد الأيام تطلب منه منع ابنها من تعلم تدريبات فنون الطيران.

كان الناس يأتون لمنزلنا ويقولون أن آية الله الكاشاني كان على خلاف واضح مع آية الله البروجردي. ولكن آية الله البروجردي لم يرد، بل إنه ذات يوم صعد المنبر مخاطباً الشاه الذي أهان آية الله الكاشاني، وقال: أنا لن أسمح بإهانة الشخصيات الدينية في عهدي. وسمعت أن آية الله البروجردي كان يقول لأصدقائه: «يجب أن تكون الحوزة مطلعة على مستجدات الأمور السياسية الجارية دون أن تتدخل في السياسة» حيث أنه كان يرى تدخل الحوزة في السياسة ليس في صالح الحوزة.

كان معروفا أنه يراقب التحركات داخل الحوزة، حتى اتهموه بكونه تسلطي.

سمعت عن أبي أن آية الله البروجردي لم يوافق على النشاطات السياسية لآية الله الكاشاني ونواب صفوي، كان بعض مؤيدي آية الله البروجردي يبررون هذا الموقف بقولهم إن الوقت الآن هو لبناء الحوزة واستحكامها وأن مثل هذه النشاطات تحسب على الشيعة.. من الممكن أن يظهر شقاق ما بين أهل السنة والشيعة وهو ليس لصالح الحوزة في الوقت الراهن.

كان يعتقد بضرورة وجود إتحاد ما بين السنة والشيعة. كان يقول البعض من مخالفيه والقشريين المتواجدين في كل زمان ومكان، إن أفكاره مستلهمة من دراسته عند آية الله السيد محمد باقر درجه اى. يقال إن السيد درجه أي حينما كان يتناول الحديث عن الأئمة يبدأ بالتوحيد ثم يتحدث عن التوسل بالأئمة في خضم التوحيد ولهذا كان يدعي بعض المنحرفين بأن عقائده الدينية الولائية ضعيفة.

سمعت أنهم أرسلوا فقيراً ليعترض طريقه، وعندما أعطاه السيد درجه أي بعض النقود، قال مبتهلاً له بالدعاء: (ليحفظك سيدنا العباس)، فأجابه السيد: «عليك أن تقول ليحفظك الله بحق أبي الفضل العباس»، وكان يكرر دوماً لأصحابه: «اجعلوا حصة للباري تعالى».

من خطواته الهامة أن الشاه كان يطالب بتغيير الخط الفارسي والكتابة بالخط اللاتيني، ولكن آية الله البروجردي كان من مخالفيه.

ومن ناحية أخرى كان يتم إرسال بعثات من الطلاب إلى المدن والدول الأخرى بشكل منظم لأجل تبليغ الدعوة ونشر الإسلام، وقد وفر هذا العمل أرضية جيدة لحركة الثورة، لأن في هذه الفترة كانت وسائل

الإعلام بالمجتمع ليست متاحة للحوزة. ولتفعيل وجودهم في المحافل والمجالس العلمية، كان الطلاب ينقلون المعلومات الهامة لكل الشعب.

بعض مؤلفاته:

- حاشية على كفاية الأصول.
- المهدي في كتب أهل السنة.
- الآثار المنظومة، أنيس المقلدين.
- مجمع الفروع، مناسك الحج.
- جامع أحاديث الشيعة.
- مستدرك فهرس منتخب الدين.
- تجريد أسانيد الأماني.
- تجريد أسانيد الاستبصار.

وتعطل كل شيء بإعلان وفاة آية الله البروجردي في الثلاثين من مارس/آذار ١٩٦١م، وجاء إلى مجالس العزاء في قُم العديد من وفود المعزين من كافة أنحاء إيران. وتألم الإمام الخميني برحيل السيد البروجردي حيث نقل الحاج السيد مصطفى حين وفاة آية الله البروجردي «كنت أسمع صوت بكاء الإمام في فناء منزله».

٣ ـ **سيد مجتبى ميرلوحي المعروف** بـ (نواب صفوي) ولد في طهران (١٩٢٤ ـ ١٩٥٧م). عمل بشركة النفط بعد إتمامه الدراسة في المدرسة الصناعية، وانتقل إلى مدينة (آبادان)، ولم يكن مرتاحاً من أوضاع العمال المأساوية. وكان قد كُتِب على بعض مداخل (آبادان) عبارة «ممنوع الدخول للإيرانيين والكلاب» الأمر الذي

تسبب في استيائه. بدأ في العمل ضد النظام وعقد جلسات دينية للعمال وعرفهم بالدين. وبسبب نشاطه ضد النظام وضع تحت مراقبة مسؤولي الأمن، ولنفس السبب انتقل من (آبادان) هارباً إلى العراق، وبسبب ولعه منذ الصغر بالعلوم القديمة، اندفع للدراسة في حوزة (النجف الأشرف) العلمية. قرأ هناك كتاب التشيع لكسروي وتأثر به، قدم إلى إيران لمناقشة ومجادلة كسروي. وبعد عدة جلسات أيقن بأن كسروي يقصد تخريب الدين. وعلى هذا الأساس قرر القصاص منه وقتله، ولكنه لم يوفق، وقبض عليه وزج به إلى السجن، وبعد أن أفرج عنه شكل «جماعة فدائيي الإسلام».

وكان إغتيال أحمد كسروي ومن بعده المشير علي رزم آرا وحسن علي منصور، من أعمال هذه الجماعة.

سافر نواب صفوي إلى خارج إيران. وألقى العديد من المحاضرات في الجامعات المصرية. سمعت أنه في لقاء له مع ياسر عرفات ـ الذي كان حينها طالباً يدرس في مصر ـ وسأله ما العمل الذي يمارسه؟ فأجابه عرفات قائلاً: «طالب أدرس هندسة الطرق والعمارة». فقال له نواب صفوي: «الإحتلال الإسرائيلي احتل طرق بلادك فما فائدة هذه الدروس؟! ما الذي تفعله هنا»؟! فرد عرفات عليه بعد أن سمع كلامه أنه قرر العودة إلى بلاده والكفاح لتحريرها.

٤ ـ **مؤلفات آية الله السيد محمد طباطبائي** عبارة عن:

- رسالة في براهين إثبات الواجب.
- رسالة في فضل مسجد الكوفة.
- رسالة في حكم تبضع البضع وكلام مع ثاني الشهيدين.

- رسالة تكلم فيها مع أرباب التنجيم في أحكام المواليد.
- رسالة في أحكام الرضاع.
- رسالة في أسرار الأشكال للخاصة، والمنسوبة إليه.

تم جمع عدد من هذه الرسائل وطبعت بطريقة الأوفست في مجلد واحد تحت عنوان (مجمع الفوائد) بفضل جهود والدي عام ١٤٠٦هجرية.

٥ ـ كان **علي أصغر خان** هو الاسم الحقيقي لأتابك أعظم والذي اشتهر باسم أمين السلطان. وفي سن الثامنة والعشرين صار رئيس وزراء إيران. سمعت من الدكتور كني أن: «أمين السلطان كان جسوراً في الوقت الذي كان ناصر الدين شاه لا يتحمل هيبته. ذات يوم أرسل إليه ناصر الدين شاه رسالة وسمعت أن مضمونها أن عمال الديوان يبتزون الشعب ويطلبون الرشاوى. فرد عليه أمين السلطان: «إن روحي فداء لتراب قدمك، إن عمالي طاهروا اليد والسريرة، وأن ما يستلمه الخدم هو عبارة عن (بخشيش)، وما يأخذه الخدم المتوسطون ليس إلّا مكافأة وما استلمه أنا فهو هدية وما يقدم لسموكم فهو تقديم».

٦ ـ **الدكتور محمد مصدق** (١٨٨٢ ـ ١٩٦٦م) من أبرز السياسيين ورجال الدولة الإيرانيين، كان نائباً في مجلس النواب لعدة دورات، وأيضاً رئيساً للوزراء. سافر إلى فرنسا عام ١٩٠٨ لأجل تحصيل العلم وبعد أن أنهى تعليمه في مدرسة العلوم السياسية في (باريس) توجه إلى سويسرا ليحصل على درجة الدكتوراه في الحقوق من إحدى الجامعات هناك وهي جامعة نوشاتل.

كان مصدق نائباً في مجلس الشورى في دورته الأولى عن مدينة

أصفهان، وأصبح مرة أخرى نائباً في المجلس عن طهران في دورته السادسة عشر. في هذه الدورة قاوم الضغوط التي فرضها الإتحاد السوفياتي للحصول على إمتياز النفط في شمال إيران، وصادق على قانون يمنع الحكومة من التفاوض مع الروس ما دامت القوات الاجنبية في إيران.

وفي عام ١٩٤٩، أسس الدكتور مصدق وبمعاونة زملائه أمثال أحمد ملكي، وحسين فاطمي، والدكتور كريم سنجابي، والمهندس أحمد زيرك زاده، والدكتور سيد علي شايكان «الجبهة الوطنية الإيرانية».

إن تكثيف النشاط السياسي لا سيما بعد أيلول ١٩٤١ أدى إلى انتباه الشعب للأتفاقية النفطية.

أبطلت إنتخابات الدورة السادسة عشر لمجلس النواب الإيراني الخاصة بدائرة مدينة طهران بعد تدخل الشاه والبلاط.

وفي المرحلة الثانية للإنتخابات وصل الدكتور مصدق لمجلس النواب. ووضع مصدق لائحة تأميم النفط في جدول أعماله وقرر تأميم صناعة النفط الإيرانية. وعلى هذا المنوال وفي السابع عشر من مارس ١٩٥١ تم إصدار قانون تأميم النفط بموافقة مجلس النواب الإيراني، وفي التاسع عشر من مارس لنفس العام صادق عليه مجلس الأعيان ثم وقعه الشاه. وأصبح هذا اليوم يدعى باليوم الوطني لصناعة النفط.

إن طرد شركة النفط البريطانية أثار سخط بريطانيا التي اشتكت إيران إلى مجلس الأمن الدولي التابع لمنظمة الامم المتحدة. توجه دكتور مصدق إلى نيويورك للدفاع عن حقوق إيران. وبعد ذلك توجه إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي وانتصر في إثبات حقوق الأمة الإيرانية.

بتاريخ ١٩ أغسطس عام ١٩٥٣ في الوقت الذي كانت فيه محكمة العدل الدولية في لاهاي تتخذ قرارها بشأن الدعوى التي رفعتها بريطانيا بخصوص ما تمثل لها من اعتداء على مصالحها النفطية في إيران، ذهب الدكتور مصدق والوفد المرافق له في وقت أبكر من وقت المحكمة ـ في الوقت الذي كانت مقاعد المشاركين محددة ومعينة ـ ذهب الدكتور مصدق وجلس على مقعد مندوب بريطانيا. وقبل بدء الجلسة الأولى، قيل مرتين لمصدق أن هذا هو مقعد مندوب بريطانيا وأن مقعدك هناك، ولكن مصدق لم ينصت له وظل جالساً على نفس المقعد. في بداية الجلسة كان المندوب البريطاني ينتظر الدكتور مصدق لينتقل إلى مكانه حتى يجلس هو على المقعد المخصص له لكن مصدق لم يأبه، فخاطب القاضي الدكتور مصدق قائلاً إنك تجلس في المكان المخصص لمندوب بريطانيا وأن محلك هناك. فقال مصدق: «سيادة القاضي حضرتك تعتقد أني لا أعلم بمكان مقعدي؟ ومقعد مندوب بريطانيا؟.. لا سيدي الرئيس، أعلم جيداً أين مكاني. ولكن سبب جلوسي على مقعده لبضعة دقائق لكي يعلم الأصدقاء معنى الجلوس مكان الآخرين ومغزاه؟ أن الانجليز يعسكرون في بلدنا منذ سنوات ونسوا أن إيران أرض آبائنا وأجدادنا وليست أرضهم هم».....

وبعد أن أنهى الدكتور مصدق خطبته وجلس على كرسيه خيم صمت على القاعة تحت وقع كلماته، وحكم القاضي الذي كان بريطانياً، أيضاً ضد بريطانيا.

في ١٩ أغسطس ١٩٥٤م أُسقطت حكومة مصدق بضغوط من الحكومتين البريطانية والأمريكية.

وصل المتآمرون إلى بيت مصدق. وبعد عدة ساعات من معركة دامية، أغاروا على بيته وأشعلوا فيه النيران. في اليوم التالي سلم الدكتور

مصدق ورفاقه انفسهم إلى حكومة الإنقلاب العسكري بزعامة قائد الجيش الجنرال زاهدي.

دافع مصدق عن نفسه بعد هذا الإنقلاب في محكمة عسكرية. وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات. وبعد الإفراج عنه وُضع تحت الإقامة الجبرية في منزله في (أحمد آباد) ودفن هناك عند وفاته في ٤ مارس ١٩٦٦م.

٧ ـ الآثار العلمية لآية الله **صدر الدين الصدر** عبارة عن:

- المهدي (عدة طبعات).
- خلاصة الفصول.
- الحقوق (نفس رسالة الحقوق للإمام السجاد).
- مختصر تاريخ الإسلام.
- حاشية العروة الوثقي.
- حاشية وسيلة النجاة.
- رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- سفينة النجاة (فقه فارسي).
- رسالة في التقية.
- رسالة في حكم ماء الغسل.
- رسالة في الحج.
- رسالة في شؤون الزواج.
- منظومة الحج.
- منظومة في الشؤون اليومية.
- رسالة في حقوق المرأة.

- حاشية كفاية الأصول.
- رسالة في أصول الدين.
- رسالة في الرد على اتهامات الوهابيين.
- رسالة في إثبات عدم تحريف القرآن.
- لواء محمد، في أخبار الخاصة والعامة ٢/١.
- مدينة العلم ٦/١ (في أخبار أهل العصمة).
- ديوان أشعار.

فضلاً عن عدد آخر من المؤلفات لم يتم طبعها.

٨ ـ آية الله **السيد حسن قُمي**، كان من العلماء المجاهدين من أجل الثورة، ومن المعارضين لنظام الشاه. في عام ١٩٦٣م أُبعد في نفس الوقت الذي أُبعد فيه الإمام الخميني. وبعد الثورة، ابتعد عن رجال الثوار. عندما غادر الإمام مستشفى القلب. مكث في منزل أحد أصدقائه في شارع (دربند) لأجل النقاهة. ذات ليلة كان يقول: «اليوم جاء لزيارتي آية الله القُمي خال أمّك المحترم، وطالبني بمنع المرأة من العمل». سألته: «وما كان جوابك»؟ فرد الإمام: «قلت له هذا العمل ليس من مصلحتنا وليس ممكناً». واستكمل قائلاً: «ألديك توصية أخرى؟ حول إلغاء الربا من البنوك». وأجاب عن هذا الطلب قائلاً: «بالقطع، فهذا عمل واجب وضروري، ولكن بالتأكيد، فإن مثل هذا العمل العظيم لا يتم في ليلة واحدة». قلت للمختصين ان ينجزوا برنامج تخطيطي لتنفيذ هذه الرؤية.

٩ ـ **الحاج السيد محمد طباطبائي**، عم والدتي، وبجهوده تم إنجاز مسجد المتحف في قُم ومسجد السيد محمد في (سامراء) والذي

بذل جهوداً كبيرة لبنائه. وكان يتردد إلى هناك باستمرار لمتابعة عمليات البناء. وقد مرض بسبب دخول الغبار إلى رئتيه ومجاري التنفس. يروى أنه في إحدى سفراته وفي طريق مسجد السيد محمد في (سامراء)، فقال: «تهت في وسط الصحراء ولا يوجد ماء ولا طعام لي. وغلب عليّ الضعف ولم أكن أملك أي شيء لأفعله. وفكرت مع نفسي أن آتي إلى هنا وأصير طعاماً للحيوانات. فجأة فتّحتُ عيناي لأجد نفسي سقطت في حفرة في الصحراء. فقررت النوم في تلك الحفرة حتى تصبح قبري. وما أن بدأت في النوم شاهدت العديد من الشجيرات المحملة بفواكه صغيرة أطراف الحفرة، فمددت يدي وقطفت الفواكه وأكلتها، فتحسن حالي واستعدت عافيتي وواصلت الطريق إلى المدينة».

أتذكر عندما كنت طفلة أنه كان يردد العديد من القصائد أتذكر منها ما يلي:

نحروا أحد الحجاج وقطعوا رأسه من الخلف

ويقال أنه ذات مرة كان هناك حاج يسمى أبي طالب قد دخن سيجارة في المسجد الحرام، فقُبِض عليه لعدم إحترامه حرمة المسجد الحرام، وكانت عقوبته الموت.

١٠ ـ مؤلفات آية الله **السيد رضا الصدر**:

- تفسير سورة الحجرات (تفسير جديد وأخلاقي).
- حُسُن يوسف (تفسير سورة يوسف في وحي القرآن).
- رسالة في علوم القرآن.
- محمد (ص) في القرآن

- المسيح في القرآن (ترجمه حجّة الإسلام علي حجتي إلى الفارسية).
- الإجتهاد والتقليد (فقه إستدلالي).
- أربعون ومأتا مسألة فقهية (عرض مئتان وأربعون سؤالاً في الفقه والإجابة عنها في صورة إجتهادات. تم تأليفه في فترة كان الفقه غير منتشر وفي يد القلة).
- إرث الزوجة.
- التعليقة على العروة الوثقى (مناظرات فقهية في مقدمة لكتاب العروة الوثقى كتبه المرحوم السيد كاظم اليزدي).
- رسالة في الأجزاء.
- رسالة في حكم نجاسة الباطن.
- رسالة في الشبه العبائية.
- رسالة في مقدمة الواجب.
- رسالة في ملاقي لأحد أطراف الشبهة المحصورة.
- رسالة في العدالة في الفقه.
- الفقه على مذهب أهل البيت
- كتاب الصلوات.
- القواعد الثلاث: قاعدة الفراغ والتجاوز والحيلولة.
- نفائس الأصول في مجلدين.
- تعقب آثار فقه الشيخ الطوسي.
- برهان صديقين.
- حاشية عن الأسفار.

- صحائف في الفلسفة (حاشية على منظومة الحلاج لمُلّاهادي السبزواري).
- فلسفة حرة.
- الفلسفة العليا.
- الاستقامة.
- الحسد
- الكذب
- بطلة كربلاء (ترجمة شرح زينب الكبرى (ع) عن الكاتبة المصرية المشهورة بنت الشاطىء)
- زعيم الشهداء (شرح حياة الإمام الحسين (ع) من المولد حتى الشهادة).
- طريق عليّ (ع)
- طريق محمد (ص) (مجلدين).
- طريق المهدي (عجل الله فرجه).
- إسلامنا (تعريف الإسلام بلغة بسيطة).
- الجهاد والثورة.
- خليفة رسول الله.
- خواجه نصير الدين الطوسي.
- الصدق والكذب.
- ديوان شعر.
- المرأة والحرية.
- زيارة الحج للإمام الرضا (ع).

- سبد (مجموعة من المطالب المتنوعة).
- أحاديث آئمة الشيوعية عن الله
- الرجل الوفي.
- مقدمة غاية المرام.
- مقدمة رسالة العلماء.
- مقدمة نهج الحق للعلامة الحلي.
- يوم الإنسانية (بخصوص حديث الغدير).

١١ ـ في سنة ٢٠٠٩م ذهبت إلى بيروت والتقيت **عائلة شرف الدين.** وقالوا لي: «إن العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين، وُلد في مدينة (الكاظمية) بالعراق سنة ١٢٩٠ هجري قمري، والده السيد يوسف من كبار علماء الدين، ووالدته كانت سيدة معروفة من عائلة الصدر. وفي البداية كان يدرس على يد والده ثم أرسل إلى (النجف الأشرف).

في الثانية والثلاثين من عمره حصل على درجة الاجتهاد وكان مفكراً وعالما بأمور الزمان. في عام ١٣٢٩ هجري قمري، توجه إلى مصر والتقى بالشيخ سليم البشري المالكي رئيس جامعة الأزهر، وتكاتب العالمان الكبيران وتباحثا، وكانت أول أنشطتهما في طريق وحدة صف المسلمين تأليف كتاب الفصول المهمة في تأليف الأمة.

وكان هو أول عالم شيعي يؤم المسلمين في صلاة جماعة في المسجد الحرام.

سافر السيد شرف الدين إلى إيران في عام ١٩٣٦م. واختار الإقامة في منزل آية الله السيد صدر الدين الصدر وتشرف بزيارة مدينة (مشهد).

في ألبوم صور عائلة خالتي (السيدة رباب الصدر) والتي أصبحت زوجة حفيد شرف الدين، رأيت صورة تجمع المرحوم شرف الدين مع آية الله السيد محسن الحكيم، وآية الله كاشاني. أوضح زوج خالتي الأستاذ حسين: «جاء آية الله حكيم من النجف الأشرف إلى لبنان للزواج، وتزوج بفتاة من آل بزي لأسرة من بلدة بنت جبيل (خالة العلامة المرحوم السيد محمد حسين فضل الله) وعقد قرانهما آية الله شرف الدين».

وقال الأستاذ حسين بشأن مواصفات جده الأخلاقية: «كان ذا خلق حميد، ومضياف، ومن أهل التهجد، والمقيمين لصلاة الليل. كان يكلم الناس على قدر عقولهم وكان شغوفاً بالقرآن الكريم وينصح الآخرين بقوله: «وطّدوا علاقتكم بالقرآن»، وفي أواخر حياته، قال لي: «أتمنى لو قضيت كل حياتي بدراسة القرآن»!

ومما نقل عنه أنه كان ينصح باعة المواد الغذائية قبيل حلول شهر رمضان الفضيل بضرورة رعاية حرمة هذا الشهر ومكانته.

أنقل ذكريات شيقة عن الأستاذ حسين سمعتها حول جده: «تم نفيه من مدينة صور في لبنان بسبب مخالفته للاحتلال الفرنسي، وبعد فترة من النفي سمحت الحكومة الفرنسية للمبعدين بالعودة إلى مدنهم، لكنه حين عودته وصل إلى العاصمة بيروت وعلم بأن العديد من المبعدين لم يعودوا، فتوقف فيها وأعلن بأنه لن يعود إلى مسقط رأسه في جبل عامل حتى يرجع كافة المبعدين[١]، وبعد أن تم إطلاق سراح جميع المبعدين، عاد إلى جبل عامل، فاستقبله أصدقاءه وأبناء قريته استقبالاً حاشداً ونظم له الشعراء قصائد رنانة».

---

(١) مدينة صور التي هي مقر إقامة السيد شرف الدين، تبعد عن العاصمة بيروت حوالي (٩٠ كلم) [الناشر].

«كان يدقق في اختيار الكلمات والعبارات بشدة. كان أحياناً يذكر موضوعاً فأكتبه، وبعد فترة يناديني ليقول: «غيّر هذه الكلمة أو استعض بهذه بدلاً من تلك لأنها أكثر دقة وانسجاماً من حيث المعنى». في بحوث الترادف كان يؤمن: «حيث أن شعور الواضع في وضع المفردات يلعب دوراً، فلا معنى للترادف».

ينقل الأستاذ حسين بأنه: «في صبيحة أحد الأيام وقبل ذهابي إلى المدرسة، ذهبت إلى بيت جدي، ورأيت هناك امرأة عجوزاً بيدها أوراق نقدية نصف محترقة وهي تقول بإنزعاج: «كانت عندي خمسون ليرة ووقعت في النار واحترقت». وحينما رآني الجد قال: «اذهب إلى دكان الحاج عوض! وإذا لم يكن هناك اذهب إلى بيته واقترض منه خمسين ليرة بإسمي». (السيد مع كل الكرم والسخاء الذي كان يتمتع به لم يكن يحمل نقوداً معه بتاتاً) أخذت قطعة الورقة النقدية من العجوز ورأيت بأن أرقام تسلسل الورقة موجودة فذهبت واستبدلتها بنقود جديدة وعدت وقلت لجدي: «هذه نقود العجوز»، سألني: «كيف»؟ فشرحت له القصة، ثم قال: «مهما كبُر الإنسان يبقى يتعلم» أي إن الإنسان يبقى بحاجة إلى التعلُّم مهما كبُر سنّه. ثم رفع يده إلى السماء وقال: «خلّصك الله من نار جهنم كما خلّصتني من ذُلّ القرض».

العلامة شرف الدين فضلاً عن نشاطه السياسي، كان يهتم بتأليف الكتب، وأن العديد من مؤلفاته المخطوطة احترقت على يد الفرنسيين وفقدت خلال أيام كفاحه من أجل استقلال لبنان، وفي خضم فترة هجرته. ورغم ذلك بقيت من مؤلفاته كتب خالدة قلّ مثيلها، تعتبر اليوم من المفاخر العلمية للعالم الإسلامي والفكر الشيعي وهي:

- الفصول المهمة في تأليف الأمة: (يتناول البحوث الخلافية بين الشيعة والسنة، مترجم إلى الفارسية).

- أجوبة في مسائل جارالله: (كتاب صغير في صفحاته كبير في محتواه يرد فيه على عشرين مسألة تخص الشيعة».
- الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء.
- فلسفة الميثاق والولاية.
- المجالس في مأتم العترة الطاهرة: (في هذا الكتاب فلسفة الحداد على الإمام الحسين (ع) والأسرار التي دفعته للشهادة).
- ثبت الإثبات في سلسلة الرواة.
- بغية الراغبين.
- مسائل فقهية.
- كلمة حول الرؤية في مسائل الاعتقاد.
- مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام.
- زينب الكبرى.
- إلى المجمع العلمي العربي بدمشق: (في هذا الكتاب يبحث في بعض الشبهات المثارة حول الإمامية ونسبها مع رئيس المجمع العلمي بسوريا).
- أبو هريرة.
- النص والإجتهاد (ترجمه للفارسية الاستاذ علي دواني).
- المراجعات.

يقول السيد شرف الدين حول «المراجعات»: «أهدي هذا الكتاب إلى كل المفكرين والباحثين و.. إلى كل محقق ثاقب الرأي يعيش حياة العلم». ثم يضيف: «استفدت في هذا الكتاب من الروايات والنصوص الصريحة والواضحة. لو وقع الكتاب بيد المنصفين فقد نلت مبتغاي». ثم

يقول: «أما أنا فمستريح ـ والحمدلله ـ إلى هذا الكتاب راضٍ عن حياتي بعده».. ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية محمد جعفر إمامي.

السيد شرف الدين انتقل إلى رحمة الباري تعالى في أواخر عام ١٩٥٧م في الثامن من جمادي الثاني سنة ١٣٧٧ هـ. ق في مدينة بيروت، وبعد تشييع مهيب في بيروت في اليوم الأول من عام ١٩٥٨م تم نقل جثمانه الشريف ـ حسب وصيته ـ إلى مدينة النجف الأشرف ودفن في أحد مقابر حرم الإمام علي (ع) عند باب الطوسي.

سمعت عن آية الله جوادي آملي أنه حينما توفي آية الله شرف الدين ظن تلاميذ الإمام الخميني بأن سماحته سوف يعطل الدروس والمحاضرات، لكنهم شاهدوا بأنه جاء إلى محل المحاضرة واستقر في مكانه ليتحدث حول مناقب آية الله شرف الدين ويصفه بأنه هشام زمانه ويوصى الجميع بالمشاركة في مجالس التأبين.

ألف الأستاذ محمد رضا حكيمي كتاباً تحت عنوان (شرف الدين) تطرق فيه إلى هذه الشخصية الفذة، كما ألف الدكتور محمد عبد الله شرف الدين والأستاذ حسين شرف الدين ـ حفيدا الفقيد ـ كتاباً بعنوان «جبل عامل والإمام شرف الدين».

[وصدرت عن دار المؤرخ العربي في بيروت موسوعة من ١١ مجلداً تضم جميع مؤلفات الإمام بعنوان: «موسوعة الإمام عبد الحسين شرف الدين»].

١٢ ـ مؤلفات الإمام موسى الصدر:

البعض منها مطبوع تحت عنوان مسيرة الإمام السيد موسى الصدر في اثني عشر مجلداً وبعضها مترجم إلى الفارسية ومطبوع من قبل مؤسسة الإمام موسى الصدر للأبحاث والثقافة في طهران.

نسرد أدناه عناوين بعض مؤلفات الإمام موسى الصدر:

- الإسلام والتربية المدنية.
- الإسلام والتطور.
- الإسلام والعبادات.
- المعاملات الجديدة في ضوء الفقه الإسلامي.
- تأملات حول بعث تعاليم الإسلام.
- الإسلام وثقافة القرن العشرين (الكتاب مترجم إلى الفارسية بقلم حجّة الإسلام علي حجتي كرماني ومرفق بايضاحات).
- الاقتصاد في الفكر الإسلامي (مجموعة مقالات مطبوعة في الأعداد الأولى لمجلة مكتب الإسلام).

١٣ ـ **أبناء خالتي «فاطمة»** على الرغم من الصعوبات التي تحمَّلوها في العراق إبّان حكومة صدام، إلّا أنهم يواصلون دروسهم في قُم المقدسة بمعنويات عالية وإيمان راسخ، ويرون كل شيء جميلاً. وإلى جانبهم يدرك الإنسان جيداً العبارة المعروفة للسيدة زينب (ع) والتي تقول: «ما رأيت إلّا جميلاً».

وأنقل هنا خاطرة من ذكرياتي معهن: في عام ٢٠٠٥م ذهبت بنات خالتي «فاطمة» مع مجموعة من قريباتهن إلى مدينة مشهد المقدسة، وحينما عدن سألتُ إحدى القريبات عن الزيارة وهل كانت ممتعة؟. فقالت: «لا، كان الحرم مزدحماً وكنّا ندخله بصعوبة وكان الحر يؤذينا بشدة». وحينما سألتُ بنات خالتي عن الزيارة أجبن: «نعم كانت بفضل الله جيدة جداً». اندهشت وسألتُ: ألم يكن الطقس حاراً؟ فقلن: «نعم.. وهذا أمر عادي، فالطقس حار في الصيف ولكن بيتنا كان مكيفاً». سألت: هل كان الحرم مزدحماً؟ قلن: «نعم.. فالحمدلله زوار الأمام الرضا (ع) كثيرون جداً، وأن أبناء الشعب الإيراني يعرفون مكانة أهل

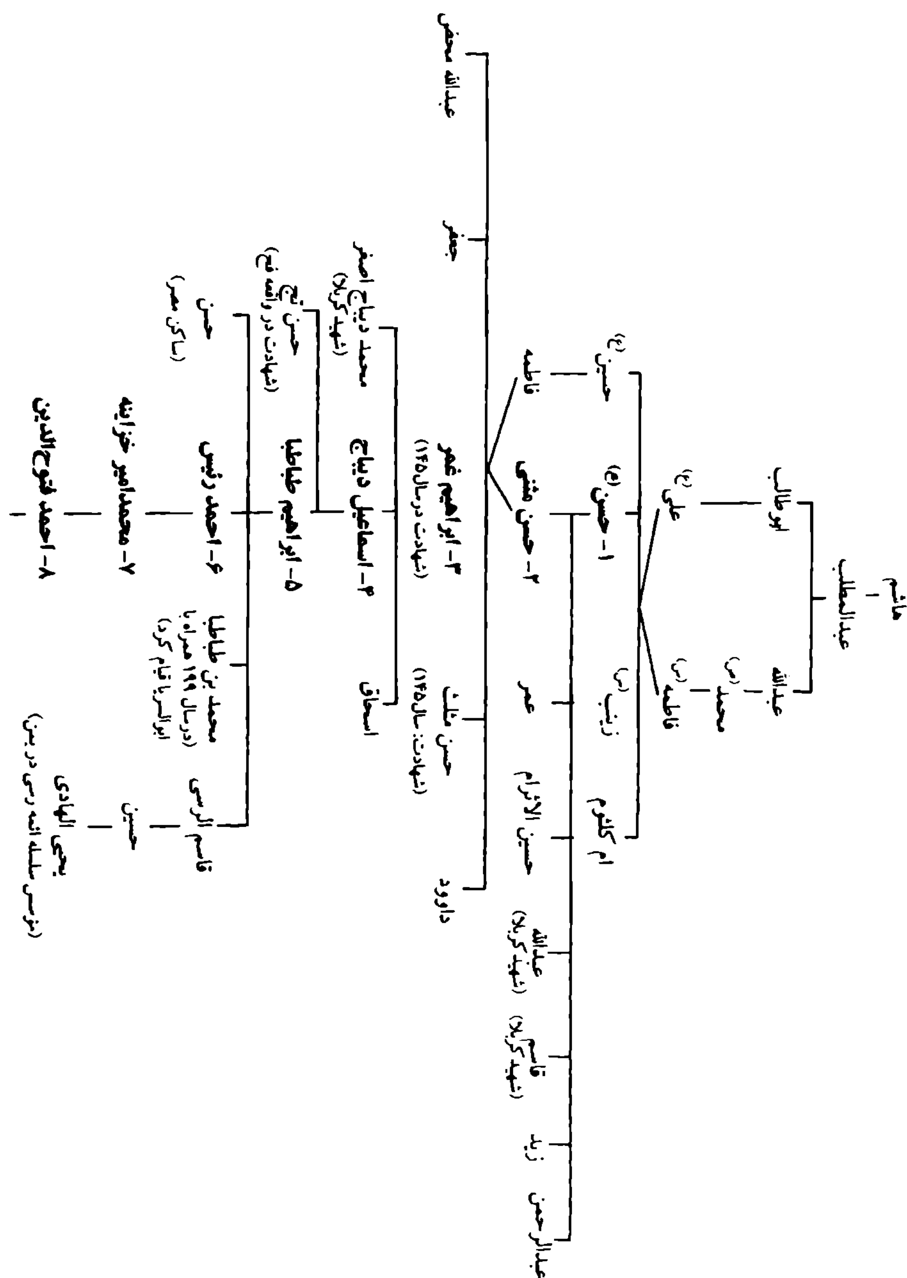
البيت (ع) ويعشقونهم ويزورون مراقدهم». في تلك اللحظة أدركت مدى الاختلاف في الانطباع والنظرة، فهن يرين شدة الازدحام بسبب عشق الناس لأهل البيت ويبدين إعجابهن بذلك.

١٤ ـ في إحدى الليالي جاء **السيد هادي عبادي** زوج خالتي إلى بيتنا، واستفسرت خالتي عن أحوال ابن عمها المريض الذي كان يعيش معها. فذكر السيد عبادي شرحاً موجزاً عن حاله. فقالت الخالة: «يجب أن تبتعدوا عنه لأن مرض اليرقان معدي». فقال السيد عبادي: «لقد راجع الطبيب ولم يشخص الطبيب المعالج هذا المرض». فطلبت الخالة أن يراجع طبيباً آخر وأن تبتعدوا عنه حتى حصول النتيجة، مؤكدة على ضرورة غلي ملابسه وأوانيه و... وحينما قام بمراجعة الطبيب المختص تبين أن رأي الخالة التي لم تقرأ شيئاً من علم الطب هو الصائب.

السيدة خالتي كانت صاحبة ذوق وخبرة، حينما كانت في التسعين من عمرها، رأت ثوب عرسي وعرضت تصميماً رائعاً لخياطته. كانت ترسم أحياناً تصميماً على القُماس وتعلمني تطريزه. تناولتُ شراباً بطعم البرتقال لأول مرة من يدها خلال الصيف وكان بنكهة لذيذة جداً، وكانت تخلط مسحوقاً بالماء البارد وتصنع منه شراباً. كما رأيت فاكهة «الخرمة» لأول مرة في بيتها، ففي تلك الأيام وبسبب قلة وسائط النقل وبُعد المسافات والشوارع المهدمة، كان الناس يتناولون الفاكهة التي تزرع في منطقتهم، ولم يكن نقل الفاكهة من بلد إلى آخر أمراً يسيراً.

كانت خالتي سخية، وحينما تقرر الذهاب إلى مكان مّا، كان سائقو العربات يتنافسون في نقلها لأنها كانت تدفع البخشيش فضلاً عن الأجرة المقررة.

شجرة النسب لأُسرة الطباطبائي البروجردي التي تعود للإمام الحسن المجتبىٰ (ع)



٩- محمد

١٠- علي

عمادالدين علي (جد بخشی از سادات تبریز و اورنق انزاب) — قاسم — ١١- طاهر — حسن — حسين معروف به نقيب

١٢- حمزه

١٣- علي — ابي المجد (جد طباطبايی‌های میرزا زکی اردستانی)

حسن (جد طباطبايی‌های اردکان يزد) — ١٤- عباد

١٥- ابي المجد احمد — حسن (جد سادات روحانی طباطبايی زواره)

١٦- عباد — عمادالدين محمد (جد سادات طباطبايی سمنان و میرزا هادی شیراز)

١٧- ابي‌المكارم علي

كمال الدين حسن (جد سادات منسوب به میرزا رفیعا نائینی و میرزا شفیع زواره‌ای و جمعی از سادات ماهان کرمان) — ١٨- عباد

١٩- اسماعيل

٢٠- قوام الدين محمد — حسن (جد بخشی از سادات زواره و تعدادی از سادات طباطبايی تبریز)

٢١- مجدالدين علي

۲۲- حسن

۲۳- جلال‌الدین امیر

۲۴- شاه اسدالله — حسن (جد سادات بنی‌طبا جشوقانی)

۲۵- شاه مراد

(جد طباطبایی‌های کربلا) امیر سید ابوالمعالی کبیر — ۲۶- عبدالکریم — سید نورالدین (جد بخشی از طباطبایی‌های یزد) — امیر سید علی حکیم (جد طباطبایی‌های حکیم در نجف)

میرابوطالب — ابوالمعالی صغیر

سید محمد علی

سید علی طباطبایی (صاحب *ریاض المسائل*)

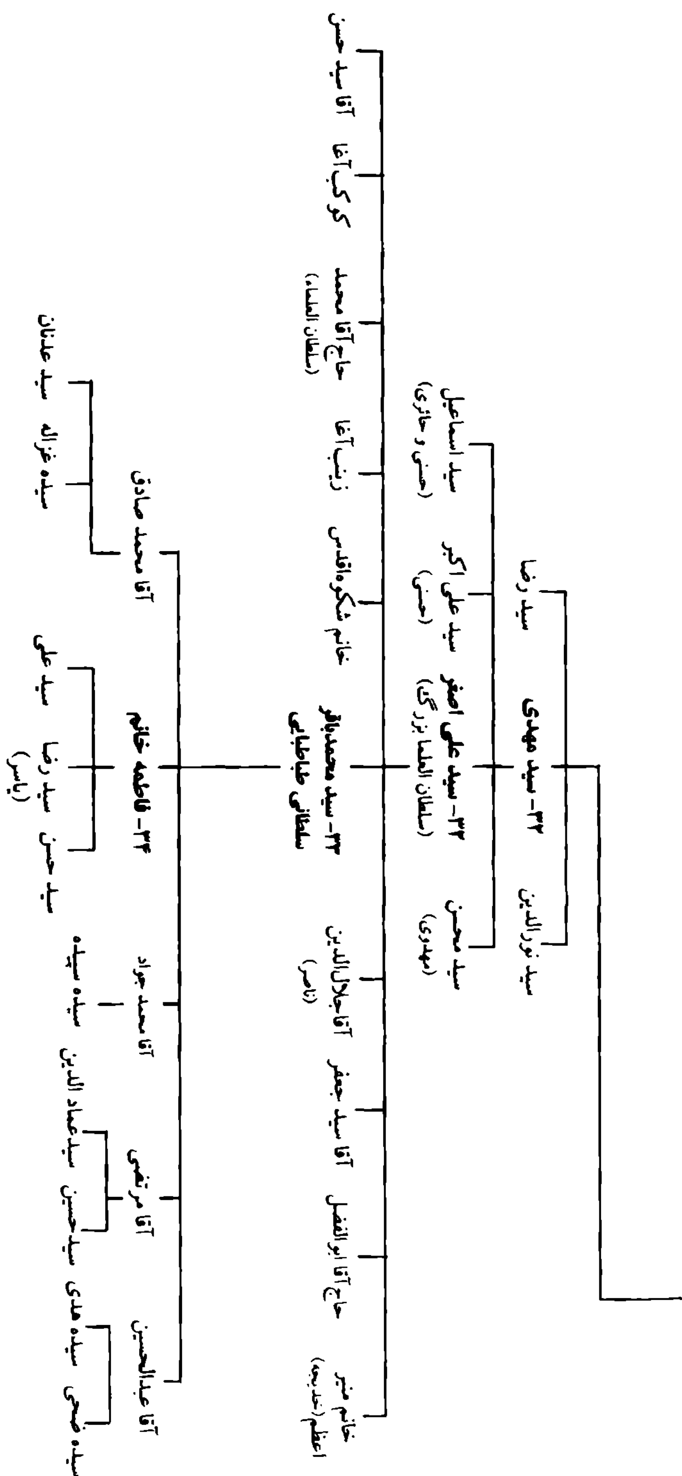
۲۷- سید محمد النجفی الاصفهانی البروجردی

بی‌بی طیبه (همسر وحید بهبهانی استاد کل) — سید رضا — ۲۸- مرتضی — سید رضی (فضلی طباطبایی) — سیدعلی (علوی، ثقة الاسلامی، اولیایی، مظفری)

دختر (همسر سید احمد الحلاوی) — ۲۹- جواد — سید باقر — علامه سید مهدی بحرالعلوم (جد بحرالعلومی‌های بروجردی مقیم عراق)

بی‌بی خورشید همسر حاج مولا اسدالله (حجت‌الاسلام) — سید هادی (یثربی) — سید محمد (محمدی) — سید عسگر — ۳۰- علی نقی — سید حسین (مصطفوی) — سید محمدعلی طباطبایی — سید مرتضی

۳۱- میرزا ابوالحسن — بی‌بی آمنه همسر سید محمدعلی علوی — میرزا احمد (احمدی- متقی) — میرزا ابوالقاسم (ضیائی) — میرزا محمود (حجت‌الاسلام صاحب مواهب) — میرزا ابوتراب


سيد نورالدين
٣٢- سيد مهدى
سيد رضا
سيد محسن
(مهدوى)
٣٢- سيد على اصغر
(سلطان العلما بزرگ)
سيد على اكبر
(حسنى)
سيد اسماعيل
(حسنى و حائرى)
خانم منير
اعظم(خديجه)
حاج آقا ابوالفضل
آقا سيد جعفر
آقاجلال‌الدين
(ناصر)
٣٣- سيد محمدباقر
سلطانى طباطبايى
خانم شكوه‌اقدس
زينب آغا
حاج آقا محمد
(سلطان العلماء)
كوكب آغا
آقا سيد حسن
آقا عبدالحسين
آقا مرتضى
آقا محمد جواد
٣٤- فاطمه خانم
آقا محمد صادق
سيده ضحى
سيده هدى
سيدحسين
سيدعماد الدين
سيده سپيده
سيد حسن
سيد رضا
(ياسر)
سيد على
سيده غزاله
سيد عدنان

الفصل الثالث

أيام حلوة

الوالدة تنفي


والدة المؤلفة السيدة صديقة الصدر

بعد فترة وجيزة من عودتنا إلى إيران، جاء السيد أحمد لرؤية والدي. أمي سألت أبي: «كيف كان؟ يشبه مَن؟»، فابتسم أبي ابتسامة فيها علامة الرّضا وقال: «يشبه نفسه». فسألته أمي مرة أخرى: «يشبه مَن أكثر من غيره؟ كيف هو طوله وشكله؟»، فأجاب أبي: «لا أدري لمن يشبه، لكنه جيد». أما أنا فكنت مهمومة جداً بسبب عدم الذهاب إلى الثانوية. لم تكن لدي أية رغبة في الاستماع لهذا الحوار، بل كنت أستمع لحديثهم دون اهتمام. بعد أيام من لقاء السيد أحمد بوالدي، جاءت أخوات أحمد لزيارتنا. أسلوب تعاملهن وكلامهن كان محبوباً.

في هذه الأيام، شاع بين الأصدقاء والأقارب خبر عن خطوبتي مع السيد أحمد بشكل واسع. بعض الأصدقاء الذين كانوا يزوروننا قالوا: سمعنا أن آية الله الخميني وآية الله سلطاني قرءا صيغة العقد بجوار ضريح الإمام علي (ع). لكن والدتي كانت تنفي ذلك بقوة، وتقول: «كلّا، لم يحدث شيء من هذا القبيل، إنها مجرد خطوبة».

اللحظة المثيرة

كنتُ منشغلة بعالم الصّبا، لا أهتم بحركة اللقاءات والزيارات الدؤوبة بشأني.. ما يشغلني هو التفكير في كيفية إقناع والدي بمواصلة الدراسة في المرحلة الثانوية. ورغم اطلاعي على الوضع غير المناسب لثانويات الإناث، وإدراكي للسبب الكامن وراء موقف أبي الحازم بهذا الشأن، لكنني كنت مع ذلك أحاول التوصل إلى طريقة حل. لهذا السبب بعثت برسالة إلى شقيقي صادق الذي كان يواصل تحصيله الدراسي في ألمانيا، ضمنتها نوعاً من الشكوى والتذمّر بسبب موقف الوالد لمنعه إياي من الذهاب إلى الثانوية، وطلبت منه المساعدة، فرد عليّ بأنه سيكلّم الوالد، وربما استطاع أن يقنعه باصطحابي معه إلى ألمانيا.

* * *

في عصر أحد أيام أواخر الربيع، أوائل شهر يونيو/حزيران، دُعيت إلى مجلس نسائي في بيت خالي (السيد علي). حيث كانت ابنة خالي «ناهيد»، وهي بنت حنونة ومحبوبة تدرس في المرحلة الثانوية، قد كوّنت علاقات صداقة مع بعض معلماتها، فدعتهن إلى المجلس.

جلست إحدى المعلمات إلى جانبي في ذلك المجلس وتجاذبت معي أطراف الحديث. وخلال تبادلنا الحديث أعربتُ لها عن انزعاجي وتذمّري لعدم تمكّني من مواصلة التحصيل في ذلك العام، فقالت والانزعاج بادٍ عليها: «يا للأسف! تلميذة بهذا القدر من الحماس والرغبة يجب أن تجلس في البيت!



المؤلفة عندما كانت في الرابعة عشر من عمرها

في حين أن بعض الطالبات اللّاتي لا يرغبن بالدراسة مطلقاً، يذهبن إلى الثانوية، فقط بسبب إصرار الوالدين». عندها ومن أجل أن تواسيني، قالت إنها مستعدة لتدريسي شريطة أن أذهب إلى بيتهم لأن والدها لا يسمح لها بالذهاب إلى بيوت طالباتها.

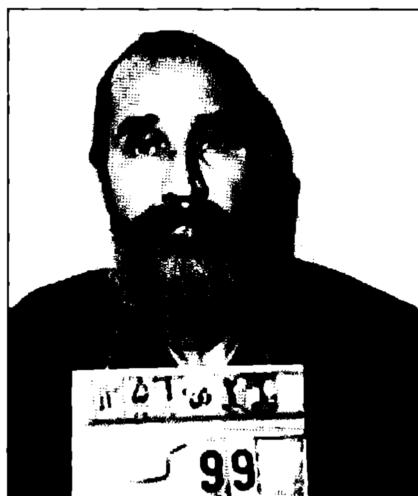
حينما سمعت هذا الكلام غمرتني السعادة والحيوية بحيث لا زلت حتى الآن أشعر بحلاوة تلك اللحظة المثيرة. بعد انتهاء المجلس طلبت من «ناهيد» أن تتحدث لي أكثر عن تلك المعلمة. فقالت: إنها «السيدة بحريني» ابنة الأستاذ بحريني، خطاط معروف في مدينة قُم ويعيش بالقرب من منزلكم. رجعت فرحة إلى البيت وسردت القصة على والدي، فما كان منه إلّا أن صبّ الماء البارد على لهيب آمالي وأمنياتي، قائلاً: «كلا، لا يصح أن تذهبين إلى بيتهم!»، وحينئذ تملّكني الغم والحزن. لقد أحسست وأنا في ذروة التعجب بأن صاعقة نزلت بي، ووقفتُ كتمثال لا أتحرك. فجأة رن جرس الهاتف، كانت «السيدة بحريني»، قالت: «طرحت موضوع الحديث الذي دار بيننا مع والدي. وقد وافق على أن آتي إلى منزلكم وأقوم بتدريسك». مرة أخرى دبّ فيّ النشاط والحيوية فأسرعت والفرحة تملأ وجودي، إلى والدي وأخبرته بالخبر، ففرح وقبل بالأمر وخصص غرفة في آخر باحة البيت كي تكون «السيدة بحريني» مرتاحة في ترددها على البيت.

بدأت في اليوم التالي جلسات الدرس وأخذت المعلمة تدرّسني كافة الدروس سوى درس الإنجليزية. كانت تقول: «الإندفاع والمثابرة اللذين تتحلين بهما يزيدانني رغبة في تدريسك». الظاهر أن ابتعادي عن المدرسة وتأخري عن الدراسة لعدة أشهر، ضاعف فيّ الشوق للمطالعة والدراسة. كنت أقرأ باشتياق كي يمكنني أداء الامتحانات في الشهر التاسع مع المتأخرين. كنت أعلم أن المشاركة في هذه الدورة من

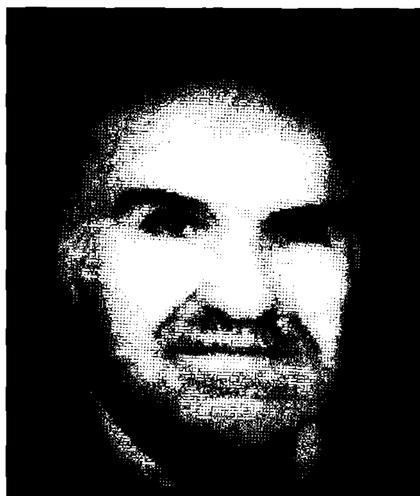
الامتحانات يعني عدم وجود فرصة أخرى لإعادة الامتحان، وبالتالي سأُعتبر في عداد الراسبات في الدراسة إن لم أحصل على درجة النجاح ولو في درس واحد.

الرفض أو القبول

بعد أيام من وصولنا إلى إيران، زارنا في البيت السيد أعرابي(١) لمعرفة جواب الخطوبة. قال له والدي إنه لم يقرر بعد. ثم أعقبه الحاج السيد صادق اللواساني(٢) بعدد من الزيارات المتتالية. في إحدى تلك الزيارات جاء لي بخاتم جميل من البلاتين المرصع بفصوص صغيرة من البرليان كان قد ابتاعه من سوق طهران وذلك بعنوان خاتم الخطوبة.



آية الله سيد محمد صادق لواساني



السيد محمد حسن اعرابي (صهر الإمام)

---

(١) السيد محمد حسن أعرابي (١٩٢٤ ـ ٢٠١١م): ثاني صهر للإمام الخميني قدس سره، زوج السيدة «فريدة» مصطفوي. من عائلة أصيلة ومتمولة في مدينة قم. كان يعمل في التجارة. كان رجلاً فاهماً وشخصية قيّمة ربطته علاقة وثيقة بوالدي.

(٢) آية الله السيد محمد صادق اللواساني (١٩٠١ ـ ١٩٩٠م): كان الصديق الحميم للإمام قدس سره. للمزيد من المعلومات عنه راجع الهامش رقم (١) في نهاية الفصل.

لَمّا بلغ الأمر إلى هذا الحد، ناداني والدي الذي كان قد فهم عدم رغبتي بالزواج، وسألني رأيي وقال: «الزواج ليس بمزحة، وقد صرنا في وضع ينبغي معه الرد بشكل نهائي. لاشك أن الوصل بعائلة آية الله الخميني له أخطاره. فهو محل سخط الشاه الشديد ومن الممكن أن يقضي حياته كلها في المنفى ويصبح وضعه أصعب مما هو عليه الآن. والسيد أحمد مصيره مرتبط بمصير والده ومن المحتمل أن يبرز له ولعائلته وضع صعب».

ثم أشار إلى المشكلة التي واجهتها كنّة آية الله الخميني «السيدة معصومة»، حينما هجم عناصر السافاك على بيتها، وسقوط جنينها بسبب ذلك، وقال: «مثل هذه الأحداث قد تحدث لك أيضاً، لكن كل هذا لا يشكل سوى بعد واحد من القضية، فهناك بعد ونمط آخر يمكن أن يحدث أيضاً. ما يجب أن أقوله لك هو إنني وجدت السيد أحمد مؤمناً، متديناً، نزيهاً ومواضباً على دروسه و...، فإن كنت تولين القضايا المعنوية والدينية أهمية أكثر من المادية فهذا الشخص شاب جيد. وهنا لابد أن أذكر أيضاً إن لديك خاطبين كثيرين ممن يتمتعون بمواقع مرموقة. عليك أن تقرري بنفسك. لا أفرض عليك أي شيء، ولستِ مجبرة مطلقاً على قول «نعم»».

بعد أن استمعت إلى كلام أبي، قلت والخجل يعتريني: رأيي من البداية هو أنه لا نيّة لي بالزواج وظننت أنكم عرفتم رأيي بالموضوع. لكن بعد برهة قصيرة خيّم فيها الصمت، سألت بقلق: «أليس من العيب أن نجيبهم بالرفض بعد أن جاؤوا بالخاتم؟»، فقال والدي: «كلّا، وحتى لو حصل شيء من الانزعاج فسيمكن إزالته. من الطبيعي أن بعض أصدقاء آية الله الخميني سيأخذ على خاطرهم منّا في حال الرفض، لكن ذلك لا ينبغي أن يؤثر على قرارك بشأن حياتك ومستقبلك. إذاً فكري

جيداً! إن شعرت بأنكِ لا تستطيعين قبول مثل هذه الحياة والمعيشة، فلا إشكال في ذلك. قولي لي حتى أنهي الموضوع».

ثم قال وبلهجة هادئة: «قد تجذبك وأنت في هذا العمر المغريات الدنيوية؛ لكن عليك أن تعرفي؛ إن تضرر دينك، فإنك لن تنعمي بدنياك ولا بآخرتك. ممّا أختزنه من تجارب وخبرة أقول إن السعادة لا تتوفر بالأمور الظاهرية والمادية»[١].

ثم سكت قليلاً قبل أن يقول: «أنت تحملين أفكاراً وعقائد شرعية ودينية وتحبين أن تحتفظي بها. وفي هذا الزمن قلما تراعي العوائل مثل هذه الأمور. الحلال والحرام غير معروفين، وليس بمقدورك أنت أن تقفي بوجههم. إن هذا الشاب قد لا يوفر لك الرفاهية المادية، لكنه سيعينك على الاحتفاظ بعقائدك. والآن لك أن تقرري».

لقد كان تجنب فرض الرأي من الخصال الأخلاقية البارزة لوالدي. كان يتمنى دوماً أن يكون أبناؤه من طلبة العلوم الدينية، ويصرح بذلك ويقول: «إذا لم يكن الأول، فلا بأس، الثاني سيكون و....»، لكن لم يتعمم أي منهم[٢]. كنت أعلم أن والدي لا يجبر أبناءه على الرضوخ لمطالبه. في نفس الوقت الذي كنت أستمع فيه لإرشادات والدي،

---

(١) في ذلك الوقت، قلّما تجد آثار التديُّن على المتعلمين والمثقفين. الأمور كانت تسير بحيث أن السخرية نصيب غالبية من يحاول تطبيق التكاليف الشرعية أو تجنب الوقوع في المحرمات والمعاصي، بل لم يمكن الإتيان بالتكاليف الشرعية علناً في بعض المحافل.

(٢) لقد تحققت أمنية والدي بالطبع، ولكن بشكل آخر. فبلطف الله تعالى حقق أحفاد والدي الثلاثة من طرف الإناث وكلهم (أبنائي) وهم السيد حسن، والسيد رضا (ياسر)، والسيد علي، له هذه الأمنية. لحسن الحظ أن السيد حسن والسيد ياسر تتلمذا على يد والدي في نفس البيت، الأمر الذي سرّ والدي جداً.

خالجني شعور بأن ما الضير في الاقتران بشخص يجمع لي معه الدنيا والآخرة معاً. تتوفر لي الرفاهية والسكينة في الدنيا ويتم في نفس الوقت المحافظة على عقائدي. عندما انتهى والدي من حديثه، لم أنطق ببنت شفة وغادرت مكاني. اتخذت قراري. جوابي كان كلمة واحدة: «كلّا»؛ لكنني لم أتسرع في إعلانه.

لاشك، أن تكون البنت كنّة آية الله الخميني، فهذا يُعدّ بحد ذاته امتيازاً، الأمر الذي لمسته خلال الأشهر التي أعقبت عودتنا من النجف حيث شاع خبر الخطوبة فيها بين الأصدقاء والأقارب. كنت ألاحظ في كل مجلس مشاعر الناس الباطنية وحبهم لآية الله الخميني. في تلك الأيام سمعت أن الأصدقاء أعدوا ختماً نقش عليه «جاويد خميني»: (خالدٌ أنت يا خميني) ويختمون به البيانات. وفي الليالي كان يجري توزيع صوره سراً. وفي النهار نزل إلى الشوارع جموع من أهالي السوق والجامعات في تظاهرة دعماً لآية الله الخميني. رياضيون في نادٍ يُعرف باسم «نجات» عمدوا إلى رفع صوتهم بالصلوات هدية لسلامة آية الله الخميني وعودته. وفي مدن أخرى بادر كسبة الأسواق إلى رفع وتعليق صور آية الله الخميني في ممرات السوق.

وبالرغم من شعور الناس بالخوف من السافاك، لكنهم كانوا يكنّون حباً عميقاً لمرجعهم الذي في المنفى، وهذا الشعور لم يخفوه عنّي لظنهم أنني تربطني به علاقة قرابة سببية. في المرة الأولى التي ذهبت إلى ثانوية «حكيم نظامي» لأداء الامتحان، تقدمت لي سيدة في العشرين من عمرها وقد جاءت هي الأخرى بمعية زوجها لأداء الامتحان، وعبرت عن فرحتها، وعرّفتني لزوجها بكل اهتمام، ثم همست في أذني قائلة: «أنا أحب آية الله الخميني كثيراً وسمعت أنك صرت كنّته». فأظهرت لها دهشتي وأنكرت الأمر.

ومن وجهة ثانية، كنت أسمع أن أشخاصاً كانوا يتخوفون من مقابلة السيد أحمد، بل كانوا يحاولون تغيير مسيرهم في الشارع حتى لا يصيرون معه وجهاً لوجه وذلك خوفاً من السافاك.

بعد أيام جاءتني خالتي «بتول» كي تساعدني في تلك الظروف الحساسة في اتخاذ القرار. فقد طرق سمعها آنذاك، رغبة وتهافت بعض الخاطبين عليّ، وظنّت أن رفضي جاء لأجل أولئك الخاطبين؛ ذلك أنني حينما كنت أذهب لدورة تعليمية في إعداد باقات الورد، رآني شاب في الطريق ثم أشار عليّ لأخته، وبعدها أرسل لخطبتي مراراً وتكراراً وبمختلف الوساطات. لقد حاول هذا الشاب بشتى الوسائل أن يقرّب نفسه من ثقافة عائلتنا الدينية، المتحفظة، ويحصل على رد إيجابي. لهذا السبب سألتني خالتي: «هل يشغل بالك شخص خاص؟»، حينما سمعتْ جوابي بالنفي، بادرت إلى الحديث عن السيد أحمد.

كنت أفكر فقط بمواصلة تحصيلي الدراسي، وربما حتى بالذهاب إلى ألمانيا إلى جوار أخي صادق؛ لذا توجهت إلى والدي كي أخبره بردي وهو الرفض. لكن فجأة وفي اللحظات الأخيرة انتابتني حالة خاصة تغيّر على أثرها قراري بالكامل. كل كلام والدي والخصال التي عددها بشأن السيد أحمد، من قبيل التدين، واللطافة وحسن الذوق، والحنان والذكاء بدأت ترتسم في ذهني. حينها فقط التفتّ إلى أن كافة هذه الخصال تجمعت في شخص واحد اسمه أحمد، وهذا الشخص تقدم طالباً يدي. غمرني إحساس عجيب؛ وكأن كافة تلك الخصال بدأت تناديني من الأعماق فصرت منبهرة بها. تملّكتني الفرحة بعدما ارتسمت أمامي كافة تلك الصفات السامية المتجمعة في شخص يمكن أن أختاره كزوج لي. قلت لوالدي: «قبلت».

تهديدات السافاك

زواجنا كباقي الزيجات، له بعدان؛ أحدهما الصهر وعائلته، والآخر يتمثل في العروس وعائلتها. لكننا في ذلك الوقت فهمنا أن زواجنا له بعد ثالث يحاول وبقوة فرض رأيه، ويتمثل بالمنظمة الأمنية لنظام بهلوي، أو ما يسمى بالسافاك. أمر عجيب، لكنه حقيقة. وفقاً لما رواه والدي؛ بعد عودتنا من العراق جاء أحد عناصر السافاك إلى منزلنا، وبعد شيء من مقدمات الحديث والإشارة إلى معلومات حول ما كان يدور خلال لقاءات والدي بآية الله الخميني في النجف، (ولكي يقول إن السافاك مطلع على كافة الأمور)، تحدث عن الأخطار الناجمة عن هذا الارتباط العائلي وقال: «لا ترمِ ابنتك بيدك في النار! هذا الزواج ليست له نهاية جيدة».

بعد أيام من تلك الزيارة، أتى شخص آخر لزيارة أبي وقال: «بهذه الزيجة لا تفرّط بابنتك فقط، بل ستواجه أنت أيضاً المشاكل».

وفي يوم آخر، أتىٰ شخص ثالث إلى البيت وقال لوالدي: «السيد الخميني محل سخط الشاه. ولذا، فإنك ستثير سخط الشاه بهذا الارتباط». قال

تقرير السافاك

والدي: «هذه القضية شخصية ولا علاقة لها بالقضايا السياسية». بعد أن غادر ذلك الشخص، قال والدي: «فجأة تذكرت ظلامة الإمام موسى بن جعفر (ع) وبكيت؛ ذلك أنه ورد في الرواية رغم أنه كان لديه عدد كبير من البنات في البيت، لكن الناس لم يجرأوا بسبب الخوف من الحكومة على التقدم لخطبة بنات ذلك الإمام المعصوم.

في النهاية، خسر السافاك القضية وتمت الزيجة بيني وبين السيد أحمد.

شراء مستلزمات العقد

اقترحنا أن يتم شراء لوازم العقد من قبل عائلة العريس ودون حضورنا. وهكذا اشترت السيدة (زوجة الإمام) الأقمشة والملابس من العراق، فيما اشترت السيدة «فهيمة» الحقيبة والحذاء من طهران. أما العقد والخاتم المصنوع من الذهب الأبيض والمرصّع بالألماس، فقد قام السيد لواساني والسيد بروجردي[١] بشرائه من أحد أصدقاء الإمام في طهران واسمه السيد محمد علي جواهري.

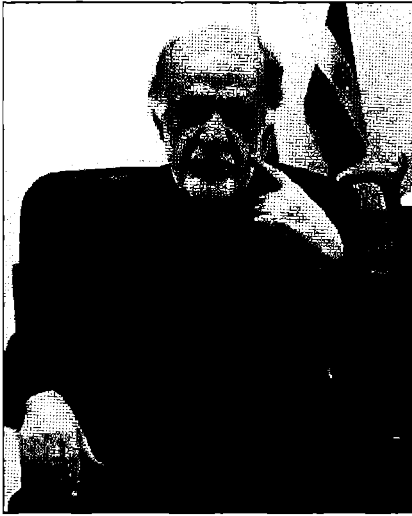
المرآة والشمعدان، تم شراؤهما أيضاً. المرآة التي زُيّنت بشمعة مع زوج من الشمعدان المصنوع من البلور، تتدلى منهما أقراط من نفس المادة توضع في كل منهما خمس شمعات. السيد أحمد قال إنه يرجّح أن لا تكون الشمعات كهربائية.

أما المهر، فكان ملكية سدس من بيت الإمام الخميني[٢] الكائن

(١) الدكتور محمود بروجردي (١٩٣٤م): آخر صهر للإمام، ووالده حجة الإسلام الشيخ محمد حسين بروجردي أحد علماء قُم المعروفين ومن أصدقاء الإمام.

(٢) منح السيد أحمد بعد رحيل الإمام ذلك البيت لآية الله الخامنئي ليكون مكتباً له في مدينة قُم.

في محلة (يخجال قاضي) بالإضافة إلى خمسة وعشرين ألف تومان نقداً، أي ما يعادل في المجموع سدسي البيت، أي خمسين ألف تومان (حينذاك).



السيد الدكتور محمود بروجردي
(صهر الإمام)

القُماش الخاص ببدلة العرس كان جميلاً جداً. ابتاعته لي السيدة (زوجة الإمام) من بغداد. كان مغطّى بالبلك الأبيض والفضي مما أضفى عليه لمعة تبهر العين. ومع التصميم الجميل الذي قدمته السيدة «فهيمة» (أخت العريس) قامت الخياطة المعروفة في قُم السيدة «مشيري» بخياطته.

وتم في بيت الوالد تزيين العروس بواسطة السيدة «طوس» وهي الحلاقة المشهورة في قُم.

العقد المقدس

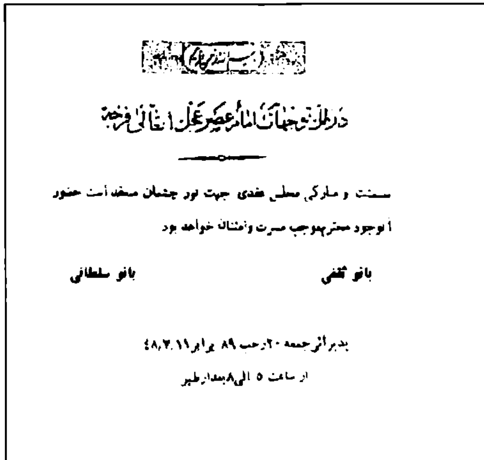
كلتا العائلتين كانتا راغبتين في إجراء مراسم العقد في الثالث عشر من رجب المرجب، ذكرى ولادة الإمام علي (ع). لكنه، ومع احتمال صعوبة إعداد وتهيئة الوسائل اللازمة في ذلك اليوم[١]، فقد تم تأجيله لمدة أسبوع؛ أي أنه أجّل إلى العشرين من رجب[٢].

(١) في ذلك الزمن لم يكن في قُم قاعات لإقامة المجالس المختلفة؛ لذا كانت تقام في المنازل التي كانت غالبيتها تحتوي على حدائق كبيرة. أضف إلى ذلك أن المحلات التي تؤجِّر مستلزمات المجالس كانت قليلة.

(٢) كان متزامناً مع الحادي عشر من شهر مهر (الشهر السابع من السنة الشمسية) عام (١٣٤٨ هـ. ش) ٣/١٠/١٩٦٩م.



آية الله ميرزا مصطفى صادقي



در ظل توجهات امام عصر عجل الله تعالی فرجه

ضيافت و مباركی محفل عقدی جهت نور چشمان منعقد است حضور

آن وجود محترم موجب مسرت وامتنان خواهد بود

بانو ثقفی بانو سلطانی

بدبراز جمعه ۲۰ رجب ۸۹ برابر ۴۸/۲/۱۱

از ساعت ۵ الی ۸ بعد از ظهر

بطاقة الدعوة

أما خطبة العقد فقد قُرئت قبل أيام من الحفل الرسمي بواسطة عالم فاضل مهذب النفس يدعى آية الله الحاج ميرزا مصطفى صادقي، والد زوج الخالة «منصورة» وبدون حضور العروس والعريس. الملفت أن الشخص ذاته هو الذي كان قد عقد لوالدي على والدتي.

جرت مراسم العقد الرسمية في بيت جارنا الحاج قاسم دخيلي[١]. بيت جديد يحتوي على عدد من الغرف الكبيرة المناسبة لإقامة الاحتفال. الحاج قاسم دخيلي رجل متدين من تجار السجاد، ومن المحسنين المعروفين في سوق قُم. زوجته كانت تربطها علاقة حميمة مع والدتي، لكنها كانت محرومة من نعمة الإنجاب. لذا تزوج السيد دخيلي من أخرى، فأنجبت له عدداً من الأولاد. بعد أن استضاف منزلهم مراسم العقد والاحتفال، رزق الله تعالى السيد دخيلي بنتاً من زوجته الأولى، وبعدها رُزق بعدد من الأبناء. كان يرى أن هذه البركة جاءت نتيجة الخدمة التي قدمها للسادة من أحفاد الرسول الأكرم (ص).

---

(١) لقد امضىٰ الإمام بعد عودته من المنفى عام ١٩٧٩م وذهابه إلى قُم، عدة أيام في نفس المنزل.

في يوم العقد حضر فقط كبار الأقارب وبعض الجيران، فيما أقيم في اليوم التالي حفل بمشاركة ضيوف أكثر.

تم رصّ الطاولات والكراسي في حديقة المنزل، فيما زُينت الفُسحة بالمصابيح، وتم تبخير المكان وتوزيع المكسرات والحلويات على الحاضرين وغمرت الفرحة والسرور أجواء المجلس. تم في هذين اليومين واستناداً للتقليد الذي كان سائداً يومئذ، تقديم الفواكه والحلويات للضيوف ولم تكن هناك مأدبة عشاء؛ ذلك أن الوليمة تكون فقط في ليلة العرس.

شارك في الحفل عدد كبير من أقرباء العريس. قَدِمت والدته من العراق، فيما حضرت من مدن قُم وطهران وخمين جدته وأخواته، وأولاد أخته، وعمته وبناتها، وخالاته وبناتها بالإضافة إلى بنات عمه. بعض الضيوف ارتدين ثياباً طويلة وجميلة والتي كانت حينها موضة حديثة وملفتة للنظر. الشابات كنّ يرددن الأشعار ويصفّقن ويرقصن.

وحضر أقاربنا من قُم وطهران وبروجرد في الحفل.

كما حضر حفل العقد بعض عوائل الخاطبين السابقين. زوجة خالي قالت لي: «في الوقت الذي كانت الدموع تملأ أعينهنّ، كنّ يدعون لك بالسعادة من الصميم، وكنّ يقلن: «لا يستطيع أي أحد أن يتفوّه بشيء في مقابل آية الله الخميني، نحن مستعدون لتقديم كل ما لدينا في سبيله وسبيل هدفه، ونقر أن السيد أحمد أنسب وأفضل».

اللقاء الأول

جرى أول لقاء بيني وبين السيد أحمد في نفس يوم العقد الرسمي بجوار مائدة العقد. فبعد أن غادر الضيوف الغرفة؛ دخل السيد أحمد، وأول جملة نطق بها كانت هذا البيت من الشعر:

خذي بيدي فهي نفسها التي بها ضربت رأسي بسبب ألم الهجران

في نفس تلك اللحظة الأولى، شعرت بحب شديد اتجاهه. كان كلامه شيّقاً وينفذ إلى القلب. شعرت وكأني أعرفه منذ سنوات. هو أيضاً قال: قلت لأختي: «إن لم تكن من نصيبي، فلن أتزوج أبداً. رسَمَ وصف ومدح أخواتي لكِ، صورة في ذهني أجدها اليوم تنطبق عليك».



السيد احمد أثناء الزواج

بعد أيام من العقد، وصلتني من النجف رسالة من الإمام الخميني بارك لنا فيها هذا الاقتران.. ونص الرسالة هو:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

١٩ شعبان المعظم ١٣٨٩[١]

أبعث بسلامي الوافر إلى المخدّرة المحترمة. أنا سعيد أن ارتبط أحمد بعائلة أصيلة وكبيرة محترمة. أتمنى أن تنعموا بالسعادة والراحة والسرور تحت ظل أجدادكم الطاهرين إن شاء الله تعالى. هذا الوصال إن شاء الله تعالى ميمون ومبارك ومفعم بعلوّ الحظ وسعادة الدنيا والآخرة. أنت تتحلّين والحمد لله تعالى بحميد الأخلاق التي ورثتيها من والدك المبجّل وأجدادك من طرفه ووالدتك المحترمة والمعظمة وأجدادك من

طرفها. آمل أن يكتسب أحمد من هذه الكرامات إن شاء الله تعالى. لن أنساكما من صالح الدعاء. بلّغي سلامي حضرة المستطاب سيد العلماء الأعلام وحجة الإسلام السيد سلطاني (دامت بركاته) والعلياء المحترمة السيدة الوالدة (طال عمرها). والسلام عليكم ورحمة الله.

روح الله الموسوي الخميني

بمرور الأيام تعرفت بالتدريج على السيد أحمد وأخلاقه وسجاياه. تحدث لي عن نفسه قائلاً: «ولدت في الرابع والعشرين من إسفند (الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية) عام ١٣٢٤ للهجرة الشمسية (أي في الخامس عشر من شهر اذار مارس عام ١٩٤٦ للميلاد)، وقضيت سنوات مفعمة بالنشاط والتحرك في قُم حتى حصلت على شهادة الثانوية. في اليوم الأول من دخولي المدرسة فررت منها وعدت إلى البيت. كنت طوال مرحلة الابتدائية محل محاسبة من قبل المعلمين بسبب تأخري على الدوام أو بسبب تمّردي و(الشيطنة) في سن الطفولة. عمدوا أحياناً إلى كسر الثلج المكسي لمياه الحوض في المدرسة ووضع يدي في الماء البارد لنصف

رسالة التهنئة من الإمام الخميني بمناسبة زواجنا

ساعة. وبعدها يضربون كفي بالعصى. لا أدري لمَ كانوا يضربونني إلى هذا الحد.! صحيح أنه كانت تصدر مني تصرفات مزعجة لهم، لكن لا ينبغي أن يعاقبونني بهذا الشكل».

لقد كان السيد أحمد ينتقد بسرده لهذه الذكريات الأسلوب التربوي في ذلك الحين، ويقول: «هذا التصرف العنيف تسبب في أن أمتنع عن الإجابة على أسئلتهم رغم أنني كنت أعرفها. على كل حال كنت بارعاً في درس الرياضة وخاصة كرة القدم وقد تم في السنة الأولى من الثانوية ضمي إلى فرق المدرسة في ألعاب كرة القدم وكرة السلة وكرة الطائرة وصرت من اللاعبين المحبوبين في الثانوية».

وفي معرض حديثه عن أفعاله المشاغبة، عّدد ما تعرض له من كسور ورضوض في يديه وقدميه، الأمر الذي بدا عجيباً بالنسبة لي. فقد قال: «قدمي اليسرى أصيبت بالخلع إحدى عشرة مرة، فيما اليمنى ثماني مرات. يدي اليسرى تعرضت من ناحية المرفق للخلع وللكسر في



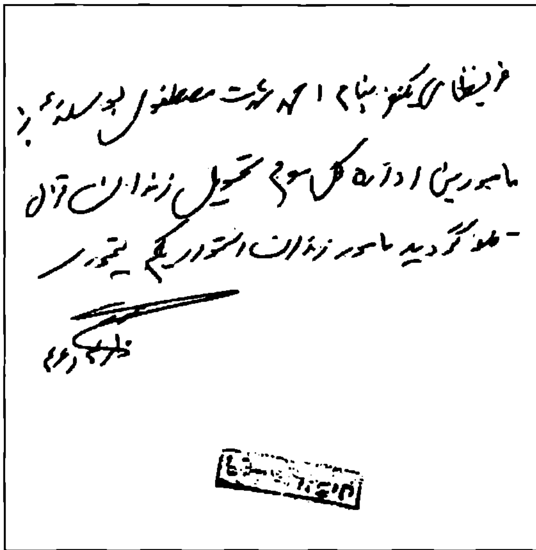
السيد أحمد الرابع من اليمين جلوساً

الساعد، فيما تعرض معصمي للكسر مرات ومرات. أما ساعدي ومعصمي الأيمن وأصابع يدي اليمنى، فقد تعرضت للكسر مراراً. أما رأسي فلا أذكر، لا شك أكثر من عشرين مرة»!.

«دفعني حبي الشديد للرياضة خاصة كرة القدم، للعب بمهارة فائقة داخل المستطيل الأخضر. لهذا عرض مسؤولو فريق «شاهين طهران» عليّ اللعب في فريقهم، فقبلت العرض».

كان فريق «شاهين» في تلك السنوات أكثر الفرق شعبية في إيران، بحيث كان تسعة من لاعبيه يلعبون في الفريق الوطني الإيراني.

«تزامنت مرحلة الثانوية مع اعتقال والدي ونفيه. وبعد الحصول على شهادة الثانوية، سافرت إلى العراق بزي عربي عدة مرات، مرتان منها بصفة غير رسمية وبدون جواز سفر، ولدى عودتي من إحدى تلك السفرتين اعتقلتني الشرطة واقتادوني إلى سجن «قزل قلعة»[1]. إلى أن تم الإفراج عني بعد وساطة بعض المراجع كآية الله الحكيم».



تسليم أحمد لسجن قزل قلعة

---

(١) سجن «قزل قلعة»: تم بناؤه في عهد القاجار، وكان مخزناً للعتاد حتى زمن رضا شاه. بعد انقلاب الثامن عشر من آب عام ١٩٥٣م، بدأ تيمور بختيار باستخدام هذا المكان للسجناء السياسيين. كان هذا السجن يقع في غرب طهران وقد تم هدمه بعد انتصار الثورة الإسلامية، وحل محلّه اليوم سوق للخضار والفاكهة.



أحمد في الزي العربي

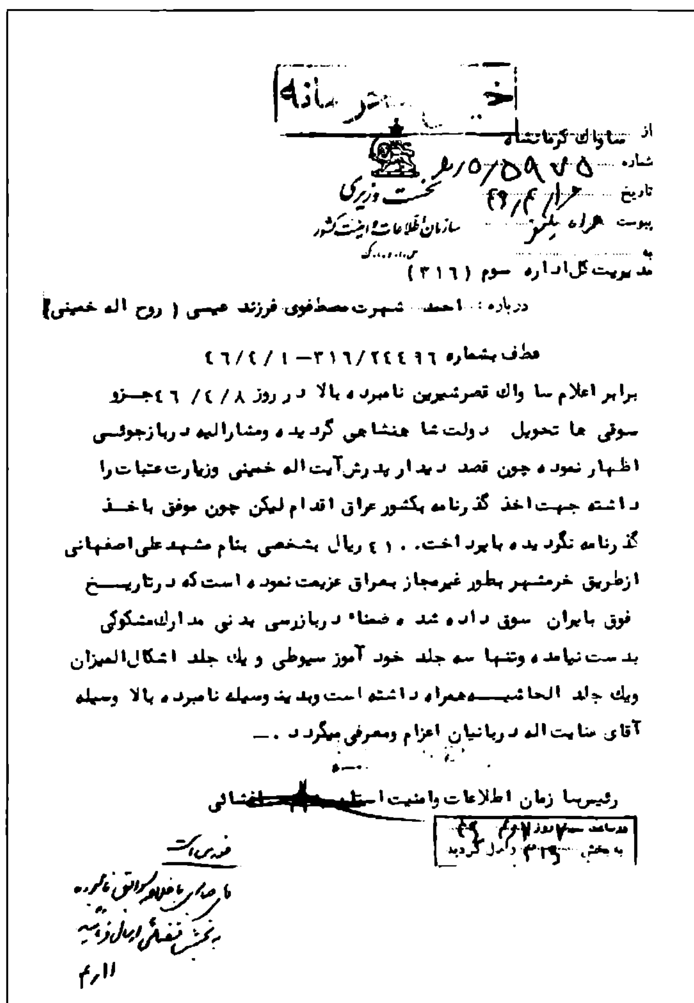


أحمد في سجن قزل قلعة



أحمد في سن المراهقة

تحدث السيد أحمد لي عن ذكرياته في السجن، فقال: «سألني أحد المسجونين معي في السجن: ما هو تسلسل الألقاب لكل من ثقة الإسلام وحجة الإسلام وآية الله العظمى على الترتيب؟ هل أن أصحاب العِمّة البيضاء أقل درجة ومرتبة دراسية من ذوي العمامة السوداء؟.. لقد ظن أن هذه الألقاب شأنها شأن الرتب المعروفة في الجيش.



از ساواك كرمانشاه
شماره ٥/٥٩٧٧٥
تاريخ ٤٦/٤/
پیوست همراه
به مديريت كل اداره سوم (٣١٦)

سازمان اطلاعات و امنیت کشور

درباره: احمد شهرت مصطفوی فرزند عیسی (روح اله خمینی)

عطف بشماره ٣١٦/٢٢٤٩٦ – ١/٢/٤٦

برابر اعلام ساواك قصرشيرين نامبرده بالا در روز ٨/٢/٤٦ جزو سوقي ها تحويل دولت شاهنشاهي گرديده ومشاراليه درباز جوئي اظهار نموده چون قصد ديدار پدرش آيت اله خميني وزيارت عتبات را داشته جهت اخذ گذرنامه بكشور عراق اقدام ليكن چون موفق باخذ گذرنامه نگرديده باپرداخت ١٠٠٤ ريال بشخصي بنام مشهد علي اصفهاني ازطريق خرمشهر بطور غيرمجاز بعراق عزيمت نموده است كه درتاريخ فوق بايران سوق داده شده ضمناً دربازرسي بدني مدارك مشكوكي بدست نيامده وتنها سه جلد خود آموز سيوطي و يك جلد اشكال الميزان ويك جلد الحاشيه همراه داشته است وبديدوسيله نامبرده بالا وسيله آقاي عنايت اله دربانيان اعزام ومعرفي ميگردد. —

رئيس سازمان اطلاعات وامنيت است... نشاهی

تقرير السافاك عن السفر غير المجاز الأحمد إلى العراق

«بدأت دراستي الحوزوية عند والدي في النجف. طلب والدي من الحاج الشيخ عبد العلي قرهي أن يشتري لي قُماشاً ويخيط لي جبة ويشتري لي أيضاً عباءة. سألني: ما سعر العباءة التي تريد أن أشتريها لك؟ لأن أسعارها كانت متباينة. فتوجهت لوالدي بالسؤال نفسه، فقال: إشتر عباءة لا تكون أنت خادماً لها، بل عباءة تخدمك.

وهكذا لبست زي طلبة العلوم الدينية».

٧٤٥

گـــــزارش   تاريخ ٢٠/٥/٤٦

از ٣١٦

محترماً بعرض میرساند. اخیراً آیت الله سید محسن حکیم از نجف اشرف [illegible] ارسـال
نامه‌ای جهت سید محمد باقر آشتیانی و [illegible] الله مسیح تهرانی (چهلستونی) نوشته است
قرار بوده از آزادی محکومین (غلامحسین جعفری، حسنعلی منتظری، محی الدین انواری،
محمد کاظم موسوی بجنوردی، آیت الله سید حسن قمی، سید صادق روحانی، محمد [illegible]
انصاری) در [illegible] اطلاع نمایند لکن تاکنون خبری نشده [illegible]
نموده تا [illegible] فرزند آیت الله خمینی (سید احمد مصطفوی) نیز بازداشت میباشد
نسبت به استخلاص وی نیز اقدام گردد که نامه بوسیله گیرندگان آن به نخست وزیر ارسال
گردیده است.
ضمناً شش نفر از روحانیون کربلا با مخابره تلگرافی جهت نخست وزیر ایران تقاضا نموده‌اند که
از آیت الله سید حسن قمی و سید صادق روحانی رفع تبعید شود.
مراتب از طریق نخست وزیری [illegible]
[illegible]



وساطة آية الله العظمى الحكيم لاطلاق سراح أحمد

أصبح السيد أحمد بعد خروجه من السجن، محل اهتمام العلماء السوق، فيما بدأ الناس يُقبلون بلهفة على اللقاء به وزيارته[1]. لقد ورد في تقارير السافاك أن كسبة السوق وطلبة العلوم الدينية والعلماء ومجاميع

(١) قال آية الله السيد علي الخامنئي ذات مرة، أنه زار السيد أحمد في منزل آية الله ثقفي في طهران، وهناك وجد الكثير من العلماء جاؤوا لزيارته.

خیلی محرمانه

درجه فوریت — طبقه بندی حفاظتی

گزارش خبر

۱ ـ به: ۳۱۶	۷ ـ منبع: ۹۶۰
۲ ـ از:	۸ ـ منشأ:
۳ ـ شماره گزارش: ۱۹۱۱	۹ ـ تاریخ وقوع:
٤ ـ تاریخ گزارش: ٤٦/٦/٣	۱۰ ـ تاریخ رسیدن خبر به منبع: ٤٦/٥/٣٢
٥ ـ پیوست:	۱۱ ـ تاریخ رسیدن خبر به عملیات مسئول:
٦ ـ گیرندگان خبر:	۱۲ ـ ملاحظات حفاظتی:

موضوع: احمد مصطفوی فرزند آیت الله خمینی — ٤٦/٥/٢١ ـ ١٢٢٢٠

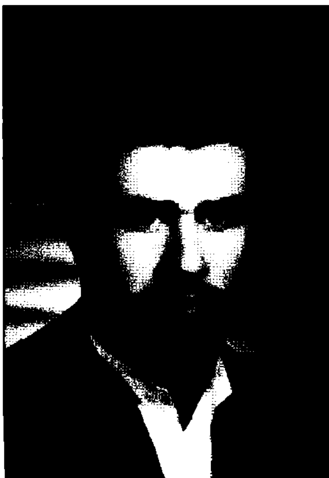
نامبرده بالا در حدود یک سال قبل بطور غیرمجاز بعراق مسافرت و در آن موقع ملبس به لباس روحانیون نموده و پس از مسافرت به نجف تغییر لباس داده است نامبرده جزو سیاهی لشگر در جلسه منزل شیخ محمد صادقی شرکت میکرده و در حدود یکماه و نیم قبل از کنسولگری ایران در کربلا ورقه عبور گرفته و از مرز خسروی وارد ایران شده که طبق اطلاع در ایران دستگیر شده است.

بایگانی شود

۱۲۷۹۱

طبقه بندی حفاظتی

تقرير السفاك عن ارتداء السيد أحمد لزي علماء الدين



من أهالي طهران ومدن أخرى، جاؤوا إلى منزل آية الله الخميني لزيارة أحمد، وكما هو واضح فإن اهتمام الناس هذا لم يَرُق للسافاك.

بعد عودته إلى قُم، عاش أحمد في منزل مراقب من قبل السافاك مع خادم، بعيداً عن والده ووالدته، وانشغل بالدراسة الحوزوية.

تقرير السافاك عن ترحيب الناس بأحمد بعد إطلاق سراحه من السجن

حفل الزفاف

إمتدت فترة العقد إلى أكثر من عام بقليل، حيث تم الزفاف في النصف من شعبان[١] المعظم.

كانت السيدة (زوجة الإمام) قد سافرت إلى العراق بعد العقد. مراسم الزفاف جرت بشكل مبسط بسبب وفاة حجة الإسلام السيد عبادي، زوج خالتي «بتول». في ليلة الزفاف تمت دعوة عدد محدود من الضيوف إلى منزلنا، من بينهم السيدة «نصرت آغا»[٢] زوجة آية الله العظمى البروجردي وعمّة والدي التي كانت امرأة مسنّة، فاهمة جداً

(١) آبان ١٣٤٩ هـ. ش (الشهر الثامن من السنة الشمسية) تشرين الثاني عام ١٩٧٠م.

(٢) السيدة «نصرت آغا» هي الزوجة الثانية لآية الله العظمى البروجردي. للمزيد من المعلومات راجع الهامش، رقم (٢) في نهاية الفصل.


حجة الاسلام هادي عبادي

ونشطة، وقد حضرت مع كِنّتها وابنتها وحفيداتها وعدد آخر من أهالي بروجرد. لا أدري لماذا كان يقام مجلس عزاء في منزل الحاج قاسم دخيلي، وكانت مكبّرة الصوت قد وضعت فوق غرفتنا، ولم يكن باستطاعة الضيوف حتى التحدث مع بعضهم براحة.

في بداية الليل، جاء عدد من أقارب العريس إلى بيتنا واصطحبوني إلى بيت[١] تواجدت فيه السيدة أم أحمد وضيوف آخرون. الجميل أن الطريق كان قصيراً إلى حدّ أنهم لم يأتوا سوى بسيارة واحدة، ولم تكن سوى «فلكس واغن» للسيد كاظم رحيمي،[٢] وهو صديق السيد أحمد. اجتزنا شارع «بهار» ووصلنا إلى بيت العريس. الأجواء في ذلك البيت كانت أقرب لأجواء العرس منها في بيتنا، لكنها مع ذلك لم تكن بمستوى مناسبة مفرحة. حتى أن بعض الضيوف أرادوا أن يصفقوا ويعبروا عن فرحتهم، فقال لهم آخرون إن أحمد أكد أن لا يعلو من البيت وصف التصفيق والأهازيج؛ ذلك أن آية الله سعيدي[٣] قد قضى شهيداً تحت

---

(١) نفس البيت الذي كان مكتبة وقام السافاك بالإغارة على الكتب فيها ورماها على ضفة النهر.

(٢) كاظم رحيمي، الصديق الحميم لأحمد، كان لاعباً ومدرباً لفريق «شاهين».

(٣) الشهيد آية الله محمد رضا سعيدي خراساني. استشهد في العشرين من خرداد ١٣٤٩ هـ. ش(الشهر الثالث من السنة الشمسية) عام ١٩٧٠م، فيما كانت ولادته عام ١٩٢٩م. كان من طلبة آية الله الخميني حيث جرى اعتقاله في حادثة الخامس عشر من خرداد عام ١٩٦٣م. جرى اعتقاله مراراً من قبل السافاك ومنعه من ارتقاء المنبر، وذلك بسبب جهاده ضد النظام البهلوي. للمزيد من المعلومات راجع الهامش، رقم (٣) في نهاية الفصل.

وطأة التعذيب في السجن وأن احترامه يقتضي منّا ذلك، هذا من جهة. ومن جهة ثانية فإن مدرسة الحجتية التي كانت محل إقامة طلبة العلوم الدينية تقع في مقابل البيت.



المبنىٰ الذي تمت فيه مراسم العقد مقابل المدرسة الحجيّة، وقد تحول إلى مستوصف القرآن والعترة التخصصي

كان المجلس هادئاً وفاتراً جداً.. بعد جلوسنا بقليل وصل الضيوف الذين كانوا قد انطلقوا من بيتنا سيراً على الأقدام. قلت لابنة خالي «زهراء»: «بودي جداً لو أننا ذهبنا الآن إلى صحن السيدة فاطمة (ع) بنت الإمام موسى الكاظم (ع) وشاهدنا تزيين المعابر والأنوار البهية» (كان جذاباً جداً). بعد دقائق دخل العريس الغرفة وتبددت أجواء الصحن والأنوار من رأسي.

تمت دعوة عدد قليل من الضيوف في هذا الحفل؛ ذلك أن أحد

أقارب العريس كان قد توفي حديثاً أيضاً. بعد ساعة أو ساعتين امتدت مائدة العشاء. وُضع على المائدة اللبن والمربى والطرشي والخضروات والشمّام. قامت السيدة «كبرى» بنت «مشهدي عصمت» بالطبخ في تلك الليلة، وهو عبارة عن فصوص من اللحم على الأرُز، والمرقة والأرُز بالإضافة إلى الدجاج. بعد العشاء توجهنا إلى بيتنا المشترك في زقاق «آمار» الواقع في شارع «صفائية»[(١)]. وقد جاءت «فاطمة» سلطان، التي كانت تعين والدتي في المنزل، معي إلى بيت الزوجية.

جهاز العرس

تم رصف لوازم جهاز العرس في غرفتين وفي المطبخ. في إحدى الغرفتين وُضع أثاث غرفة النوم وهو سرير المنام وخزانة الملابس وقطعة سجاد يدوي، فيما وضع في غرفة الاستقبال قطعتا سجاد كل منها بتسعة أمتار مربعة مزيّنة بورود من خيوط الحرير اختارتهما والدتي لي من بين قطع سجاد زوج عمتي (السيد ضياء الدين حسيني) التي جاء بها إلى البيت. أما الخزانة الخشبية، فقد صُفَّت فيها الأواني الزجاجية وصحون الأكل والأقداح البلورية وعدد من الكاسات وصحن تقديم الحلويات من النوع القديم، كانت والدتي قد قدمته لوالدي في بداية زواجهما. الغرفة هذه ازدانت وكمُل جمالها بهدية السيدة أم أحمد، وهي عبارة عن قطعتي سجاد صغيرتين رائعتين.

بالإضافة إلى ذلك، أربعة أطقُم من الفرش والمؤلفة من اللحاف والفراش وسائر من القديفة والمكسوة بقُماش من التور والطقم الخاص بـ«الكرسي» (والمراد به هو صندوق أو طاولة صغيرة يوضع تحتها ضوء أو مدفئة ثم تغطى الطاولة بلحاف أو ما شابهه وتجتمع حوله العائلة في

(١) اسمه الحالي شارع الشهداء.

الشتاء حيث يبسط الأشخاص أرجلهم تحت اللحاف الذي يكون دافئاً بهذه الطريقة) وأربعة من الفراش الصغير لجلوس الأشخاص عليها.

في الممر الصغير بين الغرف (البهو)، وضع سماوران نفطيان، أحدهما كبير والآخر صغير، مع طُقم من أقداح الشاي.

كان المطبخ حسب التصميم المعماري القديم، يتم النزول إليه من الحديقة بمقدار عشر إلى خمس عشرة درجة، حيث تم رصف الطنجرة والجفنة وباقي الأواني، على الرفوف المغطاة بستائر بسيطة علّقت من الجانبين بمسمارين. ولم يكن في المطبخ نمليـة. في أحد أطرافه حنفية ماء تحتها حوض صغير لغسل الأواني. كان هناك عدد كبير من الأواني النحاسية وبأحجام مختلفة، تم شراؤها بإصرار من والدتي، لكن مساحة المطبخ لم تتسع لها، فوُضِعت في القبو المجاور له. أما الثلاجة فقد أهداها السيد (والد العريس) حيث وضعناها في القبو أيضاً.

شهر عسل جَماعي

بعد أيام من زواجنا، قالت السيدة (زوجة الإمام): إنهم اشتروا تذاكر لمقصورة في قطار لستة أشخاص، إلى مدينة مشهد المقدسة. وهي تنوي مع والدتها وأختها «الخالة شمسي» وابنتها (السيدة فهيمة) وولديها ليلى ومسيح، التوجه إلى مشهد. السيد أحمد قال لي: «يمكن أن نرافقهم في هذه السفرة، إن أحببت». فرحبت بالأمر بدوري. حينما جلسنا في مقصورة القطار قالت الخالة «شمسي» ضاحكة: «لم أرَ حتى الآن شهر عسل كهذا، بحيث تذهب العروس مع والدة العريس وجدته وخالته وأخته وأولادها، إلى شهر العسل»!

حظيتُ طوال الرحلة التي استمرت نحو عشرة أيام، بمحبة، وحنان وافرين، من جميع رفاق السفر، لا سيما السيدة أم أحمد.

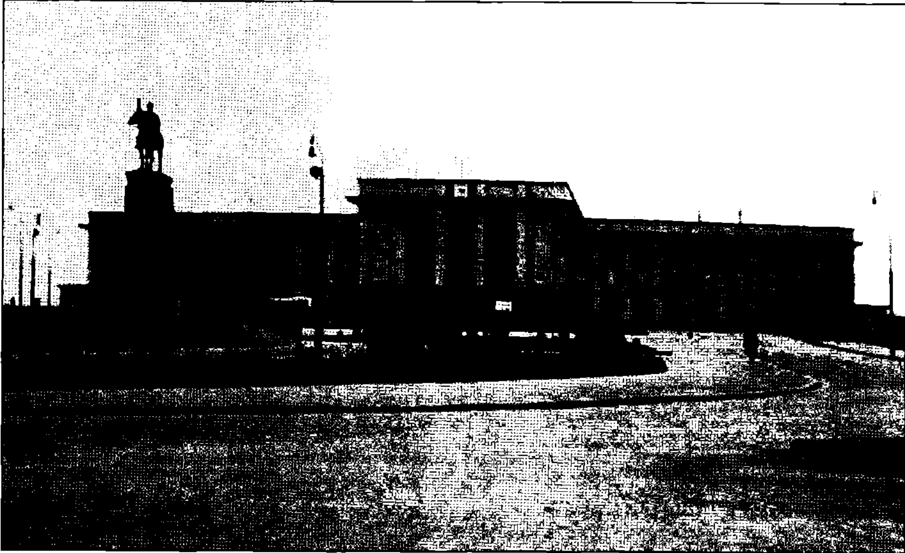


السيدة خديجة الثقفي (زوجة الإمام)



السيدة زهراء مصطفوي (إبنة الإمام)

في مدينة مشهد ذهب السيد أحمد للقاء أشخاص لم يكن راغباً في الكشف عن أسمائهم. هذا الأمر لم يكن مريحاً بالنسبة لي[١].



محطة قطار طهران/ ١٩٧٠م

(١) قرأت في وثائق السافاك بعد انتصار الثورة، أنهم دوّنوا حتى ساعات دخول وخروج أحمد من منازل أصدقائه المجاهدين.

انطلاق الحياة الزوجية

بعد مدة وجيزة، جاءت إلى بيتنا «سُكينة سلطان» التي عملت لمدة عامين إلى جانب السيدة أم أحمد في النجف. لقد كانت تساعدني في شؤون المنزل. حيث تكلّفت بالطبخ واقي أعمال المنزل.

في ظل وجود «سكينة سلطان» لم أشعر بالحاجة لتعلُّم أعمال المنزل. كانت تستيقظ في الصباح الباكر. فتذهب إلى المتجر القريب من البيت فتبتاع ما يلزم. أما الملابس فتعمد إلى غسلها بعد صلاة الصبح مباشرة كي تستفيد من أكبر فترة ممكنة من الشمس. لم يكن حينها استخدام غسالات الملابس شائعاً؛ فغالبية الناس تفكّر أولاً بطهارة الملابس.

في مرحلة الصبا وفي منتصف رحلة التحصيل الدراسي، ولجتُ عالم الحياة المشتركة وإدارة البيت، دون أن أتعلم المهارة اللازمة. تذكرت تلك الأيام التي كنت فيها في العاشرة أو الثانية عشرة من العمر حينما كانت والدتي تصر عليّ أن أتعلم بعض الأعمال المنزلية وخاصة الطبخ وقليلاً من الخياطة، دون أن أستجيب لها. لطالما دخلنا أنا ووالدتي في جدال حول هذا الموضوع. كانت والدتي تقول لي: عليك أن تتعلمي كيف تكوني ربة بيت حتىٰ تتمكني من إنجاز مهامك في بيت الزوجية. في أحد الأيام دار جدال بيننا، أمي وأنا، في محضر والدي. في بداية الحديث التزم والدي الصمت، فربما انتهى الجدال، لكنه عندما استمر الجدال تدخّل من أجل تهدئة الوضع. قال لوالدتي بلهجة وادعة: لماذا تصرين على أن تقوم بهذا العمل؟ «فاطمة سلطان» موجودة وبإمكانها أن تنجز العمل. لماذا هذه الصرامة معها؟»، فهمت أن والدي قال هذه الجملة دعماً لي، فقلت وأنا أشعر بأني على حق: «نعم. فهذه الأعمال لا هي صعبة ولا تعلّمها يحتاج إلى زمن طويل. نحن لا نريد أن نرسل (أبولو) إلى الفضاء»، ومن قبيل هذه الاستدلالات. كلامي هذا

استفز والدتي وأثارها أكثر بحيث توجهت إلى والدي بعصبية وهي تقول: «لولا وقوفك إلى جانبها لم تكن لتجرؤ على التحدث بفظاظة معي». لكن والدي أقنع والدتي أن ذلك من مقتضيات عمرها وأن الأولى الاهتمام بشؤون الدراسة والترفيه أكثر من تعلّم الأعمال الجادة. والأمور الخاصة بإدارة شؤون البيت ستتعلمها في الوقت المناسب. والواقع أن مسؤولية إدارة شؤون البيت ألقيت على كاهلي قبل أن يحين الوقت المناسب!

مرّت السنون؛ وسألتني إحدى الصديقات: «هل كنت تجيدين الطبخ حينما تزوجت؟»، حينها فقط تذكرت أنني لم أكن فقط لا أعرف الطبخ؛ بل حينما جاءت حمواتي لزيارتي في الأيام الأولى (من باب الصدفة أن «فاطمة سلطان» كانت في إجازة) وضعت أمامهن وجبة من الأرُز كانت معيبة من كل الجهات، فيما اشترينا الكباب من السوق. لكنني لم أشعر بالخجل أبداً بسبب أسلوبهن الرفيع.

لحسن الحظ أن عائلة السيد أحمد لم تكن تتوقع الكثير من عروسهم الشابة. فتصرفهم من السمّو ما جعلني لا أشعر مطلقاً بأنني لا أعرف شيئاً عن إدارة شؤون المنزل.

لم يمض وقت طويل حتى تعلمت مستلزمات إدارة المنزل، بل صرت أحياناً آخذ على «سكينة سلطان» بعض نقاط الضعف. وقد كان لها منطق خاص في التعامل وسريعة البديهة في الجواب. في أحد الأيام أعدت لنا فطائر الخضروات، لكنها لم تكن جيدة. في نفس تلك الليلة حضر السيد كاظم رحيمي من طهران في زيارة مفاجئة، وكلّنا تناولنا من تلك الفطائر. حينما قلت لها أن فطائر الخضروات الليلة لم تكن جيدة. ردت فوراً وبشيء من السخرية: «رأيت كيف أنكم لم تتناولوه وقد بقي كله!»، أحياناً كان يدور بيننا مثل هذا الكلام.

بيتنا

البيت الذي بدأنا فيه حياتنا المشتركة، كان يعود لخال والدتي آية الله الحاج تقي القُمي. كانت أرضه من موقوفات مرقد «السيدة فاطمة» ابنة الإمام موسى الكاظم (ع)، وقد كنّا ندفع الإيجار سنوياً كما كان سائداً في العراق، وليس شهرياً.

كان البيت حديث البناء، ونافذة غرفته مطلة على زقاق مليء بالأشجار. ولعل من ميزات منازل المحلّة التي نقطنها، هي إطلالة نوافذه الكبيرة على الشارع أو الزقاق. لهذا المنزل أربع غرف، لكن ليس فيه حمّام، فقُمنا ببناء حمام بسيط في الفسحة الكائنة تحت الدرج، دون أن يكون فيه مجرى للصرف الصحي، بل نعمد إلى جمع المياه في السطل ورميها في البالوعة الكائنة في باحة المنزل. كان بإمكاننا بالطبع أن نجعل مسيراً لمياه الحمام نحو بالوعة المطبخ، لكن صاحب البيت لم يقبل، وقال إنها لا تسع لذلك. أحمد كان يقول: «إذا سقطت قطرة من مياه الحمام داخل هذه البالوعة نكون قد وقعنا في الحرام، وكان يُشرف شخصياً على هذا الأمر ولم يسمح لي أو لـ «سكينة سلطان» أن ننقل الماء. على كل حال حفرنا بعد سنوات بالوعة مناسبة وزالت المشكلة.

بعد سنتين أو ثلاث، حوّلنا إحدى غرف الطابق العلوي إلى مطبخ. الطريف أن هذه الغرفة لم يكن فيها لا ماء ولا بالوعة. من أجل ذلك وضعنا خزاناً على طاولة حيث نملأها بواسطة خرطوم الماء ثم نجمع المياه المستعملة في سطل ونرميها في حديقة المنزل.

بعد مدة اشترى السيد أحمد مولائي، صديق السيد أحمد البيت من آية الله الحاج تقي قُمي وأجّره لنا. بيد أنه بعد سنوات أبلغنا أنه سيملّكنا

إيّاه، وأنه لم يأخذ الإيجار منّا إلا لهذا الغرض. خلاصة القول إننا أصبحنا أصحاب بيت بفضل تدبير السيد مولائي.

كان لبيتنا نوع من التفاوت مع بيت والدي الكائن في واحدة من المحلات الشعبية في مركز المدينة؛ ففي هذه المحلّة كان باعة المواد الغذائية يمرّون بشاحناتهم الصغيرة، فتظهر السيدات بحجاب غير كامل إلى الشوارع من أجل شراء ما يلزمهن. أما في محلّة والدي، فكان الرجال هم الذين يقومون بعملية الشراء، كما لم يكن الاستماع للإذاعة متداولاً هنا.

كان امتلاك جهاز المذياع من ميزات البيت الجديد، وهو أمر ليس بالمتعارف في نظر عامة الناس بالنسبة لأحد طلبة العلوم الدينية خاصة وأنه ابن آية الله. حتى أن إحدى قريباتي نبّهتني كي أذكّر أحمد أن امتلاك جهاز المذياع ليس مناسباً بالنسبة لنا. عندما نقلت هذا الموضوع له، عَلَتْهُ ابتسامة ساخرة وأبدى تعجبه من أنني نقلت له مثل هذه الكلام. كان السيد أحمد مواظباً على الاستماع إلى المذياع ظهيرة كل يوم، ولم أكن أعرف الموجة التي يلتقطها ويستمع إلى برامجها. كنت أسمع فقط صوت المذيع بشكل واضح وهو يقول: «صوت العلماء المجاهدين الإيرانيين من القسم الفارسي في إذاعة بغداد»[١]. ثم يقوم بالعرض لمواضيع مختلفة. كان الاستماع لبرامج إذاعة بغداد يُعدّ جريمة في نظر الحكومة الإيرانية آنذاك. سألت السيد أحمد يوماً: «من هو مقدم هذا البرنامج؟»، فسكت ولم يجبني. سألته مرة أخرى: «من هو المعد لهذا البرنامج؟» فقال: «إنهم يعملون بأسماء مستعارة».

---

(١) يستغرق برنامج «ثورة علماء الدين الإيرانيين» مدة تتراوح بين عشرين إلى خمسة وأربعين دقيقة يومياً، يبثه القسم الفارسي بإذاعة بغداد.

ثم عرفت فيما بعد أن فكرة الاستفادة من إذاعة بغداد لإيصال رسالة وصوت العلماء المجاهدين للشعب الإيراني، كانت من قبل السيد مصطفى الخميني والسيد محمود دعائي[1]، أحد تلامذة وأعوان الإمام، وقد كان السيد دعائي يبذل جهداً كبيراً في إعداد وتقديم هذا البرنامج. بينما كان السيد أحمد مع بعض أصدقائه يعدون الأخبار والمواضيع اللازمة ويوصلونها إليه بشتى الوسائل. قال لي السيد أحمد فيما بعد: «كان السيد دعائي يذهب في صباح كل يوم مبكراً إلى بغداد، وبعد أن يقدم البرنامج الإذاعي يقفل راجعاً إلى النجف بسرعة، كي يحضر الصلاة خلف الإمام ودروسه دون أن يلتفت أحد إلى غيابه». وفي الواقع أن عدداً قليلاً كانوا على اطلاع بأن السيد دعائي هو المعد والمقدم لهذا البرنامج.

أحمد معلّمي ومشجّعي

منذ الأيام الأولى للحياة المشتركة، بادر السيد أحمد إلى تشجيعي على الدراسة بشكل أستطيع معه اجتياز الامتحان الخاص بدخول كلية الطب؛ ذلك أنه كان يرى أن مجتمعنا المتدين بحاجة ماسة إلى طبيبات. كان يردد بتواضع: «أنت تصبحين طبيبة وأنا أقوم بأعمال زرق الحقن، حتى إذا راجعنا مريض في منتصف الليل يمكننا معالجته».

كما كان يصر على أن أتعلم العربية؛ ولذا خصص ساعات لتدريسي وأختيه (السيدة صدّيقة والسيدة فريدة). كان ملمّاً في درس

(١) حجة الإسلام السيد محمود دعائي (مواليد ١٩٤١م): ولد في مدينة يزد ودخل المدرسة فيها، ثم تركها بعد المرحلة المتوسطة وتوجه إلى الحوزة العلمية في كرمان لدراسة العلوم الحوزوية. وتزامناً مع دراسته انخرط في مسيرة الجهاد ضد نظام الشاه. حينما كان في الدراسة الحوزوية أحرق «طاق نصرتي» (قوس النصر) الذي بني في أحد شوارع كرمان بمناسبة ورود الشاه. كما أحرق المطبعة التي طبعت الصحيفة التي أساءت للإمام الخميني في كرمان أيضاً.



السيدة فريدة مصطفوي
(ابنة الامام)



السيدة صديقة مصطفوي
(ابنة الإمام)

الكيمياء للدراسة الثانوية، فقام بتدريسي إياه. ثم بدأنا أنا وأخي عبد الحسين وبعض الأصدقاء، بتعلم الفلسفة الإسلامية على يده. كنّا نقرأ في هذا الدرس كتاب أصول الفلسفة وأسلوب المسلك الواقعي للعلامة الطباطبائي، والذي كتب الشهيد مطهري حاشية له[١].

كان يوصي كافة تلاميذه بمطالعة أولية حول الدرس القادم قبل الحضور فيه. وعندما كان يدرّسنا كتاب «معالم الأصول»، إذا رأى أننا لا نفهم الموضوع بسرعة، قال: «أقسم عليكم بالله أن تطالعوا قبل الدرس كي لا تنظروا إليّ هكذا مبهوتين». لطالما شجعني وبشكل مستمر، على التحصيل الدراسي وهو يقول: «اسعي إلى أن تعتمدي على نفسك كي تستطيعي إدارة حياتك، ذلك أن مصير حياتنا ليس معلوماً».

---

(١) الأستاذ الشهيد مطهري (ولد في طهران عام ١٩١٩م واستشهد عام ١٩٧٩م): فقيه وفيلسوف كبير. خبير بالعلوم الإسلامية وظروف زمانه. يعد من أبرز طلبة الإمام، ومن بين منظّري نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وقد عينه الإمام بعد انتصار الثورة رئيساً للمجلس الثوري.

كان السيد أحمد يواصل درسه وبحوثه بجدية تامة. وفي نفس الوقت يتابع أعمال مكتب والده الكائن في محلة «يخجال قاضي». حتى في ليلة الزفاف، ذهب صباح ذلك اليوم المصادف للنصف من شهر شعبان، إلى المكتب. علماً أنه لم يَرُق لي ذهابه ذلك اليوم، لكنه قال لي: «إنه مضطر».

سری

به مدیریت کل اداره سوم ۳۱۲

از ساواک [illegible]

شماره ۲۱ه/۴۴۰۵
تاریخ ۵۲/۱۲/۹
پیوست

نخست وزیری
سازمان اطلاعات و امنیت کشور

پیرو شماره ۴۳۴۷/۲۱ه - ۵۲/۱۲/۱۲

درباره: سید احمد مصطفوی خمینی

نتیجه مراقبتهائیکه در یکهفته گذشته بعمل آمده ذیلا" باستحضار میرسد:

۱ ـ سوژه شماره تلفن صندوق تعاون اسلامی را که قرار است در قم تشکیل شود و [illegible] گردانندگان آن از مرکز تلفن میخواست.

۲ ـ به یک کتابفروشی کتاب روش رآلیسم را سفارش داده که برای وی تهیه نماید.

۳ ـ سوژه با شخصی بنام امام که باتفاق خانواده خود از تهران بقم آمده بود و حدود پنج روز در قسمت مسافرخانه های توکل و بلوار ساکن بود مرتبا" تماس تلفنی داشت و معلوم بود که باوی سابقه دوستی دارند و روز شنبه ۵۲/۱۲/۱۸ نامبرده در منزل سوژه باتفاق شخص دیگری بنام موسوی مهمان بودند.

۴ ـ سوژه با تماس تلفنی با منزل حاجی علی ابراهیمی ([illegible]) بازی قرار گذاشته که نامبرده جهت دیدن سوژه به منزل وی برود. سوابق ابراهیمی حاکیست که وی یکی از طرفداران جدی خمینی میباشد که سوابق نامبرده در ستاد موجود است.

۵ ـ یوسف صانعی پسر شیخ حسن صانعی (یکی از تبعید شدگان اخیر) با سوژه در تماس بوده است.

۶ ـ سوژه بوسیله پیکان شماره ۲۱۱۱۵ تهران در ساعت ۱۲۲۰ روز ۵۲/۱۲/۱۶ باتفاق راننده پیکان که حدود سی ساله و ملا بوده و همچنین در معیت سید طلبه ای بطرف اصفهان عزیمت نموده اند ولی تاریخ دقیق مراجعت آنان معلوم نگردیده است.

۷ ـ شخصی بنام آل اسحق با منزل سوژه تلفنی تماس و از وی دعوت نمود که شب را منزل وی برود سوژه گفت چون مهمان دارم لذا معذورم.

مراقبت از اعمال و رفتار سوژه همچنان ادامه دارد و نتیجه متعاقبا" باستحضار خواهد رسید.

رئیس ساواک [illegible]

سری

وثيقة سرية تثبت أن السافاك كان يراقب كافة نشاطات أحمد

في تلك الأيام كانت الدروس والمطالعة تأخذ الحيز الأكبر من وقته. يحضر بحوث ودروس السيد صادقي(١) في بيته، فيما يحضر باقي الدروس في مدرستي «الفيضية» و«الحجتية» ومسجد آية الله البروجردي ومراكز علمية أخرىٰ.

---

(١) الشيخ مهدي صادقي ابن المرحوم الميرزا صادق. الميرزا صادق تم نفيه إلى قُم بسبب معارضته لرضا خان. كان الشيخ مهدي محل احترام وحب آية الله بروجردي. وكان الإمام يحبه أيضاً. كان يدرس ويتباحث مع آية الله الشيخ مرتضى حائري. كان شخصاً مختلياً بنفسه ومتواضعاً جداً ويشارك في الإستفتاءات والمسائل الشرعية. درس أحمد المكاسب والرسائل العملية على يديه.

أردت في بداية الزواج أن أعرف عن السيد أحمد في أية مرحلة من الدروس الحوزوية، لكنني كنت أخجل من توجيه السؤال إليه. كنت أعلم أنه يحضر درس آية الله الحاج موسى شبيري زنجاني[١]، فسألته: «ماذا يدرّس السيد زنجاني؟»، ففهم ماذا أقصد، وقال: «كم أنت ذكية».

كان السيد أحمد يرتاح للأشخاص الأذكياء. فمن خصاله أنه إذا سمع عبارة تدل على ذكاء وفطنة ذلك الشخص، عمد إلى نقلها بشيء من التفخيم إلى الأقارب ويمتدح ذكاءه. ولو حصل أن قلت شيئاً يعجبه فإنه لا يكتفي بنقله إلى أصدقائه بل يضيف بالقول: «إن «فاطمة» فهمت هذا الموضوع أفضل منّي». بعض صديقاتي اعجبن بأسلوب السيد أحمد هذا، وقلن إن أزواجهن غير مستعدين أبداً للإقرار بمثل هذه الأمور.

ذات يوم تجادلنا حول إحدى القضايا. سألته: «لماذا فعلت هذا؟»، فرد علي منزعجاً: «لم يكن له دليل». قلت: «لم أعرف أنك تفكر كالأشاعرة». قال: «ماذا تقصدين؟»، قلت: «لا تعتبر الترجيح بلا مرجّح باطلاً». لم ينزعج من كلامي، بل استحسنه. ثم نقل ذلك الحديث إلى سماحة الإمام الذي قال بدوره: حينما تتكلم مع «فاطمة» عليك أن تدقق أكثر في اختيار عباراتك وكلماتك.

محبة الناس

كان الناس يظهرون محبة واهتماماً كبيرين للسيد أحمد، والظريف أنه لم يُصب يوماً بالغرور إزاء مشاعر الناس الصادقة والجياشة، وكان

(١) آية الله العظمى السيد موسى شبيري زنجاني (من مواليد ١٩٢٧م): من مراجع التقليد لدى الشيعة.

يقول مراراً: «محبة الناس الكبيرة للسيد (الإمام) هي أساس كل هذا الإحترام. لا ينبغي لنا أن نشعر بأننا أصحاب منزلة ومقام». لذلك كان يشارك في المجالس بكل تواضع شأنه شأن كافة طلبة العلوم الدينية. قلّما كان يباشر شراء مستلزمات البيت بنفسه؛ والسبب هو أنه كلما ذهب إلى المتجر لشراء شيء مّا قدّمه المشترون المتواجدون في ذلك المتجر على أنفسهم، فيما قام صاحب المتجر بتلبية طلباته دون مراعاة المشترين، الأمر الذي كان يؤلمه دوماً.

نقاط التشابه والتباين

البيئة التي نشأ وترعرع كل منّا أنا وأحمد، رغم ما بها من نقاط تشابه كثيرة، لكنها اتسمت أيضاً بنقاط تباين كثيرة.

فوالدي ووالده انفصلا عن بيئة ومحيط عائلتيهما وحياتهما المرفهتين واختارا الحياة البسيطة والزهيدة، بحيث أنهما واجها، أحياناً، أوضاعاً معيشية صعبة. مثل هذه المعاناة لم تكن صعبة على والدتي لأنها عاشت مثل هذه الحياة في بيت والدها «آية الله الصدر». لكن الأمر لم يكن سهلاً بالنسبة للسيدة (زوجة الإمام) ذلك أنها عاشت طفولة مرفهة.

كان والدي يدعونا دوماً لنبذ التجمّل والتمسك ببساطة المعيشة، ويتحدث إلينا بأسلوب جذاب ومتين بشأن القيم الحقيقية والعواقب المذمومة للحياة المرفّهة بحيث لم نشعر يوماً بضعف قدرتنا المالية أو نشعر بالألم جراء ذلك.

كلا العائلتين تشكلتا وتمت إدارتهما بأسلوب تقليدي. القرارات النهائية بيد ربّ العائلة طبعاً بعد التشاور مع أعضاء العائلة في بعض الأمور. كما إن تأمين ميزانية ومصاريف البيت والعائلة، تقع كلياً على ربّ الأسرة. امتازت العائلتان بتوفر العلاقة العاطفية والاحترام المتبادل

بين الأب والأمّ والأولاد. لم تبدر في أي من لحظات العصبية والاختلاف أية كلمات بذيئة أو عبارات ركيكة.

في عائلة السيد أحمد كان إظهار المحبة بين الأب والأم شائعاً، على خلاف ما هو متعارف في عائلتنا، فالأولاد اعتادوا ـ في عائلة أحمد ـ على سماع كلمات المحبة فيما بينهما؛ لكن في عائلتنا لم يكن أبي ممن يردد كلمات المحبة على لسانه. أما والدتي فلطالما أظهرت إعجابها بوالدي ولكن في غيابه فقط.

في لحظات تحويل السنة الشمسية، لم يكن يجري في منزلنا أي برنامج، بل لا تختلف باقي لحظات السنة، أما في منزل السيدة أم أحمد فيلبسون الجديد، ويتلو السيد الإمام الدعاء ويأكلون بعد تحوّل السنة الحلويات، ثم يوزع العيدية على الجميع.

الاقتراحات الخاصة بالسفر في عائلتنا غالباً ما تتم من قبل الوالد، وأحياناً من قبل الأولاد. أما في عائلة أحمد فالسيدة والدته هي التي غالباً ما تكون صاحبة الاقتراح. إذ إن السيدة وعلى خلاف والدتي، كانت تحب السفر وزيارة الأماكن المهمة والمعالم الجذابة، ولذا فهي تمتلك معلومات وافية بهذا الشأن.

تقوم السيدة أم أحمد بمهام الإدارة الداخلية للمنزل وتهيئة مستلزماته الضرورية واختيار أنواعها، بينما وضعت والدتي مثل هذه الأعمال على عاتق أبي، فهي تؤْمِن برأيه وذوقه في كل المجالات. اتّكلت على والدي كلياً، بحيث حينما قال لها والدي إنك مستطيعة وعليك أداء مناسك الحج، أجابته وبحزم: «إن رافقتني في هذه السفرة، فسأكون مستطيعة. وإلّا لا أجد نفسي واجبة الحج»؛ بينما كانت والدتي قادرة حتى على قيادة قافلة بمفردها.

تقع تربية الأولاد في عائلتنا في عهدة والدي. حيث كانت والدتي تخبر أبي بأخطائنا وتطلب منه تأديبنا، بينما تولّت السيدة في عائلة أحمد مهمة تربية الأولاد في الغالب. كانت السيدة في الغالب بصوتها الحازم والمرتفع تؤدب وتوبخ الأولاد، بحيث أن السيد الإمام قال لها على سبيل الطرفة، إن طنين صوتك مناسب للتدريس في صحن السيدة فاطمة (ع).

الأجواء في عائلتنا ذكورية؛ إذ كنت البنت الوحيدة في البيت. أما في بيت السيد أحمد فالأجواء كانت أنثوية.

أقراني في اللعب غالبيتهم من الذكور. (إخوتي وأقرانهم من أبناء الأقارب). أذكر حينما بلغت سن التكليف قالت لي والدتي: «عليك أن تلبسي الشادور من الآن ولا تلعبي مع الأولاد. لكنني قلت: «إذن ألعب مع الشادور»؛ ذلك أني لا أقبل التنازل عن اللعب.

في هذه الأجواء المتّسمة بالذكورية، لم تكن هناك بنت ألعب معها لعبة «الخالة» (لعبة تمارس فيها البنت دور الأم ولها طفل فتقوم بزيارة قرينتها والتحدث معها، أسوة بما يجري بين الكبار). ذات يوم وبعد التوسل بشقيقي مرتضى، الذي كان في العاشرة من عمره، استطعت أن أقنعه على اللعب معي هذه اللعبة. فأعددت السماور وإبريق الشاي والفناجين وأقداح العصائر الصغيرة، فما كان من مرتضى إلاّ أن شرب القدح الخاص به وقدحي، ثم سلّم عليّ وغادر. كان مهتماً ببعض اللعبات الخاصة به. أحياناً يجلس في حديقة المنزل ويعزف على «السنطور» الذي صنعه من صندوق المكعبات الخشبي.

أُسرة أحمد

السيد مصطفى هو أول أبناء الإمام الخميني، إذ رأى النور في قُم

عام ١٩٣٠م، وبلغ مرحلة الاجتهاد بعد أن قضى مراحل الدراسة الحوزوية. تزوج مع السيدة «معصومة» بنت آية الله الحاج الشيخ مرتضى حائري، فولدت له ابناً (السيد حسين) وبنتاً (السيدة مريم).

بعد شهرين من نفي الإمام، قام السافاك بنفيه إلى تركيا ومن ثم إلى العراق، بسبب حظوته بين أبناء الشعب الثوريين. بمجرد وصوله إلى النجف بدأ يحضر دروس كبار علماء الحوزة والمراجع.. وأصبح من مدرّسي حوزة النجف البارزين، وباشر بتدريس بحوث الخارج في الفقه والأصول. ووفقاً لما نقله بعض الأصدقاء، فإنه كان قوياً جداً في إثارة الأسئلة على الأستاذ؛ بحيث أثار دهشة بعضهم بسبب تمكّنه من المسائل العلمية وباتوا يتساءلون أين درس؟. فكان يجيب بكل فخر: «درست على يد والدي». هذه الأسئلة والأجوبة تم طبعها في فصل خاص في الرسالة.

انشغل إلى جانب الدروس والبحوث، بالجهاد، وكان على اتصال بالمجاهدين في الداخل والخارج.

للسيد مصطفى مؤلفات كثيرة[١].

الابن الثاني (علي) توفي في صغره.

أما الابن الثالث، فكانت السيدة «صدّيقة» التي ولدت عام ١٩٣٦م، وتزوجت بآية الله شهاب الدين إشراقي[٢]، وقد رزقها الله

---

(١) للمزيد من المعلومات حول مؤلفات الحاج السيد مصطفى، راجع الهامش، رقم (٤) في ختام الفصل.

(٢) آية الله الميرزا شهاب الدين إشراقي (١٩٢٣ ـ ١٩٨١م): ولد في قُم وهو ابن الحاج الميرزا محمد تقي إشراقي، وقد عرف بخطاباته النارية. كان الشيخ إشراقي من الطلبة البارزين في الحوزة وممن يعتمد عليهم الإمام. أصبح بعد نفي الإمام إلى العراق، وكيلاً تام الصلاحية عنه. وقد عمد السافاك إلى نفيه إلى همدان بسبب متابعته لأوضاع وشؤون عوائل المجاهدين. بعد أن قضى فترة النفي لم =

تعالى منه ثلاثة أبناء هم: علي ومحمد تقي ومرتضى وأربع بنات هن «نفيسة» و«زهراء» و«نعيمة» و«عاطفة».

بعد ذلك، رأت السيدة «فريدة» وهي الابن الرابع للعائلة، النور عام ١٩٣٨م، وتزوجت من السيد محمد حسن أعرابي، فرزقها سبحانه وتعالى منه بنتاً سمتها (فرشته). السيدة فريدة درست العلوم الحوزوية ونالت شهادة المرحلة الثالثة فيها، كما سطّر قلمها عدداً من المؤلفات(١).

أما السيدة «زهراء» المعروفة باسم (السيدة فهيمة)، فهي الابن الخامس في عائلة الإمام، حيث ولدت عام ١٩٤٠م، وتزوجت بالدكتور محمود بروجردي. وهو عضو في الهيئة العلمية لكلية الشريعة بجامعة طهران، ولها ابن اسمه مسيح، وبنت اسمها ليلى. للسيدة «زهراء» مؤلفات في مجال الفلسفة الإسلامية(٢).

«سعيدة» هي الابن السادس لأسرة سماحة الإمام (رض)، وقد توفيت في الشهر العاشر من عمرها.

الابن السابع للعائلة كان من الإناث أيضاً، وسميت «لطيفة» التي غرقت في حوض المنزل في سن الثالثة.

= يُسمح له بالرجوع إلى قُم، بل عاش في طهران تحت مراقبة السافاك. ترك عدة مؤلفات مثل: الكلام الحق. حماة الوحي. الشخصيات اللامعة. المعلومات اللازمة، بالإضافة إلى الحاشية على العروة الوثقى.

(١) للمزيد من المعلومات حول مؤلفات السيدة «فريدة» مصطفوي، راجع الهامش، رقم (٥) في نهاية الفصل.

(٢) للمزيد من المعلومات حول مؤلفات السيدة «زهراء» مصطفوي، راجع الهامش، رقم (٦) في نهاية الفصل.

السيدة أم أحمد سردت لي قصة غرق «لطيفة»، فقالت: «ذات يوم ومن دون إخبار مسبق، زارنا ضيف[١]. فقامت الخادمة بغسل الخس وتقديمه للضيف، فرمت الخس في الحوض كي ينظف من الطين العالق به، فغطت أوراق الخس سطح الحوض. في نفس الوقت كانت «لطيفة» مشغولة باللعب بأوراق الخس والتقاطها من على الماء، فوقعت في الحوض فجأة. وبعد أن أحضرت الخادمة مقداراً من الخس لنا، التفتت إلى أن لطيفة ليست بجانبنا في الغرفة. فأسرعت تبحث عنها. قُمنا كلنا نبحث عنها، وفجأة طفى جسد الطفلة على سطح الحوض.

كان السيد أحمد هو آخر العنقود في العائلة، إذ ولد عام ١٩٤٥م. بعد أن أنهى دراسته الثانوية، توجه إلى الدراسة الحوزوية. والتزم إلى جانب دراسته بنشاطه الجهادي، فكان الرابط بين المجاهدين والإمام.

وفي عام ١٩٧٠م، تزوج بي ورزقنا الله تعالى ثلاثة أبناء هم: السيد حسن والسيد رضا (ياسر) والسيد علي[٢].

مجالات التسلية والترفيه

في الأيام الأولى من الزواج، كان السيد أحمد يذهب في النهار إلى الدرس، فيما كنت منشغلة بمطالعة دروس المرحلة المتوسطة (في البيت). زيارة الآخرين كانت تأخذ حيزاً من وقتي. كما كنت أتسلّىٰ بحل الكلمات المتقاطعة والحياكة. نمارس أنا والسيد أحمد أحياناً لعبة كرة المنضدة (الطاولة) حيث كان أحمد يلعبها بمهارة فائقة. كان يتفوق دائماً

---

(١) في تلك الأيام أكثر الأشخاص القريبين من العائلة كانوا يزورون بعضهم دون موعد سابق، فيدخلون إن كان صاحب البيت موجوداً ويتم استضافتهم بما هو متوفر.

(٢) سأتحدث فيما بعد بشكل مفصل عن والدي أحمد وأجداده.

عليّ وعلى سائر الأصدقاء الذين كانوا يبارونه. كانت لأحمد رغبة عارمة بالرياضات التقليدية القديمة، فيذهب أحياناً لقاعات «الزورخانه». وقد وفّر وسائل هذه الرياضة في البيت.

تكاليف المعيشة

كانت تكاليف المعيشة تؤمَّن من الراتب الحوزوي[١] لأحمد، بالإضافة إلى المساعدة المالية القليلة من قبل السيد (الإمام). يقوم خادم بيت السيد الإمام «مشهدي رضا» بشراء ما نحتاجه في البيت. لم يكن لدي عائد مالي ثابت، بل كان والدي يعطيني مالاً بعنوان الهدية. أذكر في بداية زواجي حينما كان والدي يروم الذهاب إلى المسجد[٢] في سيارة الأجرة، أو بواسطة العربة، يسألني: «ابنتي، هل لديك نقود؟»، يريد بذلك التعرف على وضعي المالي من جهة، ومن جهة أخرى يشجعني على أن أطلب منه المال في حالات الضرورة دون خجل. علماً أنه كان يعيد لي المال الذي يستقرضه منّي مع شيء من الزيادة بنية الاستحباب.

أصر السيد أحمد دوماً على أن تكون حياتنا بسيطة جداً، وتتناسب مع الحياة المتعارفة عند طلبة العلوم الدينية.

إختيار مرجع التقليد

كنت أقلد آية الله الحكيم حتى وفاته. وبعد وفاته كان علي أن أختار مرجعاً آخر، فبادرت إلى التشاور مع صديقاتي اللّاتي يمكنهن مساعدتي في هذا المجال. كانت أياماً صعبة والجميع يوصي بالدقة في

---

(١) الراتب الحوزوي: هو مقدار قليل من المال يقدمه المراجع لطلبة الحوزة العلمية.

(٢) كان والدي إمام جماعة مسجد (الملّا جعفر) في سوق قُم.

الاختيار! لأنكِ لا تستطيعين الإعتراض على فتاوى من تختارين. فإن قبلتِ بأعلميته، فعليك اتّباعه.

سألت أحمد حول «التقليد» واختيار المرجع. فقال إن عليكِ البحث عن «الأعلم» لتقلّديه، على أن لا يكون الاختيار على أساس العاطفة. سمعت من والدي أيضاً، إن مرجع التقليد يجب أن يكون إلى جانب تحلّيه بالعلم والتقوى، رجلاً شجاعاً وملمّاً بحوادث وقضايا زمانه. حامياً لدين الناس وناموسهم. ورغم كل ذلك، استفهمت من واحدة أخرى من صديقاتي. فقالت بتعجب: «كيف تعجزين عن الإختيار! أنت لا تعرفين قدر الماء وأنت بجانب الفرات! أعلمية آية الله الخميني أوضح من الشمس. فالعلماء يقرون له بقدرته العلمية. جلسات درسه تجسد هذا الأمر، كما أن تقواه مضرب مثل عند العام والخاص. ثم إن الجميع يعرف عنه تحلّيه بالشجاعة والإطلاع على قضايا زمانه». ثم أشارت في معرض حديثها عن وعي الإمام وإلمامه بقضايا ومستلزمات العصر، إلى واحدة من نداءاته وكيف أنه عرف بواحدة من الحوادث المهمة في مجلس الشورى الوطني رغم الرقابة الصارمة على الصحافة حينذاك، وقام بفضحها، وقال: «هل يعرف الشعب الإيراني ماذا يحصل اليوم في المجلس؟ إن المجلس وقّع وباقتراح من الحكومة، على وثيقة عبودية الشعب الإيراني، وخطّ بالأسود على كافة مفاخرنا الإسلامية والوطنية. أساء إلى الجيش وأصحاب المناصب، إذ وضع الشعب الإيراني تحت الأسر الأميركي. في الوقت الذي تحطم الدول المستعمَرة الواحدة تلو الأخرى، قيود الأسر بكل شهامة وشجاعة، يقدم المجلس في إيران، وتحت يافطة حضارته الممتدة لألفين وخمسمائة عام[١]، على

(١) حول احتفالات الألفين والخمسمائة عام، راجع الهامش، رقم (٧) في نهاية الفصل.

التصويت لصالح أكثر قرارات الحكومة العديمة الشخصية، قبحاً وعاراً».

ثم يقول: «سمعت من مصادر مطلعة أنه تم اقتراح مثل هذا المشروع لدول باكستان وتركيا وأندونيسيا وألمانيا الغربية لكنها لم تقبل به».

في النهاية، اخترت آية الله الخميني كمرجع تقليد لي. وبعد أن شرحتُ لأحمد كيفية اختياري لمرجع تقليدي، قال لي: «حاول الشاه أن يقوّض مرجعية الإمام، في حين أن الإمام بعث لي برسالة(١) بعد وفاة آية الله الحكيم، أوصاني فيها بعدم التحدث مع الناس حول مرجعيته، وأن أتجنّب الدخول في جدالات كهذه، الأمر الذي أوصى به أصدقاءه في العراق أيضاً». لقد قرأت نص الرسالة التي كتب فيها:

«عزيزي أحمد

أرجو أن تكون سالماً إن شاء الله. أنا بخير والحمد الله ولست أعاني من أي مشكلة صحية. أما العلة النفسية فأعاني منها كثيراً. من الضرورة بمكان أن أذكّر؛ من المحتمل في هذه الأوقات أن تثار قضايا متعلقة بالمرجعية أو لا قدر الله، ظهور جدال بين الشباب. فعليك وعلى كافة أصدقائي أن تكونوا بمنأى عن هذه القضايا ولا تتدخلوا ولا بكلمة واحدة. الأمر الذي أوصيت به الأصدقاء هنا، ...

أسأل الله تعالى لك التوفيق

والسلام

والدك»

بعث الشاه برقية تعزية لآية الله السيد كاظم شريعتمداري في قُم وآية الله السيد أحمد الخونساري في طهران. وهذا العمل معناه هو طرح

---

(١) تأريخ الرسالة ١٠/٦/ ١٩٧٠م.

هذين الشخصين كمرجعين، والسعي إلى محو اسم الإمام بالتدريج من أذهان الناس. أدّى هذا العمل إلى انتفاض بعض الناس من محبي الإمام والحديث عن مرجعيته، الأمر الذي جعلهم محل سخط النظام الشديد، فتم زجهم في السجون ونفيهم. لقد أقدم آية الله سعيدي في إحدى محاضراته، واحتجاجاً على الشاه، بالحديث وبصراحة عن مرجعية الإمام الخميني. بعد هذه الخطبة تم اعتقاله وزجه في السجن، حتى استشهد تحت وطأة التعذيب. كما أصدرت جمعية الاتحادات الإسلامية للطلبة في أوروبا، بياناً في أميركا وكندا، تم نشره في الفصلية العقائدية لجمعية الإتحادات الإسلامية. وقد جاء فيها:

«الشاه يعلم أن آية الله الخميني لا يساوم.

الخميني لن تنطلي عليه الخدع.

الخميني لا يرى الإسلام مجرد عبادات.

الخميني انسان يقارع الإستعمار.

الخميني يعتبر محاربة الاستبداد من تكاليفه الدينية.

الخميني يلغي بكل شجاعة، قانون الحصانة للأميركي.

الخميني يعتبر إسرائيل غاصبة ومقراً للإمبريالية، ويفتي بالجهاد ضد الحكومة الصهيونية الفاشية».

ذات يوم تحدث لي السيد أحمد عن شورى المحافظات والمدن[١]

---

(١) في هذه اللائحة التي تمت المصادقة عليها في الأسبوع الأول من تشرين الأول عام ١٩٦٢م من قبل حكومة أسد الله علَم، وفيها حذف شرط الإسلام والقَسَم بالقرآن الكريم من قبل نائب المجلس. في اليوم التالي أبرق الإمام إلى محمد رضا شاه دعاه فيها إلى إلغاء هذه اللائحة. منذ ذلك اليوم وحتى أواسط الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني لنفس العام، أبرق الإمام إلى كل من الشاه وأسد الله علَم، واعتبر في خطاباته وبياناته أن المصادقة على لائحة شورى المحافظات والمدن=

والبرقية التي بعث بها السيد الإمام إلى الشاه. لقد وجه سماحته النصيحة للشاه لعدة مرات، باحترام دستور البلاد وعدم الانحراف عن القرآن وأخذ البلاد إلى التهلكة. قلت: «الحديث بهذه الصورة مع الشاه يحتاج إلى قدر كبير من الجرأة والشجاعة». فقال: «إن السيد الإمام آمن بالإسلام بكل أبعاده، ورأى أن المسلم مكلّف بالإنتفاض من أجل إزالة الظلم ومحاربة الفقر الثقافي والمادي مثلما أنه مكلّف بالصلاة والصوم والصدق. السيد الإمام رأى أنه تقع على عالم الدين رسالة مهمة. فالإيثار وحث الخطى في الطريق الإلهي، من سمات عالم الدين».

لطالما امتدح أخي جواد الذي كان جامعياً، حينها، شجاعة السيد الإمام، فكان يشير إلى بيان الإمام الذي أدان فيه الشاه، ويردد بذلك عبارة سماحته التي قال فيها: «ليعلم العالم أن كل مشكلة يعاني منها الشعب الإيراني والشعوب المسلمة.. سببها أميركا. إن الشعوب المسلمة تمقت الأجانب عموماً وأميركا خاصة..»[١].

مباراة إيران وإسرائيل

في إطار المباريات التمهيدية لبطولة كأس العالم لكرة القدم؛ جرت مباراة بين الفريقين الإسرائيلي والإيراني[٢]. في ذلك الوقت نظم الشعب الإيراني تظاهرة ضد الكيان المحتل للقدس وعبّر من خلال شعاراته المنددة بالصهيونية، عن غضبه على قادة النظام. كما قامت

= منافية للموازين الشرعية. كما دعا الناس وعلماء كافة المدن إلى المقاومة حتى إلغاء هذه اللائحة. في النهاية اضطرت حكومة علَم إلى الإعلان في الصحف الرسمية عن إلغاء هذه اللائحة وذلك في الأول من كانون الأول لعام ١٩٦٢م.

(١) صحيفة الإمام. الجزء الأول ص ٤١١.

(٢) هذه المباراة جرت في طهران عام ١٩٦٨م.

المحافل الدينية كل من موقعها، بالخوض في هذا الحدث، فيما خرج طلبة الجامعات إلى الشارع ونظموا تظاهرة في يوم المباراة وأدانوا العلاقة بين الحكومتين. على كل حال فاز الفريق الإيراني في تلك المباراة وابتهج الشعب بذلك الفوز فنزلوا إلى الشوارع ووزعوا الحلوى. غير أن طلبة جامعة شيراز وكلية الهندسة بجامعة طهران واصلوا تظاهراتهم الإجتماعية في الأيام التي تلت المباراة.

تواصلت مظاهرات الطلاب وتكررت في السنوات التالية. حتى قرر النظام غلق أبواب كليتي الحقوق والطب، واعتقل السافاك عدداً كبيراً من الطلبة المعترضين. ابن خالتي السيد محمد الصدر العاملي أعتقل وأودع السجن. ولإعلان الاحتجاج قام كافة الأقرباء بالذهاب إلى بيت خالتي. بدورنا توجهنا من قُم إلى بيت خالتي، فوجدناها متألمة ومضطربة بسبب عدم وجود أي خبر عن ابنها فضلاً عن الأنباء غير السارة التي تَرِد من السجن. على أن هناك بالطبع، من قام بالتنكيل والتشفّي من العوائل المصابة بأولادها.

تواصلت مظاهرات الطلبة الجامعيين فيما بدأت شعاراتهم تأخذ يوماً بعد آخر، صبغة إسلامية أكثر، علماً بأن غير المتدينين كانوا ضمن المظاهرات. وبسبب ارتباطي السببي بآية الله الخميني، فإنني، أصبحت ـ رغم أن عمري لم يتجاوز الثامنة عشرة ـ، محط اهتمام الجامعيين والمجاهدين من الأقارب. سمعت من بعضهم أنه كان للسيد أحمد دور مؤثر في تنظيم المظاهرات والاحتجاج على تطبيع العلاقة بين الحكومتين الإيرانية والإسرائيلية آنذاك.

في تلك الفترة أثيرت عدة تساؤلات من قبل أشخاص ومجاميع مختلفين فيما بينهم، وأحياناً كانوا يسألون السيد أحمد: «لماذا لا يعلن آية الله الخميني دعمه لمظاهرات الجامعيين؟ لماذا لا يصدر البيانات في

تأييدهم؟»، لم يكن السيد أحمد يعرف الجواب الدقيق والقاطع لتلك الأسئلة، حتى سافرنا إلى العراق، وهناك سمعت من السيد الإمام قوله: «أن أي تأييد أو دعم من قبلي سيقود إلى تشديد القبضة ضدهم في المعاقبة والتعذيب. لهذا السبب لم أدعمهم بشكل صريح».

وهناك أيضاً سمعت أن سماحته وجه نداءً للحجاج دعم فيه الحركات التحررية للجامعيين، وتطرق إلى نقطة مهمة أثارت دهشة الشباب وألهبت مشاعرهم، وهي دعوته لعلماء البلدان الإسلامية المجتمعين في مؤتمر الحج العظيم للجلوس حول طاولة واحدة والتشاور وتبادل وجهات النظر فيما بينهم بشأن قضايا الإسلام المهمة والإنصات لمشاكل المسلمين من أهالي كل بلد. وأن يوحدوا المساعي لتحرير فلسطين من براثن الصهيونية، العدو اللدود للإنسانية. وأن يحددوا هوية الشيطان الأكبر الذي كمن للأمة الإسلامية، وأن يوحدوا صفوفهم ويتضامنوا من أجل طرده[١].

اللقاءات العائلية

في السنوات الأولى من حياتنا الزوجية المشتركة، لم يكن يسكن من أسرة الإمام الخميني (رض) في قُم سوى السيدة «فريدة». حتى السيدة «صدّيقة» سكنت طهران، إثر منع السافاك زوجها آية الله إشراقي من الذهاب إلى قُم، لكنها عادت إليها بعد أن انتهت مدة المنع. كانت السيدة «فهيمة» تسكن بالقرب من ميدان «بهارستان» بطهران. وعادة ما كانت تأتي إلى قُم في العطلة الربيعية، فنجتمع لعدة أيام، ثم نعود جميعاً إلى منزلها في طهران. لقد كنّا نقضي أوقاتاً ممتعة جداً في تلك الأيام.

---

(١) تم توزيع قسم من نداء الإمام لحجاج بيت الله الحرام في مكة المكرمة والمدينة المنورة في موسم الحج عام ١٩٧١م ما أدى إلى اعتقال عدد من تلامذة الإمام. سأتطرق إلى ذلك في الفصل الرابع.

كنّا ننجز مع بعضنا كافة الأعمال. كان السيد أحمد يساعدنا أيضاً، وغالباً ما يقوم بغسل الصحون. وحينما كان يجد الصحون كثيرة، يقول ساخراً: «عزيزتي «فهيمة»! هل جئت بصحون الجيران كي أغسلها أيضاً؟».

وحينما كانت السيدة أم أحمد تأتي من النجف إلى طهران، يقوم أقرباء الإمام بزيارتها. أنا أيضاً (إذا كنت في طهران حينها) أذهب بمعية والدتي إلى منزلها. الجلوس معهم كان ممتعاً بالنسبة لي. وتسعى الحاضرات إلى أن يكون المجلس حافلاً وأكثر ازدهاراً إكراماً للسيدة. فكل من تحفظ شعراً أو تمتلك صوتاً جميلاً تبادر إلى إنشاده أو سرد الطّرَف.

في أحد الأيام دعينا إلى منزل أحد أقارب الإمام لتناول الغداء. وبعد الظهر اعتذرت إحدى السيدات من الجمع وأرادت مغادرة المجلس لأداء الصلاة. الحاضرات طلبن منها أن تصلي في البيت لكنها قالت بما أن حذاءها مصنوع من جلد مستورد من الخارج، وهي لا تعتبره طاهراً لذا، فعليها الذهاب إلى بيتها لتطهر قدميها أولاً. لهذا غادرت المجلس. كلامها لفت نظري؛ فبرغم كونها غير محجبة لكنها في نفس الوقت تهتم بموضوع الصلاة والطهارة إلى هذا الحد.

وفي مجلس آخر أقيم على شرف السيدة أم أحمد بعد حفل زواج إحدى قريبات الإمام، سمعت أن العريس والعروس صائمان، وقد ذهبا لحفلة الزفاف بعد أن أفطرا وصلّيا صلاتي المغرب والعشاء. هذا الخبر أثار دهشتي حينما عرفت أن العروس حضرت حفلة العرس بين الرجال دونما حجاب.

طريقة تعاملهم واحترامهم للضيف والتقاليد المتبعة في هذه الأسرة، عادت بي إلى الذكريات التي حكَتْها لي العمّة «منير أعظم» عن

أسرة والدها. فحول صحون التقديم والتقاليد المتبعة في استضافة الضيف وغيرها، كانت عمتي تقول: «لكل مرحلة من التقديم خادم خاص. فواحد مكلّف بالمجيء ـ بالضيافة ـ إلى عتبة الباب فقط، فيما الآخر يقوم بالتقديم داخل الغرفة».

لقد لاحظت شبهاً كبيراً بين هذين القريبين من حيث تقاليد الضيافة.

أصدقاء العائلة

أحد أصدقاء السيد أحمد الذين كنّا نتبادل الزيارات العائلية معه، هو السيد محمد علي صدوقي، إبن آية الله صدوقي يزدي الذي يعد من العلماء المؤثرين في يزد، ومن أصدقاء الإمام الخميني. وخلال تلك الزيارات تعرفنا على السيد محمد خاتمي الذي كان قد تخرج حديثاً من جامعة أصفهان ومتواجداً في بيت أخته. كانت السيدة «مريم خاتمي» وهي زوجة السيد محمد علي صدوقي وأخت السيد محمد خاتمي، صديقة حميمة جداً لي. وقد قالت لي منذ اللقاء الأول: «إن لك في هذه المدينة أقارب كثيرين وربما لا تحتاجين إلى صداقتي ومسامرتي؛ أما أنا فغريبة هنا وسعيدة لأنك بجانبي».

في مثل هذه المجالس كان الحديث يجرنا إلى كل موضوع قد يخطر على البال. غالباً ما دار الحديث بيننا، أنا والسيدة «مريم خاتمي» (صدوقي) عن الكتّاب المعاصرين والقصص المشهورة. كنّا نتبادل وجهات النظر حول مؤلفات صادق هدايت[1] وجلال آل

---

(١) صادق هدايت (١٩٠٢ ـ ١٩٥١م): ولد في طهران وقضى مرحلته الابتدائية في المدرسة العلمية. ثم دخل دار الفنون، بعدها واصل تعليمه في المدرسة الفرنسية. كان هدايت من السباقين لكتابة الرواية الحديثة في إيران. وأشهر رواياته «بوف كور» (البومة العمياء). كما ترجم هدايت نتاجات كبار المؤلفين.

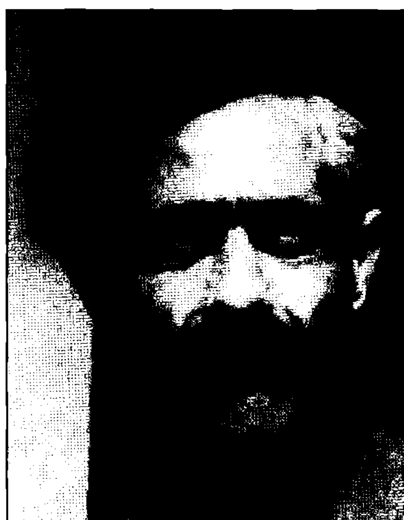


صادق هدايت



دكتور علي شريعتي

أحمد[١] والدكتور شريعتي[٢]. كانت «مريم» أكبر منّي سنّاً وتمتلك معلومات عامة وسياسية وافية. عاشت تجربة الحياة بعيداً عن العائلة؛ ذلك أنه لم يكن في مدينة أردكان (محافظة يزد) ثانوية للبنات بل درست الثانوية في أصفهان إلى جانب أخيها (السيد محمد) الذي كان يواصل دراسته الجامعية. الاستماع لتلك الذكريات



جلال آل أحمد

(١) جلال آل أحمد (١٩٣٣ ـ ١٩٧٧م): ولد في محلة (باجنار) بطهران في عائلة علمائية، وبعد أن أنهى الابتدائية عمد إلى الذهاب للعمل صباحاً والدراسة ليلاً. للمزيد من المعلومات حوله، راجع الهامش، رقم (٨) في نهاية الفصل.

(٢) الدكتور علي شريعتي (١٩٣٣ ـ ١٩٧٧م): ولد في قرية (مزينان) التابعة لمدينة (سبزوار) شمال شرق إيران. أنهى دراسته الإبتدائية في مشهد. راجع الهامش، رقم (٩) في نهاية الفصل.

كان ممتعاً بالنسبة لي. كنّا نقرأ لبعضنا أشعارا لكل من (رهي معيّري)، و(عماد خراساني)، و(سعدي)، و(حافظ)، و(صائب تبريزي) وأحياناً نتبارى في الشعر. وأحياناً أخرى كنّا نطبخ معاً الحلوى ونبتكر أنواعاً جديدة من المربى. كنت انضّد قشور البرتقال مثل الورد المحمدي ثم نطبخها مع المربى، فكانت تظهر بصورة جميلة ونكهة لذيذة جداً. كان السيد أحمد يقول لبعض الضيوف وهو يمزح: «حينما تتناولون هذه المربى تكونون كمن طعن قلب فاطمة بالسكين. فهي تريد أن تنظروا إلى المربىٰ فقط ولا تأكلوا منها!!». لم يكن السيد أحمد مرتاحاً من أن أسلّي نفسي فقط بهذه الأعمال، بل أراد أن أخصص أغلب أوقاتي للدراسة.



من اليمين: المؤلفة وحسن وزوجة السيد لاهوتي

بعض أصدقاء أحمد كانوا يأتون مع عوائلهم لزيارتنا في البيت. مثل: السيد حسن لاهوتي[١] الذي ألزموه عند خروجه من السجن، بالتعهد بعدم التقرب من بيت الإمام وعدم التردد على أقارب الإمام.

---

(١) سأتحدث عنه في الفصل الخاص بأقران السيد أحمد من المجاهدين.

السيد مولائي، هو الصديق الآخر الذي كان يزورنا هو وزوجته وأولاده أحياناً في قُم، وقد زرتهم أنا في طهران مرة واحدة.

اعتاد السيد أحمد دعوة العلماء الذين يزورون قُم على مأدبة غداء، ويدعو على شرفهم عدداً آخر من الضيوف.

تسفير الإيرانيين من العراق

أغلب الإيرانيين الذين سُفّروا من العراق، لم يكن وضعهم المادي جيداً. حينما كنّا نذهب أحياناً لزيارتهم، يقولون: «بإنذار مفاجئ من قبل الحكومة العراقية، كان يتوجب علينا أن نغادر العراق خلال ساعات بحيث لا نمتلك الفرصة حتى لجمع أثاثنا. ونحن في هذا الحال، كان بعض جيراننا العراقيين من أصدقائنا يأتون إلى بيتنا ويقولون لنا: حينما تذهبون يأتي البعثيون ويستولون على ممتلكاتكم، لذا فأعطونا أثاثكم. فنضطر إلى المجيء إلى إيران بلا شيء»[1].

قال لي السيد أحمد إن الإمام كان يعيش في المنفى هناك، إلّا أنه احتج بشدة على الحكومة العراقية بسبب عملها هذا، في حين كان بعضهم يقول: «لا تعترضوا لئلّا تتضرر الحوزة». لكن سماحته كان يرد عليهم بالقول: «ولأي شيء نريد الحوزة العلمية؟ أليست الحوزة وجدت للحفاظ على الإسلام ومصالح المسلمين. حينما تتصرف الحكومة

---

(١) سبب تسفير الإيرانيين الذي تم على مراحل؛ حينما جاء أحمد حسن البكر للحكم إثر انقلاب تموز عام ١٩٦٨م بالتعاون مع الإنجليز، لم يهتم به الأميركيون. في هذه الأثناء مرّت علاقة إيران التي كانت تابعة لأميركا، بسنوات من الفتور مع العراق. وبالنتيجة مارست الحكومة العراقية الضغط على الإيرانيين المقيمين في العراق، وعمدت عام ١٩٧٠م إلى تسفيرهم من أراضيها في أوضاع مؤسفة.

العراقية مع المسلمين بهذه الطريقة، فإن وجود الحوزة من عدمها سيان». ثم أعلن أنه سيغادر العراق.

بعد كلام الإمام هذا، زار سماحته مندوب عن الرئيس العراقي أحمد حسن البكر، وقال: «أحمل إليك تحيات وسلام رئيس الجمهورية». فقال الإمام في الجواب: وماذا أفعل بتحيات وسلام رئيس الجمهورية، في الوقت الذي دفعتم العوائل الإيرانية إلى الحدود، مشردين دون مأوى في هذا البرد الشديد. سأبقى لفترة أخرى كي أرى ماذا ستفعل الحكومة العراقية».

بعد تهديد الإمام، وكذلك وساطة بعض المنظمات الدولية، تم تجميد عملية تسفير الإيرانيين وعاد الهدوء النسبي لمدينتي النجف الأشرف وكربلاء، حيث غالبية الإيرانيين كانوا يقطنون هاتين المدينتين[١].

سفراتنا

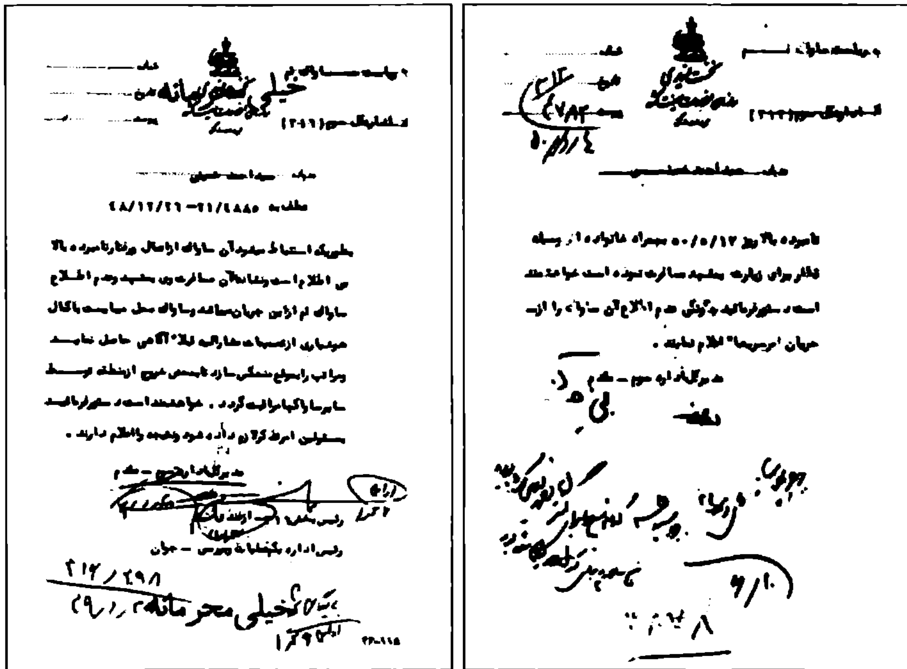
زرنا في بداية زواجنا (أنا وأحمد)، كلاً من مشهد وخمين ويزد وأردكان.

كان السيد محمد علي صدوقي يمتلك شاحنة صغيرة، وكان السيد أحمد يستعيرها أحيانا، فنسافر فيها. ذات ليلة سافرنا بها إلى طهران، وذهبنا إلى بيت أخي مرتضى في شارع «دولت»[٢]. في تلك الليلة كان

---

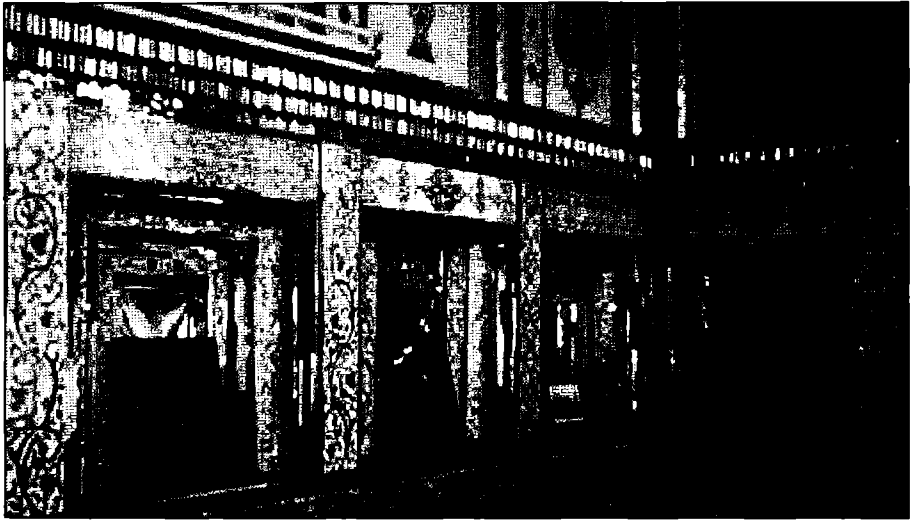
(١) استأنفت الحكومة عام ١٩٧٥م مرة أخرى تسفير الإيرانيين والعلماء الإيرانيين في الحوزة، فكتب الإمام مرة ثانية رسالة إلى الرئيس العراقي ولفت انتباهه بالقول: «لا تسمح بأن تنقرض حوزة النجف الممتدة لألف سنة في عهدك، ويغادر العلماء بلدك».

(٢) الإسم الحالي هو شارع الشهيد «كلاهدوز».



تقرير السفاك عن سفارتنا

هناك ضيوف آخرون. في فترة تواجد الضيوف، رن جرس البيت عدة مرات. كان صوت يأتي من خلال جهاز فتح الباب عن بُعد، فيجيب مرتضى أو زوجته: كلّا، ليست لضيوفنا. بعد دقائق رن جرس الباب مرة أخرى. فجأة سأل السيد أحمد أخي مرتضى: «ما الخبر؟»، فقال مرتضى: «جارنا يقول أزيحوا «الشاحنة الصغيرة» من أمام بابنا. فأجيبه أن ضيوفنا ليس لديهم «مثل هذه السيارة»، لكنه يعود فيدق الجرس مرة أخرى!!». عندها قال أحمد: «الحق مع جارك؛ انها لي». هنا ارتفع صوت بعض الضيوف بالضحك، فيما أظهر بعضهم تعجبهم، وامتدحوا بساطة وسلامة نيته؛ ذلك أنه كان لأحمد في ذلك الوقت أصدقاء، لو أراد لوضعوا تحت تصرفه أفضل أنواع السيارات مع سائقها. بعضهم تعجب حتى من قيادته للسيارة، فكيف بها وأنها «من هذا النوع»!



الغرفة المرصعة بالمرايا في البيت الموروث لآية الله صدوقي (يزد)

مرة أخرى ذهبنا بنفس «السيارة» إلى يزد وأردكان، حيث منزلي آية الله صدوقي وآية الله خاتمي. عندما اقتربنا من أردكان إرتفعت سخونة السيارة، فنزل أحمد كي يبرّدها بالماء؛ ففتح فوّهة الراديتور، فاندفع الماء المغلي بقوة بوجه أحمد، فأصيب بحروق في وجهه ورأسه. خلاصة القول إننا دخلنا منزل آية الله خاتمي والحروق تملأ وجه أحمد. منزل آية الله خاتمي موروث قديم له غرف كبيرة تمر في قبوه قناة ماء. حينها كانوا يخبزون الخبز في التنور. أقمنا هناك لعدة أيام ثم غادرناهم إلى منزل آية الله صدوقي في يزد. منزلهم كان قديماً أيضاً وفيه غرفة مكسوّة بالمرايا وجميلة جداً تأخذ بالأبصار.

وذات مرة سافرنا مع السيد لاهوتي وزوجته إلى شمال إيران. حتى ذلك الحين لم أكن قد شاهدت المحافظات الشمالية. ظل السيد أحمد طوال تلك السفرة يقود السيارة، فندخل المدينة ونقوم بجولة في شوارعها الرئيسة ثم نغادرها بعد ذلك. وعندما يحين الليل، أقوم وأنا لَمّا



منزل آية الله صدوقي (يزد)

أبلغ العشرين من العمر بعد، بمهمة إيجاد المكان المناسب للإستراحة والإقامة، ذلك أن الظروف كانت تقتضي أن لا يتعرف أحد على أحمد والسيد لاهوتي. كنت أستأجر غرفتين كي لا يتواجه الإثنان مع صاحب المنزل. في إحدى الليالي استأجرنا غرفة، وقد استغرق أحمد في النوم بسرعة بسبب التعب المفرط، كما أنني المعروفة بحب النوم، غفوت بسرعة. في الصباح تبيّن لنا أن غرفة السيد لاهوتي وزوجته كانت سيئة للغاية فلم يستطيعا النوم أبداً، لكنهما لم يبديا أي تذمّر أو اعتراض أمامي، وذلك لأخلاقهما الرفيعة وحبهما لنا.

كان السيد لاهوتي من أبناء الشمال ويعرف غالبية الأماكن الجذابة واللطيفة في هذه المنطقة. كما كان يملك سيارة «مارسيدس» جيدة. أوصلنا في أحد الأيام إلى منطقة نائية بجوار البحر، ثم رجع مصطحباً معه حسن، وقال لنا: «اقضوا وقتاً ممتعاً لساعات حتى أعود».

تلك السفرة استمرت خمسة عشر يوماً تقريباً زرنا خلالها مدناً مختلفة.



منزل آية الله خاتمي (أردكان)



التنور الجميل في بيت آية الله خاتمي (في اردكان)



من اليمين: السيد لاهوتي، أحمد، المؤلفة، السيدة لاهوتي

زواج أخواتي

صادق

حينما عقد قران شقيقي صادق على ابنة خالتي «فاطمة الصدر العاملي» عام ١٩٦٤م، كنت أنا دون العاشرة. أذكر أن أخت العروس «زهراء» التي كانت صديقتي المقربة، أخبرتني سراً بموضوع الخطوبة. الوسيط في هذه الزيجة كانت الخالة «بتول» وزوجها (الشيخ عبادي). مع مجيء العريس من ألمانيا، أقيم حفل الخطوبة، ثم أقفل بعد أيام عائداً إلى هناك، وبعد عام حضر إلى إيران لإتمام مراسم العقد والزواج. جرى في منزل العروس بطهران، عقد واحتفال مناسب حضره كافة الأقرباء والأصدقاء.

وكما كان متعارفاً في ذلك الزمن، تم رصّ الطاولات والكراسي في حديقة المنزل، فيما علّقت أشرطة المصابيح على الجدران. كان صادق يدرس حينها في فرع هندسة الكيمياء. ثم واصل تحصيله الدراسي في فرع الجينات، وبعد زواجه لم يستطع وبسبب نشاطه السياسي، أن يأتي إلى إيران.

مرتضى

في عام ١٩٧١م تحدثنا ذات مرة، أنا وأحمد، بشأن زواج مرتضى وخلصنا إلى نتيجة مفادها؛ بما أن جواد لا يفكر في الزواج حالياً، فلنفعل شيئاً لمرتضى، فاخترنا له ابنة أخت أحمد «فرشته أعرابي». تحدثت مع مرتضى وبعد موافقته تحدثنا مع أبي وأمي. فأجابا بدورهما بالإيجاب. وبطبيعة الحال تعهدت أخت العريس بتنظيم الأمور التمهيدية. لم تكن لي خبرة في مثل هذه الأعمال. وفي الوقت الذي كانت تربطني صداقة حميمة مع «فرشته»، لكنني حينما ذهبت إلى منزلهم طلبت منها أن تتركني ووالدتها لوحدنا. طرحت الموضوع بشكل ودي، فقالت السيدة «فريدة»: دعيني أطرح الموضوع على «فرشته» ووالدها، ثم أخبرك بالجواب. بعد أن تمت الموافقة الأولية، ذهبنا بمعية الوالد والوالدة لخطبتها، ثم تحدث مرتضى و«فرشته» مع بعضهما وحصلت الموافقة من الطرفين.

وبغية التبضّع وشراء مستلزمات العقد، ذهبنا مع العروس والسيدة «فريدة» إلى منزل خالة العروس بطهران (السيدة فهيمة)، ومن هناك توجهنا مع الخالة بتول والسيد رضا قُمي (ابن خال أمي) الذي كان يعرف تاجر مجوهرات، إلى السوق. أعطاني والدي حينها عشرين ألف تومان، وأضاف عليها مرتضى الذي كان يعمل في السوق. فاشترينا طقماً من الألماس مع حلقة وخاتم ومرآة وشمعدان وقُماشاً وحقيبة وحذاء.

بعدها جرت مراسم عقد بسيطة في بيت العروس، لكننا لم نُقِم حفلاً للزفاف بسبب وفاة أحد الأقارب. اشترى والد العروس شقة في شارع «دولت» وضع فيها جهاز العروس، فيما سافر العريسان إلى مشهد لقضاء شهر العسل، ثم عادا منها إلى شقتهما حيث بدءا حياتهما المشتركة فيها[١].

مشاعر الأمومة

تعد ولادة ابني الأول، أحلى حدث في السنوات الأولى من حياتنا المشتركة. لم يكن حينها الـ«سونوغرافي» شائعاً، ولذا لم نكن نعلم إن كان طفلنا ذكراً أو أنثى؟.

في عصر أحد أيام الصيف ذهبت مع والدتي إلى «مستشفى إيزدي للولادة» في قُم. كان الجو حاراً جداً. رأى مولودنا الأول النور في الساعة الثانية عشرة من ليلة الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٧٢م. بقيت في المستشفى لمدة ثلاثة أيام بعد الولادة. في اليوم الثاني من وضع الحمل، جاءتني إحدى الممرضات وقالت لي: «هل تريدين رؤية طفلك؟»، حينما وقعت عيني على الممرضة؛ وجدتها نفسها الطالبة التي كانت تدرس معي في نفس الصف في المدرسة المسائية في المرحلة



الوليد حسن

(١) اثنان آخران من إخوتي هما عبد الحسين وجواد، تزوجا بعد انتصار الثورة الإسلامية.

الثانوية. عندما رأتني تفاجأت، لأنها كانت سمعت أن الوليد هو حفيد آية الله الخميني، لكنها لم تعرف أن أم الوليد هي زميلتها في الدراسة.

هذه الصدفة كانت مفرحة لكلينا. ثم جاءتني بابني. شعرت بسعادة غامرة وأنا أحتضنه، وكأني بتّ أحلّق في السماء.

اختيار الإسم

انصب جلّ تفكيرنا على اختيار اسم جميل لابننا. أحبّ أحمد أن نسمّي ابننا «ياسر»، فيما كنت أحب أن نسمّيه «عطاء» أو «أمير». وقد استجيب لطلبي وسمّيناه «عطاء»، لكنه بعد مرور أيام ومعارضة الأصدقاء، تراجعنا عن تسميته بهذا الاسم. في تلك الأيام راح كل شخص يختار لابني اسماً. حتى الخادمة «سكينة سلطان» اختارت له قبل مولده اسم «ناصر».

ونحن في هذه الحالة من التردد والحيرة بشأن اختيار الاسم المناسب، إذ وصلت السيدة أم أحمد من العراق. قالت: «حينما دار الحديث هناك عن مولودكم، قال السيد الإمام إن اسم «حسن» مناسب وجيد». في نفس الوقت وصلت إلينا رسالة من الإمام كتب فيها: «يبدو أن الوليد لا يحمل اسماً رغم مرور أيام على ولادته، واقترح له اسم «حسن»». وقد نظم سماحته شعراً يتناسب مع اسم «حسن». لا أذكر ذلك الشعر الآن، لكن فحواه: «المولود الجديد خُلقه حسن، وطريقه حسن، وسلوكه حسن، وسيرته حسنة، ووجهه حسن إن شاء الله».

في النهاية اتفقنا على اسم «حسن».

طفولة حسن

حينما كان حسن رضيعاً، كنت أنا أدرس مواد الصف الثاني في الثانوية المسائية. كنت أضطر أحياناً لتركه في منزل والدي عندما أذهب


والدي مع حسن

إلى الصف. في تلك الفترة رأى والدي أن من الصلاح أن يترك التدريس في «المسجد الأعظم». لكنه عقد مجالس درس مختصرة في المنزل، وذلك بعد إصرار من الطلبة أنفسهم. وبمرور الزمن ارتفع عدد الطلبة ليصل إلى عدد هائل بحيث أن صوته بات لا يسمعه الجميع، فاضطروا إلى وضع مكبرة صوت.

في أحد الأيام، حكى الطلبة الحاضرون في الدرس لأحمد، «كنّا جالسين فيما السيد (الوالد) منشغل بالتدريس. وفجأة وجدناه قام من مكانه وذهب إلى خارج القاعة. ثم عاد وطفل في حضنه مع قنينة حليب ومصاصة. وضع الطفل إلى جانبه وأعطاه قنينة الحليب ثم واصل التدريس. وأحياناً كان يمسّد على رأس الطفل من باب التعلّق به والتدليل أو الاحتفاء به. وحينما يكمّل الدرس يحتضن الطفل بكل حنان ويخرج من قاعة قاعة الدرس.

قال الطلبة: «كان تصرّف السيد سلطاني، هذا، عجيباً بالنسبة لنا، في الواقع أعطانا درساً عملياً في الأخلاق».

حل ذات مرة، ضيف، مصاب بمرض جلدي، وبقي عندنا أياماً. وفي عصر أحد الأيام حيث كنت قد ذهبت إلى المدرسة، التفت أحمد إلى أن مرض ضيفنا قد سرى إلى حسن. وبغية معالجته كان لا بُدّ من تقصير شعر حسن، فذهب به إلى الحلاق وقصّ شعره. عندما عدت من

الدرس رأيت حسن أصلع الرأس، غير أنه استقبلني فرحاً. لكنني سكتّ بعد إيماءة من أحمد. ومن أجل معالجته بالكامل، كان لا بُدّ من غسل رأسه يومياً بصابون خاص. نفس هذا العمل تحول إلى مشكلة كبيرة بسبب برودة الشتاء وانعدام الحمّام المناسب، والأهم من ذلك عدم رغبة حسن بالاستحمام. لهذا السبب كان كل منّا، أنا وأحمد، يسعى إلى الاتكال على الآخر في إنجاز هذا الأمر. غير أن والدي طلب منّا وبكل سماحة، أن يقوم هو بهذا الأمر. هذا الاقتراح من والدي لم يكن جديداً عليّ، وقد قبلت بسرور، لكن السيد أحمد قال بتعجب وخجل: «كلا، نحن ننجز الأمر». تعجّب أحمد مردّه إلى أمرين: الأول أنه كان يدرك منزلة ومكانة والدي العلمية أكثر منّي، وكان يقول: «أنا أقابل شخصيات كبيرة تعتبر التتلمذ على يد والدك مفخرة لها»؛ الثاني هو أن الأم هي التي كانت تقوم عادة بمثل هذا العمل في عائلته. كان السيد أحمد يقول: «أشعر بالخجل أن أرى والدك بكل منزلته وحرمته، وهو يغسل ابننا في الحمام»، لكن والدي لم يكن ممن تقيّده مثل هذه الصفات. على كل حال قام والدي بغسل رأس حسن عصر كل يوم. كان يبسط قطعة من النايلون وسط الغرفة قبل الدرس الحوزوي ويضع عليها طستاً ويسخّن الماء على المدفئة ويغسل رأس حسن بالصابون الخاص.

لقد تحول غسل رأس حسن، بفضل تدبير وحنكة والدي، إلى فقرة ترفيهية يومية بالنسبة لابننا. كان حسن يحب والدي ويأنس به كثيراً. يضع أحياناً عباءة والدي على كتفيه وعمامته على رأسه ويجلس محله ثم يتظاهر بالتدريس ويطلب من والدي الإستماع إليه.



حسن في مقام الوالد



حسن



حسن



حسن



حسن ووالدي



حسن، ووالدي وشقيقي عبد الحسين

الهوامش

١ ـ آية الله **محمد صادق لواساني**: وهو ابن السيد أبو القاسم، ولد في طهران عام ١٩٠١م. في سن الشباب كان جليس الإمام الخميني في نفس الحجرة أيام الدراسة الحوزوية في قُم، واستمرت صداقتهما الحميمة سبعين سنة. بعد الثورة كان هو وشقيق الإمام آية الله «بسنديده» يدخلون على الإمام وبتوصية من قبله دون موعد سابق. بعد أن أتم تحصيلاته تولى بالإضافة إلى التدريس في الحوزة العلمية في قُم مهمة إدارة مدرستي «الفيضية» و«دار الشفاء» لفترة من الزمن. في أواسط عقد الأربعينات من القرن الماضي توجه إلى طهران وتولى إمامة الجماعة في مسجد «نائب السلطنة». ومع بداية مرجعية الإمام الخميني في أوائل عقد الستينات صار وكيلاً للإمام في طهران، وظل يواصل نشاطه الديني والإجتماعي حتى وفاته عام ١٩٩٠.

٢ ـ **السيدة نصرت آغا**: الزوجة الثانية لآية الله بروجردي وابنة الحاج عبد الواحد حفيد خالي وعم جدي. لهذا السبب كانا ينادي أحدهما الآخر «خالي قزي» و«عمي قزي» لذا كنت أحتار. قلت لوالدي ذات يوم: بالتالي هي ابنة خالك أم ابنة عمك؟ فقال: كلتاهما. إنها سيدة فاهمة جداً، محترمة ومؤدبة للغاية. كانت تتزاور مع زوجات كافة المراجع في قُم. النقطة الملفتة للنظر والمحفورة في ذهني أنها كانت تقدر وتضيّف البنات ممن في عمري كما تفعل

مع المسنّات في العمر. على أنني كنت أحظى منها باحترام خاص بسبب والدي وقرابتها منه. في أحد الأعياد حيث ذهبنا جميعاً لزيارتها، طلبت السيدات الحاضرات في نهاية المجلس أن نذهب لزيارة آية الله البروجردي ويباركن له العيد. وهناك اخذونا إلى غرفة كبيرة حيث يستقبل السيد البروجردي ضيوفه. بعد عبارات الترحيب وتعريف كل من السيدات بأنفسهن واستلام العيدية، أراد السيد أن يعود إلى غرفته الأمر الذي يستلزم منه أن ينزل من الدرجات العريضة والقصيرة، عندها طلبت من السيدة نصرت آغا أن تترك يد السيد لأقوم أنا بالمهمة فقبل السيد وبدا الأمر في الظاهر وكأنه يسير متكئاً على يدي. لم يكن للسيدة نصرت آغا إبن، لكن سماحة السيد كان له إبنان وبنتان من زوجته الأولى التي هي من عائلة «روغني» ومن تجار بروجرد. في السنوات الأخيرة من حياة الإمام، إنتقلت السيدة نصرت آغا وبدعوة من السيدة أم أحمد إلى جماران في شمال طهران حيث كان يعيش الإمام. كان الإمام يفرد لها احتراماً ومكاناً خاصاً. حيث كان سماحته يذهب إليها في كل يوم ويسأل حالها من على باب غرفتها فتجيبه بكل احترام. كما كان يوصينا دوماً بأن تكون معنا على الغداء والعشاء طلما ظلت بين ظهرانينا.

٣ ـ آية الله **السيد محمد رضا سعيدي (١٩٢٩ ـ ١٩٧٠م)**: مجاهد صامد خاض غمار السجن مرات عديدة وتتلمذ على يد آيات عظام كالبروجردي والإمام الخميني.

كان آية الله سعيدي خلال العهد البائد يكشف وبكل شجاعة جرائم الشاه، ثم اعتقل في آخر مرة بعدما تحدث عن استثمارات الأميركيين في إيران وزج في السجن. في تلك المحاضرة، احتج آية الله سعيدي بشدة

على استثمار الشركات الأميركية متعددة الجنسيات في المشاريع الإقتصادية الإيرانية وعدد النتائج المضرة المترتبة جراء ذلك على الإقتصاد الإيراني. محاضرة آية الله سعيدي تلك، أثارت إعجاب ودهشة حتى الإيرانيين المقيمين في الخارج.

بدوره أصدر الإمام الخميني بياناً بالمناسبة أشاد فيه بآية الله سعيدي واعتبر ذلك الإستثمار خيانة للشعب الإيراني، وقال: «منذ مدة وثرواتنا تتعرض للنهب والهجوم من كل حدب وصوب.. إن كبار الرأسماليين الأميركيين هجموا على إيران تحت يافطة الإستثمار من أجل تكبيل هذا الشعب المظلوم.. ولن تكون هذه آخر خطوة تفريطية في ثروات ما تحت الأرض وما فوقها. يجب انتظار ما هو أسوأ، إن كان هناك ما هو أسوأ». (صحيفة الإمام. الجزء الثاني. ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨).

ولكي يثبت الشاه عدم وجود أية معارضة لأميركا في إيران، قام بتعذيب آية الله سعيدي أسوأ أنواع التعذيب ثم لفّ عمامته حول عنقه حتى استشهد. أصدرت الحوزة العلمية في قُم بياناً حول كيفية اسشهاده وأماطت اللثام عن تصرفات النظام. ورغم أن السافاك منع إقامة مجالس الترحيم والعزاء على أرواح الشهداء وباتت أجواء الرعب والخوف تسيطر على كل مكان، إلاّ أن آية الله السيد محمود طالقاني والدكتور عباس شيباني أقاما مجلس ترحيم وعزاء على روح الشهيد سعيدي في مسجد الإمام «موسى بن جعفر». في نفس اليوم أي في (١٣ تموز) تم اعتقال آية الله طالقاني والدكتور شيباني. وأقيمت في النجف مجالس أخرىٰ على روح الشهيد. كما أقيم مجلس آخر من قبل إتحاد الجمعيات الإسلامية للطلبة في أوروبا في مسجد «آخن» الألمانية وذلك في أربعينية الإستشهاد، حيث تحدث الخطباء عن أهداف ذلك الإستثمارالاقتصادي الظالم؛ مشيدين بالدور التوعوي للشهيد سعيدي.

٤ ـ مؤلفات آية الله **السيد مصطفى الخميني** عبارة عن:

- تفسير القرآن الكريم، تمت كتابته تزامناً مع تدريسه في مسجد «الشيخ الأنصاري» في النجف حتى الآية السادسة والأربعين من سورة البقرة. في خمسة مجلدات.
- مسند تحرير الوسيلة.
- تحريرات في الأصول، في ثمانية مجلدات.
- تعليقات على الحكمة المتعالية.
- تحرير على العروة الوثقى.
- تعليقة على العروة الوثقى، تأليف آية الله السيد محمد كاظم طباطبائي يزدي.
- دروس الأعلام ونقدها.
- العوائد والفوائد، وتم تدوينه في تركيا.
- ولاية الفقيه.
- الطهارة، في مجلدين.
- الواجبات في الصلاة.
- الخلل في الصلاة.
- الصوم.
- كتاب البيع، في ثلاثة مجلدات.
- الخيارات، في مجلدين.
- مقدمة على قسم طبيعيات الأسفار.

- حاشية شرح هداية الملا صدرا.
- حواشي على المبدأ والمعاد للملا صدرا.
- الحاشية على وسيلة النجاة، تأليف آية الله السيد أبي الحسن الإصفهاني.
- تطبيق الشكل الجديد على الشكل النجومي للإسلام.
- الحاشية على خاتمة مستدرك المتيقن، تأليف الحاج ميرزا حسين نوري.

أما أهم كتبه وهو مفقود الآن، هو كتاب يحمل اسم كتاب الكبير (قواعد الحكمية) حيث كان يرجع في كتاباته عادة إلى هذا الكتاب. كما كتب ثماني عشرة رسالة لم تطبع وهي عبارة عن دورة حول الفلسفة القديمة ولم يبق منها إلا الشيء القليل، وكذلك تعليقات له لم تطبع حول كتب بعض العلماء.

٥ ـ مؤلفات **السيدة فريدة مصطفوي** عبارة عن:

- جهاد النفس.
- الآيات المتعلقة بالجهاد.
- المثلي والقيمي، مشروع رسالة التخرج.

٦ ـ مؤلفات **السيدة زهراء مصطفوي** عبارة عن:

- التحديثات الفلسفية لصدر المتألهين.
- شرح قواعد المرام لميثم بن علي بن ميثم البحراني.
- الأسس النظرية للأخلاق والتربية الإسلامية.
- تأملات وتحقيقات حول مسائل الفلسفة والكلام.
- ماء الحياة في الظلمات.

٧ ـ إحتفالات **الألفين وخمسمائة عاماً**: كانت هذه الإحتفالات تقام في الشهر السابع من كل عام هجري شمسي (الشهر العاشر من كل سنة ميلادية) في مدينة شيراز وبجانب صرح «تخت جمشيد» بمشاركة رؤساء حكومات وملوك وكبار المسؤولين في مختلف أنحاء العالم.

سمعت أن هذا الحفل كانت تراعى فيه مبادئ المراسم الخاصة بالقرن التاسع عشر. ينصب في صحراء «باساركاد» اليابسة مخيم مؤلف من خيم ثمينة جداً لإسكان الضيوف، فيما جاؤوا بكل شيء من باريس، كما تم اختيار الخدَمَة والنادلين من بلدان أجنبية.

الأكلة الإيرانية الوحيدة التي كانت تقدم هي الكافيار. وتم تزيين ملابس عمّال البلاط بخيوط من الذهب.

ولكي يكون سيماء الجنود الذين يشاركون في الإستعراض شبيهة بسيماء جنود العصر القديم، فإنهم مُنعوا من حلق لحاهم لعدة أشهر.

في بداية الحفل، يلقي الشاه كلمته المعروفة مخاطباً الأمبراطور القديم كوروش قائلاً: «... استغرق ملك الملوك كوروش في نومك مرتاحاً؛ ذلك لأننا يقظون...» ويشاهد الملايين هذه المراسم عبر شاشات التلفزة.

شيّد في طهران برج تخليداً لهذه المراسم سمّي حينها باسم «برج شهياد» ثم عرف بعد الثورة باسم «برج آزادي (الحرية)». تكاليف هذا الحفل كانت تبلغ مئات ملايين الدولارات.

أثار هذا الإسراف والتمادي في صرف الأموال غضب الناس وعلماء الدين، فيما استنكر الإمام الخميني هذه الإحتفالات بعبارات شديدة جداً.

٨ ـ بعد أن أتم **جلال آل أحمد** مرحلته الثانوية، التحق بالحزب الشيوعي. دخل دار المعلمين العالية ودرس الأدب الفارسي ثم مارس التعليم بعد تخرجه منها. وبسبب نشاطه في الحزب الشيوعي تدرج من عضو بسيط إلى عضو في اللجنة الحزبية العليا. نشر أول أعماله القصصية التي كانت تحت عنوان «الزيارة» في مجلة «سخن» التي كان «صادق هدايت» رئيس تحريرها آنذاك. ثم صدرت له في نفس السنة أول مجموعة قصصية تحت عنوان «زيارات متبادلة». وأصدر عام ١٩٤٦م شهرية «الناس» تحت إشراف إحسان طبري. وفي عام ١٩٤٧م خرج من عضوية الحزب الشيوعي وأسس مع عدد من أصدقائه حزباً اشتراكياً، لكن هذا الحزب انحل أيضاً. قضى جلال فترة من الزمن في الظل، كتب خلالها الـ«طنبور».

في عام ١٩٤٨م تزوج من «سيمين دانشور» التي كانت طالبة في كلية الآداب وهي مترجمة وكاتبة قصة. كتب جلال بشأن زوجته: «... تعرفون زوجتي سيمين دانشور؛ هي من حملة القلم وأستاذة معيدة في قسم علم الجمال وصاحبة تأليفات وتراجم كثيرة وهي في الحقيقة من رواد القلم. لم يصدر عمل من هذا القلم لم تكن سيمين أول قارئ وناقد له...». وفي عام ١٩٥٢م أنجز ترجمته لـ«الأيادي الملوثة» لجان بول سارتر، وكتابة «إمرأة إضافية».

في الشهر الثالث من عام ١٩٦٤م وتزامناً مع إطلاق سراح الإمام الخميني من السجن، سافر جلال إلى حج بيت الله الحرام. ومن هناك كتب رسالة إلى الإمام بدأها بالقول: «يا آية الله؛ حينما دفع خبر إطلاق سراح السماحة المفرح طهران للإحتفال، كان الفقراء ينتظرون الإقلاع باتجاه بيت الله. لهذا لم تتوفر فرصة تقبيل اليد مرة أخرى».

أخبرني شقيقي جواد أنه حينما كنّا يوماً بمعية الخال السيد رضا

الصدر مدعوين على الغداء في بيت جلال، سأل جلال الخال: ما أخبار آية الله الخميني؟ فقال خالي: جاء عدد من الأصدقاء من تركيا ونقلوا أهم ما رأوه. قال جلال: حينما سمعت خطابه بشأن موضوع منح الحصانة للأجنبي، خالجني شعور بأنني يجب أن أراه، فسافرت إلى قُم وطرقت باب منزله. هناك رأيت كتابي «التغرب» بالقرب من يده. قلت: أنتم أيضاً تقرأون تفاهاتي هذه؟ فنظر إلي وقال: أنت آل أحمد؟ قلت: بلى. قال: أنت قلت ما يجب أن نقوله نحن.

قال جلال: رغم أني لم أقبّل حتى يدي والدي، لكنني قبّلت يده.

سافر إلى مشهد عام ١٩٦٨م وتعرف هناك على الدكتور علي شريعتي. وفي عام ١٩٦٩م انتقل إلى مدينة «اسالم» بمحافظة جيلان شمال إيران، وتوفي هناك في التاسع من أيلول من نفس العام.

٩ ـ أنهى **الدكتور شريعتي** دراسته الإبتدائية في مشهد. وبعد أن أنهى دورة في دار المعلمين العالية، مارس مهنة التعليم في واحدة من قرى خراسان. بعدها درس الأدب الفارسي في جامعة مشهد، ثم سافر بعد تخرجه إلى فرنسا. دخل فرع علم الإجتماع في «جامعة السوربون». وهناك التقى مجموعة من الأشخاص ممن كان لهم تأثير كبير عليه. وحسبما نُقل فإنه كان يلتقي ويتباحث مع أشخاص مثل جان بول سارتر، وجان بيرغ وجورج غوريتش. وفي طريق عودته إلى إيران عام ١٩٦٩م، اعتقل في حدود تركيا وسجن لستة أشهر. استطاع بمحاضراته في «حسينية إرشاد» أن يُدب روح التدين لدى الشباب. وبعد مدة توجه إلى إنجلترا وتوفي في أيار عام ١٩٧٧م، في حادث أثيرت الشكوك حوله.

الفصل الرابع

بيت الحبيب

القسم الأول

المجاهدون المهاجرون

في العام ١٩٧٣، وبعد ثلاث سنوات من زواجنا، قررنا السفر إلى العراق للّقاء مع والد زوجي (الإمام الخميني) الذي كان ارتباطنا معه

تقرير السافاك حول طلبنا الحصول على جواز السفر


خالي الإمام موسى الصدر

خلال تلك السنوات عن طريق تبادل الرسائل.. إلّا أن المشكلة الرئيسية التي كانت تحول دون تحقق ذلك هي أن السيد أحمد كان قد مُنِع من مغادرة البلاد، لذا بدأنا بالبحث عن سبيل لحل هذه المعضلة.

قررنا فيما بعد أن نسافر إلى لبنان لنلتقي خالي (الإمام موسى الصدر) لكي نحصل على تأشيرة دخول العراق بمساعدته، وكان ذلك يستلزم دقة خاصة وبراعة معينة حتى لا نثير حساسية السافاك..

وبعد إنجاز الإجراءات المطلوبة وبدعم بعض الأصدقاء، غادرنا طهران جواً نحو بيروت.

ولصعوبة الاتصال آنذاك مع لبنان، وصلنا بيروت دون أن نخبر أسرة خالي مسبقاً واستقرينا في أحد الفنادق.. اتصل السيد أحمد هاتفياً بأحد أصدقائه الذي كان قد هاجر من إيران إلى لبنان، وسأله عن عنوان بيت الإمام موسى الصدر، إلّا أنه أنكر معرفته به ولم يظهر رغبة في إرشادنا إليه..

فقال السيد أحمد: «أظن أنه مرتبط مع فصائل ذات علاقات غير جيدة مع الإمام موسى الصدر».. وأخيراً اتصلنا بالسيد محمد

منتظري[١]؛ الذي جاءنا إلى الفندق وسارع إلى إعداد طعام لنا بعد أن عرف أننا لم نتناول الطعام منذ أن وصلنا إلى بيروت، وبعد ذلك أخذنا إلى مقر إقامة الإمام موسى الصدر.

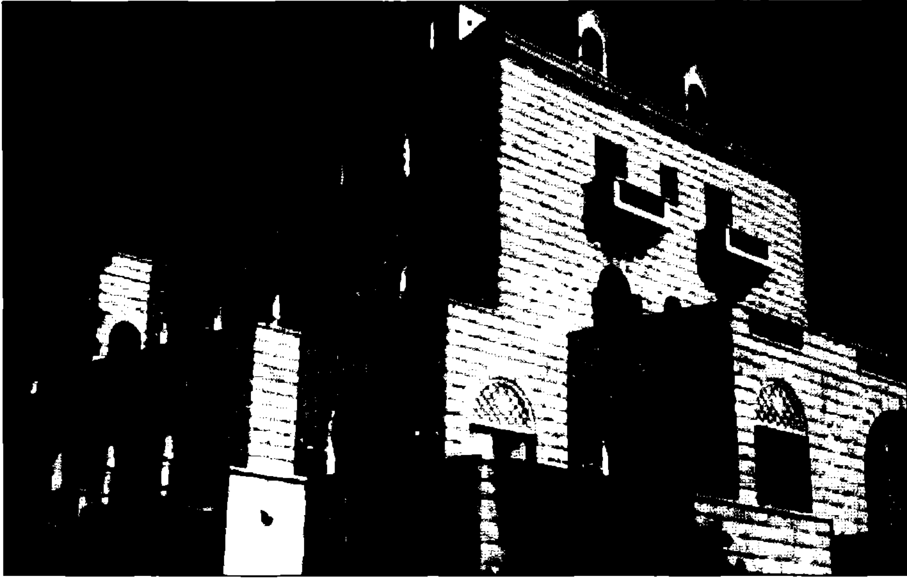
تحدث السيد أحمد عن ما يتميز به هؤلاء الشباب، المجاهدون، أمثال السيد محمد منتظري من معنويات عالية وروح ثورية وإيثار كبير لا يوصف وقال: «إن هذا الشاب الذي أعدّ لنا الطعام ورفض أن يأخذ قيمته منّا لا أشك أنه لم يتناول وجبة طعام كاملة منذ عدة أيام.. إن هؤلاء هم المجاهدون المسلمون الذين لا يمتلكون أماكن سكن مناسبة ولا حتى طعام أو ملابس تليق بهم، إلّا أنهم ينشغلون دوماً بحل مشاكل المهاجرين ويجاهدون من أجل إنقاذ الشعب الإيراني من الظلم والجور واللاعدالة.

الحازمية

توجهنا نحو مقر إقامة الإمام موسى الصدر في «الحازمية» برفقة السيد محمد منتظري. وهي منطقة يقطنها أكثرية مسيحية في شرق بيروت. المبنى الذي كان يقيم فيه خالي بخمسة طوابق وهو بناء جميل ورائع، تم تخصيص ثلاثة طوابق منه للمكاتب الإدارية التابعة للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان والطابق الرابع خصص لسكن خالي مع أسرته وفيه شرفة واسعة وكبيرة تشرف على مدينة بيروت الجميلة. وكنا نجتمع هناك أحياناً في بعض الأمسيات مع استتباب الهدوء في المدينة.. أما الطابق الخامس فكان يضم المكتبة الخاصة لخالي فضلا عن غرفة كبيرة وعدة غرف صغيرة لعقد الإجتماعات وبعض اللقاءات الخاصة.

---

(١) محمد منتظري (١٩٤٤ ـ ١٩٨١): هونجل آية الله العظمى حسين علي منتظري ومن المجاهدين الثوريين المناوئين لنظام الشاه البائد. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش رقم (١) في نهاية الفصل.



المبنى الإداري للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان ومحل سكن خالي، في منطقة الحازمية (بيروت)

اعتاد بعض الناس تبادل الكثير من الأقاويل حول هذا المبنى.. مثلاً كان البعض يصفه ببيت الأرواح وسوء الطالع؛ والبعض الآخر كان يصفه بأنه مركز لقاءات الجن.. حيث كان خالي يجيبهم باستهزاء ويقول: أنا بنفسي رئيس الجن!!.. وكان يتعامل مع هذه الأقاويل بأنهاخرافات وأساطير.

وبسبب هذه الأقاويل والأحاديث، فإن المبنى لم يكن مرغوباً من الآخرين ورفض الكثيرون شراءه، مما سهل عملية شرائه من قبل خالي بسعر زهيد قبل أن يرممه تلبية لإحتياجاته العملية.. وهكذا فإن المجمع كان مزوداً بعدد من الحرس وسائق وطباخ يسكنون في نفس المبنى. ومع وجود الطباخ إلّا أن بروين خانم (زوجة خالي) كانت تفضل أن تقوم بنفسها بمهمة الطبخ لأسرتها وضيوفها.

وهناك شاهدت لأول مرة منظاراً يتميز بقدرة كبيرة على تقريب المشاهد البعيدة، حيث أتاح ابن خالي حميد فرصة الإستفادة منه لأنظر من خلاله إلى مناظر بعيدة بكل سهولة وروعة.

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

خلال تلك المرحلة كانت جميع الطوائف اللبنانية ممثلة من خلال كبار شخصياتها ومنتخبيها، في مجالسها الخاصة التي كانوا يهتمون من خلالها بتنظيم شؤون طوائفهم وتحقيق مصالحها فضلاً عن إيصال مقترحاتها المختلفة إلى ممثليهم في البرلمان اللبناني.

كان الشيعة اللبنانيون قبل دخول الإمام الصدر للساحة السياسية اللبنانية، محرومين من هذا الامتياز المهم، واستمر ذلك حتى أثمرت الجهود الحثيثة الواسعة والمتابعة المتواصلة التي بذلها الإمام موسى الصدر، عن تأسيس «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان» في العام ١٩٦٩م.

ففي النظام الحكومي اللبناني آنذاك، كانت ست عشرة مجموعة صغيرة وكبيرة تلعب بشكل مّا دورها المطلوب في إدارة البلاد؛ ولأن الفرق الرئيسية الثلاث المتمثلة بالمسيحيين الموارنة والمسلمين السنة والمسلمين الشيعة، كانت تتميز بأنها تضم بالترتيب أكبر عدد من السكان، لذلك، فإن المناصب الحكومية الأصلية تم تقسيمها طبقاً لذلك حيث أصبح رئيس الجمهورية مارونياً ورئيس الوزراء سنياً ورئيس البرلمان شيعياً. وقد تم تثبيت هذا التقسيم الحكومي بين الطوائف اللبنانية بتوافق وطني وسمي الميثاق الوطني، من خارج النص الدستوري، له قوة الدستور اللبناني الذي كتبه الفرنسيون خلال مرحلة استقلال لبنان من الإستعمار الفرنسي ولم يلحظ هذا التوزيع الطائفي.. وخلال ذلك كان عدد المسلمين أكثر من المسيحيين إلّا أن تقسيمهم إلى سنة وشيعة وفي المقابل تحقيق الإتحاد بين الطوائف المسيحية المارونية والارثوذكس والكاثوليك وغيرهم، جعل المسيحيين يشكلون الأكثرية السكانية في لبنان.

نظرة جديدة

لفتت نظري كثيراً الأجواء التي كانت سائدة في بيت خالي وأنواع الضيوف والزوار الذين كانوا يترددون عليه بمختلف الملابس والأزياء.

حيث كانت أحياناً تأتي إلى مبنى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى نساء غير محجبات وفي الوقت ذاته يُمتدحن من قبل الحاضرين ويُوصفن بالإيثار والاستقامة والوطنية والصمود أمام العدو (الإسرائيلي)، كما تتم الإشادة بخدماتهن في هذا المجال. بل ويطلق عليهن صفة (البر والإحسان).. بينما كنت حتى ذلك الوقت أظن أن النساء المحجبات فقط يمكن أن تصدق عليهن مثل هذه الصفات الحميدة. وقد سمعت آنذاك أن إحدى السيدات المطربات وهي «فيروز» كانت تُمتدح وتُذكر بخير لأنها من خلال تقديمها لحفل موسيقي في جنوب لبنان، كانت تثير مشاعر الناس وأحاسيسهم للصمود بوجه إسرائيل.. وهناك أدركت أن الحجاب وظواهر الشريعة تمثل أحد الآداب والمظاهر الدينية والإلتزام الديني وليس جميعها، وبهذا تغيرت نظرتي للأشخاص وتقييمي وإصدار الأحكام فيما يخص الدين والإلتزام الديني..

جهود الإمام موسى الصدر

البعد الفقهي

كان خالي يقول، عندما قدمت إلىٰ لبنان لأول مرة كانت المجالس الدينية عديمة الجاذبية، ولا يرتادها إلّا عدد قليل من الناس.. لذلك سعينا من أجل تنظيم برامج متنوعة وجاذبة لهذه المجالس. ففي أحد أيام شهر رمضان المبارك وجهنا دعوات لأعداد من الناس لحضور مأدبة إفطار.. وفي تلك المراسم طلبنا من أحد القراء أن يتلو ما تيسر من

القرآن الكريم، فقرأ المقرئ آيات مباركة من القرآن المجيد بصوت جميل رائع، ثم تحدثنا للحاضرين حول مختلف الحوادث التاريخية والقصص الأخلاقية وتفسير لإحدى الآيات القرآنية وبيان لمسألة فقهية، وأشرنا، كذلك، لأحدث أخبار العالم الإسلامي فضلاً عن إشارات مختصرة للعقائد الإجتماعية قبل أن نفتح المجال لطرح الأسئلة من قبل الحاضرين بحيث قدمنا الإجابات الوافية عنها. واستغرق كل ذلك ساعتين فقط.. وتميز برنامج تلك الأمسية بجاذبية خاصة إلى درجة بحيث طلب المشاركون فيها أن تتواصل مثل هذه الأمسيات.. لذلك قمنا بشراء أرض على ساحل البحر القريب من العاصمة بيروت وشيدنا عليها مركز ثقافي ـ رياضي باسم (هيئة الشباب المسلم) ليقضي الشباب المسلم والمسيحي على حد سواء، أوقات الفراغ هناك.. بعد ذلك بذلنا جهوداً حثيثة حتى تمكنا من تأسيس الحوزة العلمية الدينية في بعلبك، ودار إفتاء الفقه الجعفري المرتبط بالمجلس.

البعد الثقافي

سمعت هناك أن خالي أنشأ مركزاً لرعاية الأطفال واليافعين اللبنانيين الفقراء والمساكين بإشرافه وقام بتحسين أوضاعهم الحياتية؛ وفي الوقت ذاته بادر إلى تأسيس مراكز خاصة للشيعة المحرومين، بينما كان المسيحيون يتمتعون بإمكانات واسعة على هذا الصعيد؛ ومنها تأسيس مدارس نهارية ومسائية لرفع المستوى التعليمي للأطفال واليافعين الشيعة وكذلك تأسيس مركز بإسم (النهضة العامة) لتحسين الأوضاع المعيشية والحياتية للشيعة اللبنانيين.

كذلك حدّثني بعض الأصدقاء أن مركز جبل عامل كان يضم عدداً من المساكين الذين كانوا يستجدون المساعدة المادية من الناس؛ فبادر

خالي إلى تفعيل جمعية (البر والإحسان) التي كانت قد تأسست في زمن آية الله شرف الدين في المنطقة وأحدث فيها عدة لجان للتفتيش والتخطيط والبرمجة والإشراف المالي والإعلامي.. وقام من خلال اقتدائه بالأئمة المعصومين (ع) (الذين كانوا يقولون إن أتباعنا يموتون ولا يستجدون أحداً أبداً، أو تحريمهم تقديم الصدقة المالية لكل من يتمتع بسلامة في الجسم والحواس والطاقات البدنية)، بالطلب من الناس أن يحذروا عند تقديم أي نوع من العون المادي والمالي لمثل هؤلاء الأشخاص، وفي المقابل كلّف هذه اللجان التعرف على الفقراء والمحتاجين وتقسيمهم إلى عدة مجاميع حسب حاجاتهم ومعالجة وضعهم الحياتي والمعيشي من خلال تقديم دعم مالي أو رواتب شهرية بشكل منظم لهم.. ولم يكن يتم التفريق في هذا البرنامج بين الشيعة والسنة، ولذلك ترك ذلك التصرف والسلوك الإنساني أثره الإيجابي في المجتمع بحيث بادر عدد من الأثرياء غير المسلمين بتقديم تبرعاتهم للجمعية.

وسمعت من خالي أن أحد أصحاب معامل الثلج من المسيحيين أوقف نصف عوائد معمله لهذه الجمعية.. ثم قام بتأسيس (دار العجزة) لرعاية المعاقين وكبار السن وفاقدي المعيل.

كما تم تأسيس مراكز تعليم وتدريب البنات بإسم (بيت الفتاة) و(مدينة الزهراء) لتقديم دروس في التمريض والخياطة والتطريز وحياكة السجاد والبساط وغيرها من المهن والحرف للفتيات. بعد ذلك تطورت الأعمال والنشاطات وتضاعف التعاون بين المجموعات والفصائل والفئات الإجتماعية والخيرية وانتشرت المجالس ومراسم الخطابة والوعظ والإرشاد بين الناس..

وقد سمعت هناك أن خالي كان يقول: «أحب أن أرتبط مع الناس من خلال القلب بدل أن يكون ارتباطنا معهم من خلال القلم والورق؛ لذلك عقد الكثير من مجالس الدروس والوعظ والإرشاد وكان يقوم بنفسه بإلقاء الدروس والمواعظ فيها.

البعد الدفاعي

خلال تلك الرحلة اندهشت عندما عرفت أن الجيش اللبناني لا يحرك ساكناً حيال ما يتعرض له الجنوب اللبناني من اعتداءات الجيش الإسرائيلي. لذا فإن إهمال الحكومة لأوضاع شيعة الجنوب دفع خالي لأن يطلب من الشيعة الساكنين في المناطق الجنوبية اللبنانية ليقوموا من خلال تعبئة قواتهم الشعبية بمهمة حراسة الحدود اللبنانية مع الدويلة الإسرائيلية.

فقد التقيت في أحد الأيام مع عدد من الأسر الشيعية في مدينة صور الجنوبية، حيث نقلوا لي العديد من الحكايات المرّة التي تفضح الجرائم الإسرائيلية والإعتداءات الصهيونية ضد القرى الجنوبية، فقد حكوا لي أن الإمام الصدر بادر خلال الهجوم الإسرائيلي إلى الطلب من الناس والحكومة لتجهيز القرى الحدودية بمختلف الإمكانات الدفاعية اللازمة بل وقام بشراء بعض تلك الإمكانات والأسلحة من سورية وجهز شباب الجنوب بالأسلحة ليتصدوا بأنفسهم لأي عدوان إسرائيلي غاشم. كما دعا العائلات اللبنانية لتأسيس (هيئة دعم الجنوب) وطلب من الحكومة والبرلمان أن يخصصوا ميزانية خاصة ويضعوها تحت تصرف هذه الهيئة لتحقيق هذا الهدف.

الأخلاق الحسنة والجدال بالتي هي أحسن

عرف الإمام موسى الصدر بعلاقاته الواسعة مع جميع الفصائل اللبنانية، وكان يبذل جهوداً كبيرة لتحقيق التضامن والتعاضد بين مختلف هذه المجموعات، وقد نجح إلى حد مّا في نشر أجواء المحبة والألفة والمودة بين الطوائف اللبنانية.. وكانت الأجهزة والمؤسسات الحكومية اللبنانية المتشكلة من جميع الفصائل والمجموعات القومية والمذهبية مختلفة مع بعضها البعض؛ إلّا أن خالي كان موفقاً في تمتين علاقته مع هذه الفصائل. وكان يشارك في صلاة الجمعة لأهل السنة وفي المقابل يدعوهم للمشاركة في صلاة الجمعة للشيعة، بل ويدعو علماءهم لإلقاء خطب الجمعة في هذه الصلاة. كما كان يشارك في احتفالات المسيحيين ويلقي خطاباته هناك، وكانت هذه الجهود تهدف إلى تحقيق التقريب بين أتباع المذاهب والأديان. وقد تطورت علاقاته معهم بحيث وجهت الدعوة له لإلقاء (خطبة الموعظة) في كنيسة (الكبوشيين) في عام ١٩٧٥ تزامناً مع بدء أيام الصيام الخاصة بالمسيحيين الكاثوليك في لبنان.. وهناك أعجب الكاردينال كونيغ الأسقف النمساوي الأعظم، الذي كان ينوب عن الفاتيكان في تلك المراسم، بما سمعه من الإمام الصدر في خطبته وخاطبه قائلاً: «ياحضرة السيد لقد سمعت عنك الكثير إلّا أنني أقول بكل ثقة إن التاريخ اللبناني يجب أن يقسم إلى مرحلتين الأولى قبل موسى الصدر والثانية بعده»!!.

وهناك شاهدت عن كثب تطبيقاً عملياً لمبدأين أخلاقيين إسلاميين هما (الخلق الحسن) و(الجدال الطيب وبالتي هي أحسن) متجسدَين في سلوك ونهج الإمام موسى الصدر في تعامله مع الفصائل والمجموعات الدينية وغير الدينية في لبنان.



خطاب الإمام موسى الصدر في إحدى الكنائس اللبنانية

العلاقة مع النخب الإيرانية

ارتبط الإمام الصدر بعلاقة طيبة للغاية مع عدد من المفكرين والنخب المثقفة الإيرانية آنذاك من أمثال الدكتور محمد بهشتي[١] والأستاذ مرتضى مطهري والمهندس مهدي بازركان[٢] والسيد جلال آل

(١) الدكتور السيد محمد بهشتي (ولد بطهران عام ١٩٢٨واستشهد بتاريخ ٢٨/٦/١٩٨١). يعتبر من الشخصيات العلمائية السياسية. وقد جمع بين الدراسة الجامعية والدينية، وكان رئيساً للمركز الإسلامي في هامبورغ بألمانيا خلال الفترة (١٩٦٤ ـ ١٩٧٠). تقلد بعد إنتصار الثورة الإسلامية منصب رئيس ديوان القضاء الأعلى وترأس الحزب الجمهوري الإسلامي. استشهد مع ٧٢ من أبرز الشخصيات السياسية والعلمية في انفجار مقر الحزب بطهران، وقد نعاه الإمام الخميني (رض) قائلاً: «لقد كان بهشتي أمة، حيث عاش واستشهد مظلوماً وكان شوكة في عيون الأعداء».

(٢) المهندس مهدي بازركان (١٩٠٧ ـ ١٩٩٤م): أستاذ جامعي وباحث قرآني، وهو من الشخصيات الوطنية ـ الدينية المناضلة المعروفة في إيران. قام في عام ١٩٦١مع آية الله السيد محمود طالقاني والدكتور يدالله سحابي بتأسيس (نهضة حرية إيران). تقلد السيد بازركان منصب أول رئيس وزراء لإيران بعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩.

أحمد. وقد سمعت من أخي صادق، أن خالي (الإمام الصدر) في لقائه مع الدكتور بهشتي والأستاذ مطهري والدكتور محمد مفتح وعدد آخر من النخب الإيرانية، تطرق إلى آثار ونتائج الهجوم الوحشي الذي قام به جلاوزة النظام الملكي البائد في الخامس من حزيران عام١٩٦٣ضد طلاب الحوزة العلمية بمدينة قُم المقدسة داعياً إلى الإستفادة من تجربته في لبنان، مضيفاً: «ينبغي أن نأخذ الدروس والعبر من الأحداث السياسية التاريخية مثل الحركة الدستورية وثورة الغابة التي قادها الميرزا كوجك خان[١]، وحركة الكولونيل بسيان[٢] في خراسان، وأن نقوم بتوسيع جهودنا لتشمل مختلف الأبعاد الفقهية والسياسية والدفاعية.. وهو ما بدأتُه في لبنان وحققت فيه نجاحاً نسبياً».

(١) الميرزا يونس المعروف بالميرزا كوجك خان جنكلي (١٨٧٨ ـ ١٩٢١م) نجل الميرزا بزرك (الكبير)، ولد في مدينة رشت (شمال إيران) وكان قائداً لحركة الغابة النهضوية ونجح بتاريخ ٦حزيران ١٩٢٠بعد نضال استمر لعدة سنوات، في إعلان الحكومة الجمهورية في مدينة رشت. وكانت حركته تهدف إلى تحقيق استقلال إيران ومنع أي تدخل أجنبي في شؤون البلاد الداخلية، وتحقيق إصلاحات أساسية، والقضاء على الفساد الإداري والحكومي، ودعم الوحدة الإسلامية. وقد طلب دعم كل الإيرانيين لتحقيق هذه الأهداف.. وقد دخلت القوات الحكومية مدينة رشت لمحاربة ثوار الغابة، فاستسلم عدد منهم وقتل البعض الآخر.. وغادر الميرزا المدينة نحو الغابة لإعادة تنظيم صفوف رجاله، إلّا أنه توفي بسبب البرد الشديد.

(٢) الكولونيل محمد تقي بسيان (١٨٩١ ـ ١٩٢١م): التحق في الخامسة عشرة من عمره بمدرسة (نظام) العسكرية في طهران. وبعد تخرجه انضم إلى قوات الدرك وغادر إلى ألمانيا لإكمال تعليمه العسكري واتقن علوم الفضاء والطيران في القوة الجوية الألمانية، وهو أول طيار إيراني.. وقد شارك في قمع أشرار خراسان. قتل في إحدى المعارك مع أكراد قوجان.

إثارة العقبات في طريق الإمام الصدر

كان السافاك الإيراني غاضباً كثيراً على الإمام موسى الصدر بسبب دعمه للفصائل الفلسطينية المناضلة، وكانت السفارة الإيرانية في بيروت غير راضية عن نشاطاته هناك، لذا كانت تثير العقبات دائماً في طريقه.. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض الناشطين السياسيين الإيرانيين مثل السيد جلال الدين فارسي[1]، لم تكن له علاقة جيدة مع خالي ويقوم دائماً بنشر البيانات المناوئة للإمام الصدر ويرسلها إلى الإمام الخميني في النجف الأشرف.. بعد أن تعرف السيد أحمد على خالي عن كثب، طلب منه أن يرد على هذه الإتهامات من خلال رسالة يبعثها إلى الإمام الخميني، فرفض خالي ذلك قائلاً: «لا أرغب في الدفاع عن نفسي، وأظن أن الإمام الخميني يعرف الحقيقة تماماً لأنه لم يقطع عني مساعداته ودعمه حتى الآن».

هجرة الإمام موسى الصدر

سمعت خلال هذه الرحلة الكثير من الأمور حول هجرة خالي من إيران إلى لبنان، فالبعض في إيران والنجف الأشرف، كانوا يأسفون على ذلك ويقولون: «إن السيد الصدر إن لم يذهب إلى لبنان وظل في حوزة قُم العلمية لأصبح بلا شك أحد كبار العلماء المعاصرين وأبرزهم، ولاستفادت منه الحوزات العلمية والأوساط الدينية كثيراً.

---

(١) جلال الدين فارسي (ولد عام ١٩٣٣م)، من الشخصيات السياسية الناشطة في إيران وكان مرشحاً من قبل الحزب الجمهوري الإسلامي لأول انتخابات رئاسية في ايران (أواخر عام ١٩٧٩) إلّا أنه انسحب من الإنتخابات بعد أن تبين أنه من أصول أفغانية. كان عضواً في مجلس خبراء تدوين الدستور الإسلامي، ولجنة الثورة الثقافية، وممثل الشعب في الدورة الثانية لمجلس الشورى الإسلامي.

وخلال هذه الرحلة وبعد اطّلاعي عن كثب، على الجهود الحثيثة والواسعة والمتنوعة التي كان يبذلها هناك، عرفت أسرار ودوافع هذه الهجرة إلى لبنان؛ لا سيّما عندما سمعت أن الإمام الصدر كان قد قال: «كنت أشعر أن واجبي هو إكمال المشروع الذي بدأه السيد جمال الدين أسدآبادي[(١)]، على أن لا أكرر أخطاءه، حيث كان السيد جمال يعتقد أن الإصلاح الإجتماعي ينبغي أن يبدأ من المسؤولين، بينما أعتقد أنه يبدأ من جماهير الناس. ومن خلال رفع المستوى الفكري والإجتماعي للناس نتمكن من فرض مصالح المجتمع وتطلعاته على المسؤولين».

التعرف على الدكتور مصطفى شمران

في هذه الرحلة رأيت لأول مرة الدكتور مصطفى شمران، فقد كان يمتلك شخصية ودية ورحيمة وفي الوقت ذاته صلبة وقوية، حيث لفت أنظارنا إليه.

سمعت أن الدكتور شمران كان أحد تلامذة المهندس بازركان ومن الأصدقاء القدامى للمهندس سحابي[(٢)] والدكتور شيباني والدكتور

---

(١) السيد جمال الدين أسد آبادي (١٨٣٨ ـ ١٨٩٦م): ولد في مدينة أسد آباد الايرانية، ويعتبر من الشخصيات الفكرية والسياسية والإصلاحية، وكان يدعو إلى وحدة المسلمين، ويعرف أنه رائد نهضة الصحوة الإسلامية في القرون الأخيرة وهوى معروف بـ (الأفغاني).

(٢) المهندس عزت الله سحابي (١٩٣٩ ـ ٢٠١١م): هو نجل الدكتور يد الله سحابي، متخصص وأستاذ في الهندسة الميكانيكية بجامعة طهران، فضلاً عن كونه من السياسيين البارزين، قضى عدة سنوات في سجون النظام البائد بسبب هذا النشاط. أصبح بعد انتصار الثورة الإسلامية، عضواً في مجلس قيادة الثورة ورئيس منظمة التخطيط والميزانية في حكومة المهندس بازركان، ثم أصبح ممثلاً للشعب في الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي، والأمين التنفيذي لحركة تحرير إيران قبل أن ينفصل عنها.

شريعتي. وكان قد التحق بحركة المقاومة الوطنية بعد الإنقلاب العسكري (الأميركي) الذي نفذ في ١٩ آب عام ١٩٥٣ وأصبح مسؤولاًعن صحيفة (طريق مصدق) في جامعة طهران، وأوفد إلى أميركا لمواصلة دراسته العلمية بعد أن نال المرتبة الممتازة في قسم الإلكترونيك بكلية الهندسة التكنولوجية في جامعة طهران.

وبعد فترة قصيرة من وجوده في أميركا قطعت الحكومة الدعم المالي الذي كان يقدم له بسبب نشاطه السياسي وموقفه المعارض للنظام البائد وتأسيسه للإتحاد الإسلامي للطلبة في أميركا. ورغم ذلك واصل الدكتور شمران تحصيله العلمي وأبحاثه العملية المتقدمة حتى نال درجة الدكتوراه إلى جانب تأسيسه لفرع الإتحاد الطلابي الإسلامي في كاليفورنيا ومشاركته كبار العلماء والباحثين في أكبر مشاريع علوم الفضاء والأقمار الصناعية لمركز أبحاث الفيزياء الأميركية المعروف (بل كمباني).

خلال سفرته إلى أوروبا في عام١٩٦٩، التقى خالي الإمام الصدر في بيت أخي صادق، جمعاً من الناشطين من أعضاء الاتحادات الإسلامية الطلابية في أنحاء أوروبا وشرح لهم جهوده الهادفة إلى تأسيس مؤسسة جبل عامل الصناعية في لبنان قائلاً: «أطلب مساعدتكم لإدارة هذه المؤسسة». وبعد ما أشار الإمام الصدر إلى خصائص المدير الذي يريده لإدارة هذه المؤسسة، اقترح أخي صادق والدكتور حسن حبيبي، الدكتور مصطفى شمران لهذه المسؤولية، فبادر خالي لدعوة السيد شمران ليساعده في هذه المسؤولية المهمة في لبنان[١].

---

(١) بعد استشارة زملائه في أوروبا، توصل الدكتور شمران إلى أن وجوده في لبنان يساهم بشكل كبير في مضاعفة نشاطه السياسي ضد النظام الملكي البائد، لذا رحل إلى لبنان وبدأ تعاونه المثمر مع الإمام موسى الصدر، واستمر ذلك حتى انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، فغادر بيروت إلى طهران بدعوة من المهندس بازركان.



لقاء مؤلفة الكتاب مع السيد حسن نصر الله

هاجر الدكتور شمران إلى لبنان ملبياً دعوة الإمام الصدر، وترأس مؤسسة جبل عامل ووضع أسس تنظيم شبه عسكري بإسم (أفواج المقاومة اللبنانية) (أمل)، بالتعاون مع السيد موسى الصدر حيث انضم إليها جمع من الشباب الشيعة اللبنانيين ووضعوا أسس قوة عسكرية منظمة كان السيد حسن نصرالله[1] أحد أعضائها اليافعين آنذاك.

إن لقائي مع الدكتور شمران وتعرفي عليه، كان مفيداً ومثمراً للغاية؛ فقد كان أحياناً يزورنا في بيروت ويأخذنا أحياناً أخرى معه إلى

---

(١) ولد السيد حسن نصر الله عام ١٩٦٠في مدينة صور جنوب لبنان، وتلقى دراساته في العلوم الدينية في حوزة النجف الأشرف العلمية. وعرف منذ أن كان يافعاً، بنشاطه الواسع في حركة أمل وأصبح عضواً في مكتبها السياسي مبكراً. والتقى الإمام الخميني عام١٩٨١ وكان عمره آنذاك ٢١ عاماً، وأصبح وكيلاً عن الإمام الخميني في الشؤون الحسبية والشرعية في لبنان. بعد انتصار الثورة الإسلامية التقيت به حيث قال: «إن نصيحة الإمام الخميني للشباب اللبناني ودعوتهم إلى وحدة الصف لمواجهة إسرائيل، جعلتنا نفكر بتأسيس حزب الله. وهو الآن أمينه العام.

مدينة صور في الجنوب، حيث كان يعيش فيها وحيداً آنذاك، بعد أن عادت زوجته وأولاده إلى أميركا.

في إحدى المرات التي رافقناه إلى مدينة صور، أخذنا الدكتور شمران لنتجول في أقسام المؤسسة المختلفة، وأطلعنا عن كثب على الأعمال التي يقوم بها الشباب في الورش المتعددة، وقام بشرح الإنجازات التي تحققت بكل فخر واعتزاز؛ كما كان يحتضن الشباب الذين كانوا يحرسون المؤسسة ويقبّلهم ويقول: «إن الأسلحة التي يحملها بعض هؤلاء الشباب أطول من قاماتهم إلّا أن عزيمتهم وشجاعتهم لا يمكن أن توصف».

إن حب الدكتور شمران وعشقه لهؤلاء الشباب المتفانين، جعلني أفكر بأن أسأله هذا السؤال: كيف قَبِل أن يترك أولاده وأفراد أسرته، ويعيش بعيداً عنهم رغم هذه الروح اللطيفة والمشاعر الإنسانية الرائعة التي يتميز بها؟ إلّا أنني لم أطرح عليه هذا السؤال.

عصر ذلك اليوم اصطحبنا الدكتور شمران معه لنجول على الخرائب التي خلفتها الهجمات الإسرائيلية في المدينة؛ وعندما كنا ندخل البيوت المهدمة أثر ذلك، كان يشرح لنا حول عدد الأجساد التي أخرجت منها، أو أنه شاهد عن كثب عدداً من الأطفال الأبرياء الذين قتلوا في أحضان أمهاتهم. وفي الوقت ذاته كان ينظر أحياناً، إلى الأوراق والكتب المبعثرة



الدكتور مصطفى شمران في المناطق الحربية (لبنان)

والممزقة، ويدقق في البعض منها أو يرفع ألبومات الصور العائلية لبعض أصحاب تلك البيوت من بين الركام، ويشرح لنا عمق المأساة التي حدثت في المدينة والجرائم التي ارتكبت فيها. بعد ذلك أخذنا إلى ساحل البحر المتوسط عند أطراف هذه المدينة، واستأجرنا زورقاً وقمنا بجولة بحرية في مياه البحر الزرقاء الجميلة، وقد شرح لنا في هذه الرحلة، هول المجازر الوحشية والقصف الجوي الغادر للقوات الأميركية والإستكبارية التي كانت تنطلق من البوارج الحربية المتمركزة في هذا البحر، ضد الأبرياء.

ضيافة ناقصة

كان لدينا أقرباء في لبنان بالإضافة للإمام موسى الصدر ولا زالوا يعيشون هناك. فخالتي «رباب» تسكن في مدينة صور، وقد دعتنا في أحد الأيام، فلبينا الدعوة برفقة أسرة خالي الإمام الصدر، وذهبنا إلى صور. وكان من المقرر أن تعود أسرة خالي تلك الليلة إلى بيروت على أن أبقى مع نجلي حسن عدة أيام هناك. وبعد أقل من ساعة على وصولنا، زارنا الدكتور شمران وهمس بشيء في أذن خالتي. فطلبت خالتي من «بروين خانم» (زوجة خالي) أن نترك المكان سريعاً وقالت لي: «أستودعك الله، سأراك غداً في بيروت». تساءلت لماذا حدث ذلك؟. بعد ذلك غادرنا جميعاً صور إلى بيروت ونحن في حالة من القلق. وقد سمعت في بيروت أن الدكتور شمران أخبر خالتي أن إسرائيل من الممكن أن تهاجم صور، ولم تكن خالتي ترغب أن يكون ضيوفها هناك عند تعرض المدينة للخطر الإسرائيلي. وكان الدكتور شمران قد طلب من خالتي أن تغادر صور برفقة الضيوف إلّا أنها أجابته: «إن بيتي هنا ولا بُدّ أن أبقى وأدافع عن المدينة وبيتي».

وقد سمعت هناك الكثير من الذكريات التي توضح صمود وجهاد خالتي ضد الإسرائيليين وكانت رائعة ومفيدة بالنسبة لي ومنها:

في أحد الأيام، ذهب أحد أبناء خالتي إلى السوق لشراء الفواكه، فوجد هناك أحد البائعين يبيع بطيخاً بسعر أقل من السعر العادي، فاشترى عدداً منه وعاد فرحاً إلى البيت. فشكّت خالتي بعد أن عرفت ذلك، وبدأت تدقق حول سبب رخص ثمن ذلك البطيخ، وتأكدت أن سبب ذلك هو أنه مستورد من إسرائيل. فانزعجت وثارت أعصابها ورمت كل البطيخ الذي اشتراه نجلها في سلة القمامة وعاتبته بشدة: «لماذا اشتريت البطيخ دون أن تدقق حول سبب رخص ثمنه»؟!. وأرسلت إلى البائع تحذيراً مفاده أننا لن نسمح بأن تتحول مدينة صور المحتلة إلى سوق إسرائيلية، ودعته لأن يقاطع السلع الإسرائيلية وإلّا فإن محله سيتعرض لنيران غضب أبناء صور. فانتشر هذا الخبر سريعاً في أنحاء المدينة مما دفع البائع للإعتذار لخالتي «رباب».

دعم الإمام الصدر للإمام الخميني والثورة

خلال هذه الرحلة سمعت من الأصدقاء والأقرباء، الكثير عن دفاع الإمام موسى الصدر ودعمه للإمام الخميني والمجاهدين الإيرانيين منها:

في عام ١٩٦٤ بعد اعتقال الإمام الخميني ونفيه من إيران، سافر خالي الإمام الصدر إلى عدد من الدول الأوروبية وشمال أفريقيا ـ منها مرتان إلى الفاتيكان ـ وطلب من البابا أن يقنع المسؤولين الإيرانيين بإنهاء مرحلة نفي الإمام الخميني.

وبسبب نشاطات الإمام الصدر أصدر شاه إيران أمراً بإبطال جنسيته الإيرانية وإلغاء تبعيته الإيرانية، فقال الإمام الصدر: «سنسحب قريباً البساط من تحت أقدام الشاه بفضل الله ودعمه». وعندما طلب منه السفير

الإيراني في لبنان اللواء منصور قدر أن يعيد جوازه الإيراني إلى السفارة، أجابه خالي: «إنني إيراني وأتشرف بإيرانيتي ولا يرتبط ذلك بمدى معارضتي للشاه أو تأييدي له. وبما أن الشاه لا يرغب بأن أحمل الجواز الإيراني، فإني لن أعيده إليكم. ولأن هذا الجواز تعلوه صورة للتاج الشاهنشاهي، فإني سأعقد اجتماعاً وأشعل ناراً وسأحرقه أمام الجميع».

النجف الأشرف

شوق لقاء الإمام الخميني

بعد حوالي شهر من بقائنا في لبنان، أنجزنا مقدمات صدور تأشيرة الدخول إلى العراق. فبينما كان خالي والسيد أحمد قد تعوّدا كثيراً على بعضهما، اضطررنا أن نودعه ونغادر بيروت بالطائرة نحو بغداد.

حطت الطائرة في مطار بغداد عند منتصف الليل تقريباً، وبعد أن أنجزنا الإجراءات القانونية اللازمة للدخول إلى العراق، استأجرنا سيارة واتجهنا نحو النجف الأشرف. وصلنا مدينة النجف الأشرف قبل ساعة تقريباً من أذان الفجر، وبعد اجتياز عدة شوارع وأزقة ضيقة، توقفت السيارة أخيراً أمام منزل الإمام الخميني.

كنت قد رأيت الإمام لأول مرة قبل حوالي خمس سنوات في حرم أمير المؤمنين الإمام علي (ع). إلّا أن هذه المرة يختلف الوضع عمّا كان عليه سابقاً، فلم يكن سماحته الآن بالنسبة لي العالم المنفي والمرجع الفقهي، فحسب، بل إنني الآن أحد أعضاء أسرته الكريمة وأحمل معي طفلاً صغيراً هو حفيده، عمره سنة واحدة.

إن اللقاء مع الإمام وجهاً لوجه كان مدهشاً ومثيراً للغاية بالنسبة لي؛ فقد كنت طوال الرحلة أفكر بهذا اللقاء، ومنذ أن ركبت السيارة

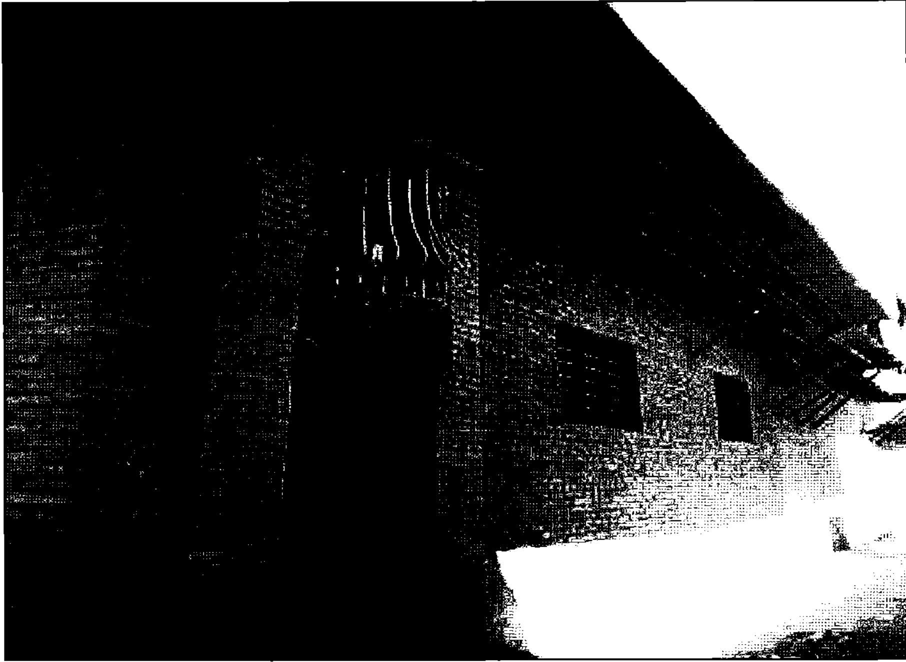
من المطار وحتى الوصول إلى منطقة (الحويش) في النجف الأشرف، كان ذهني منشغلاً بهذا الأمر. وكنت أفكر مع نفسي كيف سيكون رد فعل الإمام عندما يشاهدنا؟ هل سيكون جاداً أو مبتسماً معنا عندما يلاقينا؟ وتذكرت كلمات أحمد حول والده الإمام الذي كان يقول: «الإمام يفضل دينه على الجميع، ويرجِّحه على كل شيء، حتى على أفراد أسرته؛ وهو يكون جاداً للغاية عندما يلتقي المراجعين في مكتبه». وأتذكر عندما عبّرت عن عدم سروري حيال مثل هذا التعامل من قبل السيد الإمام، أجابني أحمد بكل صراحة وشفافية، وبعيداً عن التعصب بالقول: «إنه السيد الإمام.. هو هكذا، ولا يهمني إن كان مثل هذا التعامل جيداً أو سيئاً». وبينما كنت منشغلة بمثل هذه الأفكار وبعد أن طرق أحمد باب البيت[1]، سمعنا صوتاً من خلفه يقول: «من الطارق»؟ قال أحمد: «أنا أحمد». وكان ملفتاً بالنسبة لي أن الإمام هو الذي فتح الباب بنفسه. سألت أحمد: «لماذا الإمام بذاته»؟ قال: «إن السيد الإمام هو الوحيد المستيقظ في مثل هذا الوقت». فتح الباب ورأينا قامته منتصبة؛ وكان يرتدي رداءً وسروالاً أبيضاً وقبعة سوداء، تبادلنا السلام والتحية ودخلنا البيت.

رغم أننا كنا نشعر بالتعب، إلّا أن ذهني كان منشغلاً بأفكاري وتصوراتي وأحاول تطبيقها مع ما أشاهده أمامي، لا سيّما كلمات أحمد الآنفة: «هكذا هو الإمام بذاته ولايهمني إن كان ذلك جيداً أو سيئاً».

عبّر سماحة الإمام عن سروره من رؤيتنا، فسأل أحمد: «أين كنتم»؟ أجاب أحمد: «نحن قادمون الآن من لبنان». فقد كنا أخبرناهم

---

(١) لم يكن للباب جرسٌ آنذاك، بل كانت هناك قطعة حديدية ملصقة بالباب تقوم بمهمة الجرس.



منظر خارجي لبيت الإمام الخميني (النجف الأشرف)

أننا ربما نسافر إلى لبنان، إلّا أننا لم نخبرهم عن إمكانية سفرنا للعراق. أشار الإمام بيده، فجلسنا على سجادة في باحة البيت، وجلس سماحته بجانبنا. وبدأنا نتبادل الحديث مما أدى إلى أن تستيقظ السيدة (زوجة الإمام) من النوم، وكانت نائمة على سطح البيت ونزلت إلى الباحة وهي باكية من الشوق والفرح. فهنأها الإمام بكل سرور لوصولنا سالمين. وانشغلت «الحاجة اقليم» بإعداد الضيافة لنا بعد أن كانت هي أيضاً قد استيقظت من النوم[١].

وبينما كنا منشغلين بالحديث، قام سماحة الإمام من مكانه واستأذننا قائلاً: «اسمحوا لي أن اترككم وأنتم مشغولين بالحديث مع السيدة حتى أواصل أعمالي»!!. سألت أحمد بكل دهشة: «أين يذهب

(١) الحاجة «اقليم»، رافقت السيدة زوجة الإمام خلال هجرتها من إيران إلى العراق.


السيدة (حاجة أقليم)

السيد الإمام»؟ أجاب أحمد: «لقد حان وقت صلاة الليل». وفهمت ذلك لأن والدي كان يتوجه أيضاً إلى مقام السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) في قُم لأداء هذه الفريضة بعد منتصف الليل. إلّا أنني كنت أظن أن هذه الصلاة ما دامت غير واجبة، فمن الممكن تأخير أدائها لنصف ساعة مثلاً. لكن سماحة الإمام تركنا دون أن يضيف أي شيء آخر.

كنت أتوقع أن يبقى سماحته أكثر إلى جانب كنّته وحفيده، لا سيّما أنه يراهما لأول مرة، وأن يجلس معنا ويبادلنا الحديث، لا سيّما أن حسن الصغير كان قد استيقظ من النوم وبدأ بالتحرك، والطفل يبدو جميلاً ورائعاً ومحبوباً أكثر في مثل هذا العمر، وكنت أظن أن سماحة الإمام سيبقى معنا وقتاً أطول بسبب ذلك، إلّا أنه تركنا وذهب. ولم يمض وقت طويل إلّا وعاد مرة أخرى إلينا. وبعد عدة دقائق غادرنا مرة أخرى لأداء صلاة الصبح هذه المرة. وبينما كان يغادرنا قال سماحته: «أنتم أيضاً تشعرون بالتعب والإرهاق، اذهبوا واستريحوا وسأراكم غداً إن شاء الله».

كربلاء

بعدعدة أيام من بقائنا في النجف الأشرف، قرّرنا السفر إلى كربلاء المقدسة، وبسبب الطقس الحار جداً، اقترحت السيدة (والدة أحمد) أن يبقى حسن عندها ووافقنا على ذلك واتجهنا نحو كربلاء بالحافلة.

عندما وصلنا كربلاء، تذكرت الرحلة السابقة لي لهذه المدينة المقدسة قبل عدة سنوات برفقة والدي ووالدتي وأخي (عبدالحسين)، حيث كانت حالتي المعنوية آنذاك تختلف عما عليه الآن، وقد دعوت الله حينذاك، أن لا تتم هذه الزيجة، وتوسلت من أجل ذلك بالسيد جعفر الطيار (رض)، لأني كنت أرغب بأن أواصل تحصيلي العلمي، وكنت أظن أن الزواج من السيد أحمد سيحول دون تحقق ذلك. إلّا أن الوضع يختلف هذه المرة، حيث دخلنا هذا المكان المقدس الآن بعد أن تم ذلك الزواج، وأن أحمد يقف الآن بجانبي، وأنا راضية ومسرورة جداً بذلك، فكنت أخاطب نفسي: كم هو جميل أن لا تتحقق كل أمنيات الإنسان!، وهنا أدركت مفهوم هذه الآية المباركة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[1]. وما أن وصلنا كربلاء توجهنا لزيارة الحرم المطهر للإمام الحسين سيد الشهداء (ع). وخلال الطريق حتى الحرم الحسيني تبادلنا الحديث والذكريات. وفي مثل تلك الأجواء الثورية السائدة آنذاك، كانت بعض الأحداث ذات الظاهر الثوري تفسر بنظرة ثورية، فكيف الحال مع ثورة سيد الشهداء (ع) الذي يعتبر في الحقيقة رائد الثورات الحقيقية وأبرزها. تحدثنا حول شخصيات خالدة مثل هاني بن عروة وماحدث في الكوفة آنذاك من جهاد مرير خاضه أمثال هؤلاء العظام ضد الإنحراف والإبتعاد عن صراط الدين المستقيم، وهذه كلها كانت من منابع ثورة الإمام الحسين (ع) المقارعة للظلم والطغيان بكل أشكاله. وخرج أحمد بهذه النتيجة، وهي: أنه من أجل تحقيق الهدف لا بُدّ من تحمل الصعاب والآلام، وهي من الشروط الرئيسية لذلك؛ وضرب مثلاً على ذلك سيدنا العباس بن علي سلام الله عليه الذي قدم في هذا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

الطريق يديه وعينيه وبالتالي روحه الطاهرة وأهداها في سبيل ثورة أخيه. وكان أحمد يقول: «إن نهضة عاشوراء لا تنحصر في الهم والغم والحزن والمظلومية والأسر، فلو كانت كذلك لكانت حرارتها وجذوتها انطفأت بعد كل هذه السنوات الطويلة». لقد كان يبحث دوماً في عمق هذه الثورة عن فكرة أصيلة وخالدة تنبع منها آيات الثورة والجهاد والحياة والنشاط والصمود بوجه الظلم ومقارعته. ولم تكن هذه النظرة لواقعة عاشوراء شاملة بين جميع أنصار الإمام الحسين (ع) وأتباعه، إلّا أنه كان يقول: «لو حصرنا ثورة الإمام الحسين (ع) في الحزن والعزاء لما نفحت منها كل هذه الخيرات والبركة».

خرجنا من حرم الإمام الحسين (ع) واتجهنا نحو حرم أبي الفضل العباس سلام الله عليه. وكان لابد أن نجتاز سوقين أحدهما سوق الصاغة حيث محلات صاغة الذهب والمجوهرات التي تجتذب إليها عيون الزائرين وقلوبهم الضعيفة، ـ وأنا منهم ـ وحتى لو كانوا قد ذرفوا دموعاً في حرم الإمام الحسين (ع)، فإن ذلك لم يكن يشكل عقبة أمام انجذابنا نحو هذه المحلات. وأثناء اجتيازنا لهذه السوق، وقع نظري على الواجهة الأمامية لأحد المحلات الذي كان يعرض مختلف أنواع الحلي الذهبية والأسوِرة والقلادات والخواتم واجتذبني أحد الخواتم الذي كان يشبه كثيراً خاتم زواجي الذي كان قد سقط في مياه نهر كان يمر امام بيت ابنة خالة أحمد في السنة الأولى من زواجنا. وكنا أنا واحمد منزعجين كثيراً لذلك؛ وقد أشرت إلى أحمد أن ينظر لذلك الخاتم ويعطي رأيه فيه فاشتراه لي بعشرة دنانير. وبعد أن زرنا حرم سيدنا العباس سلام الله عليه رجعنا إلى النجف الأشرف مساءً، وهكذا قضينا يوماً كاملاً في كربلاء مليئاً بالذكريات الجميلة.

حفل الولادة في الباخرة

بعدعدة أيام اقترحت السيدة والدة أحمد أن نتوجه لزيارة سامراء والكاظمية، فابتسم سماحة الإمام قائلاً : «إن السيدة تبحث دوماً عن ذريعة لتسافر[1]. وهكذا سافرت برفقة السيدة والدة أحمد وحسن ومشهدي حسين (المسؤول عن مشتريات البيت)، إلى الكاظمية وبقي أحمد عند والده الإمام.

استأجرنا غرفتين في أحد الفنادق القريبة من حرم الإمامين الكاظمين (ع)، غرفة لنا وأخرى لمشهدي حسين، وكنا نزور الحرم صباحاً ونذهب بعد الظهر إلى بغداد للتجول. وقد تزامن اليوم الأول من وصولنا إلى الكاظمية مع ذكرى ولادة ابني حسن في الحادي والعشرين من شهر تموز.

أخذتنا السيدة والدة أحمد إلى باخرة راسية في ساحل نهر دجلة حُوّلت إلى كافتريا، لنحتفي بهذه المناسبة السعيدة. وتناولنا البوظة هناك. وهكذا احتفينا نحن الثلاثة بالذكرى الأولى لمولد حسن على ظهر تلك الباخرة ـ الكافتريا؛ وأتذكر كذلك أن الطقس في ذلك اليوم كان حاراً للغاية بحيث لم نكن نتمكن أن نفتح باب السيارة من الخارج لسخونته مما اظطر السائق لفتحه من الداخل.

---

(١) حقاً كانت السيدة والدة أحمد تحب السفر كثيراً وترغب بمشاهدة مختلف الأماكن. وكانت تدقق في أوضاع كل مدينة نزورها وتتجول في الأماكن المهمة فيها منذ أول لحظة لوصولنا، فضلاً عن زيارة السوق، لأنها كانت تعتقد أن السوق يمثل أفضل مكان لمعرفة أخلاق الناس وثقافتهم واقتصادهم وعمران مدينتهم.



السيدة خديجة ثقفي (زوجة الإمام الخميني)



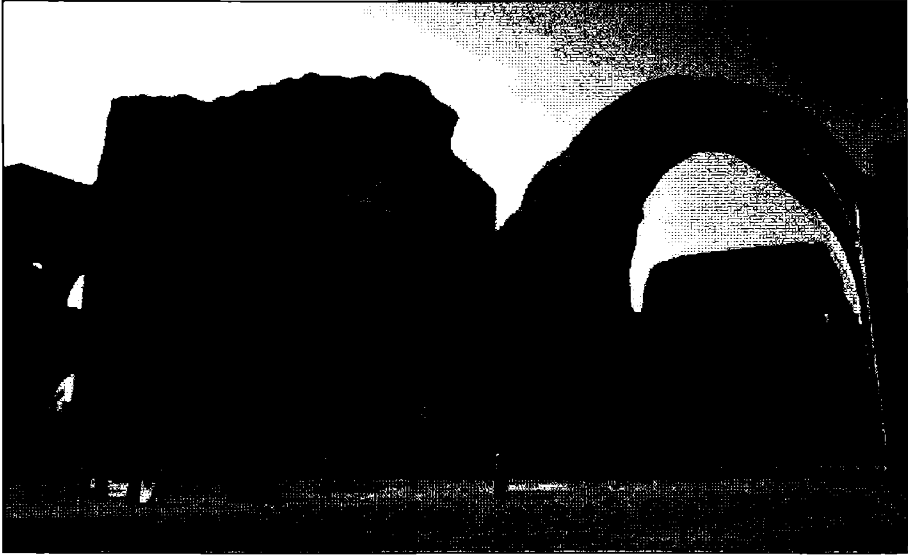
السيد حسن الخميني



السيد (مشهدي حسين)

إيوان المدائن

زرنا كذلك طاق كسرى[١]، وإلى جانبه قصر أثري كبير يعود للملوك الساسانيين القدامى، وقد هاجمه في القرن السابع الميلادي الفاتحون العرب المسلمون ومزّقوا سجاداً ثميناً كان هناك يسمى سجاد بهارستان[٢] ؛ وهناك تذكرت أحد أشعار عمر الخيام في وصف تلك الحادثة. وهو ذات القصر الذي يقال إن أعمدته الأربعة عشر انهارت مع



إيوان مدائن وطاق كسرى (العراق)

(١) يعتبر هذا القصر من أكبر وأضخم وأشهر المباني التي شيدها الملوك الساسانيون، ويسميه الإيرانيون (إيوان مدائن) أو طاق كسرى، ولا زالت آثاره ماثلة في تيسفون (المدائن) بالقرب من الساحل الشرقي لنهر دجلة عبرةً للآخرين. وطاق كسرى يعتبر أعلى طاق مبني من الطين مع التبن. يبلغ ارتفاعه ٣٥ وعرضه ٢٥ وطوله ٥٠ متراً.

(٢) سجادة نسجت من الخيوط الذهبية التي لا مثيل لها؛ وتسمى بـ (بهار خسرو) (ربيع خسرو) أو بهار كسرى، أو السجادة الشتوية. لمعرفة التفاصيل يمكن مراجعة الهامش الثاني في نهاية الفصل.

مولد النبي الأكرم محمد (ص). وسمعت أن الإمام الخميني كان قد قال بهذا الشأن: لربما هو رمز لإنهيار أركان النظام الشاهنشاهي في إيران بعد أربعة عشر قرناً.

بعد عدة أيام رجعنا إلى النجف الأشرف مصطحبين معنا هدايا بسيطة.

في ضيافة العرب

كانت السيدة والدة أحمد تقترح علينا أحياناً أن نذهب إلى الكوفة عصراً؛ وكنا غالباً نتحرك برفقة الحاجة «اقليم» وحسن نحو الكوفة، عبر الحافلات، وبعد أن نصل إلى هناك نتوجه نحو شط الكوفة مشياً على الأقدام أو بالعربات، ونجلس هناك ونتناول بعض الأطعمة التي جلبتها معها الحاجة «اقليم». وكانت لذيذة للغاية. وكنا أحياناً نذهب لمسجد الكوفة(١) أو مسجد السهلة(٢). وفي إحدى المرات وبينما كنا نمر في مسجد الكوفة، كانت بعض الأسر العربية الموجودة تتناول الأطعمة، فيقدمون قسماً منها لحسن ويتمازحون معه، وكنت قد سمعت من والدي أن الضيافة والترحيب بالضيوف هي من خصال العرب الحميدة وهم ينزعجون إن رُفضت دعوتهم. لذلك كنا نحمل معنا الكثير من الأطعمة عند عودتنا إلى النجف.

---

(١) مسجد الكوفة يعتبر واحد من المساجد الأربعة الكبرى في العالم الإسلامي (المسجد الحرام، المسجد النبوي، المسجد الأقصى ومسجد الكوفة) ويعتبر مسجد الكوفة من أقدم المساجد بعد المسجد الحرام.

(٢) من أشهر المساجد الإسلامية، وقد شيد في القرن الأول الهجري في الكوفة.

صور رائعة من سلوك الإمام الخميني

إن أول شيء لفت نظري منذ تلك الأيام، هو مدى اهتمام ومحبة الإمام لزوجته. فخلال تناول وجبات الطعام الذي كان يتم دائماً بدقة في أوقات معينة، كنّا نجلس أطراف المائدة والسيدة والدة أحمد كانت تضطلع بمهمة إعداد الطعام وجلبه إلينا، لذا فهي كانت آخر من يلتحق بنا على المائدة. وكنا ننظر الإمام لا يمد يده للطعام قبل أن تلتحق زوجته بنا. وحتى لو نبدأ أحياناً بصب الطعام، فإن سماحته كان ينادي زوجته بأن تسرع في المجيء ويسألنا: «ألا تأتي السيدة»؟! فنفهم حينها أن الإمام لا يرغب بتناول الطعام إلّا بعد مجيء السيدة زوجته.

كانت مائدة الطعام تضم غالباً في الصيف نوعاً واحداً من الفاكهة (الخيار أو العنب) ويضاف التمر الطازج أحياناً عند توفره في السوق. وكان سماحة الإمام يحبه كثيراً. وفي أحد الأيام تم شراء تمر غير ناضج تماماً، ولكي أثير شهية الإمام مازحته قائلة: «سيدي إنه لذيذ جداً، إنه تمرالعام الماضي». فأجابني سماحته (وكان معروفاً بأنه سريع البديهة) قائلاً بلاتردد: «نعم، لأن الزبيب هو نفسه عنب العام الماضي»!!.

بعد عدة أيام رأيت صور أخرى لسلوك الإمام وأخلاقه؛ وهي تمثل أموراً تختلف مع استنتاجاتي الأولية بهذا الشأن، وأدّت إلى تعلقي الخاص بسماحته، وأصبح وجوده في البيت أمراً محبباً وحضورنا إلى جانبه باعثاً للسكينة والسرور.

أعتقد أن سماحته كان ذا شخصية متينة صلبة عابدة وزاهدة ومتعبدة بآداب الشريعة. وكان منظماً ونظيفاً دوماً، وخجولاً نوعا مّا. ولربما تصعب مجاملته ومعرفته، وقليل الكلام. أجل كان سماحته له برنامج معين يلتزم به طوال اليوم وينفذه بشكل منظم ومبرمج.

كان الإمام يهتم كثيراً بالحالات المعنوية والروحية لأهل بيته؛ فلو كنت أحياناً ألتزم السكوت ولا أتكلم، كان يتحدث معي ويحاورني بكل محبة.

كان سماحته يناديني بإسمي «فاطمة» وكان يخاطب زوجته السيدة بالقول: «انظري ماذا تحب فاطمة خانم أن تأكل من الطعام واطبخي ماتريده حتماً». وكان يقول أيضاً لأحمد: «اهتم بفاطمة، ولا تجعلها تضجر أبداً». وكلما كنت أناوله شيئاً كان يشكرني بكل لطف ومحبة بالقول: أيّدك الله، آجرك الله، أو سلّمك الله.. وهكذا.

النقطة المهمة الأخرى تكمن في دقته خلال التعامل العادل والمتساوي معي ومع «معصومة» خانم (كنّته الكبيرة). وعندما كانت السيدة «معصومة» تأتي إلينا كان سماحته يومئ بحركة معينة قائلاً: «يا الله»؛ وعندما كنت أريد الدخول في الغرفة، مثلاً، كان يقول، أيضاً، باحترام



غرفة عمل الإمام الخميني (النجف الأشرف)

وبتواضع: «يا الله». إن اهتمام سماحة الإمام بهذه النقاط الدقيقة والجميلة وتعامله بهذا الشكل الرائع، كانت ملفتة للغاية بالنسبة لي ومؤثرة عليّ كثيراً. وخلال تدقيقي بتعامله وسلوكه الرائع هذا، شعرت كم هي الدنيا ضئيلة أمامه رغم كبرها. وكنت أظن حتى ذلك الوقت، أن الاعتقال، والأسر، والنفي، والإبعاد عن أبنائه وأصدقائه وأبناء بلده وأحبائه ورفاق دربه، سيشكل حزناً كبيراً وحملاً ثقيلاً عليه، إلّا أني شعرت، شيئاً فشيئاً، أن كل تلك الصعاب لا شيء أمام عظمة روحه. وفي أحد الأيام تم التحدث حول إعتقال بعض الأشخاص وثم نفيهم إلى المناطق المحرومة والنائية؛ وقد قال الإمام الخميني بكل بساطة: «إن أكبر أنواع الأسر واكثرها رعباً، هو أسر النفس، لذا فإن أصعب وأهم أنواع الجهاد هو مقارعة الأهواء النفسية». وقد شعرت أن المصطلحات التي سمعتها آنذاك ذات معاني واسعة. كما رأيت أن شخصية الإمام أفضل من جميع الشخصيات الكبيرة التي عرفتها؛ وقد وجدت في نظراته أسراراً ورموزاً خاصة، ولكني لم أكن أقدر على فكّها. إن كل ما رأيته في بيت سماحته في الرحلة الأولى ترسخت في ذهني ولا زالت ماثلة حتى الآن.

إن أهم صفة تميّز بها الإمام بالإضافة لالتزامه بالواجبات، تكمن في التزامه بالمستحبات وابتعاده عن المكروهات، وهي ذات أهمية قصوى بالنسبة له بحيث كان أحياناً يدهشني بسبب ذلك. فمثلاً كانت هناك مغسلة بيضاء صغيرة في إحدى زوايا باحة البيت وكان الإمام يجهد نفسه ليتوضأ بصعوبة هناك، فسألت أحمد عن سبب ذلك؟ فأجاب: «لكي يكون متجهاً نحو القبلة عند الوضوء». أو كنت أراه أحياناً يذهب إلى الطابق العلوي ويضع قبعته[1] التي كانت في غرفته هناك على رأسه

---

(١) أخبرتني السيدة والدة أحمد بشأن القبعة السوداء التي اعتاد الإمام أن يضعها على:

ويأتي إلى باحة البيت ثم يذهب إلى المرافق الصحية (التواليت) لأنه ذكر في الوصايا الدينية كراهية الذهاب إلى التواليت بلا قبعة رأس. وعندما كان يتحدث مع زوجته كنت أسمعه يوصي قائلاً: «احذروا أن لا تستغيبوا»؛ وكانت السيدة تقول: «سيدي، لماذا عندما نتحدث تقول لنا: «لا تستغيبوا»؟ فكان يقول: «عندما يتهامس شخصان في جمع من الناس، يكونا عادة يستغيبان؛ أنا أوصيكم فقط بأن تحذروا وتراقبوا! وهذا لا يعني أني أقول إنكم تستغيبون حتماً».

وكان سماحته يوصينا دوماً بأن نؤدي الواجبات ونترك المحرمات. وقد قال لي يوماً: «يا فاطمة خانم أنت وسواسية وكثيرة الشك. فأجبته بدهشة: «لست كذلك»، فقال: «أجل، لقد رأيتك تفتحين الحنفية ويدك جافة ونظيفة؛ إلّا أنك لا تطمئنين من ذلك وتعودين وتسكبين الماء عليها، إن عملك هذا نوع من الإسراف والإسراف حرام».

وفي أحد الأيام كنا في كربلاء، وأشرت إلى سماحته إلى جزء من باحة البيت وقلت: إن هذا المكان غير طاهر، لا بُدّ من الحذر! فقال الإمام: «لأنك وسواسية وكثيرة الشك، فان كلامك ليس حجة عليّ؛ ولم يهتم بكلامي. وقد انزعجت قليلاً من كلامه في حينها، إلّا أن ذلك أدى بأن أبعد عني حالة الوسواس والشك. وفي إحدى المرات، وبعد سماع أذان الفجر ذهبت عند الإمام رأيته مشغولاً بالدعاء والتضرع جلست خلفه بهدوء، وبعد لحظات قام للصلاة. فقمت أيضاً للصلاة، فقال لي: «إنها صلاة نافلة الفجر. وانت تعرفين أن صلاة النافلة تؤدى

= رأسه، أن والدتها كانت قد حاكت هذه القبعة وقدمتها لصهرها مع ملابس الزفاف. وأعجب الإمام بها كثيراً، وكان يضعها دوماً على رأسه؛ وقد اعتدت أن أحيك له مثلها بين فترة وأخرى.

فرادى»[١]. وعرفت حينها ينبغي أن أنتظر كذلك، فصلّى سماحته ركعتي النافلة. وبعد أن انتهى من الصلاة، رأيت فجأة أنه تمدد على الأرض باتجاه القبلة ونام على جهته اليمنى[٢]. فأصابني القلق، فانحنيت حتى أعرف ماذا يجري بالضبط، إلّا أني تأكدت أن حالته جيدة ولله الحمد وهو منشغل بالدعاء. عدت إلى مكاني مندهشة بسبب ما رأيت. وبعد عدة دقائق وبينما كان قد مرّ وقت لا بأس به، بعد أذان الفجر، لم يقم سماحته، أيضاً، لأداء الصلاة، فظننت أنه لم يسمع صوت المؤذن أو أن ساعته عاطلة. فقال: «إنها أيام البيض[٣] والليالي المقمرة[٤] يا ابنتي». وبعدها قام للصلاة وقمت لأداء الصلاة جماعة خلف سماحته.

---

(١) الصلاة الفرادى بعكس صلاة الجماعة يؤديها المصلّي بشكل فردي، وأن ثواب صلاة الجماعة لا يمكن أن يقارن مع ثواب صلاة الفرادى كما جاء في الأحاديث الشريفة وتوجيهات العرفاء والعلماء والائمة (ع) وتأكيدهم (أن الأصل هي الجماعة والفرادى رخصة).

(٢) جاء في آداب نافلة صلاة الفجر: ينام المصلّي بعد أدائه ركعتي نافلة الفجر نحو القبلة على الطرف الأيمن للجسم (كما ينام الميت) ويتلو ادعية خاصة وآيات معينة من الذكر الحكيم. لمعرفة تفاصيل ذلك يمكن مراجعة كتاب (مفاتيح الجنان).

(٣) يطلق على أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري، بالأيام البيض. وقد قيل أن سبب هذه التسمية يعود إلى أن ليالي هذه الأيام الثلاثة، تتميز بأنها مضيئة ومنيرة لإكتمال قرص القمر وتلألؤه. كما أن هناك رواية منقولة عن النبي الأكرم (ص) قال فيها: «عندما أصيب سيدنا آدم (ع) بحالة (ترك الأولى) أسود بدنه، فألهم أن يصوم هذه الأيام الثلاثة، فابيض بدنه تبعاً لصومه هذه الأيام، لذلك سميت بالأيام البيض.

(٤) تسمى الليالي المنحصرة بين الثانية عشرة وحتى التاسعة عشرة من كل شهر قمري بالليالي المقمرة لأن القمر خلال السّحَر يتلألأ أكثر، حيث أن الصبح الصادق لا يمكن تحديده في السماء بدءاً. ولأن ضياء الصبح الصادق يمكن تحديده مع وقت أذان الفجر، فإن الرأي الفقهي للإمام هو أن يمر وقت معين بعد أذان الفجر حتى يتمكن المصلّي تحديد ضياء الفجر الصادق وعندها يؤدي الصلاة.

كان سماحة الإمام يخلي المكان الذي يصلي فيه من الصور وأمثالها، واعتاد أن يمشط محاسنه ويتعطر قبل الصلاة.

النقطة الأخرى الملفتة في سلوك الإمام تكمن في التزامه بالنظافة والنظام والانضباط؛ فقد اعتاد سماحته أن يضع نعليه في مكانهما المخصص (أمام الغرفة) عند الخروج من البيت ويغطيهما بمنديل ليقيهما من الغبار والأتربة. ومن ثم يأخذ حذاءه ويمسحه بنفسه بالمنديل ذاته، ولم يكن يسمح لأي أحد أن يقوم بذلك بدلاً عنه. ففي إحدى المرات أراد عامل البيت أن يقوم بذلك فمنعه الإمام؛ كما كان نجل الإمام الأكبر السيد مصطفى يقول مازحاً: «الأزقة التي يجتازها الإمام مليئة بالغبار والأتربة وغيرها، ولكن السيد الإمام ينظف نعليه وحذاءه». حقاً إن ازقة النجف الأشرف كانت كما شرحها السيد مصطفى.

كذلك كلما كان الإمام يريد الخروج من البيت، كان يقف أمام المرآة ويمشط محاسنه ويتعطر. وعندما كان يعود إلى البيت يطوي جبّته ويضع عمّته عليها ثم يغطيهما بمنديل نظيف، كماكان يعلّق عباءته على مشجب خاص في الحائط. ولم يكن يخرج من البيت بدون جوارب أبداً، حتى في حر الصيف الشديد، وكانت ملابسه نظيفة ومرتبة دائماً.

وهكذا فإن برنامج الإمام اليومي كان ثابتاً ومعروفاً، فهو يتضمن المطالعة والعبادة واللقاء مع الأشخاص والناس في أوقات معينة سلفاً. كما أنه كان يهتم بالرياضة، لا سيما المشي، والاستراحة ومتابعة أمور الأسرة إلى جانب اهتمامه بأداء الواجبات، والابتعاد عن المكروهات، وأداء المستحبات.

من برامجه اليومية التي كان حريصاً على أدائها بشكل منظم هي رياضة المشي، حيث كان يقوم بها ثلاث مرات طوال اليوم وكل مرة

نصف ساعة، وكان أحياناً يذهب للمشي على سطح البيت، لا سيما خلال العصر؛ وكان سماحته ينشغل بالذكر والدعاء خلال ذلك. ثم كان يحين وقت تناول شاي العصر. بعد ذلك ينشغل بالمطالعة وإجراء اللقاءات الخاصة قبل أن يذهب إلى مسجد الشيخ الأنصاري لإقامة صلاتي المغرب والعشاء جماعة. بعد ذلك يعود إلى البيت ويقضي فترة في التأمل بعدها يدخل إلى المكتبة. كما اعتاد سماحته أن يزور مرقد الإمام أمير المؤمنين علي (ع) في وقت معين كل ليلة ويعود بعد ذلك إلى البيت ويتناول وجبة العشاء مع أفراد أسرته في وقت معين.

في إحدى الليالي سأل عامل البيت: «هل أجلب العشاء»؟! نظر الإمام لساعته وقال: «أجل، ولكن بعد عشر دقائق». سأل أحمد بإندهاش: «ما هي العلاقة بين الوقت وجوع الإنسان؟ هل ستجوعون بعد عشر دقائق»؟ أجاب الإمام: «إن كان المعيار هو الجوع، فلربما لا أرغب بتناول الطعام أبداً؛ ولكن لو أن البرنامج اليومي يُنفّذ طبق نظام معين، لنجحنا في القيام بكل أعمالنا واستفدنا من الوقت بشكل مناسب». وكان يقول دائماً: «إن سر الأشخاص الذين حققوا نجاحات يكمن في النظام والإنضباط الذي ميز حياتهم».

كان سماحته يذهب إلى النوم في وقت معين ويستيقظ قبل أذان الفجر بساعتين لأداء صلاة الليل. وبالإضافة إلى الأعمال اليومية التي كان يقوم بها الإمام، فقد اعتاد سماحته على قراءة عدد من الأدعية المأثورة مثل دعاء العهد وزيارة عاشوراء والأذكار اليومية، كما كان يؤدي نافلة الظهر[(١)] قبل التوجه للمسجد. وكانت نافلة الظهر تختلف في

(١) تتكون نافلة الظهر من ثماني ركعات، وتؤدّى قبل صلاة الظهر ويمكن أن تؤدّى أثناء التحرك أيضاً. إلاّ أن هذه النافلة تصبح عشرين ركعة في يوم الجمعة.

يوم الجمعة عن باقي الأيام في طريقة أدائها وعدد ركعاتها، حيث كان سماحته يؤديها بشكل متفرق منذ الصباح وحتى قبل أذان الظهر ويوزعها بين أعماله اليومية. وفي صباح كل يوم جمعة كان الإمام يفتح علبة صغيرة ويخرج منها منديلاً أبيضاً ويربطه بالشكل المطلوب وينشغل بتقليم أظافره وتقصير شعره ومحاسنه ثم ينظف المنديل ويعيد محتويات العلبة إلى مكانها الأول ويغلقها قبل أن يدخل الحمام للقيام بغسل الجمعة، وكان هذا البرنامج يتكرر كل يوم جمعة.

اعتاد سماحة الإمام أن يزيد من الأدعية التي يقرأها خلال شهري رجب وشعبان، أما في شهر رمضان المبارك، فبالرغم من صيام أيامه وصعوبة ذلك بسبب الحر الشديد في النجف الأشرف، فإنه لم يكن يترك أعماله اليومية والأدعية والمناجاة والأذكار المأثورة المذكورة في كتاب (مفاتيح الجنان). وكان سماحته يغتسل أثناء الغروب في الليالي الفردية من الأسبوع.

كان لحضور الله الواضح والمؤثر في حياة الإمام الخميني، دافع كبير لي لأشعر أن رضا الله مثّل العامل الوحيد الذي ترك أثره على جميع أعماله المتنوعة (السياسية والعلمية والعبادية)، وقد أثر ذلك في سلوكه وتعامله المعتدل مع الآخرين. لهذا رأيت شخصيته تجمع بين الغضب والمحبة والنشاط والحزن والسكون في الوقت ذاته. كان سماحته معجباً بأعمال الخير والبر التي يقوم بها الآخرون ويتحدث بشأنها للآخرين بكل حيوية ونشاط، وفي المقابل لم يكن يتحمل أي عمل مخالف للشرع المقدس؛ حيث أن مثل هذا السلوك غيّر من نظرتي تدريجياً، بحيث أصبحتُ متعلقة بشخصيته الفريدة ومخلصة لسماحته أشد إخلاص. وهناك نقطة مهمة أخرى وجدتها في شخصية الإمام بعد أن دققت عن كثب في سلوكه وتصرفاته، وتعلمتها منه، وهي أن سماحته كان ينظر للحياة بغير

ما كنت أنظر اليها. ففي فكر الإمام تكتسب الحرية معناها الحقيقي في العبودية، وعزة النفس في التواضع، حيث لمست هناك معنى هذه المقولة الخالدة (إن الحياة عقيدة وجهاد)، وأن هذه التعابير الجديدة فتحت آفاق واسعة أمامي وجعلتني أهتم أكثر بشخصيته الرائعة.

إن اعتقاد الإمام بالله وإيمانه الكبير لفتا نظري كثيراً؛ فحتى ذلك اليوم كنت أنظر لكل مسلم بأنه مؤمن، ولكن بعد رؤيتي للإمام عن كثب عرفت أن أي إنسان مسلم لايعني أنه مؤمن، حيث أن الإيمان يمثل حقيقة لا بُدّ أن تتجسد في كافة أبعاد حياة الإنسان وتظهر، أيضاً، في سلوكه وتعامله الخارجي. فقد سألته يوماً عن (الصراط المستقيم) حيث كنت أظن أنه لا بُدّ أن نبحث عن ذلك في عالم خارج عنّا. ولكن بعد أن سمعت ردّه عرفت أن (الصراط المستقيم) هو الصراط الذي يرتبط من ناحية بالإنسان ذاته (عقل وإرادة وايمان ومعرفة الإنسان) ومن ناحية أخرى يتصل بألوهية الحق المتعال. إلّا أني لم أفهم جيداً، حينها، حقيقة هذا البيان المهم، ولكني شعرت باتصالي وارتباطي مع الله جل وعلا، وبعد فهمي لهذه الحقيقة شعرت بنشاط وإحساس عجيب من البهجة والسرور. لكن وا أسفاه.. لأن تلك الأيام مرّت بسرعة!. والحقيقة الأخرى التي لمستها بكل وجودي ومن أعماق كياني هي أن طاعة الله وعبادته كيف يمكنها أن تكون أساساً لكي يصبح مثل هذا الإنسان محبوباً لقلوب الناس. حيث رأيت أن الإمام لم يكن يسعى أبداً لترسيخ محبوبيته لدى الآخرين، ولكن أي إنسان يتعامل مع الإمام عن كثب ينجذب إليه ويتعلق بشخصيته الفذة، فأهل البيت (أسرته) والعمال والطلاب كلهم كانوا متعلقين به ويتسابقون بكل نشاط واندفاع لإنجاز أي عمل يرتبط به دون أي مقابل. وهكذا رأيت عن كثب مصداق هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾

[سورة مريم: ٩٦] وفهمت أن رمز محبوبية الإنسان يكمن فقط في طاعته لله سبحانه وتعالى.

محل إقامة الإمام في النجف الأشرف

كان بيت الإمام يقع في شارع الرسول (ص) وينتهي بصحن وحرم الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، وكان مستأجراً بمائتي دينار سنوياً[١]؛ وكان الشيخ نصر الله خلخالي[٢] قد استأجره لسماحته.

في أول الزقاق كان هناك مطعم كباب يجتمع الناس فيه لتناول الكباب، وبسبب صغر المحل فقد عمد صاحبه إلى وضع عدة طاولات وكراسي على الرصيف لاستقبال زبائنه وتقديم الطعام لهم. وكان هذا الزقاق القصير نوعاً مّا يقطع زقاقاً آخر، وفي الجهة اليمنى منه كان هناك زقاق مغلق يضم بيت آية الله أشكوري[٣]، وفي الجهة الأخرى منه كان بيت الإمام. وكان هذا الزقاق ينتهي بسوق (الحويش) الذي كانت تباع فيه الخضروات والمواد الغذائية، ومسجد الشيخ أنصاري الذي اعتاد الإمام أن يصلّي فيه جماعة، كان بالقرب من هذا السوق.

البيت الذي كان يواجه بيت الإمام كان يعود لسيدة عربية بإسم «الحاجة شمسة»، وهي أرملة تعيش مع ولديها وكانت تمتهن الخياطة

---

(١) كان هذا المبلغ يعادل آنذاك ٤٠٠٠ تومان إيراني.

(٢) الشيخ نصر الله خلخالي ولد في النجف الأشرف ووالده كان من مدينة ماسولة (شمال إيران) وكان يحمل الهوية العراقية. وبسبب أمانته كان يعتمد عليه الكثير من العلماء والناس. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الثالث في نهاية الفصل.

(٣) آية الله اشكوري كان من العلماء الفضلاء، وكان مريضاً وجليس البيت آنذاك، كان عنده ست بنات وثلاثة أبناء؛ وأكثر أصهاره كانوا من طلاب العلم ومن تلاميذ دروس الإمام والسيد مصطفى نجل الإمام، كما أن اثنين من أبنائه كانوا من العلماء الفضلاء آنذاك.

وقد خاطت لي بعض الملابس، وتتحدث أحياناً مع السيدة والدة أحمد عن مشاكلها. وأغلب أقربائها كانوا من المرفهين نوعاً مّا ولكنها كانت مختلفة معهم فكرياً، لذلك لم تكن تختلط معهم كثيراً، ولكنها كانت تلبي أحياناً دعواتهم الرسمية. حيث دعتني مرة لمرافقتها لحضور حفل زواج أحد أقربائها، وقد شجعتني السيدة أم أحمد على قبول الدعوة. وكان الحفل يقام في أحد بساتين النجف وكان ذلك جذاباً بالنسبة لي أن أرى بستاناً في النجف.

بعد تقديم الضيافة جاء عدد من النسوة بملابس عربية واستقرين وسط البستان لتقديم بعض الأغاني والرقصات. فقالت الحاجة شمسة لي: «يمكن أن نغادر المكان إن انزعجت من ذلك». ولكني لم أكن منزعجة بل كنت أرغب أن أرى هذا البرنامج عن كثب، إلّا أن الحاجة شمسة فضلت أن نغادر المكان وعدنا إلى البيت معاً. كانت الساعة تقارب منتصف الليل؛ وكنت أظن أن الإمام وزوجته قد ناما كالعادة في مثل هذا الوقت، ولكني تعجبت عندما رأيتهما مستيقظين وجالسين في باحة البيت.

ما أن رآني الإمام خاطبني قائلاً: «الحمد لله على مجيئك». ثم ذهب إلى سطح البيت للنوم. بعد أن ذهب الإمام قالت السيدة زوجته: «لقد كان الإمام قلقاً بسبب تأخرك ورفض النوم قبل الإطمئنان عليك وعاتبني لماذا اقترحت على السيدة فاطمة أن تشارك في مجلس لا نعرف الشيء الكثير عنه. فأجبته قائلة: «لا تقلق لأني مطمئنة بذكاء الحاجة شمسة وتدبيرها»».

في الجهة المقابلة لصحن الإمام علي (ع) كان هناك متجر حكومي كبير يسمى (اوروز دي باك) يتم فيه بيع بضائع أجنبية بأسعار زهيدة، لأنها مستوردة من دول شرقية، وعندما كان هذا المتجر يعرض بضاعة

جديدة كان الناس يصطفون أمامه لساعات طويلة مع أنهم لا يعرفون نوع البضاعة المعروضة، المهم أنها كانت رخيصة ومستوردة من دول أجنبية!.

الدائرة الأولى من المباني المحيطة بالحرم الشريف كانت خاصة بالمدارس العلمية الدينية، والأسواق التقليدية القديمة، وأهم شارعين في المنطقة هما شارع الرسول (ص) وشارع الصادق (ع)، وخلف هذه المباني كانت تتوزع مجموعة من الأزقة الضيقة التي تضم داخلها مجموعة من البيوت القديمة. والدائرة الأخرى التي تلي ذلك كانت تضم مجموعة من البيوت ذات الطراز المعماري الحديث وتتوسط، أحياناً هذه البيوت عدد من الأشجار وكانت هذه المنطقة تسمّى (جديدة) وكان بيت الإمام والمعارف والمقربين من أسرة سماحته متوزعة في الدائرة الأولى (القسم القديم من المدينة)، حيث كنّا نتبادل الزيارات واللقاءات معهم.

كما أن أغلب بيوت هذه المنطقة صغيرة المساحة وتبنى بطابقين أو ثلاثة طوابق بطراز معماري خاص، حيث تفرز غرفتان في الطابق الأرضي وتعلوهما غرفتان في الطابق الثاني ومثلهما في الثالث. وعادة ما تغطي شرفات الغرف قسماً من الزقاق، كما أن قسماً من مساحة الطوابق العلوية تغطي جزءاً من باحة البيت وتغطى الأجزاء الأخرى منها بخيمة غير ثابتة تفرش نهاراً وتسحب مساءً وبذلك تتحول باحة البيت إلى غرفة مؤقتة خلال النهار.

يتم دخول بيت الإمام عبر باب خشبية تتوسطها قطعة حديدية صغيرة تستخدم بدل الجرس المنبه، وبعد الدخول عبر الباب يواجهك ممر صغير يؤدي في الجهة اليسرى منه إلى غرفة صغيرة يتم فيها استقبال ضيوف السيدة أم أحمد. كما يؤخذ الضيوف الأكثر قرباً أو الذين يأتون بشكل مفاجئ، إلى الطابق العلوي من خلال عدة درجات. وهناك باب يفصلها بمتر واحد تأخذك إلى القبو. وبعد اجتياز هذا الممر الصغير

تدخل باحة البيت ذات الأركان الأربعة ويتم تسقيفه بالخيمة المؤقتة في النهار ويتم سحبها بالحبال متى ما استلزم ذلك ليحول دون التأثير المباشر لأشعة الشمس الحارقة. كماكانت هناك حصير من البلاستيك مخططة باللونين الأبيض والأزرق وبمساحة ١٢متراً مربعاً مفروشة في أحد أركان باحة البيت وتغطي تقريبا ربع مساحتها. وعندما يصبح الطقس حاراً يتم تبريد الباحة من خلال مروحة تنقل برودة القبو اليها. وكنا نتناول وجبة الغداء غالباً في الباحة، ويتم خلال ذلك تبادل الحديث حول الطعام. فقد قلت مرة لأحمد: لماذا تتحدثون كثيراً عن الطعام حول المائدة، فأجابني أحمد سريعاً: «وماذا تتوقعين أن نتحدث حول مائدة الطعام، هل نتحدث حول اقليدس[١] أو بشأن (الشبهة العبائية)[٢] مثلا»؟! وكان جواب أحمد ملفتاً بالنسبة لي.

الحمام والمرفق الصحي (التواليت) كانا في باحة البيت، وغرفة العامل كانت هناك أيضاً، وبجانبها ممر صغير فيه درج نحو الطابق العلوي وتمت الاستفادة من المساحة الصغيرة والضيقة تحت الدرج كمطبخ صغير للبيت.

لم تكن البيوت النجفية تضم مطابخ كبيرة، وكذا الحال بالنسبة لبيت الإمام حيث كانت مساحة المطبخ حوالي متراً مربعاً واحداً تحت الدرج وفيه موقد غازي صغير ورف لوضع العلب الصغيرة التي تحتفظ بالملح والبهارات، مما يجعلنا أن نؤدي الكثير من أعمال المطبخ في

---

(١) أقليدس: عالم يوناني كان يعيش في مدينة الإسكندرية، وكان فيلسوفاً وفلكياً وعالماً في الرياضيات، وبارع في علم الهندسة، وصاحب كتاب مبادئ الهندسة.

(٢) أول من طرح (الشبهة العبائية) في أصول الفقه هو آية الله السيد إسماعيل الصدر. وتستهدف هذه الشبهة الاستصحاب العام للقسم الثاني، وإن نفيها أو اثباتها، تترك أثرها في الكثير من المسائل.

باحة البيت. وكانت هناك مروحة صغيرة توضع على طاولة رقيقة بالقرب من المطبخ، كما كان يوضع عليها دورق الماء أو صحون الطعام وغيرها من اللوازم، وكان الإمام يحذر دوماً من مغبة تكسر الطاولة بسبب ثقل اللوازم الموضوعة عليها. في الطابق العلوي كانت هناك غرفة باثني عشر متراً مربعاً في الجهة اليمنى خاصة لضيوف السيدة والدة أحمد، حيث استقرينا فيها منذ وصولنا النجف الأشرف. وفوق الدرج على الجهة اليسرى كان هناك ممر صغير يؤدي إلى غرفة مطالعة الإمام أو اللقاء مع الضيوف الخاصين، أما باقي الضيوف فكان الإمام يستقبلهم في القسم الخارجي من البيت ويتم الإتصال بينهما من خلال باب صغير يسهل عملية الإنتقال بين القسمين الداخلي والخارجي للبيت. وفي ساعة معينة من المساء كان السيد قرهي يفتح هذا الباب ويذكّر بلهجته الإصفهانية الخاصة، أن وقت اللقاءات العامة قد حان، حيث كان الإمام يخرج إلى ذلك القسم ويلتقي الضيوف لفترة زمنية معينة ويتحادث معهم ومن هناك ينتقل إلى الحرم المطهر للإمام علي (ع) برفقة السيد قرهي الذي كان ينوب عنه في هذه المهمة السيد فرقاني ذي الأصل الأفغاني عندما كان يسافر إلى إيران.

بيت الإمام كان كأكثر البيوت النجفية، مزوداً بأنابيب الماء، بينما كانت البيوت في أطراف المدينة محرومة من هذه النعمة. ولكن بسبب قلة ضغط الماء في الأنابيب نهاراً، فإن خزاناً كبيراً نسبياً كان يوضع على السطح لتخزين الماء ليلاً للتعويض عن شحة المياه نهاراً؛ بالطبع، فإن الماء المخزّن في الصيف يصبح ساخناً جداً بحيث لا يمكن استخدامه لشدة حرارته في بعض ساعات النهار.

في بيت الإمام كانت هناك ثلاثة أقبية بأعماق متفاوتة، وكانت أكثر العوائل النجفية تستخدم الأقبية لتبريد الماء والمواد الغذائية بدلاً عن

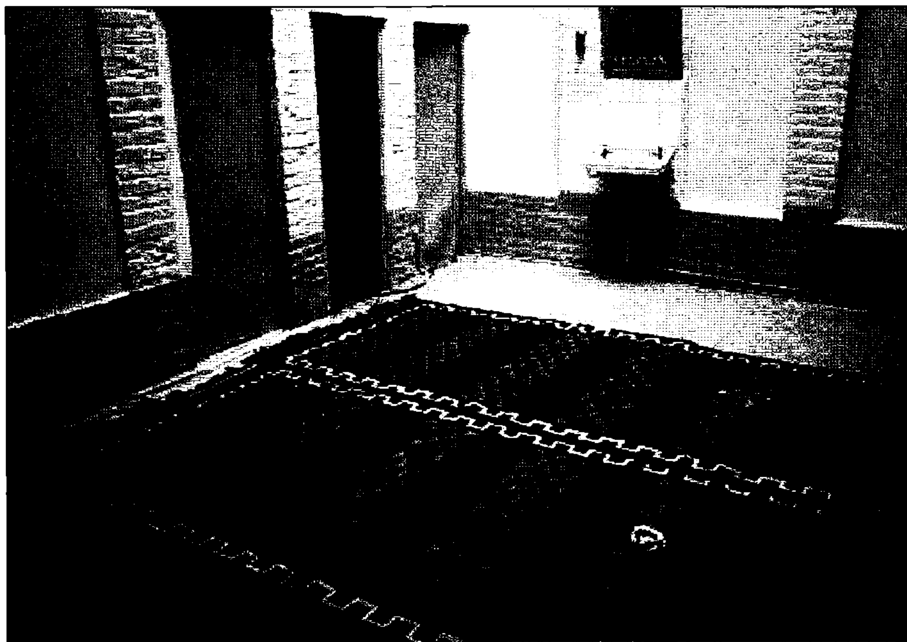


الإمام الخميني في باحة البيت (النجف الأشرف)

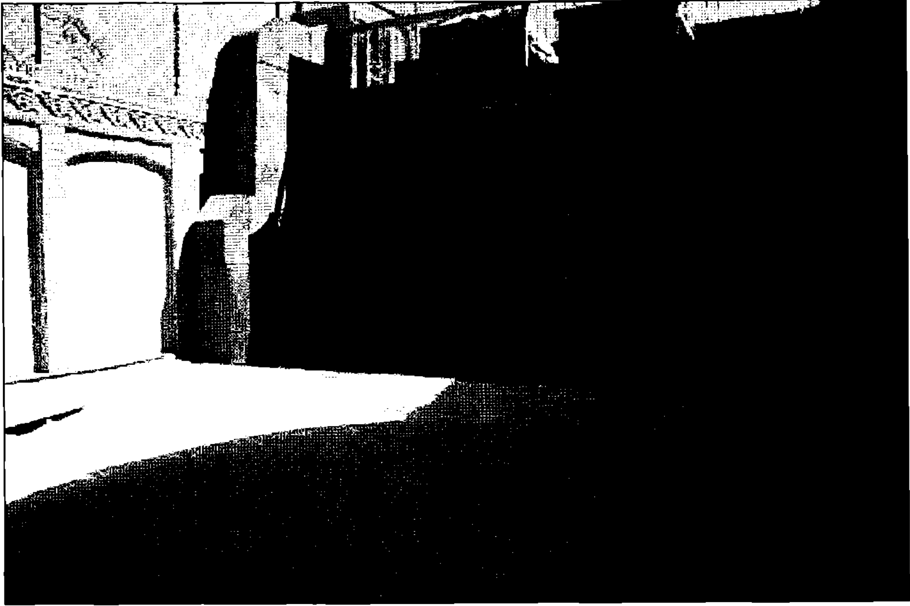


الطابق العلوي لبيت الإمام الخميني (النجف الأشرف)

البرّاد، وكانوا يطلقون على القبو الأعمق في البيت اسم (قبو السن) وكان بارداً جداً؛ وللوصول إليه لا بُدّ من اجتياز درجات كثيرة نحو العمق ولم يكن مزوداً بالطاقة الكهربائية، لذا كان يستخدم غالباً المصباح اليدوي عند النزول إلى القبو. وقد اعتاد سماحة الإمام وزوجته أن يستريحا في القبو الاول بعد تناول الغداء، وعند اشتداد الحرارة ينزلا إلى القبو الثاني؛ والقبو الثالث كان أعمق أكثر وببرودة أعلى، وكانت تتواجد فيه أحياناً الأفاعي غير الخطيرة. ولشدة الحرارة في بعض الليالي الصيفية كنا نلجأ إلى القبو بدل النوم على سطح البيت. ولكن بعد شراء جهاز تبريد للبيت كنا نستخدمه من الصباح وحتى الظهر، ولم يكن يكفي هذا الجهاز أحياناً لتبريد البيت بسبب شدة الحرارة (التي كانت تتجاوز الخمسين درجة) في صيف النجف، وسخونة الماء الذي يستخدم للتبريد.



الباحة الخارجية لمكتب الإمام الخميني (النجف الأشرف)



منظر من الأعلى يظهر الباحة المسقفة بالخيمة ـ
بيت الإمام في النجف الأشرف



الباحة الخارجية (مكتب الإمام) النجف الأشرف

وكنا نضطر للاستفادة من الهواء البارد الذي ينقل عبر المروحة من القبو. وكان لدينا محرار منصوب على الحائط نقيس من خلاله درجة الحرارة، وكان الإمام يخبرنا دائماً بدرجة الحرارة بعد أن يلقي عليه نظراته الدقيقة.

الصيف في النجف

مع حلول فصل الصيف وبدء عطلة الدروس، كان الإمام يقضي أكثر وقته في البيت، ولم يكن يخرج إلاّ إلى الصلاة في مسجد الشيخ الأنصاري ظهراً، ومساءً إلى مدرسة آية الله البروجردي، وبعد صلاتي المغرب والعشاء يعود إلى البيت ليتوقف قليلاً قبل أن يلتقي مع الناس أو يعقد لقاءات خاصة في الجزء الخارجي من البيت وبعدها يذهب لزيارة مرقد الإمام علي (ع) كالعادة.

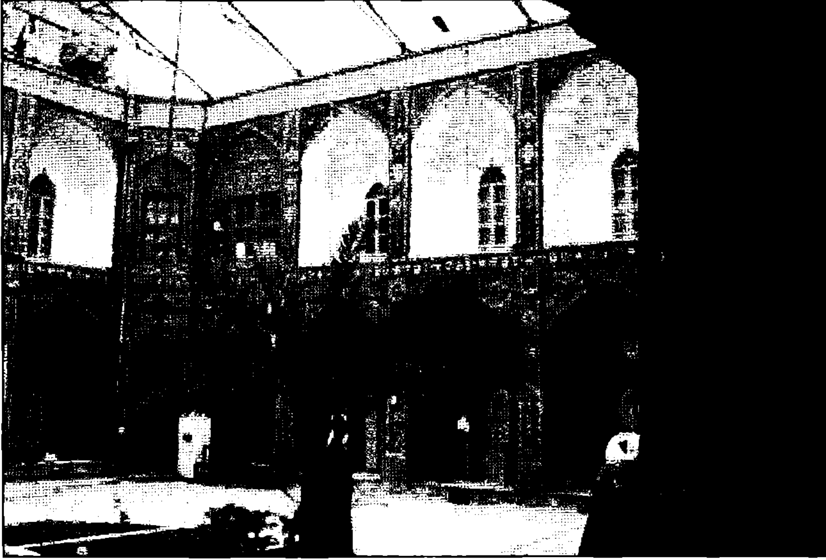


الإمام الخميني في حرم الإمام علي (ع) النجف الأشرف

وكان برنامجه في البيت يتضمن المطالعة المتنوعة وملاعبة حفيده حسن الذي كان يتلذذ كثيراً ويفرح عندما يشاركه في اللعب والمداعبة وهو في ذلك العمر الرائع. وعندما لم يكن حسن يقدر على المشي، كان الإمام والسيد أحمد يقفان متباعدين عن بعضهما ويشجعان حسن على التحرك بينهما بشكل رائع وجميل، وكان أحياناً يقع على الأرض كغيره من الأطفال إلى أن سمعت يوماً أحمد وهو يصرخ بفرح أن حسن أصبح يتقن المشي لوحده، وساد البيت جو من البهجة والسرور بسبب ذلك.

شهر رمضان في النجف

لم تمض سوى أيام إلّا وحل شهر رمضان المبارك علينا ونحن لا



مسجد الشيخ الأنصاري ـ محل تدريس الإمام (النجف الأشرف)

زلنا في النجف الأشرف. وبسبب إرضاعي لحسن ومعاناة أحمد ووالدته من المعدة، فلم نكن نوفق في الصيام، وكان سماحة الإمام والحاجة «اقليم» يصومان لوحدهما.

وفي أحد الأيام، عاد الإمام من صلاة الظهر، وكان الطقس حاراً جداً وأردت اختبار مدى قدرة سماحته على التحمل والصبر، خاطبته وهو جالس معنا على مائدة الطعام بالقول: هل ترغب ياسيدي بتناول الطعام؟ قال: «كلّا». قلت له: والماء البارد؟ قال: «لا». فقلت له: عصير الليمون البارد و...؟! فأجابني أحمد الذي كان يستمع بدهشة لحوارنا قائلاً: «لماذا تريدين إثارة شهية الإمام عبثاً؟ ألم تتأكدي من ذلك»؟!!.. وهكذا انقضى شهر رمضان المبارك، وفي الأيام الأخيرة منه



بدء إلقاء الدروس من قبل الإمام الخميني بعد استقراره في النجف الأشرف

سافرنا جميعاً برفقة سماحة الإمام وزوجته وباقي أفراد الأسرة إلى مدينة كربلاء وقضينا أيام عيد الفطر السعيد في هذه المدينة المقدسة كما اعتاد سماحته على ذلك منذ السنوات السابقة.

بدء العام الدراسي في النجف الأشرف

مع حلول فصل الخريف انطلقت دروس الحوزة العلمية، وقد سادت البيت أجواء جديدة، حيث اعتاد سماحة الإمام أن يذهب إلى مسجد الشيخ الأنصاري قبل ساعتين من وقت الظهر لإلقاء درس الفقه. وبعد استراحة قصيرة في البيت ولقاء أفراد أسرته، كان يعود إلى المسجد مرة أخرى لإقامة صلاتي الظهر والعصر جماعةً.

اعتاد السيد مصطفى نجل الإمام الأكبر، أن يزور يومياً السيد والده والسيدة والدته خلال هذه الفاصلة الزمنية على الأغلب. وخلال تلك الفترة كان الإمام يدرّس مبحث آخر كتاب البيع ومسألتي (الإحتكار)

و(تسعير البضائع) المهمتين[١]. وكان سماحته يعتقد أن كل القوانين والأحكام الإسلامية وضعت من أجل هداية بني الإنسان بشكل جماعي، وتوصيلهم إلى (التوحيد) فضلاً عن اعتقاده أن الإسلام يهتم بأن يصل الناس إلى التوحيد بشكل جماعي. وكان الإمام معروفاً في الحوزة العلمية بأن له آراء فقهية عامة وشاملة وذات آفاق واسعة، وإن سماحته يعتقد أن أعمال الإنسان الإجتماعية والعبادية ينبغي أن تأخذ معناها الحقيقي في إطار الوصول إلى (التوحيد)، لذلك تأتي أهمية وضرورة تأسيس الحكومة الإسلامية[٢] حتى يظهر الناس بشكل أمة واحدة في الإطار الديني..

بالطبع، فإن عرض مثل هذه المباحث في أجواء حوزة النجف العلمية آنذاك، كان أمراً غير متعارف، بل وكان غير قابل للتحمل من قبل البعض. وفي هذا المجال قال الإمام لي يوماً: «عندما عرضت بحث الحكومة الإسلامية، لم يتحمل عدد من الطلبة ذلك وغادروا مكان الدرس ولم يأتوا بعد ذلك إلى الدرس». لقد طرح الإمام في تلك

---

(١) إن حضور الأعداد الغفيرة من الطلبة في درس الإمام، دفعت السيد أحمد ليفكر في إعداد جهاز لتضخيم الصوت حتى يصل بسهولة للجميع؛ فطلب من أحد الطلبة ـ وهو الشيخ محمد رحمت ـ أن يعد ذلك الجهاز ويضعه في الدرس. فعندما جاء الإمام ليلقي درسه رأى الميكرفون والجهاز، فرفض استخدامه ووضعه جانباً لأنه لم يكن يرغب أن يقوم بعمل يخالف به العرف السائد في الحوزة العلمية بالنجف آنذاك.

(٢) تم تسجيل تلك المحاضرة وتوزيعها بطلب من سماحة الإمام. وكان هذا الرأي الذي انفرد به الإمام، جديداً للايرانيين وغيرهم من مسلمي العالم، وقام طلبة قم بالتبليغ والترويج له؛ كما بدأ السيد دعائي بعرض هذه الأفكار والمباحث المرتبطة بالحكومة الإسلامية عبر إذاعة بغداد. إلّا أن البعض أشاع آنذاك أن هذه الأفكار نابعة من النظرية الشيوعية ويشجع عليها الإتحاد السوفيتي، بينما لم يكن الشيوعيون قد طرحوا مثل هذه الأفكار أبداً.

الدروس المباحث المرتبطة بالفقه الحكومي، وكان يقول: «إن الإسلام كان يطالب منذ البدء بتأسيس الحكومة الإسلامية، لذا فإن الله سبحانه أجاز للرسول الأكرم (ص) أن يسن القوانين المنظمة للحكومة الإسلامية، وهكذا فُوّض الرسول محمد (ص) من قبل الله جلّ وعلا بمهمة وضع القوانين المرتبطة بالحكومة الإسلامية».

وتابع الإمام شرح هذه النظرية مؤكداً ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية في زمن غيبة الإمام المعصوم (ع)، موضحاً أنه لو قبلنا فكرة أن النبي الأكرم (ص) كان مكلفاً من قبل الله (جل وعلا) بتشكيل الحكومة، فليس من العقل أن نتصور أن المجتمع بعد رحيله ليس بحاجة للحكومة الإسلامية، لذلك، فلا بُدّ أن يكون على رأس هرم المجتمع الإنساني دوماً شخص واعٍ ومدير ومدبّر ومتقٍ وعارف بالدين، حتى يتمكن من استخراج القوانين اللازمة تبعاً للحاجات اليومية للمجتمع، وبالتالي يتعهد بمهمة ولاية المجتمع المسلم. كما كان الإمام يعتقد: «إن هذه الولاية هي شأن من شؤون النبي (ص) وبعده تنتقل إلى الأئمة (ع) ومن ثم تفوّض إلى الفقيه جامع الشرائط لذلك، فلو أن فقيهاً وصل إلى هذا المستوى من العلم والتقوى وكسب المقبولية العامة والجماهيرية، فإنه يصبح ولي المجتمع الإسلامي».

فالولاية حسب نظره لها وجهان: «الوجه الأول يرتبط بالولي الذي لا بُدّ أن يكون عالماً ومتقياً لأن التقوى من شروطه اللازمة، والوجه الآخر يرتبط بالناس الذين يجب أن يقبلوا به».

كان الإمام يقول بصراحة: «إن هناك روحاً مشتركة تتميز بها جميع القوانين والأحكام الإسلامية، كما أن النبي الأكرم (ص) من خلال وضعه القانون وبيان الأحكام كان يتابع هدفاً مشتركاً واحداً.

بالطبع، فإن هذه النظرية التي طرحها الإمام وافق عليها البعض وعارضها آخرون، وكانت المباحث التي تطرح خلال الدرس تتابع أحياناً حتى في البيت وذلك من خلال تبادل الأفكار بين السيد أحمد والحاج السيد مصطفى.

ما استنتجته من خلال استماعي لهذه الأبحاث، يكمن في أن الهدف الذي يسعى من أجله في العبادات هو ذاته الذي يعمل من أجله في الحكومة والسياسة. وهذا يعني: إذا كان لا بُدّ للإنسان أن يشعر بطعم التوحيد في الصلاة ويصل إلى درجة القرب من الحق المتعال، فإن ذلك ينبغي أن يسود كذلك في التجارة والسياسة.

مع بدء الدروس، فإن الوقت المخصص للقائنا مع الإمام قلّ كثيراً؛ فبالإضافة إلى الساعات المخصصة لإلقاء الدروس، فان سماحته كان ينشغل في غرفته لعدة ساعات يومياً عادة في المطالعة.

كما كان الحاج السيد مصطفى يدرّس خارج أصول الفقه ويطرح مبحث الألفاظ ويشارك كذلك في درس والده السيد الإمام، وكان معروفاً بنقده الدائم له في الدرس. وكان سماحة الإمام يشيد به دائماً بسبب ذلك.

كان السيد أحمد فضلاً عن حضوره في دروس الحوزة المتداولة، يدرس الفقه عند السيد رضواني والأسفار عند الأخوين مرعشي[١].

وكان الإمام الخميني يقول لطلابه: «يجب أن لا تكون لكم أبداً نظرة تعبدية لأقوال العلماء الكبار الماضين، فإلى جانب احترامهم وتكريمهم، فلا مانع من نقد أقوالهم؛ لأنهم كانوا يوصون طلابهم

---

(١) هما آية الله العظمى السيد محمد كاظم والسيد مهدي مرعشي، ولا أعرف بالضبط عند أي من هذين العالمين الجليلين، درس السيد أحمد الأسفار.



الإمام الخميني ونجله الأكبر آية الله السيد مصطفى الخميني

بذلك. كذلك يجب أن تنقدوا أبحاثي وأقوالي وآرائي»؛ وعندما كان الطلاب لا يطرحون أي إشكال أو نقد لآراء الإمام في الدرس، كان يقول لهم: «هل جئتم إلى مجلس العزاء حتى لا تتكلموا شيئاً»؟!.

وقد سمعت يوماً من الإمام أنه كان يقول: «إن الفقيه يظن أنه لا يوجد علم آخر في العالم بقيمة علم الفقه. والفيلسوف يظن، أيضاً، أن لا علم أفضل من الفلسفة. والعارف كذلك يظن نفس الأمر. ويعود ذلك إلى أن تهذيب النفس لم يحدث بشكل كامل، وإلّا لما حدث ذلك لكل منهم ولما ظن أي منهم ذلك. حيث أن دخول العلم في القلوب غير المهذبة يوجد مثل هذه الإشكالات، فيصل الإنسان إلى مرحلة يطرح فيها البرهان الكافي والوافي والمتقن والمحكم، لإثبات وجود الله إلّا أنه يكون محجوباً عن الحق المتعال.. فالأمر المؤكد أن كلّاً من المعارف لها لغتها ومصطلحها الخاص بها، وبالطبع، فإن أياً منها يكون أقرب لمنطق ولغة أهل بيت العصمة (ع) فإنه أهم وأعلى».

طرح عدد من الأسئلة وأجوبتها

كنت أسمع الكثير فيما يخص بحث الحكومة الإسلامية، وكانت تثار أمامي العديد من الإشكالات والإبهامات بشأنه، وقد تحاورت مع عدد من الأشخاص ولم نتوصل إلى النتيجة المطلوبة، مما دعاني إلى أن أطرح أسئلة على السيد أحمد وقد أجابني بشكل مقال مكتوب لا زلت أحتفظ به بخط يده وهذا نصه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

«إن قضية الحكومة الإسلامية ذات أهمية كبيرة؛ كما أن فهم وإدراك ضرورة تشكيلها وإقامتها أمر سهل بالنسبة لمن يحمل أدنى علم وفهم لسبب بعثة الأنبياء.

«وهنا يطرح هذا السؤال: هل إن الله سبحانه وتعالى كان يريد تطبيق أحكام الدين في زمن حياة أنبيائه فحسب، وهل أنه جلّ وعلا أرسل الأنبياء لينقلوا في فترة زمنية معينة مجموعة من الأحكام السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعسكرية بشكل نظري، وأن يسعوا من أجل تنفيذها في المجتمع ما داموا على قيد الحياة، وأن يتوقف ذلك ما أن يرحلوا عن هذه الدنيا وتنتهي مهمة تطبيق تلك الأحكام ويُترك كل إنسان لشأنه الخاص؟!..

«من الواضح أن النقل والعقل يرفض مثل هذا المنطق.

«يستنبط من الآيات القرآنية وروايات الأئمة المعصومين (ع) أن رسول الله (ص) والأئمة المعصومين (ع) ومن بعدهم العلماء الكبار، يتعهدون بمهمة قيادة المجتمع في زمن الغيبة الكبرى.. بالطبع نقصد العلماء الذين يتمتعون بالشروط اللازمة والكافية وليس أي عالم.

«من الواضح، إن وجدت مثل هذه القوانين، ولم تكن في متناول الناس، فإن وجودها لا يختلف عن عدمها، ولو أنها وضعت في متناول الناس، ولكن لا يوجد من يطبقها، فلا تفاوت بينها وبين الحالة الأولى، لذلك، فإن كتاب القانون يكتسب أهميته وفائدته متى ما تمّ تطبيقه على أرض الواقع، لهذا السبب فإن الله سبحانه وتعالى كان يبعث دائماً شخصاً يتعهد بمهمة تنفيذ أي قانون يضعه الله لهداية البشرية وإرشادهم، وهنا يبرز دور النبي الأكرم (ص) الذي يقوم بهذه المهمة، وهي تطبيق الاحكام الإلهية. إذن سواء قبلنا بفكرة أن الرسول الأكرم (ص) هو المسؤول عن تطبيق القانون الإلهي (وهو ما يراه أكثر الفقهاء)، أو قبلنا برأي الإمام الذي يعتبر النبي (ص) هو الذي يضع قوانين الحكومة الإسلامية بتفويض من الله سبحانه وتعالى ويأخذ الإذن منه جلّ وعلا بهذا الشأن، فإن السؤال الذي يطرح هنا هو: من يتحمل هذه المسؤولية حيال الناس بعد رحيل النبي الأكرم (ص)؟. حيث يرى الشيعة أن الأئمة المعصومين (ع) يقومون بمهمة تطبيق القوانين الإلهية بعد رحيل النبي الأكرم (ص)؛ حتى لو أن الحكومات الغاصبة لم توفر أمامهم مثل هذه الفرصة والإمكانية، فإن ذلك يُبحث في مكان آخر.

«إذن، فإن ضرورة خلافة الرسول الأكرم (ص) أمر واضح وعقلي، فلو أن النبي الأعظم (ص) لم يكلف أي شخص لينوب عنه بعد رحيله لإدارة الحكومة ويطبق القوانين الإلهية؛ فإنه يبدو كانه لم يقم بمهمته التبليغية.. وهنا، أيضاً، يطرح السؤال المهم: هل إن تطبيق الأحكام الإسلامية يختص بعصر الائمة المعصومين (ع)؟. بالطبع، فإن العقل السليم يرفض مثل هذه الفكرة التي تقول إن الأشخاص الذين يعاصرون زمن الأئمة المعصومين (ع) هم فقط الذين تخاطبهم الأحكام الإلهية. لذلك، فإنه طبقاً للفتوى العقليَّة، لا بُدّ من وجود أشخاص في عصر بعد

الأئمة المعصومين (ع) يقومون بمهمة تطبيق الأحكام الإلهية في الأرض. إذن كيف نقبل أن تطبق أحكام الدين الإسلامي في ظل حكومة غير دينية؟. فتكون النتيجة هي ضرورة تشكيل حكومة تستند للأحكام والتعاليم الإسلامية لتتمكن من تطبيق أحكام الله في الأرض».

السؤال الآخر المطروح هو: من هم الذين يمكنهم تطبيق أحكام الله؟.. كتب السيد أحمد رداً على هذا السؤال بالاستناد لأقوال أبيه السيد الإمام قائلاً: «تذكر المصادر التاريخية أن الرسول الأكرم (ص) والإمام علي (ع) كانا يبعثان الولاة لمختلف أنحاء البلدان الخاضعة للحكومة الإسلامية ويكلّفوا بمهمة تطبيق الأحكام الإلهية. إذن كيف يمكن أن نقبل أن الحكومة الإسلامية شكلت لفترة زمنية واحدة فقط، فلو كان الأمر كذلك، فلا بُدّ أن نشكك بهذه المقولة الخالدة «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة». وأن نحصر مسائل مهمة مثل القصاص والدفاع عن حدود المسلمين بذلك العصر فقط. كما أننا لو قبلنا أن الإسلام هو آخر الأديان الإلهية ولا بُدّ أن تطبق جميع أحكامه حتى يوم البعث والقيامة، فإن تشكيل الحكومة الإسلامية يصبح أمراً ضرورياً.

«إن تدوين القوانين المرتبطة بالعلاقة الزوجية والعلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية بين العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وكيفية تعامل المسلمين مع غيرهم، ومواجهة المسلمين للمستكبرين والمستعمرين، ومن ثم تنفيذها.. كل ذلك يؤكد ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية، وإلّا كيف يمكن تنظيم وتطبيق القوانين المشار إليها آنفاً؟. حيث إن الشؤون المرتبطة بالحكومة الإسلامية لا تنحصر في إشباع بطون عدد من الفقراء بأموال الخمس والزكاة، فحسب، بل لا بُدّ من تنظيمها بشكل بحيث تتطابق مع الوضع العام السائد في العالم المعاصر.

«إن ضرورة تنظيم الأمور المرتبطة بالتجارة الخارجية وتسيير أمور القطاع التعاوني والخاص والضرائب، وكذلك فيما يخص القطاع الثقافي والعسكري والسياسي وغيرها، تثبت طبقاً للعقل والشرع ضرورة وأهمية وجود الحكومة الإسلامية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن نظرة عامة للقرآن الكريم وروايات الأئمة المعصومين توضح أن مهمة الدين لا تنحصر في الشؤون العبادية والأخلاقية، فحسب، لأن الآيات المباركة المرتبطة بالشؤون السياسية والاجتماعية والعسكرية والحكومية بشكل عام، أكثر بكثير من الآيات المرتبطة بالعبادات.

«بالطبع، فإن طرح مثل هذه الأمور والمباحث لم يكن يتناسب مع ذوق وتوجهات البعض واهتماماتهم من الذين يظهرون نوعاً من التعصب حيال الفقهاء... فالعالِم الذي يتمتع بصلاحية إدارة شؤون المجتمع الإسلامي ليس ضمن صنف الفقهاء التقليديين؛ لأن العلماء الذين يعرفون الأحكام المرتبطة بالعبادات هم في الواقع مطّلعين على ١٪ فقط من الآيات القرآنية، بينما قائد المسلمين ومرشدهم ينبغي أن يكون مشرفاً على جميع أمور المسلمين. والأهم من ذلك لا بُدّ أن يعرف جميع المسائل الإسلامية منها: العبادات، المعاملات، المسائل الاجتماعية والأخلاقية، المسائل الدفاعية والحكومية، حتى يتمكن من إدارة المجتمع. كذلك يجب على قائد المسلمين أن يعرف كيفية التمييز بين الخطوط الفكرية الانحرافية عن الخطوط السليمة، والتفريق بين الناس الذين يطلقون لحاهم من أجل الوصول إلى المناصب الحكومية، عن أولئك الذين يحلقونها في سبيل الله، ويضع كلا مًنهم في موقعه المناسب.

«للأسف، فإننا نرى أحياناً بعض الناس يقلدون فقيهاً لا يعرف بشكل جيد من الأحكام سوى أحكام الدماء الثلاثة. فضلاً عن ذلك، ينبغي على الفقيه قائد المسلمين، أن يتميز بشروط أخرى بالإضافة إلى

هذه المعلومات، وقد تم توضيحها في الحديث المعروف الآتي: (ماكان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه...)».

وقد أكد السيد أحمد على معنى هذا الحديث وضرورة التعمُّق في مصداق مثل هذا الفقيه، وذكّر بذلك قائلاً: «كم من فقهائنا صمدوا بوجه النظام البهلوي الغاصب في أيام الجهاد الصعبة؟ وأيّ منهم تابع حركة أبناء الشعب في الوقت الذي تحرك الناس؟ وكم عدد الفقهاء الذين صانوا أنفسهم وسعوا من أجل بناء ذواتهم؟ وكم عدد فقهاء زماننا الذين يخالفون أهواء أنفسهم ويتحدونها ويضحون بألقابهم ومناصبهم ومقامهم حتى يتوجب على العوام أن يقلدوهم؟. لذلك، فإن الفقيه الذي يصبح قائداً للمسلمين وحاكماً للحكومة الإسلامية، ينبغي أن يربي نفسه طبقاً لما ورد في الحديث الشريف.

جانب من النص الذي كتبه السيد أحمد بخط يده

كذلك، فإن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) نقل رواية عن الرسول الأكرم (ص) قال فيها: (اللهم ارحم خلفائي) فسئل: يا رسول الله من هم خلفاؤك؟ فقال: أولئك الذين يأتون بعدي وينقلوا حديثي وينشروا ديني ويعلّموا الناس ويصبحوا معلمين لهم من بعدي».

وكان السيد أحمد ينزعج أحياناً من بعض الأشخاص بشدة، كما يظهر من النص الآتي: «إن هؤلاء ذوي الفهم المنحرف لا يهتمون بالمسائل المهمة ولا يعرفون أن الفقهاء الذين يثق بهم الرسول الكريم (ص) ويمكنهم أن يكونوا حكاماً للمجتمع الإسلامي، هم الذين لا يسيرون خلف سلاطين الجور، لأن الفقيه الذي يخالف ذلك ينبغي للناس أن لا يقلدوه، فحسب، بل عليهم أن يحذَروه، لأن النبي (ص) قال بكل صراحة: (الفقهاء أمناء الرسول في قيادة الجيوش وإدارة المجتمع والدفاع عن الأمة والقضاء بين الناس)».

مساعي الحكومة العراقية لمحاصرة الحوزة العلمية

بادرت الحكومة العراقية لطرح عدد من الأسئلة على المراجع لتحصل على معلومات حول الشؤون التنفيذية للحوزات العلمية في النجف الأشرف، وطلبت منهم الإجابة عليها. ولكن لأن علماء الحوزة وكبارها عرفوا النوايا السيئة التي تضمرها الحكومة العراقية من وراء طرح مثل هذه الاسئلة، فإنهم لم يردوا عليها، وتأكدوا، أيضاً، أن الحكومة العراقية تريد من طرح هذه الأسئلة أن تعرف المصادر المالية للحوزات العلمية، وبالتالي فرض القيود عليها وتحديدها.

من هذه الأمور هي الوجوه الشرعية التي كانت تصل للمراجع، لا سيّما لسماحة الإمام الخميني؛ حيث أن الحكومة العراقية ـ ولربما الحكومة الإيرانية ـ كانت تريد أن تعرف كيفية وصول المبالغ المالية

للإمام والتي من خلالها يعطي الرواتب الشهرية للطلبة، والتي كانت أكثر من الرواتب الشهرية التي يعطيها باقي المراجع. وكانت هذه الحكومة تعرف أن الإمام كان مغضوباً عليه من قبل الشاه البائد ولم يكن الناس يتجرأون على التبليغ لمرجعيته، بل إن الأوساط العلمية والمرجعية كانت مليئة بالإعلام المغرض والدعايات المعادية لسماحته. فكيف يمكن أن يزداد عدد مقلدي الإمام في مثل هذه الظروف والأجواء، بدل أن ينقص عددهم؟!. بالطبع، فإن الراتب الشهري الذي كان يُقدّم للطلبة من قبل الإمام في حوزة قم العلمية، كان يقدم بإسم آية الله أحمد آشتياني.

والسؤال الآخر الذي كان يحيّر الحكومة العراقية، وكانت تبحث عن إجابة له، هو الوضع التعليمي في الحوزات العلمية ولماذا لا توجد نهاية لدروس الحوزة العلمية؟. وسبب ذلك يعود إلى أنهم كانوا يرون أن بعض طلبة العلوم الدينية يبقون سنوات طويلة تصل أحياناً إلى أكثر من أربعين عاماً وهم مشغولون في التحصيل والبحث العلمي.

والمسألة المهمة الأخرى، هي كيف يمكن أن يكون الزي الذي يرتديه المراجع لا يختلف عن الزي الذي يرتديه الطلبة الجدد؟ ولم يكن آنذاك أي معيار يحدد نوع الزي العلمائي في الحوزة.

خواطر وذكريات من الأمسيات النجفية

من الأمور الجذابة التي كنا ننشغل فيها ونتسلّى بها خلال الأمسيات النجفية التي قضيناها هناك، هو الاستماع لخواطر وذكريات كان سماحة الإمام وزوجته يسردانها علينا. وكان سماحته يلبي طلبنا ويبدأ بسرد تلك الذكريات الرائعة لمدة ١٥ دقيقة في كل أمسية، وهي ذكريات خاصة لم يكن بإمكاننا أن نسمعها من أي مصدر آخر؛ وكنا نصغي لتلك

الحكايات الرائعة في أمسيات كنا نعقدها بعد تناول العشاء، وكان السرد التاريخي يصل أحياناً إلى نقاط مفصلية وحساسة، إلّا أن الإمام كان ينظر إلى ساعته، وما أن تنتهي الربع ساعة المخصصة، يعلن انتهاءها لتلك الأمسية ويقول: «حان وقت النوم».. وفي رده على طلبنا بأن يستمر بكلامه كان يقول: «اسعوا لتكن أعمالكم التي تقومون بها طبق برنامج محدد مسبقاً حتى تُوفقوا في اتقانها». وفي إحدى المرات حاولت أن أطابق نفسي مع الوضع الموجود وأردفت قائلة: يبدو أن سماحتكم لم تتعب ولن يأتيكم النعاس، وحتى لو ذهبتم لسرير النوم، فلن تستطيع أن تنام بسبب انشغال فكركم ببعض الأمور، إذن لا بأس أن تواصلوا الحديث يا سيدي حتى يغلبكم النعاس!!. قال سماحته وهو يترك المكان: «اعلمي يا ابنتي إن أردت أن لا أفكر بشيء، فلن أفكر به». ولم أدرك حينها عمق هذه الجملة التي قالها سماحته، ولم أعرف كيف يمكن لإنسان أن يتغلب إلى هذا الحد على قواه العقلية والجسمية.

اعتقال الإمام في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤

تحدث سماحة الإمام في إحدى الأمسيات عن ظروف اعتقاله في الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٦٤ في مدينة قم، ومن ثم نفيه إلى تركيا قائلاً: «في منتصف تلك الليلة هاجم رجال الأمن باب البيت، وفجأة شعرت أن عدداً آخر منهم تسلقوا إلى سطح البيت، وسمعت صراخهم مع العامل. فذهبت نحو باب البيت وقلت لهم: أنا روح الله الخميني؛ ماذا تريدون من هذا العامل؟ وبينما كان رجال الأمن يدخلون البيت قال قائدهم: لدينا أمر باعتقالك. دخلت الغرفة وارتديت ملابسي وبعيداً عن أنظارهم سلمت ختمي الخاص للسيدة زوجتي؛ وبعد أن ودّعتها خرجت من البيت وجلست في السيارة التي كانت

تنتظرني. قام عدد منهم بدفع السيارة حتى خرجنا من الزقاق الذي كنا فيه[١]. وعندما وصلنا إلى الشارع الرئيسي شغّلوا السيارة وخرجنا من المدينة وسرنا في طريق قم ـ طهران. وبعد قطعنا مسافة معينة طلبت منهم التوقف لعدة دقائق حتى أجدد وضوئي، رفضوا ذلك بحجة أنه لا يسمح بذلك طبقاً لأوامر السلطات العليا. وقد كانوا في حالة شديدة من القلق والرهبة. فقلت لهم: لماذا تبدون في حالة الرهبة هذه؟ فأنا لا أملك السلاح!! وأنتم تنفذون مهمتكم، فينبغي أن لا تخافوا إن كنتم تؤمنون بصواب نهجكم. وصلنا شيئاً فشيئاً إلى منطقة آبار النفط التي كانت تعلوها شعل النيران فقلت: إن كل تعاستنا بسبب هذا النفط، فالنفط الذي ينبغي أن يكون مصدر عزتنا أصبح اليوم سبب ذل وهوان بلدنا. إن أمريكا قامت بتعميق تبعية الشاه وارتباطه بها من أجل الاستفادة من هذا النفط واستثماره لصالحها والسيطرة على آبار النفط. وبينما كنت أواصل حديثي حول هذا الموضوع، قاطعني أحدهم ـ وكان يجلس في الكرسي الأمامي ـ واستدار نحوي قائلاً: أقسم بالله عليك يا سيد أن لا تتكلم، لأن كلامك سيؤدي إلى أن نفتح باب السيارة ونهرب، فنرجو أن لا تحرجنا أكثر.

«وقد رأيت أحدهم يذرف الدموع، حيث تألمت عليهم كثيراً وشعرت أنهم لا يملكون أدنى قدرة على التفكير[٢]. ولم تمض إلّا فترة

---

(١) إن سبب عدم تشغيل السيارة بدءاً، ودفعها، يعود إلى أنهم لم يكونوا يريدون أن يعرف أبناء الشعب والجيران وأهالي قم، عن ذلك الحادث في تلك الليلة.

(٢) كتب العقيد أفضلي وهو أحد مسؤولي السافاك الذي رافق الإمام، من قم المقدسة إلى أنقرة في تقريره لرؤسائه، قائلاً: «خاطبني السيد الخميني في الطائرة قائلاً: «هل تعرف أنهم ينفونني عن بلدي بسبب الدفاع عن كرامة واستقلال إيران»؟!.

زمنية قليلة حتى رأيت السائق يستدير نحو طريق ترابي فرعي يؤدي إلى بحيرة حوض سلطان[١]. ظننت حينها أنه يريد أن يأخذني إلى هذه البحيرة ويرميني في المياه المالحة حتى لا يبقى أي أثر مني.. وبينما كنت أفكر بذلك رأيت السائق غيّر طريقه مرة أخرى وعاد ثانية إلى الطريق الرئيس. وبعد مرور فترة من الزمن وصلنا طهران وأخذوني مباشرة إلى مطار مهرآباد ومن هناك طرنا إلى تركيا»[٢].

ذكريات السيدة أم أحمد عن حادث اعتقال الإمام

بعد أن أنهى الإمام حديثه الشيّق قالت السيدة حرمه: «أنا أيضاً استيقظت من النوم على أثر أصوات رجال الأمن الصاخبة ورأيت أن سطح البيت مليء بهم. ارتعبت كثيراً وبدأت أرتجف بشدة ولا يمكن وصف حالتي آنذاك. وخرج الإمام في تلك اللحظة من الغرفة وصرخ بوجه رجال الأمن: ما الخبر، ماذا تريدون؟ لماذا تتصرفون بهذه الوحشية؟ إنكم تريدونني، وأنا سوف آتي معكم!!. ثم سلمني السيد الإمام ختمه الخاص وقال: أرجو أن تحتفظي به إلى أن أخبرك لمن تعطيه، وودعني ورحل معهم. نزل رجال الأمن من سطح البيت وأخذوا

---

(١) بحيرة حوض سلطان أو بحيرة قم، وتسمى أيضاً بحيرة ساوة، تبلغ مساحتها حوالي ٢٤٠٠ كيلو متراً مربعاً. سمعت بشأن هذه البحيرة، أنه في يوم ولادة النبي الأكرم (ص) حدثت بعض الأمور المهمة، منها: انهيار اسطوانات طاق كسرى، وانطفاء نيران معبد بارس، وجفاف بحيرة ساوة، وأن هذه البحيرة هي ما تبقى من تلك البحيرة.

(٢) كان هذا النفي بسبب الخطاب الثوري والحماسي، الذي ألقاه سماحة الإمام الخميني في الرابع من تشرين الثاني ١٩٦٤ (نفس يوم الإعتقال).. لمعرفة تفاصيل ذلك يمكن مراجعة الهامش الرابع في نهاية الفصل.

معهم الإمام[١]. كذلك استيقظ أحمد من نومه قلقاً وتساءل، ما الذي حدث؟ قلت له: رجال السافاك اعتقلوا والدك كالمرة السابقة وأخذوه معهم»[٢].

ذكريات الإمام عن منفاه في تركية

واصل الإمام سرد ذكرياته قائلاً: «أخذوني في نفس اليوم[٣] بطائرة عسكرية إلى أنقرة[٤]، وبعد وصولنا المطار أخذوني بسيارة إلى المدينة، وبعد إنجاز بعض الإجراءات الإدارية ذهبنا إلى الفندق[٥]. مكثنا هناك ليلة واحدة، وفي اليوم الثاني ذهبنا إلى أحد البيوت في مدينة أنقرة[٦]. ثم نقلونا إلى مدينة بورسا[٧]؛ وهناك خصصوا لنا بيتاً وأعطوني إحدى غرفه، وقد وضعوا أحد رجال الأمن باسم (حسن بيك)[٨] لمراقبتي. وكنت أقضي كل وقتي هناك، وأحياناً كنت أتمشى في تلك الغرفة. لم يكن مسموحاً لي أن أخرج من ذلك البيت، وكان هذا الشخص يلازمني دائماً وهو الوحيد الذي كنت أتحدث معه، وكان ذو أخلاق غير سيئة بل يحب المزاح ويسعى ليخفف عني ما حلّ بي. وكان أحياناً يتحدث لي

---

(١) طبقاً لتقارير السافاك، فقد حاصر مئات الأفراد المسلحين من القوات الخاصة والمظليين الزقاق الذي كان فيه بيت الإمام، وهاجموا البيت عبر الجدران والسطح.

(٢) إشارة إلى حادث اعتقال الإمام بتاريخ ٥ حزيران ١٩٦٣.

(٣) أي بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤.

(٤) مدينة أنقرة هي عاصمة تركية، وتعتبر ثاني أكبر وأهم مدينة بعد اسطنبول.

(٥) قضى الإمام تلك الليلة في فندق (بولوار بالاس) الطابق الرابع غرفة رقم ٥١٤.

(٦) كان ذلك البيت في شارع أتاتورك في أنقرة.

(٧) مركز محافظة بورسا، وهي رابع محافظة تركية من حيث عدد السكان وتقع جنوب بحيرة مرمرة، وهي منطقة صناعية جميلة وتغطيها مساحات خضراء.

(٨) ذكر اسم هذا الشخص في وثائق السافاك بإسم (حسن هجبري).

عن المدن والمناطق التركية ويشرح لي تقاليدهم وطباعهم، ويقصّ كذلك النكات ليدخل البهجة والسرور عليّ، بل وكان يقوم بطبخ الطعام لي»[(١)].

منفى رائع

واصل الإمام حديثه عن المنفى قائلاً: «كنت في أحد الأيام جالساً في نفس الغرفة وإذا بالباب تفتح ودخل مصطفى!!. فرحت في البدء، إلّا أني فكرت فجأة حول سبب وكيفية مجيئه واحتمال أن يكون قد طلب لقائي واضطر لمراجعة المسؤولين الحكوميين من أجل ذلك. فسألته: هل جئت بطلب منك أم أرغموك على المجيء؟ فقال: لقد نفوني أيضاً»[(٢)]!!. قاطعت كلامه وسألته بإندهاش: ماذا كنت تفعل ياسيدي إن كان قد جاء بطلب منه؟ فقال سماحته: «لأرجعته في نفس الوقت». فسألته: رغم أنك كنت تعيش لوحدك في تلك الغرفة وبحاجة إلى من يرافقك!! فقال سماحته: «نعم، ولربما كنت أعاقبه أيضاً إن كان قد طلب هذا اللقاء من المسؤولين»!!.. استرسل الإمام في حديثه قائلاً: «بعد أن دخل مصطفى إلى الغرفة أزاح الستائر وفتح النوافذ ورأينا المناظر الطبيعية الرائعة. بعد فترة من مجيء مصطفى، سمحوا لنا بالخروج من البيت، إلّا أنهم منعونا من ارتداء العباءة والعمّة والجبّة، لذلك اشترى حسن بيك لي معطفاً، وكنت أرتديه ونتجول أحياناً في

---

(١) سألت الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية حول: هل أن سماحته التقى بهذا الشخص؟ فقال: «نعم».

(٢) بعد نفي سماحة الإمام إلى تركية، زارت أعداد كبيرة من العلماء والطلبة والجماهير السيد مصطفى، وفي اليوم التالي (٥ تشرين الثاني ١٩٦٤) قام السيد مصطفى بزيارة بيوت المراجع بمدينة قم، وبينما كان في مكتب آية الله نجفي تم اعتقاله من قبل رجال السافاك وأخذوه إلى طهران وتم اعتقاله في سجن «قزل قلعة» ومكث هناك ٥٧ يوماً قبل أن ينفى إلى تركية بتاريخ ٣/ ١/ ١٩٦٥.



الإمام الخميني ونجله السيد مصطفى ورجال الأمن الأتراك في مدينة بورسا بعد منعهما من ارتداء زي علماء الدين.

مناطق المدينة». وتحدث الإمام قليلاً حول مدينة بورسا وقال: «كانت مدينة جميلة، وتتوسط باحة البيت شجرة تين تحمل ثماراً كبيرة وحلوة»[١].

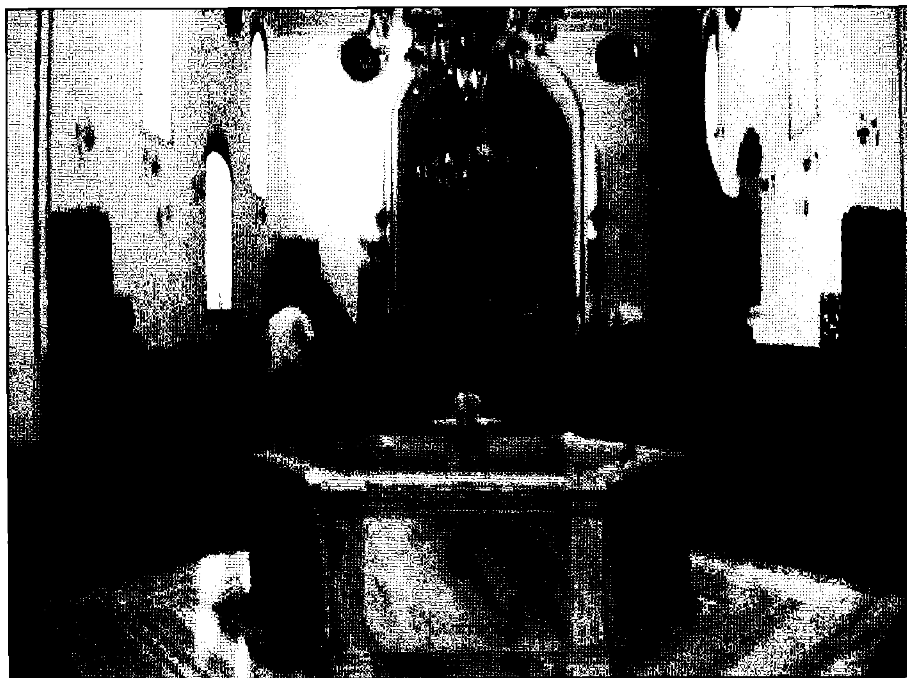
(١) في عام ٢٠١٠ وبينما كنت منشغلة بتأليف هذا الكتاب، سافرت إلى مدينة بورسا لأشاهد عن كثب مكان إقامة الإمام في هذه المدينة، وقد أردف السيد واحدي، إمام جماعة مسجد بورسا، قائلاً: «إن مدينة بورسا كانت عاصمة تركية في العهد العثماني، وكان الإمام يسكن في محلة (جكيز كله) (الجراد). والسيد واحدي من الشيوخ الكبار الذين عاصروا الإمام في المنفى، وكان قد سمع أن الإمام كان يؤدي صلاته في مسجد قريب من بيته اسمه (مسجد خداوندكار)، وكان يُرى أحياناً سماحته وهو منشغلاً في الكتابة تحت شجرة أمام البيت. بالطبع فإن الشكل القديم لهذه المحلة قد تغير ولم يبق من ذلك العهد سوى شجرة معمرة.



مسجد خداوندكار (بورسا)



مؤلفة الكتاب في محل إقامة الإمام
الخميني بمدينة بورسا التركية
(عام٢٠١٠م)



مسجد خداوندكار (بورسا)

ذكريات السيدة أم أحمد عن منفى الإمام في تركية

خلال تلك الأمسيات النجفية كانت السيدة أم أحمد تتحدث، أحياناً، عن ذكرياتها وتكمل حديث الإمام. فقد تحدثت عن نفي سماحته إلى تركية قائلة: «عندما أبعدوا الإمام إلى تركية، لم يكن لدينا أي أخبار عنه لعدة أشهر، وبعد فترة قرر آية الله بسنديدة[١] الذهاب إلى تركية ليزور الإمام هناك إلّا أن السافاك عارضوا ذلك ورفضوا منحه إذن بالخروج من إيران. بعد ذلك استطاع السيد فضل الله خوانساري صهر آية الله السيد أحمد خوانساري من علماء طهران، أن يحصل على إذن لزيارة الإمام في تركية. وقبل مغادرته إيران زارنا في قم وأخبرنا أنه مستعد أن يوصل أي رسالة أو نداء أو أي شيء لسماحته. أعددنا مقداراً من الحلويات وأعطيناه إياها، كما أعطاه آية الله السيد محمد رضا كلبايكاني كيساً من الأرُز ليوصله لسماحة الإمام. سافر السيد فضل الله إلى تركية ولكن لم يسمح له أن يزور الإمام في مدينة بورسا، فجاؤوا بسماحته إلى اسطنبول ليلتقيا هناك. وحينها قال الإمام له: «أرجو أن تبعثوا لي مع أول مسافر يأتي إلى تركية كتاب (مفاتيح الجنان) وكتابي (تحرير الوسيلة)»[٢].

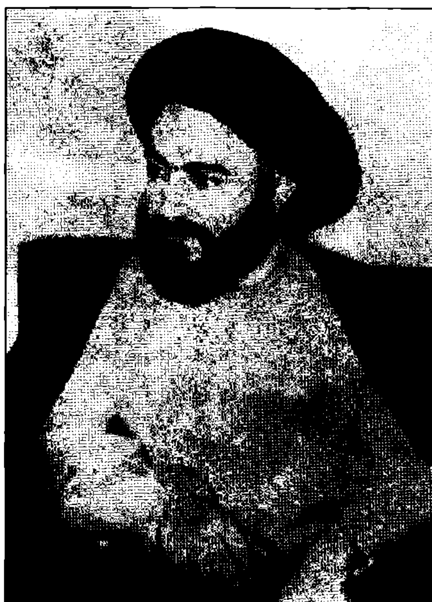
بعد مرور أحد عشر شهراً من وصول الإمام إلى تركية، بعثت الحكومة التركية رسالة لسماحته تخبره أن فترة إقامته في البلد قد انتهت[٣]، لأن

---

(١) هو الأخ الأكبر لسماحة الإمام ووكيله التام في إيران.

(٢) للتعرف أكثر على هذا الكتاب، يمكن مراجعة الهامش الخامس في نهاية الفصل.

(٣) أدت الضغوط التي وجهت للحكومة التركية من قبل الأوساط الدينية والجامعية، الداخلية والدولية، إلى أن تطلب هذه الحكومة من الحكومة الإيرانية أن توافق على نقل الإمام لدولة أخرى، إلّا أن الشاه رفض عودة الإمام لإيران؛ فاقترح أحد مسؤولي السافاك أن ينفى الإمام إلى الجزائر، إلّا أن الشاه وعدداً آخر من مستشاريه، فضلوا العراق على أي بلد آخر، وهم يظنون أن حوزة النجف العلمية لن ترحب كثيراً بالإمام بسبب الإختلاف في الفكر والتوجه بينهما، وسيحاصر هناك وينكفىء على نفسه.



آية الله الشهيد السيد حسن شيرازي



آية الله السيد محمد شيرازي



من اليمين: آية الله شيرازي، الإمام الخميني، آية الله السيد مصطفى الخميني (كربلاء)

الاتفاق بين الحكومتين الإيرانية والتركية كان ينص على الموافقة على بقاء الإمام في تركية لسنة واحدة فقط وقد انتهت هذه السنة[١].

نقلت السيدة أم أحمد عن السيد مصطفى قوله: «بعد أن أخذنا المسؤولون الأتراك إلى المطار وصعدنا إلى الطائرة[٢]، شعرنا بالحرية بعد ما رأينا أنفسنا لوحدنا بدون مرافقة أي رجل أمن، فوصلنا بغداد، ذهبنا إلى محل الصيرفة لنغير العملة التركية التي برفقتنا إلى العملة العراقية، فرفض الصراف أن يقوم بذلك. ذهبنا إلى مدينة الكاظمية، طلبنا من سائق سيارة الأجرة أن يتوقف بالقرب من حرم الإمامين الكاظمين (ع) لأذهب إلى الصحن الشريف وآخذ مبلغاً من المال من أحد الطلبة هناك، بعد أن كان السائق قد رفض أن يأخذ ساعتي كأمانة عنده حتى أعود إليه. وأخذت المبلغ المطلوب من أحد الطلبة واعطيته للسائق وودعته. ثم ذهبنا إلى فندق (اخوان) الذي كنت قد سكنت فيه خلال زيارتي السابقة للمدينة. واتصلنا هاتفياً بالشيخ نصر الله خلخالي الذي كان يسكن النجف الأشرف وشرحت له تفاصيل ما حدث لنا.

«أوصل السيد خلخالي نبأ وصولنا إلى الطلبة، وسارع المئات منهم إلى المجيء للكاظمية لزيارتنا. وقد اقترح السيد خلخالي أن نذهب إلى مدينة كربلاء ونبقى هناك لعدة أيام حتى يقوم بإعداد بيت لنا في النجف الأشرف، لأنه كان يعتقد أن ذهاب الإمام إلى أي بيت من بيوتات

---

(١) غادر الإمام تركية بتاريخ ٥/ ١٠/ ١٩٦٥.

(٢) نقل آية الله السيد محمد موسوي بجنوردي، وهو من الأصدقاء المقربين للحاج السيد مصطفى، عنه، قائلاً: «إن الإمام والحاج السيد مصطفى عندما غادرا تركية لم يكونا يعرفان بالضبط إلى أين سيذهبان؟!.

النجف الأشرف سيؤدي إلى أن يعاتب الآخرون، لأن كلاً من أصدقاء الإمام كان يرغب باستضافته في بيته. لذلك ذهبنا إلى كربلاء وكان السيد خلخالي قد أعد لنا هناك بيتاً[١] مزوداً باللوازم والإمكانات المناسبة للسكن[٢]. وفي كربلاء أقيم استقبال رائع لسماحة الإمام. حيث طلب آية الله السيد محمد الشيرازي[٣] الذي كان يصلّي جماعة في صحن الإمام الحسين (ع) من سماحة الإمام أن يؤم الناس بدلا عًنه، فاقيمت صلاة رائعة جداً في الصحن الحسيني.

«بعد عدة أيام غادرنا كربلاء نحو النجف الأشرف[٤]. وكان نبأ وصول الإمام للعراق قد انتشر في كل مكان مما دفع مئات الطلبة وأكثرهم من الإيرانيين إلى المجيء حتى منتصف طريق كربلاء ـ النجف (خان النصف)[٥] لاستقبال سماحة الإمام.

«جلس الإمام والسيد محمد الشيرازي وأنا معهم، في سيارة من نوع (فولكس واغن)، وما أن وصلنا إلى هذه المنطقة إلّا ورأينا المئات

---

(١) البيت الذي سكنه الإمام في كربلاء كان يعود للحاج رئيس أشكناني الذي كان يسكن الكويت.

(٢) قدمت إحدى الشابات آنذاك طلباً بأنها مستعدة لخدمة الإمام، فرفض سماحته ذلك متذرعاً بعدم وجود عائلته معه. وقد عرفتُ فيما بعد، أنها كانت مرتبطة بالسافاك، وقد كلّفت بهذه المهمة للمسِّ بسمعة سماحة الإمام!!.

(٣) الشقيق الأصغر لآية الله الشيرازي، هو آية الله السيد حسن الشيرازي، كان يقيم أيضاً، في كربلاء ويجاهد ضد حكومة البعث في العراق، للتعرف أكثر عليه، يمكن مراجعة الهامش السادس في نهاية الفصل.

(٤) دخل الإمام النجف الأشرف في يوم الجمعة ١٥/ ١٠/ ١٩٦٥.

(٥) المعروف أن الشاه عباس صفوي شيد في طريق كربلاء ـ النجف عدداً من مراكز الضيافة لتقديم الخدمات للزائرين وتسهيل أمورهم، حيث أن هذا المكان هو واحد من تلك المراكز، ويقع في منتصف ذلك الطريق.



آية الله ميرزا حسن موسوي بجنوردي والإمام الخميني

من هؤلاء الطلبة جاؤوا لاستقبالنا، وانضم إليهم سكان القرى المحيطة، مما زاد من حفاوة الاستقبال الذي ضم العرب والعجم وعلماء الدين والطلبة وغيرهم، وهكذا دخلنا النجف الأشرف وتوجهنا مباشرة لزيارة مرقد أمير المؤمنين الإمام علي (ع).

«بعد ذلك ذهبنا إلى البيت الذي كان قد أعده الحاج الشيخ نصر الله خلخالي، وكان مليئاً بالناس، وأقيمت صلاة المغرب والعشاء جماعة بإمامة سماحة الإمام. وبعد الإنتهاء من الصلاة زارنا جميع العلماء الكبار عدا آية الله السيد الحكيم الذي كان عائداً لتوه من مكة المكرمة.

«طلب علماء النجف، لاسيّما، آية الله العظمى السيد حسن بجنوردي[١]، في تلك الليلة، وفي أول لقاء مع الإمام، منه أن يبدأ

(١) آية الله العظمى الميرزا حسن موسوي بجنوردي (١٣١٠ ـ ١٣٩٤هـ ق)، للتعرف عليه أكثر، يمكن مراجعة الهامش السابع في نهاية الفصل.

دروسه العلمية حتى تفشل المؤامرة التي أعدت من قبل نظام الشاه والتي هدفت من نفيه إلى النجف التأثير سلباً على المكانة السياسية لسماحته ومرجعيته الدينية، وتبطلها في المهد.

«بعد فترة، طلب أتباع وتلاميذ الإمام أن يوافق سماحته على إعداد (رسالته العملية) للطباعة؛ إلّا أن الإمام رفض ذلك. لكنهم تمكنوا من كسب موافقته على ذلك بعد أن قالوا له: ما دمت تعتبر النضال ضد الشاه وأمريكا ومقارعتهما من التكاليف الشرعية لكل مسلم، فلا بُدّ أن تكون الأوامر الصادرة من مثل هذا المرجع الذي يحمل مثل هذه الأفكار والعقائد، في متناول الناس لكي يتمكنوا ـ من خلال التمسك والعمل بها ـ من مواصلة هذا النضال والجهاد. وبالتالي أقنعوا سماحته بأن تكون مثل هذه (الرسالة العملية) المستندة لنظريته وأفكاره الإسلامية في متناول مقلديه، فوافق على ذلك بشرط أن لا تصرف أية مبالغ من الوجوه الشرعية على طباعة وتوزيع تلك الرسالة بين الناس.

«بالطبع، فإن الطلب من الإمام أن ينشر رسالته العملية بدأ منذ رحيل آية الله البروجردي عام١٩٦١، وازداد ذلك الطلب، إلاّ أن الإمام كان يرفض بسبب وجود رسائل عملية لعلماء كبار آخرين في متناول الناس، ولم تكن هناك حاجة لرسالة عملية جديدة. واستمر ذلك حتى تم تأليف رسالة باسم (نجاة العباد)، وتم قبول مثل هذا الاستدلال؛ وهكذا سارع أنصار الإمام إلى طباعة ونشر كتاب (تحريرالوسيلة) على حسابهم الخاص، حيث كان قد أكمله سماحته في تركية، وأضافوا إليه المسائل المستحدثة[١]. وبعد الطباعة أخذوا نسخة منه إلى الإمام إلّا أنهم قوبلوا

---

(١) للتعرف على مؤلفات الإمام الأخرى يمكن مراجعة الهامش الثامن في نهاية الفصل.

بغضب وعدم رضا سماحته لأنهم ذكروا اسم الإمام الخميني على الغلاف الأول بألقاب كبيرة، وفيه مدح وثناء لسماحته مثل (زعيم الحوزات العلمية) وخاطبهم قائلاً: «إن هذه الألقاب التي نسبتموها لي تخالف الواقع ولا بُدّ أن تحذفوها من غلاف الكتاب»!!. فقالوا له: «لا يمكن ذلك لأنها طبعت جميعها»، فقال سماحته: «إذن لا توزعوا الرسائل العملية على الناس». فاضطروا إلى إعداد ختم معين ثبتوه على تلك الألقاب لإخفائها قبل توزيعها. والملفت أن سماحة الإمام سدد تكاليف ذلك»(١)!!.



زهراء ونفيسة إشراقي في منطقة الحدود الإيرانية ـ العراقية في الطريق إلى العراق

في الطريق إلى النجف الأشرف

في إحدى الأمسيات النجفية، طلبنا من السيدة زوجة الإمام أن تقص علينا تفاصيل رحلتها إلى النجف الأشرف، فقالت: «بعد أن استقر سماحة الإمام والحاج السيد مصطفى في النجف الأشرف عام ١٩٦٥، أخبرونا أنه يمكن أن تأتوا إلى النجف إن رغبتم بذلك. لذلك قررنا أن

---

(١) سمعت من أخي صادق بعد فترة، أنهم فصلوا قسم أحكام الجهاد من رسالة الإمام، وطبعوه بشكل منفصل من قبل اتحاد الطلاب المسلمين، ووزعوه في أروبا وأمريكا وكندا، بعد حذف الألقاب منه. وأردف قائلاً: «عندما قدمت نسخة منه للإمام في النجف أعرب عن سروره لذلك لاسيما بالنسبة لحذف الألقاب».

نسافر إلى هناك؛ إلّا أن السافاك أخبرنا بضرورة أن يكون عدد المرافقين لنا في هذه الرحلة قليلاً، وأن يكنّ من النساء فقط. فقلت لهم: نحن بحاجة لرجل واحد على الأقل ليكون معنا. فقالوا: إذن لا بُدّ أن لا يكون له أي نشاط أو تأثير سياسي. فطلبت من عاملنا الوفي والأمين السيد مشهدي حسين أن يرافقنا في هذه الرحلة إلى النجف الأشرف».

وأضافت تقول: «تحركنا برفقة والدتي وبناتي (فهيمة وصديقة وفريدة) مع أطفالهن وعدد من العاملات، نحو الحدود العراقية واجتزناها بسلام. وعند وصولنا للجمارك العراقية أوقفونا هناك لأنه لم تكن لدينا وثيقة تلقيح ضد الأمراض المعدية[١]. ولم يسمحوا إلّا للسيدة فهيمة التي كانت تحمل تلك الوثيقة برفقة أولادها، أن يعبروا الحدود وغادرونا بالحافلة إلى النجف الأشرف؛ واضطررنا للبقاء هناك داخل معسكر مغلق. واستمر ذلك لأسبوع كامل حيث جاؤوا بعد ذلك وأعطونا اللقاح وقالوا: ينبغي أن تبقوا أسبوعاً آخر حتى يصل اللقاح الآخر، فبقينا أسبوعاً ثانياً حتى جاؤوا به وأعطونا اللقاح الثاني. بعد ذلك سمحوا لنا بالمغادرة ولكن لم تكن هناك أية حافلة لتنقلنا إلى النجف الأشرف. أعطونا غرفة في المعسكر واجتمعنا كلنا هناك، وكانت لا بأس بها. حيث حافظت علينا تلك الغرفة رغم الطقس البارد وكان بيننا عدد من الاطفال أكبرهم (فرشته)[٢] بتسع سنوات وأصغرهم كان في رحم أمه.

---

(١) جاء في وثائق السافاك أن السيدة حرم الإمام، توقفت على الحدود في مخفر منظرية وهي برفقة سبعة من أفراد أسرتها بسبب عدم حملهم لوثائق التلقيح ضد الأمراض المعدية.

(٢) اخبرتني السيدة «فرشته أعرابي» فيما بعد، أن مسؤولي المعسكر جاؤونا في إحدى الليالي وأعطونا عدداً من الأكياس وقالوا لنا لا بُدّ أن تملؤوها بالرمل وتضعونها خلف نافذة غرفتكم لأنه هناك احتمال أن يهاجم الأكراد العراقيون المعسكر. قمنا بملء الأكياس بالرمل ووضعناها خلف النافذة وكنا نسمع أصوات الرصاص مساءً. وعرفنا في الصباح أن قائد المعسكر قتل في اشتباكات مساء أمس.

جاءنا مسؤولو الجمارك العراقية في اليوم الأول وطلبوا منّا أن نعطيهم أواني وصحون ليضعوا الطعام فيها، فلم يكن لدينا منها، فوضعوا الطعام على الخبز وقمت بتقسيم الطعام مع الخبز على الجميع، ومرت علينا عدة أيام ونحن على هذه الحالة حتى وصلت السيدة «فهيمة» إلى النجف وأخبرت الإمام بذلك. اتصل سماحته بالسيد شبّر إمام جماعة مسجد خانقين (بالقرب من الحدود) وطلب منه تقديم المساعدة لنا إن أمكن، فسارع السيد شبّر لزيارتنا وزودنا بما نحتاجه من أدوات ولوازم وطعام وخبز وسكر. وخلال تلك الأيام التي قضيناها هناك حاولت أن أخفف على المرافقين لي من النساء والأطفال وأقوي معنوياتهم وكنا نقضي النهار بالتجول بين الهضاب والوديان في المنطقة الحدودية ونقضي الليل بسرد القصص والأشعار. وبعدها حُلّت المشكلة وغادرنا إلى النجف الأشرف».

قصة شراء بيت الإمام في قُم

في إحدى الأمسيات النجفية دار الحديث حول بعض الأمور غير المتوقعة التي تحدث أحياناً، ويتعجب الإنسان من الدعم والتوفيق الذي يحدث، وكلما يفكر، فإنه لا يرى سوى اللطف الإلهي.. وضمن إشارته إلى هذه المفاهيم، فإن الإمام شرح لنا ظروف شراء بيتهم في مدينة قُم وقال: «البيت الذي كنّا نسكنه في محلة (يخجال قاضي) بمدينة قُم، كنّا قد استأجرناه بدءاً، بعد أن بدّلنا عدداً من البيوت السابقة المستأجرة، والسبب أن أصحابها إما كانوا يبيعونها أو يطلبون أن نترك البيت لأسباب أخرى. وفي أحد الأيام جاءنا صاحب البيت وقال إنه يريد أن يبيع البيت وطلب أن نتركه وأعطانا عدة أيام لذلك، وعندما كنت أريد الخروج من البيت خاطبت السيدة أم أحمد بكل هدوء قائلاً: جاءنا الآن صاحب

البيت وطلب أن نترك البيت.. وخلافاً للمرات السابقة، فإنها انزعجت كثيراً وأعربت عن ذلك مضيفةً أنها قد سئمت هذا الوضع وتعبت من كثرة تغيير البيوت والانتقال من بيت لآخر».

وأضاف سماحته قائلاً: «في الواقع لم أكن أعرف أن تغيير البيت مزعج إلى هذا الحد، لأن السيدة لم تكن تعبر عن انزعاجها في المرات السابقة. لم أقل لها شيئاً وخرجت من البيت حزيناً شيئاً ما. وعندما عدت للبيت بعد الظهر سألتني السيدة عن سبب طلب صاحب البيت أن نتركه؟! قلت لها: إن صاحب البيت يحتاج إلى النقود لذلك يريد أن يبيعه. لم تقل السيدة شيئاً إلّا أنّي حزنت بشدة لإنزعاجها بهذا الشكل. في عصر ذلك اليوم، وبينما كنت جالساً في صحن السيدة المعصومة (ع)، بعد الانتهاء من القاء الدرس، جاءني شخصان وسألا: عفواً، هل أنت سيد روح الله الخميني؟ قلت: نعم. فقالا: جئنا من أصفهان ونريد أن نذهب إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة هناك، ولدينا مقدار من المال ونريد أن نضعه أمانة لديك. لأننا قد نسافر من هناك إلى مكة المكرمة وتستغرق رحلتنا لعام كامل. وحتى لو لم نذهب إلى مكة، فإن الرحلة تستغرق ستة أشهر. فسألتهما: لماذا وقع انتخابكم عليّ لهذه المهمة؟ فقالا: سألنا الكثير من الأشخاص والكل أرشدنا إليك للاحتفاظ بهذه الأمانة. قلت لهما: لا أقبل بذلك. ولكن بعد إصرارهما الكثير وأنهما جاءا من أصفهان إلى قُم من أجل ذلك، قبلت بذلك مرغماً. وفجأة تذكرت انزعاج السيدة من مسألة تغيير البيت وما حدث بهذا الشأن. لذلك قلت لهما: هل مسموح لي أن أتصرف بهذه النقود؟ أي أن اتصرف بها في غيابكما واسلّمها لكما عندما تعودان من السفر. فقالا: نعم، نفوضك بذلك. أخذت النقود منهما، وبعد أن غادرا المكان ذهبت إلى صاحب بيتنا وأعطيته القسط الأول من قيمته. وبدأت

بالتفكير في كيفية إعداد هذا المبلغ حتى أعطيه لهما عندما يعودا من السفر.

«وفي اليوم التالي أرسلت رسالة إلى أخي (السيد بسنديدة) في مدينة خمين عن طريق أحد أبنائها الذي كان عائداً من مشهد، وطلبت منه أن يبيع الملك الذي كان عندي هناك ويرسل المبلغ لي سريعاً؛ وكان ذلك يستغرق عدة أشهر بشكل طبيعي. وعندما وصل الخبر إلى أخي السيد بسنديدة تعجب من هذا الأمر، لأني لم أطلب منه مثل ذلك سابقاً حيث عرف أني أواجه وضعاً محرجاً. ولحسن الحظ طلبت زوجته (همدم خانم) شراء البيت فأعدوا مقداراً من المال وأرسلوه في اليوم التالي مع مسافر آخر إلى مشهد. وكان هذا الشخص قد ذهب لتوديع السيد بسنديدة، فطلب منه أن يوصل المبلغ لي، وكان لحسن الحظ بمقدار المبلغ الذي وضع أمانةً عندي من قبل الشخصين الآنفين. وبعد أن جاءني هذا الشخص سلمني ذلك المبلغ وأخفيته في مكان آمن. لم تمر سوى عدة أيام إلّا وجاء الشخصان اللذان سافرا إلى العتبات المقدسة، وكان مقرراً أن يغيبا ستة أشهر كحد أدنى وقالا: لم تتهيأ مقدمات الرحلة ولم نوفق في السفر. جئنا لنسترجع الأمانة منك. فأسرعت لإخراج المبلغ وأعطيتهما إياه. شكراني كثيراً وغادرا إلى أصفهان.

«بقيت فترة مندهشاً بشأن ماحدث بشكل متسارع خلال الأيام الأخيرة من طلب صاحب البيت أن نتركه خلال أيام ومجيء الشخصين من أصفهان ووضعهما النقود أمانة عندي وإرسال المبلغ من خمين وبالتالي توفيق الله وفضله لنا بأن اشترينا البيت والحمد لله».

حديث السيدة أم أحمد عن قصة شراء البيت

سألت السيدة زوجة الإمام عن تفاصيل أخرى لقصة شراء البيت

فقالت: «كنّا قد استأجرنا بيتاً في محلة (يخجال قاضي) بمدينة قُم وكان هذا البيت مشيداً في عام ١٩٤٢ وتبلغ مساحته حوالي ٥٠٠ متراً مربعاً. في عام ١٩٤٤ استأجرناه من السيد طاهري بمبلغ١٥٠٠تومان، وكان صاحبه قد اشتراه بمبلغ١٥٥٠٠ تومان واشتريناه منه بمبلغ ١٦٥٠٠ تومان.

«عندما أخبرني الإمام عن طلب صاحب البيت أن نتركه بسرعة، انزعجت بشدة وبدأت بالتفكير بصعوبة نقل محتويات البيت إلى بيت آخر وغيرها من الأمور. فجلست في مكاني وتأوهت من العمق ولكني صبرت في حينها ولم أقل شيئاً. وعندما عاد الإمام ظهراً إلى البيت سألته بهدوء: لماذا ينبغي أن نترك البيت؟ ألا يمكنك أن تفكر بطريق حل حتى لا نترك البيت؟ قال الإمام: كلا، لأن صاحب البيت طلب القسط الأول من قيمة البيت كحد أدنى ولكني لا أملكه. فقلت له: ألا يمكنك أن تطلبه من خمين؟ فقال سماحته: كلا. ثم قال: بالطبع إن السيد زنجاني[1] أعلن استعداده ليقرضني مبلغاً من المال ولكنه لا يكفي لتسديد القسط الأول منه.

«وهكذا اقتنعت بما قاله الإمام وسلّمت أمري لله.. وعندما عاد الإمام مساءً إلى البيت؛ أخبرني بما حدث مع الشخصين الأصفهانيين، وقال إن الأمور قد فرجت ولله الحمد وسنبقى في البيت إن شاء الله».

---

(١) آية الله السيد أحمد زنجاني المعروف بشبير زنجاني (١٨٩١ ـ ١٩٧٣)، من أصدقاء الإمام القدامى والحميمين، وهو من تلاميذ آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري الخاصين، وألّف كتاب (خير الأمور)، وكان يقيم صلاة الجماعة لسنوات طويلة في حرم السيدة المعصومة (ع).

ذكريات متفرقة على لسان الإمام

حنكة الإمام في حفظ النظام والهدوء

نقل الإمام لنا أنه عندما كان منشغلاً يوماً[١] في الخطابة وسط جمع من الناس، قام أحد الأشخاص وطلب من الناس أن يرفعوا أصواتهم بالصلوات على محمد وآل محمد، وكرر ذلك عدة مرات. وأضاف الإمام يقول: جاءني أحد الأخوة وأخبرني أن عدداً من المندسين بين الناس يريدون أن يثيروا الفوضى في المجلس ويفرقوا الصفوف، فهل تسمح لنا أن نطردهم؟ قلت له: كلا، أرجو أن لا تتدخلوا! وسأعالج الموقف بنفسي. ثم خاطبت جموع الناس قائلاً: إن لم يسمحوا بالخطابة هنا، فسأنتقل لإلقاء الخطاب داخل صحن السيدة معصومة (ع). بعد ذلك رأيت هؤلاء المندسين يتركون المجلس شيئاً فشيئاً وواصلت إلقاء خطابي».

استرسل الإمام قائلاً: «عرفت فيما بعد أنهم كانوا من رجال السافاك الذين اندسوا بين صفوف الناس وكلّفوا بمهمة إثارة الفوضى في المجلس، ولكن ما أن عرفوا أني سأنقل المجلس إلى الصحن، فأخبروا رؤساهم بالأمر، فطلبوا منهم أن يتركوا المكان لئلا يحدث أمر أكبر إن نقلنا المجلس إلى الصحن».

إخفاء بيانات الإمام في ملابس أحد الرضّع

تحدث الإمام إلينا في إحدى الأمسيات عن شجاعة الشيخ صادق

---

(١) تعود هذه الحادثة لصباح يوم ١٩٦٣/٣/٢٢ الذي كان يتزامن مع ذكرى استشهاد الإمام جعفر الصادق (ع)، حيث حدثت عصر نفس اليوم واقعة مهاجمة طلبة المدرسة الفيضية بمدينة قُم، من قبل رجال السافاك.

خلخالي[١] وقال: «عندما أطلق سراحي من السجن، حاصر رجال السافاك بيتي وبدأوا بمراقبة الأشخاص الذين يترددون على البيت، وفي تلك الحالة جاءنا فجأة الشيخ خلخالي. وكنت حينها قد كتبت بياناً وكان لا بُدّ من إيصاله إلى طهران ليطبع ويوزع من هناك، إلّا أن محاصرة البيت من قبل السافاك كان يحول دون ذلك. وما أن دخل الشيخ خلخالي وكان يحمل رضيعاً على يديه، طلب منّا أن نسلّمه البيان ليخفيه بين ملابس الرضيع ويخرج من البيت، فقلت له: كيف دخلت إلى البيت والمكان محاصر؟ فقال: «انتظرت عدة ساعات في الخارج حتى سنحت أمامي فرصة تغيير الحرس، فدخلت خلسة ولله الحمد». فأعطيناه البيان وبكل جرأة وشجاعة وثقة بالنفس، استطاع أن يخرجه من البيت بعد أن أخفاه في ملابس الرضيع ومن ثم قام بإيصاله إلى طهران».

طريقة التدريس الخاصة بالإمام

تحدث الإمام في إحدى الأمسيات عن أحد أساتذته الذي تعلم منه طريقة خاصة في التدريس حيث قال: «كنت أذهب برفقة شخصين إلى بيت ذلك الأستاذ لتلقي الدروس لديه. وعندما كنا نصل إلى البيت كان يقول لنا: افتحوا الكتاب وانشغلوا في المطالعة والمباحثة فيما بينكم، وكان الأستاذ ينشغل بأداء عمل آخر وهو يراقبنا بشكل كامل؛ وعندما كان البحث ينتهي فيما بيننا، كان الأستاذ يعقّب على ما دار بيننا من بحث

(١) آية الله الشيخ محمد صادق صادقي كيوي المشهور بالخلخالي (١٩٢٦ ـ ٢٠٠٤)، هو من مدرّسي الحوزة العلمية، وأصبح حاكم شرع الثورة الإسلامية بعد الانتصار عام ١٩٧٩، وأصدر حينها أحكام الإعدام بحق عدد من قادة النظام البائد، مثل: أمير عباس هويدا رئيس الوزراء، ونعمت الله نصيري رئيس السافاك. وكان أيضاً، عضواً في مجلس خبراء القيادة، ومجلس الشورى الإسلامي.

ويشير، أحياناً، إلى نقطة مهمة للغاية غابت عنّا؛ ولا يقول أي شيء أحياناً أخرى، ونغادر المكان ونودعه لنأتي في اليوم التالي وهكذا».

الوفاء بالعهد

تحدث الإمام في إحدى الأمسيات قائلاً: «كنت أدخن السجائر في مرحلة الشباب حتى أنه في إحدى الليالي الباردة حيث كنت منشغلاً في المطالعة، ووصلت إلى نقطة مهمة في الموضوع الذي كنت أطالعه، وضغطت على ذهني من أجل ذلك، فجأة ارتأيت أن أجلب سيجارة من خارج الغرفة. وبعد أن عدت وأنا أحمل السيجارة وقع نظري على الكتاب الذي تركته من أجل تلك السيجارة، فشعرت بالخجل وحينها تعاهدت مع نفسي أن لا أدخن أبداً، فأطفأت السيجارة ولم أعد إليها أبداً منذ ذلك اليوم».

في ذكرى الأساتذة

كان الإمام يتحدث أحياناً عن الكتاتيب والمدارس القديمة التي درس فيها، ومنها مدرسة ملّا أبو القاسم، ويشرح لنا أساليب التدريس فيها، ويذكر كذلك مدرسة أحمدية[1] في مدينة خمين. كما كان يذكر، أحياناً، شخصية وصلابة وهيبة وجاذبية شقيقه الأكبر السيد بسنديدة، ودوره المؤثر والكبير، في تشجيع سماحته على المطالعة والدراسة؛ وكان يقول: «درست عنده المنطق والسيوطي وجزءاً من (المطول) وتدربت عنده على الخط». وكان منذ صغره وقوراً ومؤدباً وخلوقاً للغاية، بل كان يرتدي زيه الرسمي (العباءة والجبّة) حتى في البيت.

---

(١) تأسست مدرسة احمدية بعد انتصار الحركة الدستورية، وتقلد أحمد شاه السلطة في عام ١٩٤٨، للتعرف أكثر، يمكن مراجعة الهامش التاسع في نهاية الفصل.


الإمام الخميني في مدرسة أحمدية

وتحدث الإمام كذلك عن عدد آخر من أساتذته قائلاً: «عندما كنت في التاسع عشرة من عمري، وبعد إنهاء دورة مقدمات الفقه، التحقت بالحوزة العلمية في مدينة آراك ودرست (المطول) عند الشيخ محمد علي بروجردي و(المنطق) عند الشيخ محمد كلبايكاني و(شرح اللمعة) عند المرحوم السيد عباس آراكي؛ وبعد مرور سنة ونيف، التحقت أوائل عام ١٩٢١ بالحوزة العلمية في مدينة قُم وواصلت دراستي هناك حيث درست (باقي المطول) عند المرحوم أديب تهراني و(السطوح) عند المرحوم الحاج السيد محمد تقي خوانساري والسيد علي يثربي كاشاني و(الخارج) عند آية الله الحائري. كما درست (الفلسفة) عند الحاج السيد أبو الحسن رفيعي قزويني، وتلقيت دروساً في العلوم المعنوية والعرفانية عند المرحوم السيد الميرزا محمد علي شاه آبادي، والرياضيات عند المرحوم الميرزا علي أكبر حكمي يزدي ـ وهو من الرجال الصالحين ـ، إلّا أن البعض من أهل العلم لم يكونوا يتحملونه، وكان يتأسف لأن أحد الأشخاص كان يريد مدحه، فقال مِنْ على المِنبر: «لقد رأيته بنفسي وهو يقرأ القرآن»!!.. لقد تألم السيد شاه آبادي من هذه الطريقة في المدح والثناء، فكيف يمكن لمثل هذا الشخص أن تنهال عليه التهم والافتراءات إلى درجة يقال بشأنه: لقد رأيته بنفسي وهو يقرأ القرآن»؟!!.

لقاء الإمام مع آية الله شاه آبادي

تحدث الإمام في إحدى الأمسيات عن كيفية وظروف تعرفه على آية الله شاه آبادي[١] وقال: «دُعيت في إحدى الليالي إلى بيت أحد علماء قُم للقاء آية الله شاه آبادي القادم من طهران[٢].. تم تبادل الأحاديث في تلك الجلسة حول مختلف القضايا، وبعد أن أصبحت الجلسة خاصة، تحدث سماحته حول تفسير وشأن نزول الآية المباركة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾؛ وقد أعجبت كثيراً بحديثه وشعرت أنه يملك الكثير ليتحدث بشأنه. وعند انتهاء الجلسة لحقت به في الأزقة والشوارع وسألته عن كيفية نزول الوحي على الرسول الأكرم (ص) وأمور أخرى، وعندما أردت أن أودعه طلبت منه أن يخصص لي بعض الدروس، فرفض بدءاً، وعندما أصريت عليه قَبِلَ بالفكرة أخيراً، وقلت له: «لقد درست الفلسفة وأرغب بدروس في العرفان». وكنت بالطبع قد أخذت دروساً مختصرة في العرفان، وبالتالي درست عنده (فصوص الحكم)؛ وكنت كذلك أطالع في يوميّ الخميس والجمعة (منازل السائرين) للخواجة عبد الله أنصاري و(مفاتيح الغيب) لقونوي. وكانت هذه الجلسات تعقد بحضور اثنين أو ثلاثة أشخاص فقط».

---

(١) آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي أصفهاني (١٢٩٢ ـ ١٣٦٩هـ. ق)، نال درجة الاجتهاد في سن الثامنة عشر؛ وكان يقارع بشكل دائم نظام رضا خان البائد، ويحتج على ظلمه. وفي إحدى المرات أضرب محتجاً داخل حرم السيد عبد العظيم الحسني (رض) بمدينة ري لأحد عشر شهراً. وقد قال الإمام الخميني حول شخصيته: «كان المرحوم شاه آبادي مجاهداً بكل معنى الكلمة فضلاً عن كونه فقيهاً وعارفاً كاملاً».

(٢) كان بيت السيد شاه آبادي الذي كان يتردد الإمام كثيراً عليه، يقع بالقرب من ساحة بهارستان (مركز طهران)، في شارع كان يسمى باسمه. وقد سكن فيه لسبع عشرة سنة. ويسمى الآن بـ (شارع الجمهورية الإسلامية).


آية الله شاه آبادي

كذلك ذكر الإمام آية الله ملكي قائلاً: «كان آية الله ملكي يقيم صلاة الجماعة في المسجد القريب من مرقد السيدة المعصومة (ع)؛ وكان يلقي، أيضاً، دروساً في الأخلاق. أحدها خصوصية في بيته، وأخرى عامة في المدرسة الفيضية؛ وكنت أحضر باستمرار في صلاة الجماعة، وكذلك في دروسه الأخلاقية الخاصة في البيت».

ذكريات على لسان السيد بسنديده

عندما كنا في إيران، ذكر السيد بسنديدة لنا (أنا وأحمد) العديد من الذكريات. فقد أشار مرة إلى تاريخ مولده الذي تزامن مع مقتل ناصر الدين شاه، أي في يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة هـ. ق، وكان والده آنذاك منشغلاً في نشر الأحكام الدينية في مدينة خمين. وكان يقول: «كنا نملك بعض الأراضي والأملاك في قرى (زورقان) و(اسوران) و(كرمو)، فضلاً عن مضيف واسع، ونعيش من عوائدها». وكان يتحدث إلينا عن ظروف الحياة البسيطة آنذاك والخضروات الطازجة والمواد الغذائية الطبيعية والحليب ومشتقاته وغيرها من اللحوم والفواكه، ورخص أثمانها؛ كما كان يتحدث عن العمال الذين كانوا يعملون معهم وغيرهم.

وتحدث إلينا، أيضاً، عن الزواج الثاني لوالده من إحدى الأميرات آنذاك، لأنه كان كثير السفر إلى طهران لحل بعض المشكلات والمطالبة بحقوق أهالي مدينة خمين، وقد تعرف في إحدى تلك الرحلات إلى



الإمام الخميني وشقيقه الأكبر السيد بسنديدة

سيدة تدعى (جوهر ملك تاج خانم) من أميرات ذلك العصر وتزوج منها، وبقيت هذه السيدة في طهران ولم تأت أبداً إلى مدينة خمين.

وحول ظروف مقتل والده، قال السيد بسنديدة: «تحرك والدي برفقة عدد من المسلحين إلى سلطان آباد في منطقة (عراق العجم) (اراك حالياً)[١] لمقابلة والي آراك ومتابعة شؤون المنطقة. وفي الطريق، وبينما لم يكن أي من المسلحين عدا أحدهم، بجانب والدي، اقترب منه اثنان من معارضيه من خوانين (كمره)[٢] بالقرب من قرية (امان آباد)، وأطلقوا عليه وابلاً من الرصاص استقرت واحدة منها في قلبه واستشهد على إثرها. وما أن وصل نبأ استشهاد أبي إلى مدينة خمين إلّا وانطلقت مواكب العزاء والحزن من مختلف محلات المدينة إلى بيتنا. وكنت

---

(١) اراك الحالية، كانت حينذاك، تسمى عراق العجم. وقد غير اسمها رضا شاه.

(٢) كمرة: تعتبر الآن من قرى خمين، إلّا أنها ـ آنذاك ـ كانت هي المركز وتتبعها عدة نواحٍ، ومنها خمين.

أراقب جموع المعزين برفقة والدتي وشقيقتي الكبرى من على سطح البيت. وفجأة رأينا من بعيد شُهب النيران تتصاعد من أحد أماكن المدينة، فعرفنا فيما بعد أن أتباع والدي أضرموا النيران في بيت القاتل انتقاماً لأبي».

في تلك الأمسيات النجفية توفرت فرصة مناسبة أمامنا لنسمع تفاصيل تلك الواقعة المهمة على لسان الإمام، حيث قال: «كنت حينها في الشهر الخامس من عمري حيث قتل والدي على يد جعفر قلي خان وشقيقه رضا قلي سلطان؛ وعندما كبرت أخبروني أن والدي وجدي المرحوم (آقا سيد أحمد) كانا من الرجال الشجعان في مدينة خمين».

ثم تذكر الإمام والدته قائلاً: «لا زال صوت والدتي الحنون يملأ أسماعي ويرن في أذني».. ووصف عمته قائلاً: «عمتي (صاحب خانم)[١]، كانت امرأة شجاعة ومديرة قوية؛ بعد استشهاد والدي تركت بيتها وانتقلت إلى بيتنا لتدير شؤون الأسرة والبيت وتتابع الشؤون المتعلقة بدراسة الأبناء وإدارة الأملاك والأموال العائدة لأسرتنا، فضلاً عن زراعة وحصاد المحاصيل الزراعية في الأراضي والحقول، ثم ذهبت إلى طهران للقصاص من قاتل والدي برفقة والدتي وأخي وعدد آخر من أفراد العائلة».

كذلك تحدث الإمام لنا عن حادثة الدفاع عن خمين أمام الأعداء قائلاً: «تعلمت في الصغر استخدام البندقية، فحينما كان الأشرار يهاجمون خمين، كنت أصعد إلى برج بيتنا وأنضم إلى صفوف المدافعين عن المدينة والمترصدين للأعداء وأنا أحمل بندقية أطول من قامتي،

---

(١) عمة الإمام كان اسمها (صاحب خانم)، وكما قال آية الله بسنديدة: «كانت امرأة مديرة ومدبرة وذات خطاب قوي ومؤثر على الجميع، وقد ورثت ذلك من أبيها.. للتعرف عليها أكثر يمكن مراجعة الهامش العاشر في نهاية الفصل.



بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين

وكنت، أحياناً، أرى من فوق، الجنود الروس وهم يترددون على مدينة خمين»[١].

وكان الإمام ينقل أن باحة بيتهم كان فيها عدد من الأشجار المثمرة، وكان الفلاح يحرص على أن تكون الأشجار متنوعة الثمار مثل التفاح، والتوت، والكمثري، والكرز، واللوز، والفريز، والخوخ وكذلك مختلف أنواع الخضار.

وفي أحد الأيام، وعندما كان الإمام يتحدث بحرارة عن طعم تلك

---

(١) عند تأليف هذا الكتاب استفدت مما ذكره السيد أحمدخان مستوفي (ابن شقيقة الإمام) ـ حول أسرة الإمام، حيث قال: «شارك الإمام في حادثة التصدي لرجبعلي لر الذي كان قد تموضع في أطراف خمين. وتعود هذه الحادثة للفترة التي كان السيد بسنديدة قد ذهب إلى أصفهان للتحصيل العلمي. وفي المرة الأخرى دافع الإمام عن مدينة خمين خلال الحرب العالمية الأولى عندما احتل الروس شمال وغرب إيران وهمدان واراك وخمين. وقد أنشد الإمام أشعاراً حماسية ضد الانجليز والروس.

الثمار وحلاوتها وتنوعها، قال السيد أحمد: «لربما أن تلك الثمار كانت متنوعة وحلوة وطيبة بنظرك لأنك لم تذق طعم فواكه المناطق الأخرى آنذاك». وأضافت السيدة حرم الإمام تقول: «لا زالت آثار الطعم الرائع لتلك الثمار ماثلة في شهية الإمام حتى الآن».

ذكريات أخرى:

سمعت الكثير حول فترة رضاعة الإمام، من السيدة «بهجت خانم» شقيقته بالرضاعة، التي كانت تعيش في مدينة خمين، وكانت تزورنا أحياناً.. حيث قالت نقلاً عن والدتها: «جاء زوجها يوماً (كربلائي ميرزا) (حارس بيت والد الإمام) إلى البيت وقال لأمها «ننه خاور» التي كانت قد ولدتها للتو: «هل أنت مستعدة لإرضاع وليد السيد مصطفى الذي ولد حديثاً»؟ فقبلت والدتي الفكرة بكل سرور».. واصلت «بهجت خانم» حديثها قائلة: «يقول السيد مصطفى والد الإمام، إن له شرطين لذلك: «أن لا تتناول السيدة «ننه خاور» طعاماً من أي شخص آخر في الفترة الزمنية التي ترضع (السيد روح الله) (الإمام الخميني)، وكذلك أن تكون في حالة الوضوء حين إرضاع الوليد اللبن».

تقول السيدة (بهجت خانم) نقلاً عن والدتها: «كانوا صباح كل يوم يأتون بطبق مليء بالطعام من بيت السيد مصطفى (والد الإمام) ويتناول الجميع منه. وكانت السيدة «ننه خاور» قد أرضعت، أيضاً، شقيقة الإمام «آغا زاده خانم».

كذلك تحدثت السيدة «بهجت خانم» لي عن حادثة القصاص من قاتل والد الإمام وقالت: «عندما ذهبت عمّة الإمام وأمه وشقيقه الأكبر إلى طهران، بقي السيد روح الله وشقيقته الكبرى «مولودة آغا» عند أمي في خمين».

كما تحدثت السيدة عن أسرة الإمام قائلةً: «والد الإمام كان اسمه

(السيد مصطفى)، ووالدته السيدة «هاجرخانم». وكان السيد مصطفى ابن السيد أحمد[١]، قد ولد في خمين في شهر رجب عام ١٢٧٨هـ. ق ووالدته هي السيدة «سكينة خانم». فقد السيد مصطفى والده وهو في سِنّه الثامنة. وفي السابع من شهر رمضان المبارك عام ١٢٩٧هـ. ق، وكان في سِنّه التاسع عشر، تزوج من السيدة «هاجرآغا» بنت أستاذه الميرزا أحمد مجتهد ابن آخوند ملا حسين خوانساري، وهو من أحفاد الملا حيدر خوانساري، والملا حيدر هو من علماء العصر الصفوي ومؤلف كتابي (مضى الأعيان وزبدة التصانيف).

غادر السيد مصطفى بعد الزواج إلى مدينة النجف الأشرف لمواصلة تحصيله العلمي حيث درس عند كبار العلماء هناك، وعاد إلى خمين بعد نيله درجة الاجتهاد. وكان عنده ابن واحد وتم استقباله بحفاوة في مدينته، ومنح لقب (فخر المجتهدين)[٢].

كان الناس يحترمونه كثيراً ويوقرونه، لأنه، بالإضافة إلى علمه ودراسته الدينية المتقدمة، كان يبادر دوماً إلى رفع الظلم الذي يلحق بالناس ويساعد كثيراً من أجل المحافظة على المنطقة وسكانها من اعتداءات الأشرار. وكان بيته دائماً ملجأ الناس، ولأجل ذلك غضب عليه بعض هؤلاء الأشرار. وفي مخطط دنيء معد له مسبقاً، اغتيل ظلماً في عام ١٣٢٠هـ. ق على يد اثنين منهم، وقد نشر نبأ استشهاده في صحيفة (أدب)، وهي من الصحف المهمة التي كانت تطبع آنذاك[٣]؛ وكان عمر الإمام آنذاك أربعة أشهر واثنين وعشرين يوماً فقط.

---

(١) لمعرفة تفاصيل أكثر عن السيد أحمد (جد الإمام)، يمكن مراجعة الهامش رقم ١١ في نهاية الفصل.

(٢) هناك رسالة تعود لتاريخ ١٣٠٢ هـ. ق تصادق على اجتهاده بتوقيع وختم العالم الجليل السيد محمد هاشم بن زين العابدين، وعدد آخر من كبار العلماء.

(٣) صحيفة (أدب) واحدة من عدة صحف معروفة آنذاك (عام ١٣١٦ هـ. ق)، وكانت =

وفقد الإمام عمته «صاحب خانم» وهو في الخامسة عشر من عمره بسبب مرض الكوليرا، وبعد ستة أشهر توفيت والدته بذات المرض، وهي في سن الخمسين؛ وتم نقل رفاتها إلى مدينة قُم ووريت الثرى في مقبرة (وادي السلام).

أبناء السيد مصطفى (والد الإمام)

حول أبناء السيد مصطفى سمعت من السيد بسنديدة، أنهم كانوا ثلاثة أبناء ومثلهم بنات، وهم حسب الترتيب العُمْري كالآتي:

١ ـ السيدة «مولودة آغا خانم» (١٣٠٥ ـ ١٣٤٣هـ. ق): زوجة الحاج ميرزا رضا نجفي، توفيت في ٢٤ رجب ١٣٤٣ هـ. ق ودفنت في مقبرة (خاك فرج) بمدينة قُم.

٢ ـ السيدة «فاطمة خانم» (ولدت عام ١٨٩٤م).

٣ ـ السيد مرتضى (المعروف بالسيد بسنديدة) (١٨٩٥ ـ ١٩٩٦م): بعد تلقيه الدروس العلمية الأولية في مدينة خمين، انتقل إلى مدينة أصفهان لمواصلة تحصيله العلمي ودرس عند عدد من العلماء الكبار آنذاك، مثل الحاج السيد رحيم أرباب والشيخ علي يزدي وآية الله خاتون آبادي وعاد إلى خمين بعد انهاء مرحلة السطوح وانشغل بالتدريس هناك.. وكانت له علاقات قوية مع الدكتور محمد مصدق وباقي زعماء التحرك الإسلامي ـ الوطني؛ وبعد

= تطبع وتدار في عصر مظفر الدين شاه (قبل مرحلة الحركة الدستورية) ـ من قبل إحدىٰ الشخصيات البارزة في تلك الفترة، وهو أديب الممالك فراهاني، وكان يتقن اللغتين العربية والفرنسية، وكان سياسياً وشاعراً معروفاً. وقد نشر مقال رائع بمناسبة استشهاد السيد مصطفى في هذه الصحيفة بقلم أحد العلماء الفضلاء وهو حجة الإسلام كرماني، وطبع هذا المقال حول متابعة حادث الاغتيال واعتقال واعدام القاتل في العدد١٤٦ من الصحيفة بتاريخ ربيع الأول عام ١٣٢٣هـ. ق.



قرية انارك

انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٤م (المعروفة بانتفاضة الخامس عشر من خرداد ١٣٤٣هـ. ق)، أغضب السافاك بسبب دعمه للإمام الخميني مما أدّى إلى نفيه إلى منطقة انارك[١].

٤ ـ السيد (آقا نور الله)[٢] (١٨٩٧ ـ ١٩٧٦م) المعروف ب (السيد نور الدين هندي)، بعد تلقيه التحصيل العلمي الديني زاول مهنة المحاماة وأصبح في شبابه مديراً لدائرة العدل في مدينة خمين، وقد تعرض آنذاك لمحاولة اغتيال بالسكين وأصيب برئته، وكان يقول بشأن الشخص الذي حاول اغتياله: «لقد عفوت عنه، لا تلاحقوهُ ولا تطالبوا بالدية إن توفيت»!!. كان السيد هندي معروفاً بحسن الأخلاق والتعامل مع مناوئيه وموافقيه على حد سواء.

---

(١) انارك من القرى التابعة لمدينة نائين في محافظة أصفهان وتقع في قلب الصحراء.

(٢) توفي بتاريخ٢٠/٧/١٩٧٦م. ولم يسمح السافاك بإقامة مجلس العزاء على روحه من قبل أسرته واكتفوا باقامة مجلس بسيط له في قُم.



الإمام الخميني ومؤلفة الكتاب



من اليمين: مؤلفة الكتاب، السيدة زوجة الإمام، الإمام الخميني

وبسبب حبه للضيوف وإكرامه لهم كان بيته دائماً ملجأ آمناً لمن يزور خمين. وكان في المقابل من أشد المعارضين لظلم رضا خان وكانت له علاقة جيدة مع المجاهدين ومعارضي النظام الملكي.

٥ ـ السيدة «آغا زاده خانم» (ولدت عام١٩٠٠م)، وهي زوجة الميرزا باقر خان مستوفي.

٦ ـ السيد روح الله (الإمام الخميني)، وهو الابن السادس للسيد مصطفى (ولدفي ٢٠ جمادي الثانية ١٣٢٠ هـ. ق ٢١\١٠\١٩٠٢م) وتوفي في ٣/٦/١٩٨٩م[١].

(١) شرح السيد بسنديدة سبب الاختلاف بين لقب الإمام الخميني والقاب أشقائه. يمكن مراجعة الهامش ١٢ في نهاية الفصل.

القسم الثاني

(لبّيك)

رحلة الحج

أثناء رحلتنا للعراق التي أشرت إليها آنفاً، اقترحت علينا (أنا وأحمد) السيدة زوجة الإمام أن نغتنم هذه الفرصة ونتشرف إلى الحج، ونكمل طريقنا نحو الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، لا سيّما أن السيد أحمد لا يمكنه السفر إلى الحج من إيران بسبب معارضة منظمة الأوقاف الإيرانية المسؤولة عن شؤون الحج، فضلاً عن أن تكاليف الرحلة من العراق أرخص مما عليه إن انطلقنا من إيران. ولكن النقطة الأهم هنا هو عدم امتلاكنا المال الكافي لذلك؛ فاقترحت السيدة (أم أحمد) أن نأخذ المبلغ من الإمام، وقالت لي: «يمكنك أن تطالبي بمهرك لأنه من حقك»، إلّا أني رفضت هذا الاقتراح وقلت: «لن أتقدم أبداً بمثل هذا الطلب». إن ذهابنا إلى الحج كان يتضمن أمرين إيجابيين: الأول أن السيدة أم أحمد سترافقنا في هذه الرحلة، بعد كسب رضا الإمام. والثاني أن هناك خمسة أو ستة أشهر تفصلنا عن موسم الحج وسنضطر للبقاء هذه الفترة الإضافية في النجف.

بعد أن يئست السيدة أم أحمد منّا، أخذت المبادرة وخاطبت الإمام قائلة: «إن أحمد وفاطي (التعبير المدلل لفاطمة) يريدان الذهاب



صورة مؤلفة الكتاب التي قدمت للحصول على تأشيرة الدخول إلى السعودية

والتشرف إلى مكة». فأجابها الإمام: «حسناً ليذهبا، ما المانع»؟ قالت السيدة: «إن ذلك يتطلب أن يكون لديهم نقود». أجاب الإمام: «طبيعي أن يذهب إلى مكة من يمتلك نقوداً». ثم سرد علينا هذه القصة وهو مبتسماً: «سألوا أحد الأشخاص لماذا لم تحارب الحاكم الفلاني المتشدد واستسلمت له»؟ فقال: «هناك الف سبب وسبب لذلك». فقالوا له: «اذكر لنا أحد تلك الأسباب». فقال: «لأني لا أملك سلاحاً». فقالوا له: «يكفي هذا الدليل». أردف الإمام قائلاً: «يقولان أنهما يحبان الذهاب للحج ولكن لا مال لديهما»!!. فقالت السيدة للإمام: «اعطهما المال إذن»!!. فقال الإمام: «لا أمتلك المال اللازم لأعطيهما». فاقترحت السيدة أن يقرضهما الإمام المال الكافي. فرفض الإمام الاقتراح قائلاً: «لا يمكنني ذلك»؛ فسألت السيدة بدهشة: «ولماذا»؟ فقال الإمام: ما داما لا يملكان النقود، فمن أين يريدان أن يسددا القرض؟؛ لأن الأموال التي أريد التصرف بها ليست ملكي الخاص بل إنها من الوجوهات الشرعية ويحق لي أن أقرض بها أي شخص إن علمت أنه يتمكن من إعادتها لي». وعندما تأكدت السيدة أن لا فائدة من هذا الحوار، حافظت على هدوئها وقالت: «أجل، يتعهدان بإعادته». فسأل الإمام مرة أخرى: «ولكن من أين»؟ فلم تصبر السيدة أكثر من ذلك وقالت: «إذن اعطوا السيدة فاطمة مهرها».. بعد أن سمع الإمام ذلك قال: «إن طلبت هي مهرها فسيكون البحث بشكل آخر».

وكانت السيدة قد أخبرتني مسبقاً أن السيدة معصومة (زوجة السيد مصطفى) تمكنت من شراء بيت في قم المقدسة من حق مهرها وأجّرته، لذلك، فإن طلبي لمهري لم يكن أمراً غريباً على الإمام. ولكن مع ذلك كان الأمر صعباً عليّ للغاية.

استمر الحوار بين السيدة والإمام حتى عاد الحديث ثانية عن المهر وغير ذلك، فدخلت على الحوار وقلت: «لم يكن الحديث أصلاً بشأن هذه الأمور. حيث أن السيدة تقول إن شرط الاستطاعة متوفر فيك، وهذه هي أفضل فرصة لتتشرفوا للحج من هنا». وهكذا انتهى الحوار.. بعد يومين أو ثلاثة أيام أخبرنا أحمد انه ينوي إعطاء جوازات السفر للشيخ قرهي لإنجاز الإجراءات اللازمة لعودتنا إلى إيران.

في أحد الأيام، وبينما كنا منشغلين بتناول الطعام، خاطبت السيدة أم أحمد السيد الإمام بحزن قائلة: «سيرحل هؤلاء بعد عدة أيام وسنبقى لوحدنا مرة أخرى». فقال السيد الإمام: «سيبقون». قالت السيدة: «سماحتكم لم يوافق على إعطاء قرض لهم مما اضطر أحمد ليعطي الجوازات للشيخ قرهي حتى يأخذ إذن الخروج ويشتري تذكرة للعودة إلى إيران». فقال الإمام مبتسماً: «طلبت من الشيخ قرهي أن يتريث قليلاً».. انتهى الحوار إلى هذا الحد وشعرنا أن الإمام غيّر رأيه. بعد ذلك قال أحمد لي: «لقد سألني الإمام عن كيفية تسديد القرض مستقبلاً؟ والآن حقاً كيف يمكننا أن نسدد القرض»؟ قلت له: «لدينا عدد من المسكوكات الذهبية التي سنبيعها عندما نعود إلى قُم» (وهي ذاتها التي قُدِّمت لنا هدية في مراسم العقد والزواج من قبل بعض الأقرباء والأصدقاء وأهداها كلها أحمد لي).

خاطبني السيد أحمد قائلاً: «هل تتذكرين عندما قلت لك أن الإمام جاد كثيراً فيما يخص المسائل الشرعية، وهذه واحدة من تلك المسائل». وأخيراً وافق الإمام أن يقرضنا مبلغاً من المال لتغطية نفقات رحلة الحج.

وهكذا قررنا أن نسافر إلى الديار المقدسة برفقة السيد أحمد وحسن وزوجة الإمام والشيخ علي ستاري كدليل مرافق لنا.

بعد إنجاز الإجراءات اللازمة لرحلة الحج، انتابني هاجس آخر تمثل بالفهم الحقيقي لفريضة (الحج)، فلجأت لسماحة الإمام طالبة منه توضيح بعض المسائل والمناسك المرتبطة بالحج. فعمد سماحته لشرح المعاني الرائعة لهذه الفريضة الإلهية بالشكل الآتي: «اسعوا وأنتم في أرض الوحي من أجل تحطيم الأوثان التي نحتّموها بأنفسكم، وركزوا اهتمامكم على الله جلّ وعلا؛ واعلموا، أيضاً، إنكم لن تتحرروا من الشرك إلّا بعد أن تعتقدوا وتؤمنوا حقاً أن ليس هناك مؤثر في العالم غير الله سبحانه وتعالى. وما دمتم تنظرون إلى الموجودات على أنها كيانات مستقلة، فلن تصلوا إلى (التوحيد). وما دمتم لا تعيدون النعم إلى وليّها الحقيقي، فستظلون تكفرون بالنعم الإلهية. ولا بُدّ أن تعتقدوا أن جميع النعم تعود لله وحده. وأن ترسخوا هذا المفهوم في قلوبكم، وهو أن كل دائرة الوجود هي له وحده ولا يوجد غيره من يستحق أن تنسب الأمور له». لقد ترسّخت تلك الإرشادات الرائعة في قلبي وذهني من خلال حديث الإمام حيث لم أكن أمتلك تصوراً صحيحاً وكاملاً عنها ولم أفهم معناها الدقيق، إلّا أني فهمت كم أنا لا أعي حقيقة الدين، وكم أنا في المقابل شائكة في عقائد وتصورات صنعتها بنفسي.

لقد كنت حتى ذلك اليوم أظن أن من يذهب للحج ويصبح (حاجاً) كما يقال، ينبغي أن يتقدم في العمر أولاً، كما يجب أن يظهر تغيير محسوس في سلوكه وكلامه بعد هذه الرحلة، وهذا يعني أن الحاج والحاجّة ليس عنواناً لمن ذهب إلى الديار المقدسة وأدّى فريضة الحج، فحسب، بل يجب أن يدل على حدوث التكامل الروحي والسمو المعنوي للإنسان. لذا فما دمت لم أبلغ العشرين من عمري آنذاك ولم

أبلغ تلك الدرجة اللازمة من السمو المعنوي والروحي اللازمين، فمن المبكر أن أتشرف إلى الحج.

ولكن بعد الإصغاء إلى حديث السيد الإمام، عرفت أن هذا التصور صحيح، من ناحية لأنه كان يعبر عن عدم اطلاعي الكافي حول المسائل الشرعية، ونظرتي للحج على أنه يختلف عن باقي الفرائض والتكاليف الشرعية من ناحية أخرى، بينما كان لا بُدّ لي أن أمتلك نفس هذا الاعتقاد فيما يخص الصلاة والصوم وغيرها من العبادات. أي كان لا بُدّ أن أدرك أن المصلّي ينبغي أن يحصل على السمو الروحي والمعنوي بعد كل فريضة صلاة. فلو اعتقد الإنسان أن الصلاة معراج المؤمن وأنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر، فلا بُدّ له بعد كل صلاة، بمقدار معرفته، أن يبتعد عن السوء والفحشاء والأنانية؛ لذا لا بُدّ أن لا نفكر في الحج بهذا الشكل فقط، بل أن يشمل ذلك باقي العبادات. وهكذا، فإن الحج يعتبر واجب ديني ينبغي أن يؤديه الإنسان عند الاستطاعة وإنَّ توقع الحصول على النتيجة المعنوية من الحج، هو كغيره من الواجبات الأخرى.

فكرت مع نفسي، أنه ما دام الحج هو القصد والعزم، إذن لا بُدّ أن يكون يومنا هذا يختلف عن الأيام الماضية لأننا عقدنا العزم على أمر يمكنه أن يسير بحياتنا إلى جهة معينة ويفتح آفاقاً جديدة أمامنا.

وهكذا حان يوم السفر الموعود. وقد أعطانا الإمام مبلغاً من المال يعرف بـ (زاد الطريق) وقرأ في أذننا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[١]. وهو مايعرف بـ (دعاء السفر)[٢]، وانطلقنا في الرحلة

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٨.

(٢) كانت العادة آنذاك أن يعطى مبلغاً من المال للمسافرين عند الوداع، ولم يكن المبلغ كبيراً ولكنه ذو بركة، كما كانوا يقرأون الدعاء في أذن المسافر حفظاً له.

ونحن بحالة من الحزن والأسف لأننا لن نراهم مرة أخرى، حيث كان من المقرر أن نعود إلى إيران بعد انتهاء رحلة الحج.

وسط البرد الشديد أوائل عام ١٩٧٤، تحركنا بحافلة حديثة نحو مدينة دمشق السورية وذهبنا إلى أحد البيوت الذي كان قد استقر فيه الحاج السيد مصطفى في العام الماضي واستأجرنا غرفة فيه ومكثنا هناك يومين.

أخبرنا السيد ستاري، الذي كان دليلنا ومرشدنا في تلك الرحلة، أن لا نأخذ معنا أشياء إضافية تعرقل تحركنا هناك؛ فتذكرت حديث الإمام علي (ع) حيث يقول: «تخفّفوا تلحقوا»[(١)]. بعد أن اشترى السيد ستاري التذاكر اتجهنا نحو مطار دمشق الدولي وركبنا الطائرة المتجهة إلى مدينة جدة. لم تكن الرحلة طويلة، وخلالها فكرت في كيفية تطهير القلب من الكراهية والشك والاضغان تجاه الآخرين ومن كل شيء إضافي، وتذكرت قول الله سبحانه وتعالى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[(٢)]. ولم يكن ذلك أمراً يسيراً بالطبع. كذلك حينما حلّقت الطائرة واخترقت الغيوم قلت مع نفسي: ليت الإنسان يصنع وسيلة نُخرج من خلالها أرواحنا من أجواء الشك وعدم الاستقرار نحو السكينة والاطمئنان، وقد تكون أمنية صعبة التحقيق لأن الله جلّ وعلا يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(٣)].

وهكذا فإن الانعتاق من أجواء الظلام والحلكة والاستقرار في أجواء نقية سليمة، تستلزم السعي والجهاد والمثابرة والمعرفة. وقد رأيت

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.

بعض الحجّاج يلبسون ملابس الإحرام البيضاء وهم يرددون النداء الخالد: (لبيك، اللهم لبيك..) مما ترك آثاراً عظيمة على الجميع وأدمع عيوننا شوقاً وفرحاً.

حطت الطائرة في مطار جدة واجتزنا الإجراءات الروتينية الإدارية وتم التأكد من سلامتنا البدنية والصحية، وأتذكر أن أحد المسافرين المرافقين قال حينها: «نرجو أن تتأيد سلامتنا في رحلتنا الأبدية نحو الآخرة إن شاء الله».. لفت أنظارنا اقتراح قدمه الدليل العراقي للمسافرين مفاده أن هناك جهازاً يسهّل الاتصال لإخبار العوائل بسلامة الوصول[١]. وأتذكر أن أحد الحجاج أجاب بحالة معنوية وملكوتية خاصة، وصوت متقطع قائلاً: «أيها الأصدقاء، هل وصلنا هدفنا حتى نخبر أسرنا بذلك؟! حيث تفصلنا عن ذلك فراسخ كثيرة».

في مدينة جدة زرنا مرقد السيدة (حواء) أم البشر، ولكن لم تكن تعلوه أية علامة أو شاخص معين، لأن بناء القبور والمزارات ووضع الحجر عليها، يعتبر من علامات عبادة الأموات ومخالف للشريعة الإسلامية برأي مسؤولي الحرمين الشريفين. كما رأيت على ساحل البحر الأحمر مسافرين عزموا الحج بالبواخر وهم يحملون معهم أدوات الطبخ، مثل المواقد المتفاوتة الأحجام، والأسماك المجففة داخل السلال الحصيرية، والحقائب المعدنية المغطاة بالأقمشة، وغيرها.

بعد أداء الزيارة والتجول في مدينة جدة، عدنا إلى المطار ودخلنا إلى صالة كبيرة تسمى بمدينة الحجاج، وهو محل استقرار الحجاج

---

(١) من أجل الاتصال من خلال الهاتف أو التلكس في ذلك الوقت، كان لا بُدّ من مراجعة مراكز الاتصالات السلكية واللاسلكية. وكان وجود مثل هذا الجهاز في المطار أمراً عجيباً!!.

وتجمعهم قبل أن ينتقلوا، عبر الحافلات، إلى مكة المكرمة. كان الطقس حاراً جداً ورطباً للغاية، والحجاج يتحلقون حول لوازمهم وحقائبهم، وكان الانتظار قاسياً ومؤلماً للغاية، والكل يبحث عن المرشدين، إلاّ أننا عملنا باقتراح السيد (ستاري) وتحركنا نحو (الميقات)[١].

لبّيك

استأجرنا سيارة صغيرة وتحركنا إلى أحد المواقيت القريبة من المطار، وهو مسجد الجحفة، وأحرمنا هناك بعد أن شرح لنا السيد ستاري بعض النقاط التي يجب مراعاتها خلال الإحرام، ورفع صوته بالتلبية (لبّيك، اللهم لبيك..) وكررنا بعده ذلك.. وكان كل اهتمامي في تلك اللحظات، ينصب في وجوب أداء الحروف بشكل صحيح وسليم، وأن أفرق بين (الهاء) و(الحاء). فكررنا عبارة التلبية مراراً: (لبّيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) وتحركنا نحو مكة المكرمة؛ وامتلأ وجودي بشوق رؤية المسجد الحرام والكعبة المشرفة لأول مرة في حياتي، وواصلت تكرار التلبية وكنت أفكر لأي شيء نردد التلبية؟ وأي دعوة لله نقول: لبيك اللهم لبيك؟ هل أن هذه الدعوة هي ذاتها دعوة يوم (ألست) التي أجبناها جميعاً بـ (بلى): ﴿...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[٢]؟.. ولو أننا قلنا (بلىٰ) في ذلك اليوم لربوبية الله، فما هي الدعوة التي نلبيها اليوم؟.. واستعنت بما اختزنته من كلام الإمام وقلت: لربما ينبغي أن نقول اليوم (بلىٰ) لوحدانيته.

إن الاعتراف بوحدانية الله يأتي بعد القبول بربوبيته جلّ وعلا،

---

(١) هناك أربع مناطق معروفة كمواقيت للإحرام هي: مسجد يلملم، قرن المنازل، مسجد الشجرة، وادي عقيق والجحفة.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٧٢.

وهذا يعني أنه ينبغي أن نقبل به رباً لنا ومن ثم نقر بوحدانيته. وهكذا، فإن هذه التلبية ليست كسب الإذن للدخول إلى بيت الله فحسب، بل إنها أبعد من ذلك بكثير ويمكنها أن تكون: لبيك لنعمات ورحمات الله الأزلية أو أنها كسب الإذن للقائه والتقرب منه والدخول في عالم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[١].. ومع القبول بهذه المقدمات، فإن الدخول إلى المسجد الحرام هو بداية الطريق و(ليست الكعبة الّا بناء من الحجر حتى لا يضيع الطريق).

وبينما كنت ذائبة في مثل هذه الأفكار، استيقظ حسن من النوم ولفت أنظاري إليه، ولم يمر وقت طويل إلّا ووصلنا إلى (الحديبية)، حدود الحرم من ناحية جدة، ومن ثم دخلنا مكة المكرمة.

استأجر السيد ستاري لنا غرفة في شارع (الشيشة) ووضعنا لوازمنا هناك وتحركنا نحو المسجد الحرام لأداء المناسك، كان الطقس ممطراً، حيث منحت قطرات المطر المنهمرة عظمة إضافية خاصة لبيت الله، ولم تقلل السّحب الداكنة من جمال بيت الله الحرام، فحسب، بل إن هذه السحب بدت جميلة ورائعة، في مقابل نورانية وصفاء سماء بيت الله الحرام.

المسجد الحرام

دخلنا المسجد الحرام؛ ولكي نبدأ بالطواف ينبغي أن نقف أمام الحجر الأسود. وكان السيد أحمد يقول: «إن لمس الحجر الأسود بمثابة وضع اليد بيد الله؛ وهنا تكمن نقطة بدء الطواف واختتامه». المطاف كان مليئاً بالحجيج من كل الأعمار والألوان والأعراق والطبقات والمناصب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

إلّا أنهم جميعاً كانوا منشغلين بالدعاء والتوجه لله سبحانه وتعالى طلباً للرحمة والغفران. وبصعوبة كبيرة أوصلنا أنفسنا للحجر الأسود وبدأنا الطواف من خط الحجر الأسود، بل وقبله بعدة أقدام (للاحتياط) ونحن نكرر ما يردّده الدليل بصوت متقطع وعيون دامعة ونقول: (اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه وتقبله منّي).

انتهى الشوط الأول وبدأنا الشوط الثاني من الطواف حول الكعبة المكرمة، وكل مِنَّا يذكّر الآخر بذلك حتى نؤديه بدقة ولا يختلط الأمر علينا، لأن أي شك في عدد الأشواط يبطل الطواف ويتوجب حينها أن نخرج من بين الجموع لنبدأ الطواف مرة أخرى من نقطة الانطلاق (الحجرالاسود). وهذا العمل في غاية الصعوبة بسبب الازدحام الشديد للحجاج في الطواف.. وحينها تذكرت مقولة السيدة بنت الهدى الصدر التي تقول فيها: إن الطواف حول الكعبة رمز لطواف الإنسان حول هدف معين. وهو يشير، أيضاً، إلى أن الإنسان يجب أن يعود إلى النقطة التي جاء منها». وكانت تقول أيضاً: لو شكّ الإنسان في هذا الطواف المقدس، فلا بُدّ أن يعود إلى نقطة الانطلاق ليبدأ حركته من نقطة البداية.. وهكذا هي الحياة، فلو أن الإنسان سقط في دائرة الانحراف والضلال وخرج عن طريق الشريعة، فلا بُدّ أن يعود إلى البداية متى ما أدرك الحقيقة، ويبدأ حركته من جديد طبقاً للأوامر الإلهية، لأن الله لا يحب الأقدام المتزلزلة وغير الثابتة.

لذلك، فإن الله يأمر بالعودة حتى يقر الإنسان بخطئه ويعود ليجتاز الطريق بأقدام راسخة وصلبة، وهذه العودة هي بذاتها التوبة التي يقول فيها جلّ وعلا: ﴿...وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

كنا نحمل أثناء الطواف كراساً يتضمن أدعية خاصة بكل شوط لنقرأها. وكان الآخرون يفعلون نفس الشيء. وأحياناً كانت الأصوات تتداخل مع بعضها. وكانت علامات الإخلاص والعبودية والرجاء تتماوج في وجوه الطائفين، ولفت أسماعي صوت شجي ومتقطع لشيخ يردد هذا الدعاء بلغة عربية جميلة: (اللهم أدخلني الجنة برحمتك..). وهكذا أنهينا الشوط السابع من الطواف وخرجنا بكل هدوء من صفوف الطائفين واتجهنا نحو مقام إبراهيم ووقفنا خلفه لأداء الصلاة. ...وقفتُ لأصلي مباشرة نحو المكان الذي كنت أصلي باتجاهه عن بُعد منذ سنوات طويلة، والآن أرى نفسي أقف أمامه مباشرة!!.

إن أداء الصلاة في مكان مزدحم بالناس وبعضهم منشغل بالطواف، أمر صعب للغاية ولا يمكن القيام به إلّا بعون الآخرين ومساعدتهم.. حيث بادر عدد من الرجال الأفارقة وبمساعدة أحمد، إلى عمل حلقة بسواعدهم القوية حتى أتمكن من أداء صلاة الطواف خلف مقام إبراهيم. وبعدها خرجت من حلقة هؤلاء الرجال ذوي البشرة السوداء والقلوب البيضاء، تعبة ومرهقة، واتجهت نحو إحدى زوايا المسجد الحرام للاستراحة.

جلسنا على درجات المسجد الحرام وبدأ السيد أحمد يتحدث عن عظمة هذا المسجد وروعة العمل الذي يقوم به الناس في صفوف واحدة ومتراصة، وبنداء واحد بعيداً عن كل لون وعرق، مشيراً إلى أهداف هذه المناسك الإلهية التي يجتمع في ظلها الناس في زمن معين واحد، ويأتي المسلمون من كل فجٍ عميق، يرفعون شعاراً واحداً رغم تفاوت الثقافات واللغات والأعراق والألوان، ويطوفون حول بيت يرتدي رداءاً أسود.. وهو الكعبة المكرمة.

إذن.. الجميع يأتون إلى هنا ليتبادلوا البيعة فيما بينهم، حتى لا

يخرجوا من عبادة الله ويتعاهدوا على احترام نواميس الله ومنها سمعة وكرامة وشرف أبناء البشرية وحقوقهم الإنسانية؛ وتذكرت ما يقوله سماحة الإمام في بحث (الحكومة الإسلامية) في أن جميع الأحكام والقوانين الإلهية جاءت من أجل الوصول إلى التوحيد بشكل جَماعي وليس فردي.

لم ينس السيد أحمد أبداً الثورة وأصدقاءه من رجال الثورة المسجونين، فذكرهم بخير ودعا لهم. كما تذكّر المجاهدين الذين يسعون في كل عام من أجل إيصال نداء الإمام للحجاج ومسلمي العالم ويتحملون المخاطر في هذا الطريق[1]. كذلك تذكّر السيد ناصري الذي تم اعتقاله لهذا السبب في هذه البلاد وقضى عامين في السجون السعودية ..بعد ذلك قمنا من مكاننا واتجهنا نحو المسعى.

المسعى

في البدء وقفنا على أعتاب المسعى لنلقي نظرة عامة على الجموع. حيث أن المسعى يتكون من ممرين عريضين وطويلين. تم إكساء القاع والجدران بالحجر الرخام (المرمر)، كما يتوسط الممرين جداران قصيران يحصران بينهما، في مسافة مترين تقريباً، ممران ضيقان مخصصان لسعي المعاقين وكبار السن الذين يُحمَلون على عربات خاصة. وفي (السعي) يمكن للإنسان أن يمشي على قدميه أو يستخدم أيّة وسيلة أخرى في سعيه، المهم أن يسعى بين الصفا والمروة لسبعة أشواط، والأفضل أن يكون الإنسان في حالة وضوء خلال السعي. في نهاية الممرين يمكن مشاهدة ما تبقى من جَبَليّ الصّفا والمروَة بشكل تلَّيّنِ

---

(١) في عام ١٩٧٠، توجه عدد من تلاميذ الإمام إلى الحج لإيصال نداء سماحته للحجاج. لمعرفة التفاصيل يمكن مراجعة الهامش ١٣ في نهاية الفصل.

منفصلين.. وجموع الناس كانت تتحرك ذهاباً وإياباً خلافاً للطواف الذي يتم حول الكعبة؛ حيث يتحرك الجميع من (مَرْوَةَ) بعشق الوصول الى (الصّفا)، وفي المقابل يتحركون من (الصّفا) ليدركوا (مَرْوَةَ)، بينما في الطواف يتحرك الجميع كتفاً لكتف محتضنين الكعبة وهم يطوفون حولها.

بتوجيه من السيد ستاري صعدنا جبل (الصّفا) ووقف أمامنا وقال: «ردِّدوا النية الواجبة أن نؤدي سبعة أشواط من السعي بين الصّفا والمَرْوَةَ بنية عمرة التمتع قربة إلى الله تعالى». بالطبع نحن جئنا من أجل ذلك بالضبط، ولكن يجب أن نردِّد هذه الألفاظ على لساننا.. وكررنا معه هذه النية وانطلقنا.

أحدهم كان قد قال لي يستحب قراءة دعاء الجوشن الكبير خلال أشواط السعي السبعة لأن فيه ذكر لألف من أسماء الله؛ وآخر قال لي يستحب قراءة المناجاة الخمسة عشرة للإمام السجاد (ع)، ولكن الواجب هو أداء السعي في أشواطه السبعة.

يتذكر كل إنسان في المسعى لا إرادياً السيدة «هاجر» أم إسماعيل التي عمدت إلى التنقل بين الصّفا والمَرْوَةَ بحثاً عن جرعة ماء لوليدها، وقطعت هذه المسافة بتعب وإرهاق ومشقة مرات عديدة، حتى أثمر سعيها وجهدها الذي بذلته؛ والآن.. فإن الملايين من البشر سنوياً يحذون حذوها ويتقفّون أثرها ويكرمون إيثارها العظيم.

بعد إنهاء السعي بين الصفا والمروة لسبعة أشواط أدينا بمقص صغير التقصير (قص مقدار قليل من الشعر والأضافر) ومن ثم عدنا مرة أخرى إلى المسجد الحرام لأداء (طواف النساء).. تحدثت مع السيد أحمد عن هذا الطواف وعظمة المرأة ومنزلتها لدى الله سبحانه وتعالى، ومحورية المرأة في نظام الكون والخلق، إلّا أن كلامي لم يكن دقيقاً برأيه، ووصفه بأنه نابع عن الأحاسيس والمشاعر.

تهيأنا لطواف النساء؛ وكنت أحياناً أشك في عدد الأشواط أو حدوث انحراف في اتجاه كتفي عن الاتجاه المطلوب وكنت أقلق، إلّا أن السيد أحمد كان لا يعجبه مثل هذا الشك والوسواس وكان يتحملني بصبره ورباطة جأشه، ويطمئنني بأن لا داعي لكل ذلك الشك، ويقول: «اطمئني أن العمل الذي يأخذ الإنسان إلى النار هو تضييع حق الناس وهتك حرماتهم وعدم فهم حقيقة الدين، وليس انحراف الكتف قليلاً..».

بعد إنهاء طواف النساء، أدينا صلاة الطواف وانتظرنا حتى يحين وقت صلاة الصبح. وكلما اقترب وقت الصلاة كانت دائرة الطواف حول الكعبة تصغر شيئاً فشيئاً.. ويزداد في المقابل عدد أفراد الشرطة؛ فالبعض منهم كان يمانع من دخول الأفراد الجدد إلى المطاف حتى رفع الأذان. ومع انطلاق صوت المؤذن توقف الطائفون وانضموا إلى صفوف المصلين.. بعد أداء الصلاة خرجنا من المسجد الحرام لنواجه أمامنا البائعين والمحلات وأصحابها الذين ينادون الناس ليشتروا منهم، ليذكّروني بأقربائي وأصدقائي، واحترت ماذا سأشتري لهم، وهناك تذكرت كلام أحدهم الذي كان يقول: «إن شراء الهدايا لا سيّما من مكة المكرمة، من قبل السائرين نحو الحقيقة ومن يعتقد بكل وجوده بأن (الخلق كلهم عيال الله)، هو في الواقع استمرار لذات الحالات المعنوية والمعاني الإلهية».

وادي عرفة

في اليوم الثامن من ذي الحجة أحرَمْنا مرة أخرى وتحركنا نحو وادي عرفة؛ ولم تكن المسافة طويلة إلّا أن الازدحام الشديد في الطريق جعلنا نقطع تلك المسافة التي تستغرق نصف ساعة بعدة ساعات. ووصلنا مساءً إلى صحراء عَرفَة وهو المكان الذي يتوجب على جميع الحجاج إن

يقفوا فيه: من أذان ظهر اليوم التاسع من ذي الحجة حتى غروبه، وهو الوقت الوحيد الذي يجتمع فيه جميع حجاج العالم في مكان واحد.

في صحراء عرفة، ينبغي أن نجد مكاناً لنقيم فيه؛ فأخذ السيد ستاري مكاناً داخل المخيم من أحد (المطوّفين)[١]. فاستقرينا أنا والسيدة أم أحمد ونجلي حسن في إحدى الخيام المخصصة للنساء، واستقر أحمد والسيد ستاري في خيمة أخرى خاصة بالرجال.

إن ظلام الليل وسكونه، زادا من هيبة الصحراء التي قسمت إلى شوارع مرتبة بالخيم البيضاء المنظمة التي صُفَّت على جوانبها. وفي هذا المكان يضيع الإنسان إن ابتعد عن المكان أو فارق الدليل؛ لذا جلسنا أمام خيمتنا.

تذكرت كلام الإمام حول الروح التي تحكم القوانين الإسلامية، وتبادر إلى ذهني أن الروح التي تحكم هذا العمل العبادي، يمكن أن تكون أيضاً تعبر عن تضامن المسلمين وإقرارهم واعترافهم الجَماعي بوحدانية الله سبحانه وتعالى. وهذا المشهد الذي أمامي خير شاهد على أن جميع المسلمين المجتمعين في هذا المكان على مختلف مناصبهم ومواقعهم، متوحدون في ملابسهم البسيطة ومجردون من أية علامة فارقة، وبعيدون عن أي نوع من المراسم الظاهرية، ويملكون أقل الإمكانات.. فهنا رأيت الغني مع الفقير البسيط، والحاكم مع المحكوم، والعالِم مع الجاهل، والجميع يجلسون معاً. بل حتى أولئك الذين لا يفهمون لغة بعضهم البعض، يتفاهمون من خلال الموجات التي تصدر من القلوب، ويتحاورون عبر لغة الإشارة. وأنا بدوري استفدت من هذا

---

(١) تعود الخيام في منى وعرفة إلى عدد من الأشخاص ويقومون بتأجيرها على الحجيج.

التلاحم الروحي والقلبي السائد بين الحجاج، حيث أهدت لي إحدى السيدات الباكستانيات سوارها المرصع بعد أن اخرجته من معصمها إثباتاً لمشاعر المحبة نحوي.

وبشأن سبب تسمية هذه الأرض بعَرفَة يقال إن ذلك يعود إلى أن المسلمين يتعارفون مع بعضهم البعض في هذا المكان. ويقول البعض الآخر إن سبب التسمية يعود إلى أن آدم وحواء تعرفا على بعضهما في هذه المنطقة بعد اخراجهما من الجنة وانزالهما إلى الأرض. كما سمعت أن السبب يعود إلى أن الأمين جبرائيل نزل في يوم عرفة على سيدنا إبراهيم الخليل (ع) في هذه الأرض ودعاه ليعترف بذنوبه وعرّفَهُ على المناسك.. على أية حال، إن أرض عرفة هي وادي مقدس، ومحل الدعاء والمناجاة والإقرار بالتقصير وتجسيد للفلسفة السياسية للحج.

أجل، إن يوم عَرَفَة في أرض عَرَفَة تميز بأجواء خاصة، فالكل كان منشغلاً بالدعاء والمناجاة، إلّا اني لم استفض منه كثيراً بسبب رعايتي لابني الصغير.. والبعض من الحجاج انشغلوا بعد ظهر يوم عَرَفَة، بقراءة دعاء عَرَفَة المنسوب للإمام الحسين (ع)، وقد أعجبت بتلك الحالة المعنوية العالية التي تميزوا بها وهم يقرأون هذا الدعاء وقوفاً في الطقس الحار آنذاك؛ كما سمعت أحد الحجاج يناجي الله قائلاً: «يا إلهي، انت ملجأي عندما أعجز عن قطع الطريق؛ وأنت سندي عندما أرى الأرض تضيق علي رغم، وفي هذا الوادي المقدس أعترف أنني سأهلك وأفنى حتماً إن لم تشملني بلطفك ورحمتك».. وكان يذرف الدموع ويتأوه بشدة وهو يطلب من ربّه أن ينظر إلى ذلَّتِهِ ويرحمه برحمته الواسعة. وقد انجذبتُ إلى تلك الأجواء المعنوية الرائعة وشاركته في نجواه وتوسله.

إن حالة الانقطاع عن الغير والذوبان في الله كانت ظاهرة بكل وضوح في وجوه بعض الحجاج المجتمعين في ذلك المكان، وهنا كان معيار الجمال مختلفاً، حيث ظهرت المكانة والمنزلة في حالة التجرد من المنزلة، والمكانة في حالة عدم امتلاك المكان، كما ظهرت الثروة الحقيقية في التجرد من المال، والثروة والكمال في التجرد عن الذات.. إلى جانب كل ذلك الجمال والعظمة في المكان والزمان، فإن الجميع كان يعاني من قلّة الماء اللازم لإرواء الظمآن والمحافظة على النظافة والطهر الإنساني.

المشعر الحرام

وهكذا انتهى الوقوف في عَرَفَة مع حلول الغروب، وتحركنا نحو المشعر الحرام. وكان الخوف من الضياع والابتعاد عن القافلة يزداد أكثر، وشعر به أغلب الحجيج؛ حيث وصلنا إلى المزدلفة والمشعر الحرام في منتصف الليل، وكنت قد قرأت في القرآن الكريم: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨] وكنت في أشد الشوق للوصول إلى تلك الأرض المقدسة..

جمعنا الحصى في المشعر الحرام لنرمي بها الشيطان في/ منى. والكل كان يبحث وسط ظلام الليل عن الحصى ليرموا بها الشيطان غداً في وضح النهار، وبعيون مفتوحة. ولربما يعرفوا أنه من أجل الوصول إلى الله لا بُدّ من رمي الشيطان الباطني والخارجي، وبالتالي ليظهروا براءتهم ونفورهم منه.

كنا بحاجة إلى تسعة واربعين حصوة، ولكن الدليل اقترح علينا أن نحمل عدداً أكثر من ذلك للاحتياط.. وضعنا الحصى في كيس وعلقناه على رقبتنا. وهكذا أصبحت الحصى التي لا قيمة لها في الأمكنة

الأخرى، ذات قيمة كبرى هنا، فكل الحجاج باختلاف مواقعهم ومناصبهم، انشغلوا بالبحث عنها وسط الظلام الدامس، وانحنوا من أجل حملها من الأرض وجمعوها في الأكياس. وكنت أفكر حينها في أنه لربما أن رمي الجَمرات عمل رمزي يشير إلى أنه من أجل الوصول إلى الله، لا بُدّ من نفي وطرد الشيطان (أو كل شيء عدا الله). لأن النور والظلام، والحسن والقبح، لايجتمعان في مكان واحد؛ إذن لابد من نفي وطرد أحدهما من أجل الوصول للآخر.

قيل لنا: «إن الحصى التي تجمع هناك هي في الواقع بمثابة زينة للناس الذين جاؤوا إلى تلك الأرض من أجل التقرب من الله، وهي، أيضاً، سلاحهم الذي يرمون به رؤوس مظاهر الشرك والكفر وكل معالم الأنانية وحب الذات والعجب.

استيقظت من النوم على صوت المناجاة قبل الأذان، فقد سمعت صوتاً من جانب الخيمة يردد: «إلهي، لو كان ذنبي عظيماً وخطأي كبيراً، فعفوك أكبر من خطأي واوسع من ذنبي. ولو أنك طردتني من مأواك فمن يأويني. ولو أنك لم تسعني برحمتك فبمن آمل إذن».

بعد استماعي لهذا الدعاء تذكرت بحث الشفاعة.. حيث خاطبت السيدة أم أحمد سماحة الإمام يوماً بالقول: «انتظر منك الشفاعة، لأني أعتقد إنك يمكن أن تشفع لي حيث منذ اقتراننا معاً لم أر منك صدور ذنبٍ كبيرٍ، وتهتم دوماً بالمستحبات، لذا فإنك يمكن أن تشفع لي». فأجابها الإمام: «إذن، ابق على هذا الأمل!! ولا بُد لكل إنسان أن يفكر بعاقبة أمره وحياته الأبدية، ويتوجب عليك أن تكسبي أهلية شفاعة المعصومين (ع) في هذه الدنيا، وأنا لا أستطيع أن أقوم بهذا الأمر، ولم أؤد أي عمل يساعدني على ذلك».

بعد شروق الشمس انطلقنا من المشعر الحرام، بينما كان بعض الحجاج من الأخوة أهل السُّنّة تحركوا بعد منتصف الليل، إذ كان الطقس معتدلاً قبل طلوع الشمس، ويمكن للنساء أن يتحركن في منتصف الليل، إلّا أني فضلت أن أبقى حتى نتحرك معاً نحو مِنى. كان ذلك اليوم هو العاشر من ذي الحجة، وهو يوم عيد الأضحى المبارك الذي ينتظره المسلمون، لأن له الدور الأكبر في مناسك الحج.

كان الطريق من المشعر الحرام إلى مِنى مزدحماً للغاية، بحيث فضّل البعض أن يقطعوه مشياً على الأقدام حتى يصلوا أسرع إلى الهدف، إلّا أن هذا الأمر صعب علينا جداً بسبب وجود حسن الصغير معنا.. وأخيراً وصلنا إلى مِنى، وهناك بالإضافة إلى خيام الحجاج، وجدنا عدداً من المباني الخاصة بالمسؤولين والرؤساء ورجال الدولة؛ وكان علينا في مِنى أن نرمي الشيطان الأكبر بالحصى. أدّينا هذا الواجب في اليوم الأول ورمينا الحصى وعدنا فرحين، لأننا لم نهدف بالخطأ رؤوس الآخرين، كما لم تُصب رأسنا حصى الآخرين.. وبينما كنت عائدة إلى الخيمة رأيت عجوزاً ضيعت خيمتها فرافقتها حتى أوصلتها إلى هناك، ولكني في المقابل ضيّعت الطريق إلى خيمتي، ولم تكن هناك أية علامة ترشدني إليها، لأن الخيام تشبه بعضها البعض. كما أن الشمس كانت شديدة الحرارة. وكنت أسير على قدمي، ولم أكن أعرف إلى أين ذاهبة بالضبط، كنت أتحرك في طريق مجهول، وفي الوقت ذاته كنت أفقد طاقتي مع أي قدم أخطوها ولا جدوى منها، وأخشى أن أبتعد أكثر عن خيمتي. وهكذا ذقت الطعم المر للضياع الظاهري، وحينها عرفت أن معرفة الطريق يالها من نعمة كبرى، وكنت أفكر مع نفسي كم هو مر ومؤلم الضياع الحقيقي وعدم تحديد الهدف والمقصد بشكل دقيق... وفجأة رأيت السيد ستاري بين جموع الناس، فأرشدني إلى خيمتي.

ولشعيرة النحر، فوضنا السيد ستاري نيابة عنا ليذبح القربان، وبعدها قصّرنا قليلاً من الشعر وخرجنا من الإحرام، إلّا أننا كنا لا نزال محرومين من شم العطر لعدم اكتمال أعمال الحج.. لذلك تحركنا بعد منتصف الليل نحو مكة المكرمة تنفيذاً لاقتراح الدليل، وقمنا بأعمال الطواف والسعي والصلاة، وعدنا ثانية إلى مِنى.. في اليوم الثاني من بقائنا في مِنى، رمينا الجمرات الثلاث برفقة السيد أحمد.

كانت أوضاعنا جيدة ومناسبة، حتى قبل الانطلاق نحو مِنى وعرفة، إلّا أن الطقس في مِنى كان حاراً جداً، وبسبب قلة الإمكانات الصحية والخدمية، فقد مرض حسن بشدة وأغمي عليه هناك، ولم يُقصّر الحجاج المرافقون لنا، في تقديم أنواع المساعدة، ما أدّى إلى تحسُّن حالته قليلاً. وفي مكة ارتفعت حرارة حسن بشدة ومرض مرة أخرى، وبعد أن أعطيناه دواء خافضاً للحرارة، غط في نوم عميق أثار قلق السيدة أم أحمد كثيراً واحتضنته، فشعرت بخطورة حالته، فأخذه السيد أحمد بسرعة إلى الدكتور كاشاني[١]، وبعد أن فحصه الدكتور تبين أنه بسبب حساسيته الشديدة للدواء الذي أعطي له، ضعفت قواه وأغمي عليه، فكتب له دواءً آخر حسّن من حالته كثيراً.

كذلك، فقد ذهبنا في أحد الأيام التي تلت أيام التشريق، إلى غار حِراء في قمة جبل النور الشاهق، وهو الغار الذي كان رسول الله محمد (ص) يأوي إليه لعبادة الله جلّ وعلا، وينقطع عن الناس هناك

(١) اخبرتنا (السيدة صديقة) ـ شقيقة السيد أحمد ـ التي كانت قد جاءت إلى الحج مع إحدى القوافل الإيرانية، أن الدكتور كاشاني وهو طبيب ماهر ومعروف في مدينة قم المقدسة، موجود معهم في القافلة. وكنا قد اعتدنا أن نأخذ حسن إلى عيادته عند مرضه، وقد فرحنا كثيراً عند سماعنا هذا النبأ.

ليختلي مع نفسه وربه قبل نزول الوحي عليه، حاملاً أول آية من القرآن الكريم وهو ما يشهد عليه المصلون في صلاتهم اليومية.

كما ذهبنا مع السيد أحمد في اليوم التالي إلى مقبرة أبي طالب (رضوان الله عليه) وزرنا مرقد السيدة أم المؤمنين خديجة (رضوان الله عليها)، هذه المرأة العظيمة التي آمنت برسالة زوجها النبي (ص) منذ نزول الوحي، وأعانته في أداء هذه الرسالة الكبرى الخالدة...

كذلك تجول السيد أحمد على عدد من مكتبات مكة المكرمة، ليطّلع على أحدث الكتب المطبوعة في المجالات السياسية والعقائدية وغيرها.

في الأيام الأخيرة من وجودنا في مكة المكرمة، أُصِبتُ أنا أيضاً، بحمى شديدة.. وانطلقنا إلى المدينة المنورة وأنا على هذه الحالة.

المدينة المنورة

في المدينة المنورة اجتزنا الأزقة الضيقة التي كانت تضم بيوت الأئمة (ع)، فالبعض منها تم تخريبه والبعض الآخر على وشك التخريب. وكانت مشاهدة تلك البيوت والأزقة أمراً رائعاً وجميلاً بالنسبة لي.

ساءت حالتي الصحية بشدة في المدينة المنورة، ولم أتمكن من زيارة الحرم النبوي، ولكن في أحد الأيام وبعد إصرار السيد أحمد دخلت حرم رسول الله (ص) بصعوبة، فلم أكن أقوى حتى على السلام أو الوقوف والجلوس ولو للحظة واحدة.. راجعت الطبيب عبثاً مرات عدة، ولم تتحسن صحتي أبداً إلى أن نصحني أحد الأطباء أن أغادر المدينة المنورة سريعاً، إلّا أن عقبات عدة كانت تحول دون ذلك، منها:

أن المسافة التي تفصل المدينة المنورة عن جدة كانت طويلة ويصعب عليّ أن أقطع هذه المسافة بتلك الحالة، بل وحتى لو قررنا الذهاب جواً إلى جدة، فإن شراء تذكرة طائرة في تلك الليلة كان صعب علينا. كما أن السيدة أم أحمد كانت تقول إنها لم تزر بعد المسجد النبوي الشريف والمرقد الطاهر للرسول الكريم (ص) ولا تعرف هل توفق بالزيارة في فرصة أخرى في المستقبل أم لا؟!.. وأخيراً اقترحت السيدة أن تبقى هي في المدينة لفترة معينة ونحن نغادر إلى جدة ومنها إلى سورية ومن ثم إيران، وقالت إننا بالتالي سنفترق في سورية (لأنها كانت ستذهب إلى العراق من هناك). وكان هذا الاقتراح يواجه مشكلة واحدة فقط، وهي أننا سنحتاج إلى السيد ستاري عند مراجعتنا الطبيب في جدة، وكذلك السيدة أم أحمد تحتاجه أيضاً، إن مكثت وحدها في المدينة المنورة. ثم قالت السيدة: «سأذهب إلى بيت السيد لواساني[1] وسيرافقكم السيد ستاري إلى جدة، وبعد أن يطمئن عليكم، يعود مرة أخرى إلى المدينة المنورة»، فتم قبول هذا الاقتراح.

استأجر السيد ستاري سيارة وأوصلنا إلى جدة، واستقرينا في أحد الفنادق. وبعد وصولنا جدة بحوالي نصف ساعة، شعرت بتحسن حالتي الصحية ورغبتي في النزول إلى الشارع وتناول الطعام. فاقترحت على السيد أحمد أن نخرج معاً، فوافق بسرور على ذلك، وخرجنا أنا وأحمد

---

(١) آية الله السيد محمد لواساني من أصدقاء أسرتنا، وكان عنده بيت في المدينة المنورة وهو نجل آية الله السيد أحمد لواساني من علماء طهران الذي كان يقضي عدة أشهر من كل سنة في المدينة المنورة بالنيابة عن آية الله بروجردي لمساعدة السعوديين من الشيعة، وبعد وفاة السيد أحمد لوساني حلّ محله نجله السيد محمد في هذه المهمة.

وبقي حسن عند السيد ستاري في الفندق.. فخلال أيام المرض لم تكن لي رغبة في تناول الطعام. ذهبنا إلى أحد المطاعم وتناولنا الطعام هناك. وهكذا تحسنت صحتي قليلاً، وكانت هذه النزهة الثنائية جذابة كثيراً بالنسبة لي ولا تُنسى أبداً، لأن مثل هذه الفرصة يندر أن تسنح أمامنا، سواء في إيران أو العراق.

لا زلت أتذكر أننا ذهبنا في إحدى المرات (برفقة السيد أحمد ووالدته) إلى مدينة أصفهان، وقد رغبت يومها، أن أتناول الطعام في المطعم هناك، ولكن أجواء المطاعم آنذاك، لم تكن مناسبة لعلماء الدين، مما اضطر السيد أحمد أن ينزلني بالقرب من أحد المطاعم، وقال لي: «اذهبي وتناولي طعامك في المطعم واجلبي لي معك وجبة طعام لأتناولها في مكان آخر..» وهكذا غادرنا في اليوم التالي جدة جواً إلى دمشق.

دمشق

جرّبنا البرد القارص مرة أخرى في مطار دمشق بسبب تساقط الثلوج الكثيف، وتجمعه على الأرض. وكان السيد أحمد يرغب أن ننتقل جواً من دمشق إلى بيروت حتى نراجع الطبيب هناك، لأني كنت لا أزال أعاني من الحمى، إلّا أنني لم أقبل بالفكرة، وكنت أرغب أن نذهب إلى نفس البيت ونأخذ الحقيبة وباقي أمتعتنا وننطلق عبر الحدود البرية إلى بيروت.

وخلال ذلك عرفنا أن الطريق بين دمشق وبيروت مغلقة بسبب تساقط الثلوج الكثيف والبرد الشديد، لذا أجلنا سفرنا حتى يفتح الطريق.. وقد قضينا الليلة الأولى بصعوبة في دمشق، بسبب البرد الشديد

وقلة إمكانات التدفئة المتوفرة وتقنين النفط المستخدم للتدفئة، إثر حرب تشرين[١] بين العرب وإسرائيل.

إن أزمة النفط التي شهدناها في دمشق ذكّرتني بما قاله أخي صادق حول القرار الذي اتخذته الدول العربية بقيادة الملك السعودي خالد بن عبد العزيز خلال حرب تشرين عام ١٩٧٣، بمنع تصدير النفط إلى الأوروبيين بسبب دعمهم لإسرائيل، مما أدّى إلى تأثر الاقتصاد الأوروبي بذلك، وكان يقول: «محطات البنزين لم تتمكن من توفير حاجات الناس من البنزين، وتحولت الطرقات السريعة إلى ملاعب كرة القدم بسبب قلة السيارات التي تسير عليها.. يومها كسر شاه إيران هذه المقاطعة الاقتصادية وضاعف من صادراته النفطية لأوروبا للتعويض عن أزمة النفط هناك».

قضينا عدة أيام في دمشق ننتظر فتح الطريق إلى بيروت، وكنا نسأل صاحب البيت عن ذلك، واستمرينا على هذه الحالة لأسبوع تقريباً.. وخلال تلك الأيام تعرفت على عدد من الزائرات القادمات من إيران من خلال الالتقاء بهنّ في المطبخ المشترك للبيت. وقد طلبن مني في أحد الأيام أن أرافقهن للتسوق، بعد أن شاهدوني أتحدث بالعربية مع صاحب البيت، ففرح السيد أحمد لتحسن حالتي واستعدادي للخروج معهن،

---

(١) اندلعت هذه الحرب في ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣ المصادف للثامن من شهر رمضان ١٣٩٣ هـ. ق بهجوم شنه الجيشان المصري والسوري ضد إسرائيل، واستغرقت الحرب حوالي ثلاثة أسابيع حيث حقق العرب في البدء الانتصارات إلّا أن التدخل الأميركي ودعمه لإسرائيل، قلب الموازين واحتلت إسرائيل الجولان؛ وقد أصدر الإمام بياناً بهذه المناسبة.. يمكن مراجعة الهامش ١٤ في نهاية الفصل.

فوافق أن يبقى مع حسن لعدة ساعات في البيت وأخرج معهنّ إلى السوق.

رافقتُ الزائرات إلى السوق وتجولنا عدة ساعات، وساعدتهن في شراء الأقمشة وبعض الحاجات الأخرى، وكانت تجربة موفقة حيث عدنا إلى البيت عصراً.

وبعد أن أخبِرنا بفتح طريق بيروت، استأجرنا سيارة صغيرة وانطلقنا نحو بيروت إلى بيت خالي الإمام موسى الصدر.

وما أن رأى أحمد خالي (الإمام الصدر) قال له: «أسلّمك بنت اختك سالمة بعد أن قضينا أياماً صعبة في هذه الرحلة».. سأل خالي: «لماذا»؟ فشرح أحمد له تفاصيل مرضي، وقال له: «حقاً كنت أعد الساعات والأيام حتى أوصلها إليكم». وأضاف يقول: «أخبرني الطبيب بعد فحصها، أنها قد تموت إن لم تغادروا المدينة. وقد خفت كثيراً عليها بعد أن رأيت حالات مشابهة، ووفاة عدد من الحجاج بسبب إصابتهم بالحمى!. ودعوت الله أن لا يوفقني مرة أخرى إلى الحج بهذا الشكل»!.. بعد أن أصغى إليه خالي، قال له: «يبدو أنك كنت مريضاً أكثر منها».

وفي نفس اليوم زارنا الدكتور مصطفى شمران وطلب منه خالي أن يأخذ أحمد معه إلى مدينة صور ليستريح قليلاً هناك، وبقيت في بيت خالي حيث تم استدعاء أحد الأطباء الأصدقاء، وأعطاني دواءاً شُفيتُ على إثره.. وبدأنا حينها التفكير بالعودة إلى إيران.

الهوامش

١ ـ **محمد منتظري**: نجل آية الله حسين علي منتظري، من مواليد مدينة نجف آباد بمحافظة أصفهان عام ١٩٤٤، وكان يزاول مهنة الزراعة تزامناً مع تحصيله العلمي الديني.. بعد إنهائه المرحلة الابتدائية وبسبب حبه الشديد للإمام، ومن أجل لقاء سماحته، سافر إلى مدينة قُم والتحق بالحوزة العلمية الدينية في هذه المدينة. وسرعان ما نال الدرجات العلمية العالية بسبب ذكائه الحاد ووعيه العميق. وكان ينظر للحوزة العلمية بأنها ساحة مناسبة لمقارعة اللاعدالة والظلم الذي تميز به نظام الشاه البائد. لذلك، فإنه كان يدرّس الاقتصاد الإسلامي إلى جانب دراسته للعلوم الحوزوية. كذلك كان يدرس في الحوزة العلمية ويحضر الطلبة دروسه بأعداد كبيرة. وكان من خلال خطاباته يسعى إلى توعية الجماهير وتعريفهم أكثر بظلم وجور الشاه البائد إلى أن اعتقل في العام ١٩٦٦ بينما كان يوزع أحد بيانات الإمام الثورية وألقي في السجن ومكث فيه ثلاث سنوات متحملاً أقسى أنواع التعذيب من قبل زبانية الأمن (السافاك). وبعد إطلاق سراحه، واصل نشاطاته المعادية للسافاك وباقي قوى النظام البائد، واستطاع في العام ١٩٧١ أن يهرب من أيدي رجال الأمن ويغادر إلى الخارج.

أقام خلال وجوده في الخارج علاقات جيدة مع مختلف الحركات

التحررية مؤكداً حضوره الفاعل في المخيمات والمعسكرات التدريبية. كان الشيخ محمد منتظري يعتقد بضرورة إزالة الحدود القومية والعنصرية والجغرافية بين المسلمين، وبالتالي تأسيس الأمة الإسلامية الواحدة. بعد ذلك غادر إلى النجف الأشرف واستقر هناك وحضر دروس الإمام الخميني (رض) ولكن بعد فترة غادر النجف.

نظّم الشيخ منتظري إضراباً واسعاً عن الطعام في إحدى كنائس باريس الكبرى ليلفت أنظار الناس إلى ما يجري في إيران من جرائم على يد أزلام الشاه.. وقد وصلت أخبار ذلك الإضراب إلى إيران، مما دفع أهالي طهران إلى تنظيم تجمع جماهيري كبير في تشرين الأول ١٩٧٧ في صحن السيد عبد العظيم الحسني بمدينة «ري» معلنين وجوب عودة الإمام الخميني إلى إيران.

بعد انتصار الثورة الإسلامية عاد الشيخ محمد منتظري إلى إيران وشارك في أول انتخابات برلمانية وفاز فيها نائباً عن مدينة نجف آباد في مجلس الشورى الإسلامي.. واستشهد في الانفجار الكبير الذي نفذه المنافقون في مقر الحزب الجمهوري الإسلامي بطهران بتاريخ ٢٧/٧/١٩٨١م.

٢ ـ **تبلغ مساحة سجادة بهارستان** حوالي ٩٠٠ متراً مربعاً، وتصور بستاناً واسعاً رائعاً في الجمال. أرضية السجادة ذهبية اللون رسمت عليها الأنهار والقنوات والممرات المرصعة بالمجوهرات مثل الياقوت واللؤلؤ. كما أن الأشجار تحمل أوراقاً من الحرير، والأغصان من الذهب والفضة، والفواكه من مختلف أنواع المجوهرات والدرر الثمينة التي كانت موجودة في العالم آنذاك.

أطراف السجادة تمت حياكتها بشكل أرضية مزرعة خضراء استخدم

فيها الزمرّد. وقد اعتاد الملوك الساسانيون خلال الشتاء، أن ينظروا إلى هذه السجادة عندما كانت تخلو الحقول من الأعشاب والأزهار. وكانت هذه السجادة يحتفظ بها في خزانة الملوك الخاصة في المدائن، ولأنها كانت ثقيلة الوزن، فلم يتمكن الإيرانيون من حملها معهم، فوقعت بيد المسلمين العرب وتم تقسيمها بين المسلمين خلال الفتح الإسلامي في العام ١١ للهجرة.

٣ ـ **الحاج الشيخ نصر الله خلخالي**: كان يزاول مهنة التجارة تزامناً مع تحصيله العلمي الديني في النجف الأشرف، وهو معروف بثرائه؛ ولأنه طبقاً للقانون العراقي، لا يحق لغير المواطنين العراقيين امتلاك الأراضي، فإن أكثر أملاك الإيرانيين تم تسجيلها باسم السيد خلخالي. كما أن الشؤون المالية لكبار المراجع مثل آية الله العظمى البروجردي والحكيم والخوانساري، كانت لسنوات طويلة تحت إشراف الشيخ خلخالي، وكان نفس الأمر بالنسبة لمرجعية الإمام الخميني (رض) فيما بعد. وكان نشاطه يراقب من قبل عملاء السافاك في العراق.

الشيخ خلخالي كان من أنصار الإمام الخميني، وهو يتحمل مسؤولية إدارة مدرسة آية الله بروجردي في النجف الأشرف وكربلاء. وقد نفاه النظام العراقي البائد لفترة إلى لبنان وسورية.

وقد توفي في العام ١٩٧٧ في سورية ونقل جثمانه إلى العراق ودفن في إحدى المقابر داخل الصحن الشريف للإمام علي (ع)، وقد شارك الإمام الخميني في مراسم تشييعه وفي مجلس العزاء الذي أقيم له في النجف الأشرف.

٤ ـ ننقل هنا مقتطفات من **خطاب الإمام الخميني** الذي ألقاه بتاريخ

٢٤/ ١١/ ١٩٦٤م ضد المصادقة على لائحة الكابيتولاسيون (منح الحصانة القضائية للمستشارين الأميركان في إيران) وإعلانه الحِداد العام:

(... إيران ليس لها عيد بعد اليوم، لقد حولوا عيد إيران إلى عزاء واحتفلوا بذلك ورقصوا بشكل جَماعي.. لقد باعونا، وباعوا استقلالنا، وأضاؤوا الطرقات احتفاءً بذلك. أجل، فقد استهدفوا عزتنا وأبادوا عظمة إيران... لقد تعاملوا مع الشعب الإيراني على أنه أسوأ من الكلاب الأميركية. ماذا نعمل بهذه المصيبة؟) وأضاف يقول: (أيها السيد، إعلن حالة الخطر! أيها الجيش الإيراني، إعلن حالة الخطر!).

(صحيفة الإمام: ج١ ص٤١٥ و٤١٨).

ثم خاطب سماحته السياسيين والتجار ومراجع النجف وطهران وشيراز قائلاً: (اعلموا أنهم خططوا لنا الكثير وسينفذون ذلك وأقسموا على ذلك. مذنب من لا يصرخ بوجههم).

(نفس المصدر/ ص ٤١٩ و٤٢٠).

وفي نفس الخطاب يعلن الإمام بكل حسم ويقول: (إن أميركا أسوأ من بريطانيا، وبريطانيا أسوأ من أميركا، والاتحاد السوفيتي أسوأ من كليهما).

(نفس المصدر: ص٤٢٠).

ويذكّر سماحته ويقول: (...إن جميع مشاكلنا هي بسبب أميركا! وإن جميع مشاكلنا هي بسبب إسرائيل).

(نفس المصدر: ص٢٤٦).

(إننا لانعترف بهذا القانون الذي وضعوه بانفسهم، كما أننا لا

نعترف بهذا المجلس ولا بهذه الحكومة. إنهم خونة بحق إيران! نعم خونة!).

(نفس المصدر: ص٤٢٦).

انتهى الخطاب دون حدوث أي اشتباك، وتم نسخ الخطاب وتوزيعه في أكثر مناطق إيران. ولكن في منتصف تلك الليلة ألقي القبض على الإمام الخميني من قبل السافاك وشرطة قُم، ونقلوه إلى مطار مهرآباد بطهران، وتم نفيه مباشرة إلى تركية. وفي اليوم التالي أعلن السافاك أنه تم نفي السيد الخميني من إيران.

٥ ـ كتب الإمام الخميني **أجزاءاً من كتاب (تحرير الوسيلة)** عندما كان في مدينة قم المقدسة، وقام بتكميله في تركية. وعمد سماحته في هذا الكتاب، إلى إصدار الأحكام المرتبطة بالجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي من الأمور التي كانت منسية آنذاك. حول سبب تسمية الكتاب بـ (تحرير الوسيلة) يقول آية الله السيد محمد بجنوردي: «عندما جاء الإمام للقاء أبي (آية الله السيد ميرزا حسن موسوي بجنوردي) في النجف الأشرف، سأله أبي: هل أنجزتم أعمالاً علمية في تركية»؟ أجاب الإمام: «أجل، أضفت تعليقاتي على نص كتاب الوسيلة لآية الله السيد أبو الحسن أصفهاني». فسأله أبي: «وماذا أسميته»؟ قال الإمام: «لم أفكر بالاسم حتى الآن»، فاقترح أبي على الإمام إسماً للكتاب قائلاً: «يمكن أن تسميه (تحرير الوسيلة) مثلما هو عليه كتاب (تحرير اقليدس) حتى يبقى هذا الكتاب حياً وخالداً».

٦ ـ بعد عدة سنوات من **وصول الإمام ونجله الحاج السيد مصطفى إلى العراق**، أرسل المسؤولون العراقيون سيارة فيها عدد من رجال

الأمن إلى منزل السيد مصطفى في النجف الأشرف واصطحبوه إلى مكتب رئيس الجمهورية العراقية أحمد حسن البكر حيث تباحثا لعدة ساعات حول مختلف الشؤون، ثم أعادوه إلى منزله. وقد قلق عليه الأخوة بشدة بسبب طول فترة اللقاء حيث اعتبر هذا اللقاء فرصة جيدة ليتعرف المسؤولون البعثيون العراقيون عن كثب على شخصية السيد مصطفى نجل الإمام. بعد هذا اللقاء سافر السيد مصطفى إلى مدينة كربلاء المقدسة والتقى آية الله السيد محمد الشيرازي ونصحه بمغادرة العراق، لأنه شعر خلال لقائه البكر أن حياته معرضة للخطر، فغادر الآخوان الشيرازي العراق إلى سورية، وبعدها انتقل آية الله السيد محمد الشيرازي إلى الكويت. واستقر السيد حسن الشيرازي في بيروت حيث لم يسلم من مؤامرات الحكومة البعثية العراقية، واستشهد هناك على يد أزلام البعث العراقي في نيسان ١٩٨٠.

٧ ـ ولد آية الله العظمى **ميرزا حسن موسوي بجنوردي** عام ١٣١٠ هـ. ق في إحدى قرى بجنورد وكان من نوابغ علماء الشيعة، وقد عرف بنزاهته وتقواه وحفظه للقرآن الكريم وأنسه الشديد بنهج البلاغة والصحيفة السجادية. من الأحداث العجيبة التي شهدها في حياته، اعتقال نجله السيد كاظم بجنوردي زعيم حزب (ملل إسلام) والذي يشغل حالياً منصب (مدير مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى) بتهمة نضاله المسلح ضد نظام الشاه البائد في إيران وصدور حكم الإعدام بحقه من قبل إحدى المحاكم العسكرية. حيث سعى العديد من علماء النجف الأشرف وإيران، حتى لاينفذ هذا الحكم بحق السيد كاظم، ومنها الطلب من والده أن يكتب رسالة إلى الشاه يطالبه فيها إلغاء هذا الحكم، إلّا أنه أعلن: أنه غير مستعد أن يكتب رسالة إلى هذا الخبيث.

وعندما وصل الإمام الخميني من تركية إلى منفاه الثاني النجف الأشرف، حث العديد من العلماء ومنهم آية الله العظمى السيد حسن بجنوردي، الإمام على بدء التدريس هناك. وكان الهدف من ذلك إثبات بطلان ادعاء السافاك في أن الإمام هو عالم سياسي وليس مرجع تقليد. بالطبع، فإن السافاك لم ينس له هذه المبادرة حيث طلب من الحكومة العراقية أن يضيقوا عليه ويخلقوا المشاكل أمامه، منها عدم تمديد إقامته في العراق. إلّا أن هذه المشكلة حلّت بعد تدخل السيد موسى حفيد السيد أبو الحسن أصفهاني مرجع تقليد الشيعة في العالم آنذاك.

من مؤلفات السيد بجنوردي نذكر الآتي:

- منتهى الأصول، دورة كاملة في أصول الفقه.
- القواعد الفقهية، سبعة مجلدات.
- تعليقة على (العروة الوثقى).
- تعليقة على (وسيلة النجاة).
- قولنا في الحكمة (تعليقة على أسفار ملا صدرا).

وقد توفي بالتزامن مع ذكرى مولد السيدة فاطمة الزهراء(ع) عام ١٩٧٣م.

٨ ـ مؤلفات الإمام الخميني (رض):

- شرح دعاء السحر.
- التعليقة على الفوائد الرضوية.
- شرح حديث جنود العقل والجهل.
- مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية.

- تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس.
- شرح الأربعون حديثاً.
- سر الصلاة.
- آداب الصلاة.
- رسالة لقاء الله.
- كشف الأسرار.
- أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية، (مجلدان).
- بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر.
- الاستصحاب.
- التعادل والتراجيح.
- الاجتهاد والتقليد.
- مناهج الوصول إلى علم الأصول، (مجلدان).
- الطلب والإرادة.
- رسالة في التقية.
- رسالة في قاعدة من ملك شيئاً ملك الإقرار به.
- رسالة في تعيين الفجر في الليالي المقمرة.
- فروع العلم الإجمالي.
- موضوع علم الأصول.
- تنزيل العلل التشريعية على التكوينية.
- كتاب الطهارة، (٤ مجلدات).
- تعليقة على العروة الوثقى.
- المكاسب المحرمة، (مجلدان).

- تعليقة على وسيلة النجاة.
- رسالة نجاة العباد.
- حاشية على رسالة الإرث.
- لمحات الأصول.
- رسالة توضيح المسائل.
- تحرير الوسيلة، (مجلدان).
- كتاب البيع، (٥ مجلدات).
- الخلل في الصلاة.
- الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه.
- الجهاد الأكبر أو جهاد النفس.
- تفسير سورة الحمد.
- ديوان شعر.

فضلاً عن مؤلفات عديدة أخرى منها:

- تقارير الدروس.
- الاستفتاءات.
- مجموعة الرسائل واللقاءات والأحكام والخطابات.

٩ ـ **مدرسة أحمدية**: حين انشغالي بتأليف هذا الكتاب التقيت بالحاج السيد أحمد مستوفي (ابن شقيقة الإمام) حيث تحدث لي حول هذه المدرسة قائلاً: «بعد انتصار الحركة الدستورية وتقلد السلطان أحمد شاه منصبه الملكي، تم تأسيس عدد من المدارس في بعض المدن الإيرانية باسم (مدرسة أحمدية)، ومنها مدينة خمين حيث شيدها عدد من الأبرار وأهل الخير. وكانت هذه المدارس تدار بأسلوب

إدارة المدارس الأوروبية من حيث استخدام الطاولات والمقاعد والكراسي ولوحات الكتابة في الصفوف، وبعد فترة تم تعيين ثلاثة أساتذة من طهران وقم المقدسة وخمين، لتدريس الأدب واللغة الفرنسية والمحاسبة، إلّا أن المدرسة عُطّلت بعد فترة من الزمن بسبب نقص الإمكانات المالية. وتوزع طلابها حسب عمرهم ومستواهم العلمي والدراسي، على المدن القريبة لمواصلة دراستهم مثل اراك واصفهان وطهران. وقد درس الإمام الخميني في مدرسة أحمدية. بعد إغلاق المدرسة بقي الإمام الخميني في مدينة خمين بسبب صغر سنه، وواصل دراسته عند خاله (آقا ميرزا محمد مهدي) و(آقا رضا نجفي) وشقيقه الأكبر السيد بسنديدة، قبل أن ينتقل إلى اراك ليواصل دراسته في الحوزة العلمية الدينية في المدينة. وكانت أغلب أسر طلاب مدرسة أحمدية من المتمكنين مالياً.

١٠ ـ تزوجت السيدة **(صاحب خانم)** عمّة الإمام من السيد شكر الله سرلكي من أعيان سرلك. وبعده تزوجت من السيد آخوند ملا محمد جواد (عم هاجر آغا أم الإمام) ؛ ولم ترزق بالأبناء. وبعد استشهاد شقيقها ذهبت إلى طهران للقصاص من قاتل شقيقها (والد الإمام) بمساعدة السيد محمد كمره اي، وبالتالي تطهير خمين من الأشرار، لذلك استأجرت بيتاً في العاصمة واستقرت هناك. بعد استقرارها في طهران أرسلت السيدين بسنديدة وهندي (شقيقَي الإمام) إلى أحد الكتاتيب الذي كان يُدار بأسلوب حديث، وانشغلت هي في متابعة المهمة التي جاءت من أجلها، إلى أن التقت في أحد الأيام مع الصدر الأعظم في بستان (عين الدولة) وخاطبته قائلة: «سنبقى هنا حتى نقتصّ من قاتل شقيقي». وبعد عدة أيام التقت مع محمد علي ميرزا ـ الذي كان ينوب عن والده

مظفر الدين شاه الذي كان قد سافر إلى الخارج في إدارة البلاد ـ في قصر (كلستان) وبالتالي أخذت حكم قصاص القاتل، وبعد تنفيذ هذا الحكم عادت إلى مدينة خمين.

١١ ـ سمعت الكثير عن **السيد أحمد جد الإمام الخميني**، فمثلاً أنه كان معروفاً بأدائه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان والده معروفاً بـ (دين علي شاه) وتعرف على يوسف خان كمره أي في النجف الأشرف. وتوجه لمدينة خمين تلبية لدعوة السيد كمره أي وجمع من الزائرين، لإشاعة الدين الإسلامي ونشر الأحكام الإسلامية هناك.

ويعتقد الحاج آقا أحمد خان مستوفي أن جد الإمام (دين علي شاه) كان من العرفاء السادة الشيعة الاثنا عشرية وهذا اللقب هو يعبر عن طريقته العرفانية. تزوج السيد أحمد بنتاً من مدينة كلبايكان باسم شيرين وبعدها مع بنت من خمين اسمها «بي بي جان خانم» وفي العام ١٣٥٧ هـ. ق تزوج «السيدة سكينة خانم» بنت السيد محمد حسين بيك فرفاهان شقيقة يوسف خان. وكان مهر جدة الإمام «السيدة سكينة خانم» يبلغ عشرين تومان نقداً و١٥ مثقال من الذهب بقيمة عشرين تومان ومقادير من الأدوات النحاسية ومفروشات وأجزاء من أملاك متفرقة في خمين.

يقول البعض إن السيد أحمد كان من طائفة مير حامد حسين هندي مؤلف كتاب (عبقات الأنوار)، إلّا أن السيد بسنديدة لا يعتقد بوجود أي دليل لإثبات ذلك، كما أن السيد مستوفي يؤيده في ذلك.. يقول السيد مستوفي طبقاً لوثائق لديه إن السيد أحمد بعد مرور حوالي ١٢سنة من حضوره في خمين، اشترى من محسن خان أرضاً مساحتها ٥٠٠٠ متراً مربعاً. وخصص جزء منها كمهر لزوجته (سكينة خانم) وتم تشييد عدة منازل على هذه الأرض تتخللها حقول ورياض، ومحاطة بجدران مرتفعة

وبرج للرصد، وأصبحت منذ العام ١٢٥٥ هـ. ق محل لسكن جميع أفراد أسرة السيد أحمد والسيد مصطفى.

وكتب وصيته قبل وفاته، وقسم فيها أملاكه بين أبنائه مع الاحتفاظ بجزء منها لطفله الذي قد يولد بعد وفاته، على أن يصرف هذا المبلغ للأعمال الخيرية إن لم يولد له ذلك. يقول السيد مستوفي: كان السيد أحمد من المقربين لدى حكومة محمد علي شاه الذي كان معروفاً بميوله العرفانية وأصدر له أمراً بذلك في شهر صفر عام ١٢٥١ هـ. ق وأمراً آخر بتاريخ محرم ١٢٥٧هـ. ق.

١٢ ـ أشار **آية الله السيد بسنديدة** في مذكراته، إلى سبب التفاوت الموجود بين ألقاب الإمام وأشقائه قائلاً: «في عام ١٩٢٥ راجعنا أحد موظفي دائرة الأحصاء والأحوال المدنية في بيتنا وطلب منّا أن ننتخب لقباً لنا لم يتكرر من قبل. فأردنا أن يكون ذلك متناسباً مع اسم والدنا السيد مصطفى ليصبح (مصطفوي) فرفضوا ذلك. لذلك انتخبت لقب (هندي)، ولأن هذا اللقب يضمر فيه التبعية للأنجليز فطلبوا أن نغيره، فانتخبت لقب (أحمدي) وهو لقب خالنا، ورفضوا ذلك لأنه لقب عربي، فكتبت عدة القاب فارسية وبعثتها إلى طهران فانتخبوا لي لقب (بسنديدة) وبقي أخي الآخر محتفظاً بلقب (هندي) وحافظ الإمام على لقبه الأول (مصطفوي) لذلك أصبحنا نحن الأشقاء الثلاثة كل منّا يحمل لقباً مختلفاً عن الآخر.

١٣ ـ تم **تكليف السادة ناصري**، الشيخ مرتضى نيكنام، السيد باقر موسوي، علي حكمت، محمد حكمت، السيد هاشم دستغيب نجل آية الله الشهيد دستغيب ومحمد حسن شريعتي في العام ١٩٧٠م، بمهمة نقل نداء الإمام الخميني إلى حجاج بيت الله

الحرام الإيرانيين وغير الإيرانيين، من أنصار ومقلدي سماحته، وسافروا إلى السعودية من أجل ذلك؛ وقد تم اعتقال آية الله ناصري وسجن لمدة سنتين. وفي العام ١٩٧٢م لجأ عدد من أصدقائه إلى أحد علماء النجف الأشرف هو الحاج الشيخ علي كاشف الغطاء (من أحفاد العلّامة كاشف الغطاء) الذي كان عازماً على السفر للتشرف ببيت الله الحرام ضيفاً على آل سعود، ليتوسط لدى المسؤولين السعوديين لإطلاق سراح الشيخ أنصاري من السجن. وقد تم ذلك بعد توسطه لديهم. وعاد إلى النجف الأشرف. كذلك تم اعتقال السيد علي أكبر محتشمي عندما كان يوزع النداء مع زوجته السيدة «فاطمة خضري»، إلّا أنه هرب من أيديهم لفراسته وحنكته. كما أن زوجته الحامل، هربت بصعوبة منهم.

١٤ ـ تزامناً مع **حرب رمضان عام ١٩٧٣** (حرب تشرين)، أصدر الإمام الخميني من النجف الأشرف ثلاثة نداءات خلال أيام ٦ و٧ و١٢/١٠/١٩٧٣م، إلى مسلمي العالم دعاهم فيها إلى التوكل على الله والتمسك بالقرآن الكريم والوقوف إلى جانب القوات التي تدافع عن أرض فلسطين وأن لا يبخلوا بأرواحهم وأموالهم في سبيل الدفاع عن فلسطين، داعياً رؤساء الدول الإسلامية وكل المسلمين، لتوجيه ضرباتهم ضد المصالح الأميركية.

وجاء في النداء مخاطباً الشعب الايراني المسلم قائلاً:

(إن شاه إيران هو الذي جعل الأيادي الإسرائيلية حرة في أنحاء إيران وعرض الاقتصاد الإيراني للخطر، وكما ذكرت بعض الصحف الأجنبية، فإنه أرسل الضباط الإيرانيين ليتدربوا في إسرائيل. أجل إن شاه إيران هو الذي منح النفط الإيراني لأعداء الإسلام والإنسانية ليستخدموه

في حربهم ضد المسلمين والعرب الغيارى. وهو الذي أوجد الغلاء في المجتمع الإيراني، مما أدّى إلى ارتفاع تكاليف الحياة والمعيشة وجعل إيران مهددة بمختلف الأزمات. وأنا أخشى من أن يقدم الأسلحة التي اشتراها من أسياده الظالمين بمليارات الدولارات إلى إسرائيل لتوجه إلى صدور المجاهدين المسلمين. لذا، فإن واجب العلماء الأعلام والمبلّغين، أن يحذروا الناس من الجرائم الإسرائيلية في خطبهم في المساجد والأوساط الدينية).

(صحيفة الإمام: ج٣ ص٦ ـ ٧)

الفصل الخامس

المتميزون

العودة إلى الوطن

بعد سبعة أشهر من فراق الوطن، غادرنا لبنان باتجاه إيران.. حطت طائرتنا في مطار مهراباد بطهران حوالي منتصف الليل وذلك بتاريخ ١٤/ ٢/ ١٩٧٤م. استأجرنا سيارة من المطار إلى مدينة قُم وذهبنا إلى منزل والدي، حيث انقطعت أخبارهم عنّا منذ مغادرتنا العراق لأن الاتصال كان صعباً للغاية في تلك السنوات.

لم نكن نعرف بالضبط كيف جرت الأمور معهم في تلك الأيام، فطرقنا الباب بقلق، فتحت والدتي الباب، وما أن وقعت عيناها علينا أجهشت بالبكاء وذرفت دموع الفرح وهي تبكي بصوت مرتفع وقالت: «كدنا أن نموت بسبب انقطاع أخباركم، فقد جاءنا مرة أحد المسافرين الذي كان قد رآكم في مكة المكرمة، وقال لنا: «لقد رأيتهم مرة واحدة في (منى) حينما كان حسن مغميً عليه وكنتم تضعون الثلج على رأسه». وقال لنا آخر: «رأيت السيد أحمد في (المدينة المنورة) وهويساعد زوجته المنهكة وهما متجهان نحو الحرم النبوي الشريف».. وهكذا مرت علينا تلك الأيام الصعبة ونحن نستقبل مثل هذه الأخبار المؤلمة والمحبطة».

دخلنا غرفة والدي الذي استقبلنا بحرارة ودموعه تتلألأ على وجنتيه واحتضننا بحفاوة وقبّلنا.. وهكذا انتهت رحلة الحج.

بعد عدة أيام من وصولنا والانتهاء من استقبال ضيوفنا ومقربينا،

بدأنا نفكر بكيفية تسديد القرض الذي أخذناه من سماحة الإمام، وقد وفقنا ولله الحمد في جمع المبلغ اللازم وتقديمه خلال فترة قصيرة للسيد بسنديدة (وكيل سماحة الإمام).

بعد فترة حان وقت امتحانات الثلث الثالث من السنة الدراسية، حيث كنت قد امتحنت الثلثين الأول والثاني للصف الثالث المتوسط في العام الماضي، قبل رحلتنا إلى العراق، وكنت أظن أني سأعود سريعاً من النجف الأشرف لأداء امتحانات الثلث الثالث، إلّا أن التقدير كان غير ما توقعنا حيث أدّيت امتحانات الثلث الثالث بعد عام واحد من الموعد المقرر.

وعندما ذهبت إلى المدرسة لاستلام نتيجة الامتحان، وقفت أمام قائمة أسماء الناجحين بكل سرور وغرور، وبدأت في البحث عن اسمي في القائمة، فلم أجده.. استغربت ذلك، وبدأت البحث عن اسمي بكل قلق ورهبة في قائمة الراسبين ولم أجده هناك كذلك. وبعد أن تحطم غروري وتكبّري إثر ذلك، اتجهت نحو مكتب مديرة المدرسة وعيوني مغرورقة بالدموع، وكانت المديرة السيدة «اقدس كاظمي» تعرفني جيداً. فعندما رأتني بتلك الحالة سألتني بكل دهشة: «لماذا تبكين؟»، أجبتها: «لا أصدق أني قد رسبت في الامتحان».. فقالت: «كلّا يا عزيزتي، لا داعي للقلق! لأن تلك القائمة تضم أسماء طالبات المدرسة الرسمية، بينما أنت امتحنت ضمن مجموعة الطالبات من خارج المدرسة، فإن اسمك موجود ضمن قائمة أخرى، وقد نجحت بدرجة جيدة».

بعد انتهاء العطلة وكسب موافقة السيد أحمد، قررت التسجيل في الدروس المسائية لأواصل دراستي.

مخالفة التقاليد

رغم أن الأجواء الثقافية ـ الاجتماعية السائدة في مدينة قُم، آنذاك، كانت قد تغيرت عمّا كانت عليه في السابق، إلّا أن الخطوة التي أقدمت عليها تعتبر نوعاً من مخالفة التقاليد السائدة بنظر بعض المقربين، حيث كان أحد أصدقاء السيد أحمد يكرر القول بأنه ليس من اللائق بالنسبة للإمام أن تحضر كنّته مثل هذه الدروس، لأن أكثر الدروس كانت تقدم من قبل المعلمين الرجال، وأغلب البنات لم تكن تراعي الشؤون الإسلامية. وكان هذا الشخص يصر كثيراً على رأيه ويحاول أن يقنع الآخرين به، مما دعا السيد أحمد أن يقول له في إحدى المرات: «لماذا هذا الإصرار منك؟ وما علاقتك بهذه القضية أصلاً؟».. وأضاف قائلاً له: «لا يمكنني أن أقنع زوجتي أن لا تقوم بذلك».

وهكذا كنت أحضر الدروس عصر كل يوم بعد أن أترك حسن عند السيدة «سكينة سلطان»، وعندما كانت تعتذر عن ذلك لسبب ما، كنت أترك حسن في بيت والدي وأطلب من والدتي أن لا تخبر أحداً عن ذهابي للمدرسة قدر الإمكان خشية أن يزداد عدد المعترضين على ذلك. وفي أحد الأيام حينما كنت أوصي والدتي بذلك خاطبتني بعصبية: «إن كان ما تقومين به أمراً سيئاً فلماذا إذن تذهبين للمدرسة؟ وإن كان جيداً اتركي الآخرين يعرفوا ذلك!!».. وبينما كنّا منشغلين في الجدال والحوار حول الموضوع، تدخل والدي كالعادة وتوسط وانتهى الأمر بخير.

تعرفت في الدرس على سيدة لم تكن تشبهني أبداً من الناحية الثقافية والالتزام بظواهر الشريعة الإسلامية.. حيث كانت قد تربّت في أسرة غير متديّنة بينما كنت مرتبطة بأسرة متديّنة وعلمائية.. وكانت حواراتنا في البدء تدور حول مشكلات الدروس، وقد اختارتني من بين

الجميع لتتحدث معي وتجلس بجانبي، وكنا نجلس معاً خلف طاولة دراسية واحدة.. ومن خصائص هذه السيدة الإيجابية والجيدة، أنها لم تكن تتدخل في القضايا المرتبطة بحياتي الخاصة وأسرتي ولم تكن ترغب في الخوض في مثل هذه الأمور، وبدوري كنت أشعر معها براحة لأنني لم أكن أرغب في أن يتعرف عليّ الآخرون.

كانت هذه السيدة تأتي إلى الصف غالباً بشعر مصفف ومكياج خفيف وتنورة قصيرة، وكان مستواها الدراسي متوسطاً نوعاً مّا. كما أن زوجها كان يعمل موظفاً في شركة النفط ولا بُدّ أن يمكث عدة سنوات في مدينة قُم بسبب ذلك. وكانت أحياناً تشكو عدم وجود تفاهم بينها وبين زوجها، حيث قالت لي يوماً: «أشعر أنك مرتاحة كثيراً في حياتك الزوجية وأغبطك بسبب نجاحك في اختيار زوجك وتفاهمك معه. وقد اندهشت كثيراً عندما قلت لها: «لم أنتخب زوجي، بل رضيت بقرار اتخذه والدي ووالدتي».. كما تعجبت منها كثيراً حينما قالت لي أنها وزوجها كانا يتزاوران خلال عام تقريباً قبل الزواج، ورغم ذلك فإنهما يفتقدان التفاهم الفكري الآن.. ومن هنا بدأت حواراتنا تدور حول الأعراف والتقاليد السائدة داخل أسرتينا. قالت تلك السيدة بهذا الشأن: «عندما جاء زوجي طالباً يدي من أسرتي قال له والدي: «ينبغي أن يتعرف أحدكما على الآخر وتتفقا بشأن حياتكما المستقبلية». وبهذا ترك والدي حق الاختيار لي. وأضافت تقول: «كنا نقضي ساعات طويلة معاً ونخرج إلى الحدائق ودور السينما ونتحادث معاً مطولاً حتى شعرنا بالتالي أن بإمكاننا أن نبدأ حياة جيدة ونشكل أسرة موفقة معاً، لذا اتخذنا قرار الزواج وتم ذلك».

من جانبي قلت لها: «لم يكن لي أي دور في اختيار السيد أحمد، لأنه في الواقع تم اختيارنا من قبل الآخرين؛ وفكّر كل منّا بشأن الآخر

بعد أن قامت بهذه المهمة الأسرتان، ثم أعلن كل منّا قبوله بالآخر، لأن التقليد المتبع في أسرتنا في مثل هذه الحالة، هو أن يعقد اجتماع نهائي بعد حصول الموافقة الأولية يحضره الوالدان وعدد آخر من الأشخاص ذوي التجارب الحياتية الغنية، ويتم خلال الاجتماع دراسة سمعة أسرة المتقدم للخطوبة وأخلاقه بشكل عام، وبالتالي تقييم مختلف الأمور المرتبطة بالشخص المعني وأسرته قبل إصدار الحكم النهائي بشأنه». وقد ذكرت لها بعض الأمثلة ومنها: «تقدم لخطبتي أحد الأشخاص وتمت الموافقة عليه من قبل الأسرة مبدئياً إلّا أن والدي قال: «اثبتت تحرياتي أنه إنسان بخيل ولا يتناسب مع أخلاقك وروحيتك»، لأني كنت قد قلت لوالدي سابقاً إن هناك أختلافاً كبيراً بين أن لا يملك الشخص شيئاً أو أن يكون بخيلاً، حيث يمكن لأي إنسان أن يتلاءم مع الشخص غير المتمكن مالياً ولكن لا يمكن ذلك إطلاقاً مع البخيل.. كذلك تقدم لخطبتي شخص آخر كان مقبولاً من ناحية الأسرة التي ينتسب إليها إلّا أنه لم يكسب رضا والدي لأنه لم يكن يهمه كثيراً الدرس والبحث العلمي؛ حيث قدم والدي شرحاً عن شخصيته قائلاً: «صحيح أنه مشغول بالدراسة إلّا أنه يبدو أكثر اهتماماً بالأمور المادية وجمع الثروة؛ وهو بالتالي لا يتناسب مع اهتمامي وتركيزي على التحصيل العلمي». وكان والدي يقول لي: «مهما بذل هذا الشخص من جهود ليوفر حياةً مرفهة لك، فلا أظنه سيلبي كل رغباتك طبقاً لمعرفتي بك ولن يرضى أي منكما عن الآخر».

وفي إحدى المرات تبادلنا الحديث حول بعض القضايا السياسية ـ الاجتماعية وتحدثت معها عن أنواع الظلم والخيانة التي تحدث في ظل نظام الشاه حسب فهمي للامور آنذاك.

وكانت مثل هذه الأحاديث جديدة على تلك السيدة، بل وتصغي

إليّ بكل شوق واندهاش، وقد قالت لي مرة، «إن زوجي يقول: إن هناك رجل أمن بين كل ثلاثة أشخاص، فلابد أن تخبري صديقتك أن تحتاط في كلامها حتى لا تحصل مشاكل لها.. وهكذا عرفت أنها تنقل لزوجها ما يدور بيننا من أحاديث.. بالطبع فإن أجواء الدرس لم تكن تسمح أبداً لتبادل مثل هذه الأحاديث. كمثال على ذلك، فإن عدداً من الطالبات كن يجلبن معهن إلى الصف صور الفنانين ويتبادلن الكلام حول اختيار ملكات الجمال وكان اهتمام الطالبات ينصب أكثر حول مثل هذه الأمور، كما كانت أكثر عناوين الصحف والمجلات تركز على مثل هذه الأخبار والوقائع.. وأتذكر أن إحدى الصحف كانت قد اختارت هذا العنوان على صفحتها الأولى وكتبت بخط عريض: «هل إن المطربة الفلانية ستقضي عطلة آخر الأسبوع مع الفنان الفلاني؟!».. وكأن هذه القضية تمثل أهم حادثة أو أكبر هاجس يشغل أذهان أبناء المجتمع.

وكنت أسمع أحياناً بعض البنات يتبادلن الأحاديث والأخبار بشأن الحفلات المسائية الخاصة التي حضرنها بكل تفاصيلها.. بالطبع كانت هناك طالبات يتحدثن حول أمور من نوع آخر، ومنها تعرفت في المدرسة على طالبة اسمها «زهراء رباني» ابنة آية الله رباني أملشي كانت تتحدث أحياناً عن الفقر الثقافي للناس وكيف أن النظام الحاكم يسعى حثيثاً من أجل إبقاء الناس في حالة من الجهل.

وهكذا قضيت السنتين الأولى والثانية من الثانوية. أما الصف الثالث الثانوي فإن الدروس كانت كثيرة ومرهقة، وكانت الصعوبة أكثر بالنسبة لي لأني كنت أتحمل مسؤوليات أخرى فضلاً عن الدراسة والتحصيل العلمي.. وكان السيد أحمد يشجعني دائماً على الدراسة

ومواصلة التحصيل العلمي ويوفر لي أفضل أجواء الدراسة ويخصص من وقته للاحتفاظ بحسن ومراقبته بدلاً عني، لاسيما عندما اعتذرت السيدة «سكينة سلطان» لفترة عن القيام بمهمتها بسبب تعرض قدميها للكسر.. اقترح السيد أحمد بعد عطلة عيد نوروز في تلك السنة، أن أذهب صباح كل يوم إلى منزل السيد الإمام وحتى العصر، لأركز على الدراسة هناك بعيداً عن البيت ورعاية حسن، وقد رحبت بهذا الاقتراح وتعهد السيد (مشهدي رضا) العامل المخلص الوفي في منزل سماحة الإمام، بمهمة إعداد غرفة القبو التي كانت معتدلة الحرارة في صيف مدينة قُم الحار والجاف، وتجهيزها لي لأواصل دراستي وتحصيلي العلمي بشكل مناسب.

وهكذا كنت أذهب صباح كل يوم إلى منزل سماحة الإمام وكان السيد مشهدي رضا يجلب لي وجبة الغذاء عندما يحين وقتها وكنت أعود إلى منزلي قبل الغروب، وبهذا الشكل اجتزت السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية وأخذت الشهادة الدراسية النهائية لهذه المرحلة.

حوارات علمية ساخنة

بعد انهاء المرحلة الثانوية، أصر السيد أحمد على أن أواصل دراستي في فرع الطب البشري؛ حيث كان يعتقد أن بإمكاني في هذا الفرع العلمي أن أخدم المجتمع أفضل، لا سيّما النساء. إلّا أني لم أكن أرغب كثيراً في دراسة الطب البشري، لذلك قررت الالتحاق بدروس حرة تقدمها مؤسسة دار التبليغ الإسلامي ـ القسم النسائي ـ حتى يحين موعد امتحان البكالوريا الذي يوفر لمن ينجح فيه فرصة الالتحاق بالجامعات.

كانت دار التبليغ وهي مؤسسة علمية ـ دينية، تدار في مدينة قُم

تحت إشراف آية الله سيد محمد كاظم شريعتمداري[١].. وكان أصدقاؤنا الثوريون لا يؤيدون هذه المؤسسة أوائل تأسيسها ويقولون: إن تأسيس مثل هذا المركز يخدم النظام الشاهنشاهي أكثر ممّا يساهم في نشر وإشاعة المعارف الإسلامية الشيعية، إلّا أنهم توقفوا عن مخالفتهم لهذه المؤسسة بعد مدة من تأسيسها حفاظاً على وحدة صفوف علماء الدين.

وقد نجحت دار التبليغ من خلال تأسيس (دار التوحيد) في توفير فرصة التحصيل العلمي أمام الأخوات في حوزة قُم العلمية، وهكذا حصل تحول ملفت في المجتمع النسوي بمدينة قُم بسبب حضور عدد من الشابات القادمات من آبادان وباقي المدن الإيرانية، مالبث عدد من هذه النسوة أن غادرن مدينة قُم إلى المدن الأخرى من أجل التبليغ الديني بعد تخرجهن من هذا المركز.. وقد قال أحد أصدقاءنا من أصحاب المكتبات في قُم: «إن مراجعة الأخوات للمكتبات وشرائهن للكتب الفقهية التخصصية شكل ظاهرة جديدة في المدينة».

---

(١) وضع حجر الأساس لمبنى دار التبليغ بعد عامين من وفاة آية الله البروجردي تزامناً مع عيد الغدير الأغر في أيار عام ١٩٦٤ في شارع صفائية (الشهداء) بمدينة قُم. وكان بعض الثوريين يقولون إن هذا المركز يمثل نفس الجامعة الإسلامية التي سعى الشاه لتأسيسها وكانوا يعتقدون أن مثل هذه المؤسسة تحُول دون تطور وتقدم النهضة الإسلامية، إلّا أن شخصيات كبيرة من أنصار الإمام والثورة، كانوا ينشطون فيها مثل: السادة مطهري، سبحاني، مكارم شيرازي، السيد موسى الصدر، السيد هادي خسروشاهي، على حجتي، رضا كلسرخي وغيرهم.. سمعت أن السيدين مكارم شيرازي وسبحاني قالا مرة للإمام الخميني: نحن تلاميذك وتعلمنا من سماحتك ضرورة إيجاد تحوّل في الحوزة العلمية، وقد حدث هذا التحول الآن إلّا أن بعض أنصارك يخالفون ذلك، فأجاب سماحته: لا يحق لأي أحد أن يقول أي شيء نيابة عني في نفي أو إثبات ذلك.

كذلك كنت أحضر دروس (النظرة الكونية الاسلامية) للدكتور أحمد بهشتي و(فلسفة الأخلاق) للدكتور أحمد أحمدي، حيث كانا يأتيان إلى قُم من طهران، فضلاً عن حضور درس (الفلسفة المتعالية) للملاصدرا.. ولأن أستاذ الفلسفة كان من ناقدي فلسفة أرسطو، فإن الدرس كان يشهد حواراً جاداً حول الفلسفة المشائية لأرسطو، وكان ذلك مفيداً للغاية بالنسبة لي بشكل عام.

كان المجتمع الإيراني تُغطّيه آنذاك سحب داكنة من الهموم بسبب انتشار الخوف والرعب الشديد بين الناس، فضلاً عن اعتقال وإعدام الناشطين الثوريين؛ وكان البعض يدعو إلى الهدوء والسكون ويحتج على المجاهدين بالقول إن نشاطاتكم تثير غضب الجهاز الحاكم، كما كان بعض المنتقدين للوضع القائم لا يرى إلّا التزام الصمت والسكوت. وفي مثل هذه الأجواء، فإن الدخول في الحوارات والأبحاث العلمية يعتبر عملاً مملاً وغير مجدٍ، فبينما كان العديد من الأشخاص يفارقون الحياة إثر تعذيب جلاوزة النظام الشاهنشاهي، فإن التزام الهدوء والسكون والتركيز على مثل هذه الأبحاث العلمية يعتبر أمراً بعيداً عن الشهامة والرجولة، ولكن ما الحل؟، لأن مثل هذه الأبحاث التي تؤدي إلى تقوية الفكر الديني وتعميقه يمكنها أن تكون عامل تسكين إلى حدٍ مّا.

من الأبحاث التي كان الدكتور أحمد بهشتي يركز عليها في درس (النظرة الكونية) هي أن على جميع المسلمين التعرف على النظرة الكونية الإسلامية. ويعمد بعد ذلك إلى نقد النظرتين الكونيتين وهما (الكينونة) و(الصيرورة) ويقول: «لن نؤيد النظرة الكونية (الكينونة) التي تعني أن نتصور أن لا وجود إلّا للثبات والسكون ولا النظرة الكونية (الصيرورة) التي تعني أن نقبل أن لا وجود إلّا للتغيير والتحوّل؛ بل إننا نعتقد بالنظرة الكونية من النوع الثالث ونقول: إن العالم يكون أحياناً من نوع

(الصيرورة) وأحياناً أخرى من نوع (الكينونة) ؛ لأن العالم، من منظار الإسلام، يتكون من قسمين: الأول عالم الغيب (الثبات) وعالم الشهادة (التغيير).. لذلك، فإن النظرة الكونية الإسلامية تختلف عن النظرة الكونية لهراكليت (الفيلسوف البكّاء) وهيغل وأتباعهم».

إن مثل هذه المباحث بما تتميز به من جاذبية، كانت تفتح أمامي آفاقاً جديدة وتؤدي إلى إثارة أبحاث شيقة في الدرس، لا سيّما الحوار حول الديالكتيك الذي كان مطروحاً بكثرة آنذاك.

إن أسلوب تدريس الأستاذ كان ملفتاً لنظري آنذاك، لأنه خلال المرحلة الثانوية كان المدرس يلقي الدرس والطلاب يدونون ملاحظاتهم، وكنا، فيما بعد، نمتحن في تلك الدروس، ولكن الجو السائد هنا كان بشكل حوار وبحث متواصل، حيث كان الأستاذ يلقي درسه كناقد ويعمد الطلاب بدورهم إلى التباحث معه في القبول بالفكرة المعروضة أو رفضها. وكمثال على ذلك: كان الأستاذ يقول بشأن هذه العبارة (إن كل شيء في طور الصيرورة والتغيير) ما يلي: «هل تعتقدون إن هذه القضية بحد ذاتها هي في طور التحول أم لا؟ فلو قبلتم أن هذه القضية هي ليست في معرض التحول، إذن أقررتم بمبدأ وحقيقة ثابتة وقبلتم لا ارادياً، بمبدأ (امتناع واستحالة اجتماع النقيضين)، ولو قبلتم بتحول هذه القضية، فلا بُدّ أن تقبلوا أن هذه القضية بحد ذاتها، هي في معرض التحول». والمبحث الآخر هو بحث حركة التاريخ وفلسفة التاريخ، حيث كان البعض يقول: «إن مؤيدي النظرة الكونية (الكينونة) وأنصار الديالكتيك فقط يمكنهم أن يفكروا بفلسفة التاريخ».

وفي نقده للماديين كان الأستاذ يقول: كل العقلاء يعتقدون أن مسيرة القافلة البشرية هي معلول لعوامل عديدة، ومنها الإنسان في حركة

التاريخ، إلّا أن الماديين غفلوا ذلك، وكان يستند إلى هذه الآية القرآنية المباركة ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾[1] وغيرها ليستخرج فلسفة التاريخ.

وكانت حصيلة هذه الأبحاث هي أن الجميع كان يشعر بمسؤوليته حيال الوضع المؤسف السائد في المجتمع آنذاك، ولا بُدّ أن نعتبر التغيير في ذلك الوضع هو رسالتنا الإنسانية.

من المباحث الجيدة والمفيدة الأخرى، هو درس (فلسفة الأخلاق) للدكتور أحمدي، حيث كان يقول: «إن الأخلاق هي علم يبحث في الأفكار والسلوك الإرادي أو شبه الإرادي للأشخاص، ولكن ليس من ناحية ما يملكونه بل من ناحية ما يجب أن يملكونه؛ وكان يعتبر المباحث الأخلاقية غير مجدية بالنسبة لمن يعتقد بالجبر سواء كان جبراً علمياً أو فلسفياً أو مادياً أو حتى دينياً.

كما أن مبحث العدالة الاجتماعية كان من الأبحاث الساخنة والشيقة والمثيرة للاستفهام والتساؤل في الوقت ذاته. وكان الأستاذ يعتبر الدفاع عن الكرامة والشرف والمال، قانوناً عامّاً يقبل به كل الأشخاص المتمتعين بالسلامة العقلية.. وكان يقول: «إن الدفاع عن الشرف والعزة يحدث في كل عصر ومن قِبَل أي شعب وبأي شكل من الأشكال، فقد يكون أحياناً من خلال النضال والجهاد والحرب أو من طرق أخرى أحياناً».

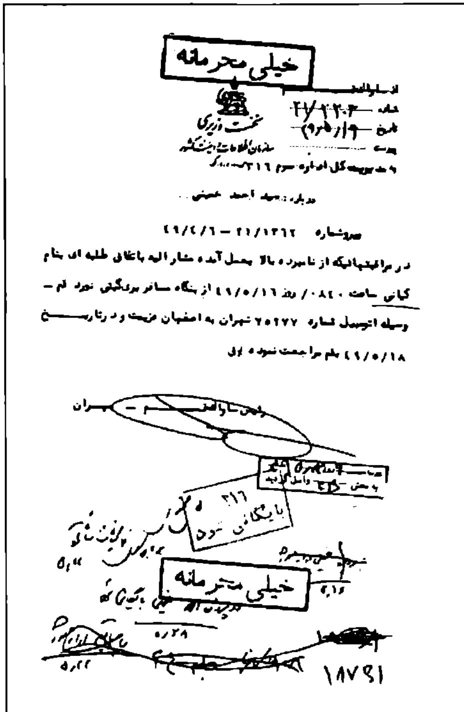
وفي أحد الأيام كتبت إحدى الطالبات هذه العبارة لجان جاك روسو على لوحة الصف قبل مجيء الأخريات: (افتح مدرسة، واغلق

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

سجناً) وكتبت تحتها: (إلّا أن النظام البهلوي يغلق الجامعات والحوزات العلمية ويؤسس السجون بدلاً عنها)، وقد شعرت بعض الطالبات بالخوف من قراءة ما كُتب على اللوحة، فبادرن إلى مسحها بسرعة.

وهكذا كان درس الفلسفة جذاباً بالنسبة لي بحيث غيرت رأيي، فبدل أن أختار دراسة علم الطب قررت أن أواصل دراستي في فرع الفلسفة.


خیلی محرمانه

شماره ۲۱/۱۲۰۳

نخست وزیری
سازمان اطلاعات و امنیت کشور

به مدیریت کل اداره سوم ۳۱۶

درباره: سید احمد خمینی

پیرو شماره ۲۱/۱۲۶۲ – ۴۹/۲/۶

در مراقبتهائیکه از نامبرده بالا بعمل آمده مشارالیه باتفاق طلبه ای بنام کیانی ساعت ۰۸۴۰ / روز ۴۹/۵/۱۶ از بنگاه مسافربری گیتی نورد قم – وسیله اتوبوس شماره ۲۵۲۲۷ تهران به اصفهان عزیمت و در تاریخ ۴۹/۵/۱۸ بقم مراجعت نموده اند.

خیلی محرمانه

۱۸۷۹۱

تقرير السافاك حول إحدى رحلات السيد أحمد الجهادية

ظروف الجهاد

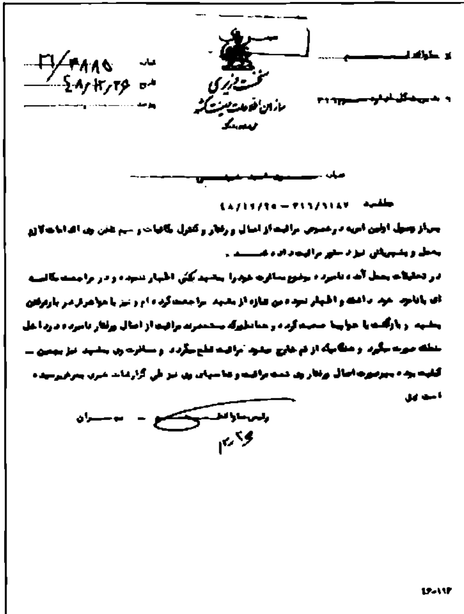
خلال السنوات الأولى من حياتنا المشتركة، كان السيد أحمد يخفي عنّي الأخبار المرتبطة بالجهاد والكفاح ضد النظام الحاكم ونشاطاته في هذا المجال، وكنت أتضجر عندما كان السيد أحمد يضطر أحياناً إلى أن يذهب خارج قُم في أيام العطلة لأداء بعض الأعمال.. وقد قلت له مرة بانزعاج: «إنك لا تهتم بأسرتك، لأنك تنشغل بالدرس والمطالعة خلال أيام الأسبوع وتغادرنا إلى بيوت أصدقائك في أيام العطلة».. فأجابني قائلاً: «إن الأمور ليست كما تظنين، لأن لقاءاتي وسفري خارج قُم هو ضمن عملي».. ولم يوضح أكثر من ذلك. وكنا أحياناً نتجادل معاً بسبب ذلك؛ وكنت أعاتب السيد أحمد بسبب عدم مصارحته لي بشأن نشاطاته الجهادية وسعيه لإبعادي عن هذه الأجواء.

إلّا أنني بعد العودة من العراق، بدأت أطّلع أكثر على جهود السيد أحمد ومساعيه الجهادية وتغيرت نظرتي للحياة، وأصبحت أشعر أن هناك عالماً أكبر مما كنت أظنه، وأن هناك رجالاً كباراً يقومون بأعمال عظيمة وملفتة وهم يحملون في قلوبهم آمالاً وتطلعات يجهدون من أجل تحقيقها ويحرّمون عليهم الحياة الهادئة والمريحة من أجلها، وإن زوجي السيد أحمد أحد هؤلاء الرجال.

بعد مرور عدة سنوات، صارحني السيد أحمد قائلاً: «لقد مرت عليّ سنوات صعبة للغاية، لأني كنت أشعر أنك تظنين أني أتركك بإرادتي وأذهب للتنزه وقضاء الوقت عبثاً، ولم أكن أقدر على أن أخبرك بالحقيقة بسبب الاحتياطات الأمنية.. حيث إنني عندما كنت أودعكما أنت وحسن صباح كل يوم وأغادر البيت، كنت أحتمل أكثر أن ذلك اللقاء هو آخر لقاء بيننا. كما أن اعتقال عدد من أصدقائنا كان يزيد من احتمال القاء القبض عليّ، لذلك كنت التزم الصمت والسكوت من أجل الحفاظ على هدوئك وراحتك إلى جانب رعاية الشؤون الأمنية اللازمة، وكنت أكتفي بالقول إني أذهب للقاء الأصدقاء وزيارتهم في بيوتهم، وفي الوقت ذاته أعطيك الحق أن تنزعجي وتعترضي عليّ بسبب ذلك».

كذلك شرح لي التفاصيل المتعلقة بحادثة إيصال بيانات الإمام الخميني للحدود الباكستانية بالقول: «كان من المقرر أن ترسل آنذاك نسخ من بيانات الإمام الخميني إلى باكستان، فأخذتها إلى المنطقة الحدودية، إلّا أنني أخبرتك أنني ذاهب مع أصدقائي للتنزه.. وكنت أعرف مدى انزعاجك مني بسبب ذلك، وإنك حتماً تتساءلين، لماذا يفضل السفر مع أصدقائه على مرافقتي له في تلك الرحلات؟.. ولكن كنت أفضل أن أتحمل مرارة ذلك على أن أصارحك بالحقيقة، وبالتالي أجعلك تقلقي أكثر، إلّا أنني رغم معرفتي بعدم استحقاقي مثل هذا

الحكم، فقد كنت أرجح التزام الصمت والسكوت واعتبره ضمن المصاعب التي ينبغي تحملها في طريق الجهاد».



تقرير السافاك بشأن ضرورة فرض الرقابة الصارمة على نشاطات السيد أحمد

وهكذا، فإن تعرُّفي على ظروف الجهاد للسيد أحمد وزملائه، كان أمراً قيماً بالنسبة لي رغم الرهبة والقلق والاضطراب الذي يصاحب ذلك. أتذكر أن السيد أحمد عمد في أحد الأيام إلى إقفال إحدى غرف البيت، وكان يتردد لوحده على تلك الغرفة بشكل سري، ويحاول إخفاء ذلك عني مما جعلني أبحث عن السبب وأحاول كشف السر من خلال رؤية داخل الغرفة من النافذة الزجاجية العلوية لها. ولم أشاهد في الغرفة سوى أكوام من الورق، ففكرت مع نفسي أن المحافظة على مثل هذه الأوراق لا يستلزم كل هذه السرية والتحرك غير العلني!.. ولم أتحمّل أكثر وسألته عن ذلك، فلم يجبني بشكل صريح، وقال لي: «الأفضل أن لا تعرفي».. وكنت قد تعودت على مثل هذه الأجوبة، ولم يكن الأمر جديداً بالنسبة لي. وكان السيد أحمد قد قال لي سابقاً: «من الأفضل أن لا تعرفي تفاصيل البرامج والنشاطات التي نقوم بها ولا أسماء الناشطين السياسيين من زملائنا، لأنك ربما تضطرين أن تعترفي بكل شيء تحت ضغط جلاوزة الأمن، وبالتالي تحدث مشاكل لعدد من الرجال بسبب ذلك».. ولكن جوابه هذه المرة لم يقلل من إصراري على

معرفة الحقيقة، لذلك أخبرني السيد أحمد بعد عدة أيام أن أحد بيانات الإمام الخميني كان قد وصل إليهم ولا بُدّ من نسخهِ وتوزيعهِ بين الناس، فاشترينا آلة طباعة وكمية من الورق وأخفيتها في تلك الغرفة، ولأني كنت أعرف أن جميع تحركاتي ونشاطاتي تخضع لرقابة السافاك، لذا كنت مضطراً أن التزم الحذر والاحتياط، وبالتالي إخراجها من البيت».

وقد قال لي السيد أحمد فيما بعد، أن الكتب التي كانت ممنوعة في إيران كانوا ينسخونها وتوزع في الداخل أو ترسل إلى الخارج كما هو الحال في كتاب (حول خدمة وخيانة المثقفين) للاستاذ جلال آل أحمد.

هذا وقد نقل لي شقيقي السيد صادق عن السيد أحمد بشأن كيفية إرسال هذا الكتاب من إيران إلى الخارج حيث كان السيد أحمد قد أخفاه في كمية من خليط المكسرات والموالح التي أرسلها له عندما كان خارج إيران.

المرضعة الفَطِنة

عندما كان السيد أحمد رضيعاً، وبسبب قلة كمية الحليب لدى والدته، اضطرت أسرته الكريمة وبعد توصية الطبيب، أن يبحثوا عن مرضعة له.. وبعد التقصي تم انتخاب السيدة «فاطمة»، التي كانت تسكن بالقرب من بيت الإمام في محلة (يخجال قاضي) وكانت أمها تعمل سابقاً في بيت سماحته، مرضعة للسيد أحمد.. وقد أدّى تناول السيد أحمد من ذلك الحليب إلى أن تسود حالة من المحبة العميقة بينه والسيدة «فاطمة»؛ وكانت تتعامل معه كأحد أبنائها وفي المقابل كان السيد أحمد يسميها (نه نه جان). وكانت هذه السيدة في الأصل من سكان قرية (قلعة جم) في ضواحي قُم. وكنا قد ذهبنا عدة مرات إلى هذه المنطقة في الصيف. وكان أقرباء السيدة «فاطمة» يتجمعون حول السيد

أحمد ويعرفون أنفسهم بأنهم أخوات أو أبناء أخت أو أخوة أو أبناء أخوة السيد أحمد.. وكان هو بدوره يجلس بينهم ويتبادل الأحاديث الشيقة معهم.

وكانت السيدة «فاطمة» امرأة ذكية وفَطِنة وتسعى دائماً من أجل حل مشاكل الناس، رغم أنها كانت قد فقدت إحدى قدميها بسبب إصابتها بمرض السكري، ولكنها واصلت مساعيها لحل هذه المشاكل، لذلك أصبحت معروفة بين الناس، لا سيّما في أوساط بعض العلماء وأعيان مدينتي قُم وطهران.

وكان السيد أحمد قد عمد إلى تركيز نشاطاته الجهادية في فترة من الزمن في بيت السيدة «فاطمة». وكان بيتها يتكون من غرفتين وقبو كان السيد أحمد قد استأجره في الظاهر لصديقه حجة الإسلام الشيخ محمود واحدي، إلّا أنه كان قد وضع هناك أجهزة الطباعة ونسخ البيانات الثورية.

وفي معرض إشادته بفِطنة مرضعتهِ، قال السيد أحمد: «في أحد الأيام كنت مع السيد واحدي منشغلاً في القبو بطباعة بيان للإمام الخميني حيث سمعنا ارتفاع صوت الهاون بشدة، واستمرت تلك الضوضاء حوالي نصف ساعة، وبعد أن أنهينا عملنا خرجنا من القبو وغادرنا البيت بعد التأكد من الوضع الأمني المحيط بنا.. وكانت السيدة (نه نه جان) اعتادت أن تراقب الزقاق المقابل للبيت قبل مغادرتنا للتأكد من خلوه، وتعطي علامة بأن نخرج سريعاً من البيت؛ وبهذا لم يكن أحد يعرف بوقت دخولنا ومن ثم خروجنا من البيت، لأن ترددنا الكثير هناك كان من الممكن أن يثير علامات استفهام أو يسبب مشاكل لأصحاب البيت.. وهكذا غادرنا البيت كالعادة سريعاً دون أن نسأل عن سبب ارتفاع صوت الهاون.. ولكنني سألتها ـ فيما بعد ـ عن ذلك عندما

جاءت إلى بيتنا وقلت لها: أيتها السيدة العزيزة، ما الذي حدث ذلك اليوم.. ألم يكن ممكناً أن تؤجلي استخدام الهاون إلى وقت آخر؟ فأجابت: عندما كنتما في القبو، وصلت شقيقتي السيدة «هاجر» فجأة وجلست في الباحة الخارجية للبيت، وحينها شعرت أن هناك أصواتا تخرج من القبو، فقلت مع نفسي ماذا سأقول إن سألتني السيدة «هاجر» عن مصدر تلك الأصوات وماذا يجري في القبو؟!.. حيث لم يكن أحد يعرف بقضية تأجير القبو من قِبَلكما، مما اضطرني لأن ألجأ إلى الهاون الذي كان موجوداً في أحد أطراف الباحة ووضعت فيه حجارة دون أن تشاهدني، وانشغلت بالدق عليها في الهاون، مما أدى إلى أن تعترض شقيقتي وطلبت مني أن اتوقف عن ذلك لأنها تريد أن تتحدث معي حول قضية معينة، فقلت لها: لا يمكنني ذلك لأنني أريد أن أجهز شيئاً طلب زوجي أن أطحنه في الهاون بسرعة وأرسله إليه؛ مما دعاها إلى مغادرة البيت على أن تعود في فرصة أخرى».

بعد ذلك أعرب السيد أحمد عن إعجابه بفِطنة السيدة «فاطمة» وحفظها للسر وعدم مصارحته قبل ذلك عن إنها تعرف ما يدور في القبو وأنه لم يؤجّر للسكن بل لأمور أخرى.

وظل ذلك البيت إلى فترة من الزمن مركزاً للنشاطات السرية للسيد أحمد وزملائه ولم يتم كشفه من قبل السافاك أبداً، بينما كان بيتنا وهاتفنا مراقبين منذ سنوات من قبل رجال الأمن الإيراني (السافاك).

بعد مرور فترة بدأ السيد أحمد يكلّفني تدريجياً ببعض المهام في إطار الجهاد ومقارعة النظام المستبد البائد، وشعرت بالرّضا المشوب بالخوف بسبب ذلك، ولكوني أقوم بعمل مؤثر ولو كان ضئيلاً في هذا السبيل.

نزهة مختلفة

بينما كنا في أحد الأيام في بيت والدي، وبعد الانتهاء من تناول طعام الغداء، اقترح السيد أحمد أن نعود معاً إلى بيتنا، فسألته مندهشة: «ولم الآن؟ ألم يكن عندك موعد للحوار والبحث؟ كما كان مقرراً أن نكون هنا في وقت العشاء!!».. والأهم من كل ذلك، لم نكن قد اعتدنا أن نسير معاً في الشارع (لانه لم يكن الناس متعودين أن يسير الرجال مع زوجاتهم، لا سيّما علماء الدين، في الشارع)، فهز السيد أحمد رأسه وقال: «لنذهب الآن فوراً وسنعود بسرعة».. تحركنا مشياً على الأقدام نحو بيتنا، وكان من المقرر أن نجتاز شارع (بهار)، إلّا أن السيد أحمد غيّر الاتجاه نحو (المقبرة الجديدة) في المدينة وقال: «لنتجول قليلاً ونذهب إلى المقبرة ونقرأ الفاتحة على أرواح الموتى»!. فقلت مع نفسي: «يا لها من نزهة أن ندخل إلى المقبرة لنقرأ الفاتحة»؟!.. دخلنا المقبرة وقرأنا الفاتحة على عدد من الأموات، ثم سألني: «هل أنت مستعدة لتؤدي مهمة في سبيل مقارعة النظام الشاهنشاهي؟»، فعرفت قصده إلى حدٍ مّا، فأجبته بالموافقة.. ثم أشار إلى مقبرة خاصة من بعيد، وقال: «اذهبي إلى تلك المقبرة وافتحي بابها، وهناك على الرف توجد صورة كهل ميت وإلى جانبها توجد قطعة حجر، ستجدين تحتها ورقة، أرجو أن تجلبيها معك بحذر كامل؛ وعليك أن تراقبي الأمور بدقة، فلو رآك أحد مّا فجأة، فلا تقلقي وحافظي على هدوئك وتظاهري بقراءة الفاتحة؛ ولا تنظري أبداً إلى ما حولك.. وإن أراد أي أحد أن يأخذ الورقة منك، فقاوميه وارفضي تسليمها له، وإن استطعت فاتلفي الورقة وتخلصي منها»!!. وسألني مرة أخرى عن مدى استعدادي لأداء هذه المهمة، فقلت له: «نعم».. وافترقنا.

اتجهت نحو تلك المقبرة، وفتحت بابها القديم بالضغط عليها، ودخلت، وتفاجأت لأن الأجواء هناك كانت مظلمة ورطِبة، فاضطربت

نوعاً مّا، إلّا أنني توجهت إلى عمق المقبرة بكل رعب وخشية، وكنت أسمع أصوات أنفاسي كأن قلبي يريد أن يخرج من مكانه.. بحثت على الرّف لكنني لم أجد الورقة.. فعدت سريعاً وأخبرت أحمد بذلك. فجأة تغير وجه السيد أحمد وقلق بشدة ولم يقل شيئاً. وحاول أن يحافظ على أعصابه ورباطة جأشه، فسألته: «ماذا حصل حسب ظنك»؟ فقال: «لاشيء، أرجو أن لا تخبري أحداً بذلك. وعندما كنا نريد مغادرة المقبرة قال السيد أحمد: «يمكنك أن تعودي إلى بيت والدك، وسألتحق بك بعد انتهاء الدرس»..

عرفت فيما بعد أن الشخص المكلف بوضع تلك الورقة المتضمنة لأحد البيانات قد تم اعتقاله بعد اكتشاف أمره، إلّا أنه قاوم الضغوط ولم يكشف عن زمان ومكان الموعد المتفق بشأنه، لذا لم تحدث لنا أية مشكلة ومرّت الحادثة بسلام!!.

إيصال الرسائل الثورية

سلّمني السيد أحمد يوماً مظروفاً وطلب مني أن آخذه معي إلى طهران وأضعه هناك في صندوق البريد، وأوصاني أن أقوم بهذه المهمة بنفسي(١). وقد ذهبنا برفقة السيد لاهوتي الذي كان ضيفنا في ذلك اليوم إلى طهران؛ وحال دخولنا المدينة طلبت منه أن يتوقف بالقرب من أحد صناديق البريد، فسأل عن السبب قائلاً: «يمكنني أن أنوب عنك لإنجاز أي عمل تريدينه»؛ فقلت: «أريد أن أبعث رسالة عبر البريد». فقال: «لا داعي أن تنزلي من السيارة؛ يمكنني أن أضع الرسالة في الصندوق».. فتذكرت وصية السيد أحمد بأن أقوم بنفسي بوضع المظروف في الصندوق، لذا تذرعت بشتى الذرائع قبل أن أنزل من السيارة لأقوم

(١) إن احتمال كشف صاحب الرسالة في مدينة قُم كان أكثر من طهران.

بوضع المظروف في الصندوق.. ثم تنفست الصعداء وزال قلقي بسبب حملي لتلك الأمانة.

وفي مرة أخرى سافرت إلى طهران وكان المقرر أن أزور السيدة «فهيمة» شقيقة السيد أحمد في بيتها، لذا سلمني السيد أحمد مغلّفاً وطلب مني أن أسلمه للسيد موسوي خوئينيها[١] وأكد أن لا يراني أحد عند قيامي بهذه المهمة.. ولكن بسبب كوني ضيفة، فإن مضيفي لن يتركني أذهب لوحدي إلى أي مكان هناك.

كان بيت السيدة «فهيمة» يقع في شارع (سلطنت آباد)[٢] والمكان الذي تقرر فيه أن التقي السيد موسوي خوئينيها هو مسجد (جوزستان) في شارع (نياوران)[٣].. ورغم أن المسافة التي تفصل المكانين ليست كثيرة، إلّا أنني لم أكن أعرف منطقة نياوران ولا مسجد جوزستان ولم أكن كذلك قد رأيت السيد خوئينيها سابقاً.. لذا كنت أفكر دوماً كيف يمكنني أن أؤدي هذه المهمة بنجاح دون أن يعرف مضيفي شيئاً عنها؛ فقلت: «لابد أن أذهب إلى مسجد جوزستان»، فاقترحوا أن أذهب معهم خلال توجههم عصراً إلى منزل جدتهم.. وهكذا تحركنا معاً، فأخفيت

---

(١) يعتبر السيد محمد موسوي خوئينيها (المولود عام ١٩٤٢م) من علماء الدين المناضلين ومن تلاميذ الإمام الراحل (رض)؛ وقد درس في حوزة قُم العلمية واعتقل بسبب دعمه لسماحته. يعود تاريخ تعرُّفه على السيد أحمد إلى عام ١٩٧٠م حيث قرر حينها أن يعتلي المنبر في مدينة قزوين ويلقي خطاباً حول مرجعية سماحة الإمام؛ وهناك تعرف على السيد أحمد.

بعد انتصار الثورة الإسلامية تقلد مناصب عديدة منها: عضو في الدورة الأولى لمجلس الخبراء عن محافظة زنجان، المدعي العام للثورة الاسلامية، ممثل الإمام الخميني في مؤسسة الإذاعة والتلفزة والحج و... كذلك أسس صحيفة (سلام) قبل أن تتوقف عن الصدور بعد فترة.

(٢) يعرف هذا الشارع حالياً بشارع (باسداران).

(٣) يعرف هذا الشارع حالياً بشارع (الشهيد باهنر).

المغلف الكبير نوعاً مّا تحت عباءتي؛ وعندما وصلنا أمام المسجد، لوح السيد بروجردي (زوج السيدة فهيمة) بيده من داخل السيارة لأحد الرجال مسلّماً عليه وقال: «إنه السيد موسوي خوئينيها من أصدقائنا». وهكذا تخلصت من القلق الذي انتابني بسبب عدم معرفتي بالسيد خوئينيها. نزلت من السيارة واتجهت نحوه، وبعد السلام عليه سلمته المغلف بشكل سري حيث لم يرنا أحد.

ومن الأعمال الأخرى التي كنت أقوم بها في هذا السبيل، قراءة المقالات والبيانات وتسجيلها على الشريط، حيث كان السيد أحمد وزملاؤه يستمعون إليها أثناء قيادة السيارة وهم يتنقلون بين المدن لاداء المهام الموكلة لهم.

اللقاء مع المجاهدين

اعتدنا أن نذهب برفقة السيد أحمد للقاء الشخصيات الثورية المنفية عن مدنها[١]، وكانت هذه اللقاءات تتم بشكل سري وفي أجواء مشوبة بالخوف والرعب.

حينما ذهبنا للقاء آية الله منتظري[٢]، سمعنا أن السافاك كان قد

---

(١) تتميز حياة المنفى بمشاكل كثيرة ليست أقل من السجن، منها الابتعاد عن العائلة والأصدقاء ورفاق الطريق والجهاد والتلاميذ، فضلاً عن رداءة الطقس في المنفى وغيرها. يمكن مراجعة الهامش الاول في نهاية الفصل.

(٢) ولد آية الله الحاج الشيخ حسين علي منتظري (١٩٢٢ ـ ٢٠٠٩ م) في مدينة نجف آباد (قرب اصفهان) ودرس في الحوزة العلمية الدينية وكان من تلامذة سماحة الإمام الخميني (رض)، واعتقل قبل انتصار الثورة الإسلامية بسبب جهاده ضد النظام المستبد ومكث في السجن طويلاً ونفي أيضاً، مراراً إلى العديد من المدن مثل مسجد سليمان وطبس وخلخال وسقز. وتقلد بعد الانتصار منصب رئيس مجلس خبراء الدستور ولعب دوراً مهماً في تدوين دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

طلب منه أن يراجع صباح كل يوم دائرة الأمن ويوقع في سجل الحضور هناك ولكنه كان يقول: «لو كنّا أناساً منصاعين وملتزمي الصمت، لما لجأوا إلى نفينا». لذلك كان رجال السافاك يراجعون بيته يومياً ليرفعوا تقريراً حول نشاطاته وحضوره. وفي أحد الأيام شاهد أحد رجال الأمن أناءً مملوءً بالخيار الطازج الأخضر موضوعاً أمام آية الله منتظري، رغم أن الموسم كان في أوله، فاندهش هذا الرجل وتساءل مستنكراً: «يبدو أن الأمور تسير بشكل جيد هنا، أخبرنا من أين أتيت بالخيار؟»، أجابه الشيخ منتظري: «إن أنصاري رغم ضغوطكم وتهديداتكم، جلبوا هذه الثمار من مكان بعيد، ولا بُدّ أن تأخذوا العبر، لأنكم لا يمكنكم أن تلعبوا بقلوب الناس».

وخلال حضوري هذه اللقاءات عرفت تدريجياً أن السيد أحمد يرتبط بشبكة واسعة من الثوريين ويقوم بتوجيه عدد منهم، وبفضل وعيه وذكائه، يعمل دائماً للحؤول دون كشف نشاطاتهم أو تراجعها. وعرفت أنه كان يغتنم الفرص المتوفرة بأفضل شكل ممكن من خلال الاستفادة من العناصر المناسبة في المكان المناسب، وكمثال على ذلك نذكر هذه الحادثة: بادر النظام الشاهنشاهي إلى إغلاق مكتب سماحة الإمام الخميني في مدينة قُم عام ١٩٦٤ ومنع أعضاء المكتب من الحضور هناك، وبالتالي نفيهم إلى أماكن بعيدة ومتفرقة في البلاد. لذا سارع السيد أحمد إلى معالجة الموقف من خلال دعوة السيد بسنديدة الشقيق الأكبر للإمام ليهاجر إلى مدينة قُم ويدير مكتب سماحة الإمام، لأنه كان يعتقد أن السيد بسنديدة الوحيد الذي يمكنه أن يقوم بهذه المهمة.. وهكذا أقنع السيد أحمد عمَّه أن يغادر مدينة خمين إلى قُم، وبالتالي سلّمه مهمة إدارة مكتب الإمام هناك تدريجياً.

عُرف السيد بسنديدة بشخصيته القوية والمتشددة في الشؤون المالية

وكان حريصاً وحذراً للغاية ومحتاطاً بهذا الشأن، فعندما كان يريد كتابة رسائله الخاصة، كان يعمد إلى إطفاء ضوء مكتب الإمام ويستفيد من النور المنبعث من مصباح صغير خاص به.. لذا، فان إقناعه لقبول هذه المسؤولية لم يكن أمراً سهلاً بل كان يستلزم اتباع أسلوب دقيق وخاص نجح السيد أحمد في ذلك بشكل كامل.

وبعد استقرار السيد بسنديدة في المكتب، كان السيد أحمد يتصرف بشكل يومئ أنه ليس سوى طالب علم بسيط، لا يهمه سوى الدروس والبحث العلمي ولا يتدخل في الشؤون السياسية، بينما كان في الواقع يمارس نشاطاته السياسية والجهادية بشكل سري وبأساليب خاصة به، دون أن يثير الشكوك حوله.

وعندما استقر آية الله السيد بسنديدة في مدينة قُم، اعتاد شقيقه السيد هندي، المعروف بأخلاقه الدّمثة وعلاقاته الاجتماعية الواسعة، وأولاده وأقرباؤه الآخرون على المجيء إلى قُم من خمين أو طهران لزيارته والاطمئنان على صحته، وكانت أكثر هذه اللقاءات تتم في بيتنا بسبب منع السلطات الحكومية التردد على بيت الإمام في مدينة قُم.

أتذكر في إحدى الليالي حيث كان الجميع في بيتنا، شعر السيد بسنديدة بضيق في صدره، فبادر السيد أحمد لاستدعاء الدكتور (ايرج كردستي) ـ وهو من أمهر أطباء قُم ـ عبر الهاتف، وبعد أن فحصه قال: «لحسن الحظ ليست هناك مشكلة في القلب ولا داعي للقلق». وبعد أن سمعت هذا الكلام الطيب من الطبيب قلت للسيد بسنديدة: «لقد سررت كثيراً لهذا الخبر». فقال سماحته: «ولماذا سررت؟»، وأردف قائلاً: «أشكرك على مشاعرك».

وكان السيد أحمد يفرح كثيراً عندما يشاهد أعمامه وأقرباءه في بيته ويستقبلهم بحفاوة بالغة.. وكان الدكتور كردستي أخبرنا، فيما بعد: «بعد

أن اتصلتم بي عبر الهاتف، اتصل أحد رجال السافاك معي وقال: يجب أن لا تذهب إلى بيت السيد أحمد. فقلت له: أنا طبيب المدينة ولا يمكنني أن أرفض طلبهم وأن لا أفحص مريضي، وبالتالي وافقوا على المجيء إلى بيتكم».

وكان بعض الأصدقاء يقولون لنا إن الدكتور كردستي يعمل لدى قوات الدرك الملكي، ولا بُدّ أن تحذروا منه!.. إلّا أن هذا الطبيب كان في غاية الأدب والرحمة والمهارة المهنية ولم يبدر منه ما يجعلنا نشك به، كما أنه لم يبخل علينا بمحبته ولطفه أبداً.

گزارش خبر

۱ ـ به ۳۱۶
۲ ـ از ۱۶
۳ ـ شماره گزارش ۴۴۱۹
۴ ـ تاریخ گزارش ۴۸/۷/۱
۵ ـ پیوست
۶ ـ گیرندگان خبر ۲۱۴ جهت استحضار
۹ ـ تاریخ وقوع اخیرا
۱۲ ـ ملاحظات حفاظتی

موضوع ـ پسر خمینی

شایع است که پسر خمینی با نام مستعار (عزت) در شام مناطق کرد نشین با فراریان ایرانی ارتباط پیدا کرده است ـ.

نظریه منبع: شاید صحیح باشد ـ.

نظریه رهبر: اطلاعی در این زمینه تاکنون واصل نشده ـ.

نظریه ۱۶: نظریه رهبر تأیید میشود ضمنا نیاز به تحقیق است ـ.

تقرير السافاك عن النشاطات الجهادية للسيد أحمد باستخدام اسم مستعار

تقرير السافاك حول التنصت الهاتفي على بيتنا

التعرف على رفاق أحمد في الجهاد

لم أكن أعرف جميع أصدقاء السيد أحمد ورفاقه في الجهاد، لأنّه كان من المقرر أن لا تكشف أسماؤهم، حيث كانوا يتنادون فيما بينهم بأسماء مستعارة. وكنت أعرف البعض منهم نوعاً مّا مثل: آية الله السيد الخامنئي[1].. حيث ذهبنا إلى مدينة مشهد في أول صيف بعد زواجنا، وقد مرضت هناك؛ وطلب السيد أحمد منه المساعدة للعثور على طبيب لمعالجتي، وإذا بالسيد آية الله الخامنئي يحضر برفقة الطبيب. وقد عرفت من كلامهما أنهما يتشاوران دوما في الأمور المتعلقة بالجهاد، كما أنه صديق حميم لخال والدتي السيد جعفر الطباطبائي القُمي ويشتركان في الرؤى في القضايا المرتبطة بالجهاد والنضال ضد النظام الحاكم.. مع الإشارة إلى أن السيد جعفر اعتقل في مدينة مشهد وتوفي في سن الشباب. وقد سمعت من والدتي أن رجال السافاك توجهوا يوماً إلى بيته وطرقوا الباب، فتحت إحدى البنات ذات سبع أو ثماني سنوات الباب وسألوها عن السيد جعفر القُمي، وكانت هذه الطفلة قد سمعت من الكبار عن السجن، فقالت بكل بساطة وسذاجة: «إنكم تريدون اعتقال عمي وتقتلونه، فلن أخبركم عن مكانه، لأني أحبه كثيراً».

---

(١) يعتبر آية الله السيد علي الخامنئي (المولود عام ١٩٣٩م) من تلاميذ الإمام الخميني في الفقه والأصول والسياسة والثورة، وقد اعتقل مراراً في طريق الجهاد ومقارعة النظام الشاهنشاهي المستبد وعذب ونُفي إلى المناطق النائية. وخلال أيام الثورة انتخبه الإمام (رض) عضواً في مجلس قيادة الثورة. وبعد انتصار الثورة الإسلامية أصبح عضواً في مجلس الشورى الإسلامي ومن ثم رئيساً له، كما أنه أصبح ممثلاً للامام الخميني في مجلس الدفاع الأعلى وكذلك رئيس المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ومن ثم رئيساً للجمهورية الإسلامية الإيرانية لدورتين رئاسيتين.

بعد وفاة الإمام الخميني انتخبه مجلس خبراء القيادة لمنصب قائد الجمهورية الإسلامية وكان حينها رئيساً للجمهورية. من مؤلفاته نذكر: حول علم الرجال، ترجمة كتاب «صلح الإمام الحسن (ع)» تأليف راضي آل ياسين، ترجمة كتاب «المستقبل للإسلام» تأليف سيد قطب وغيرها.

ومن الأصدقاء الآخرين ورفاق جهاد السيد أحمد أذكر آية الله هاشمي رفسنجاني[1] وقد سمعت اسمه من السيد أحمد في تلك الفترة التي أراد السيد أحمد إقناعي أن أواصل تحصيلي العلمي في الطب البشري، فقلت له: «كيف يمكن تحقق طلبك عملياً مع هذا الوضع السائد في الجامعات؟!»، فقال: «لا تقلقي، لأن لديّ أصدقاء يمكنهم مساعدتك»؛ وحينها ذكر اسم السيد هاشمي رفسنجاني، وواصل كلامه قائلاً: «يمكنه أن يوفر الظروف التي تضمن تحصيلك العلمي في خارج إيران إن تعذر ذلك في الداخل».

وكان السيد هاشمي رفسنجاني قد عاد لتوّه إلى إيران بعد عدة سنوات قضاها في الخارج رغم قلق زملائه عليه لئلا يعتقل بعد عودته، وقال لهم: «لربما يؤدي اعتقالي إلى تقوية حركة جهادنا ضد الاستبداد».

أمّا زوجته السيدة «عفت مرعشي»، فقد تعرفتُ عليها في بيت حجة الإسلام علي حجتي (صهر خالي) ؛ وكنت أسمع منها أحياناً حكايات عن الشيخ هاشمي رفسنجاني.. فقد قالت يوماً: «سافرت برفقة عدد آخر من زوجات المعتقلين إلى مدينة قُم للقاء أحد المراجع الذين كنا نظن أن السافاك يصغي لكلامه للإفراج عنهم؛ إلّا أننا لم نوفق بلقائه، بل شعرنا عندما خرجنا من بيته أن ثمة هناك من يتعقبنا، فاتجهنا نحو حرم السيدة

(١) يعتبر آية الله الشيخ علي أكبر هاشمي بهرماني (المولود عام ١٩٣٤م) المشهور برفسنجاني، أحد علماء الدين السياسيين البارزين ومن الشخصيات السياسية البارزة في الجمهورية الاسلامية. وهو رابع رئيس للجمهورية الإسلامية خلال سنوات ١٩٨٩ ـ ١٩٩٧م. تم اعتقاله قبل انتصار الثورة الإسلامية عدة مرات خلال سنوات ١٩٦٤ وحتى ١٩٧٨ بسبب نشاطاته السرية ضد النظام المستبد. من مؤلفاته نذكر كتب: أميركبير بطل النضال ضد الاستعمار، تفسير المرشد (راهنما)، سنوات النضال، ومجموعة الذكريات، كما ترجم من العربية للفارسية كتاب (القضية الفلسطينية).

فاطمة المعصومة (ع) هرباً منهم، إلّا أنهم كانوا لنا بالمرصاد حال خروجنا من الحرم، وكشفوا أمرنا، وأخذونا إلى دائرة السافاك في مدينة قُم.. وسألونا هناك عن سبب مجيئنا إلى قُم ولماذا ذهبنا إلى بيت السيد الفلاني وأمثال هذه الأسئلة.. وبعد انتهاء التحقيق معنا أطلقوا سراحنا.. والملفت أننا عندما عدنا إلى بيوتنا في طهران، عرفنا أنهم أطلقوا سراح أزواجنا وكانوا قد وصلوا إلى البيت قبلنا».

ويعتبر حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي كروبي، أحد أصدقاء السيد أحمد ورفيق دربه، حيث درس (الكفاية) لدى والدي ودرس كذلك في كلية الشريعة بجامعة طهران. وقد سجن عدة مرات ونفي لفترة إلى مدينة كنبد كاووس. وفي العام ١٩٦٧م، تم توزيع رسالة الإمام الخميني (رض) إلى أمير عباس هويدا (رئيس الوزراء الإيراني) بين الناس[١] خلال خطاب له في مدينة كاشان، وقد اعتقل بعد ذلك وتم نقله إلى سجن اللجنة الأمنية لمكافحة التخريب. وغادر إلى العراق بعد إطلاق سراحه، لم يمكث هناك طويلاً لعدم تناسب الأجواء هناك مع روحه الثورية وعاد مرة أخرى إلى البلاد وواصل نشاطه وإلقاء الخطابات الإرشادية والثورية التي أدت به مرة أخرى إلى السجن.

في تلك السنة تم اعتقال الكثير من العلماء منهم آية الله الشيخ منتظري والشيخ فاضل لنكراني.. ومن الأصدقاء الآخرين للسيد أحمد هو حجة الإسلام محمد حسن لاهوتي أشكوري حيث رأيته لأول مرة في بيتنا، ولن أنسى شدة فرح السيد أحمد وسروره عندما انضم السيد لاهوتي، فجأة، إلى جمع من الضيوف كانوا متجمعين في البيت حين قال لي معبراً

---

(١) الرسالة المفتوحة التي بعثها الإمام الخميني لأمير عباس هويدا بتاريخ ١٧/ ٤/ ١٩٦٧.

عن فرحه: «إن أحد أصدقائي المقربين قد وصل برفقة زوجته. السيد لاهوتي هو أحد المجاهدين البارزين من أنصار الإمام الخميني (رض)، لقد تحمل الكثير من التعذيب في السجون وأقله إطفاء السجائر على جسمه إلّا أنه بقي صامداً ومقاوماً ورافضاً الاستجابة لطلب السافاك بأن يوجّه أدنى إهانة للإمام الخميني (رض).. ورغم أنهم طلبوا منه أن لا يذكر أبداً اسم الإمام وأسرته، إلّا أنه في اليوم الأول من إطلاق سراحه من السجن، جاء إلى قُم حال سماعه بنبأ هذه الجلسة ليشارك فيها».

كذلك فإن نجله الصغير وحيد(١) الذي كان يشارك في مقارعة نظام الشاه البائد، ألقي القبض عليه وحكم بالإعدام، إلّا أن هذا الحكم لم ينفذ لأنه لم يكن يبلغ آنذاك، السن القانونية وهي ١٨ عاماً.

الصديق الآخر للسيد أحمد ورفيق دربه هو حجة الإسلام السيد مهدي إمام جماراني(٢) وهو متولّي مسجد جماران، وكان غالباً ما يدعو عدداً من الخطباء الثوريين لإلقاء خطابات في هذا المسجد في مختلف المناسبات(٣).

---

(١) بعد انتصار الثورة الإسلامية رأيت وحيدا مرة، حيث جاءنا إلى بيتنا يحمل رسالة من (منظمة المجاهدين) وطلب من السيد أحمد أن يعطيه وقتاً للقاء رجوي. وطلب مني تحديد موعد ليجري لقاءً صحفياً معي ولم يتم ذلك. لقد كان شاباً لطيفاً وودوداً وكان السيد أحمد يحترمه ويقول بشأنه: نحن نحترم مثل هذا الشاب لأنه ضحى بكل شيء في مقتبل عمره للدفاع عن دينه وتحرير بلده.. وكان السيد أحمد يقول له أحياناً: هل لا زال أصدقاؤك يعتقدون أن أصحاب العمائم لا يشعرون بخطر الإمبريالية؟!!.

(٢) قام السيد مهدي أمام جماراني بعد انتصار الثورة الإسلامية بوضع المسجد والحسينية وبيته وبيت شقيقه وشقيقته تحت تصرف الإمام الخميني (رض).

(٣) كان السيد أحمد يتذكر دوماً السيد إمام جماراني وزوجته السيدة فريدة محمدي ومدى استضافتهم الكريمة لضيوفهم وبعضهم كانوا من السياسيين الناشطين وتحملهم لشتى المشاكل والمصاعب بسبب ذلك.

الصديق الآخر للسيد أحمد ورفيق دربه، هو حجة الإسلام السيد محمد موسوي خوئينيها. بعد نفي الإمام الخميني (رض) ذهب السيد خوئينيها إلى النجف الأشرف إلّا أنه عاد إلى قُم بعد عام واحد بسبب رفض السلطات العراقية تمديد إقامته هناك.. بعد ذلك غادر قُم إلى طهران وأقام في مسجد جوزستان في خيابان نياوران درساً لتفسير القرآن الكريم الذي كان يحضره الشباب بكثرة. وبعد اتساع نشاطاته ألقي القبض عليه ومكث لعدة أشهر في سجن اللجنة الأمنية ضد التخريب (لجنة مشتركة من السافاك والجيش والشرطة والدرك) ثم نقل إلى سجن أوين المركزي، حيث بعث من هناك نداءً إلى السيد أحمد من خلال زوجته السيدة (محبوبة خانم) أن يغادر إيران. وقد غادر السيد أحمد البلاد برفقة السيد محمد منتظري سراً عبر الحدود الباكستانية. وكنت أراه أحياناً في بيتنا؛ وفي إحدى المرات كان السيد أحمد قد أخبر السيد خوئينيها هاتفياً، أن ملابسك تمت خياطتها وهي جاهزة في محل السيد عرب بور أرجو أن ترسل شخصاً لأخذها من هناك أو أبعثها لك. بعد مدة اعتقل السافاك السيد خوئينيها وسألوه في التحقيق عن تلك الملابس ومن يخيطها، وأين، ومن يوصلها إلى طهران.. حيث كانوا قد شكّوا في أمرها وأن تلك الجمل التي قالها السيد أحمد هي ليست سوى شفرات سرية بينهما، وأصروا عليه في التحقيق أن يكشف السر من ورائها!!.

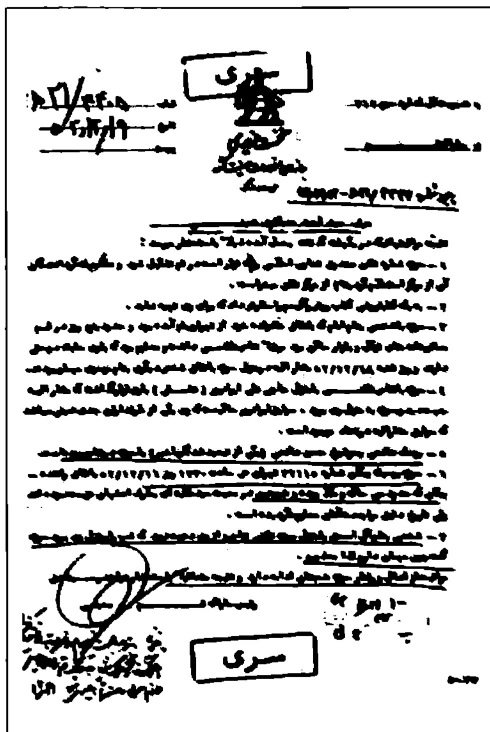
وانقل حادثة أخرى عن تنصت السافاك على المكالمات الهاتفية: ففي إحدى المرات طلب السيد إشراقي صهر ـ الإمام الخميني (رض) ـ من شقيقته عبر الهاتف أن تبعث لهم إحدى (السلاطين). أحضره السافاك وسألوه عن ما هو قصده من (السلاطين)؟ فأوضح السيد إشراقي أن أهل

قُم اعتادوا على دعوة العمال الخدم بكلمات معينة، إما تُستخدم لوحدها أو تُلحق بأسمائهم فللرجال الخدم تستخدم غالباً هذه الكلمات: (مشهدي، كربلائي واوستا) وللنساء الخادمات تستخدم كلمات (سلطان أو ننه أو مشهدي) وهكذا. وكان يقصد بالسلاطين إحدى هذه السيدات التي طلبها لتساعد زوجته في البيت.

ومن الأصدقاء المقربين الآخرين هو حجة الإسلام السيد محمد خاتمي؛ حيث كنت أراه في منزل السيد صدوقي أو في بيتنا أحياناً؛ وبعد زواجه من ابنة خالتي السيدة «زهرة صادقي» توثقت علاقاتنا العائلية، وكانت أكثر البيانات التي تكتب ضد النظام المستبد البائد بقلمه.

ويعتبر حجة الإسلام محمد منتظري الصديق الآخر للسيد أحمد الذي رأيته لأول مرة في بيروت في أول رحلة لنا إلى لبنان، وقد أشرت إليها آنفاً.

والصديق الآخر للسيد أحمد هو حجة الإسلام والمسلمين علي أصغر مرواريد الذي مكث لفترة في السجن قبل أن ينفى إلى مدينة خلخال (شمال غرب إيران)، وقد سافر أخي جواد برفقة السادة كروبي وحسن صانعي وموسوي خوئينيها للقائه في المنفى، وكانت هذه اللقاءات مؤثرة كثيراً على معنويات المنفيين ومفرحة لهم، وقد نقل أخي جواد عن السيد مرواريد أنه قال: «كلّما كان يأتي ضيف لزيارتنا يسأله السافاك عن شخصية الضيف القادم، وكنت أرفض ذكر أسماء الضيوف، كما كان يطلب من ضيوفه أن يخبروا باقي الشخصيات المنفية أن يرفضوا التوقيع يومياً في سجل الحضور لأن السافاك سيتمادون في طلباتهم إن لبينا الطلب الأول لهم.


سري

سري

تقرير السافاك حول نشاطات الحاج شاطر
(علي إيرانبور)

والشخص الآخر في هذه المجموعة من الأصدقاء هو الحاج علي إيرانبور المعروف بـ (حاج شاطر) وكان يعمل خبازاً في مدينة قُم ويملك سيارة خاصة من نوع مرسدس يضعها غالباً تحت تصرف السيد أحمد وأصدقائه ليستفيدوا منها في رحلاتهم وتوزيع البيانات الثورية في المدن.. وكان السافاك قد أحضروه مرة وقالوا له: «أنت خباز وهؤلاء الذين تصادقهم ليسوا من صنفك، فما هو الرابط بينك وبين أمثال أحمد الخميني وجواد الطباطبائي وموسوي خوئينيها، فهؤلاء طلبة حوزة علمية وجامعيون؟! وعليك أن لا تصادق أحداً إلّا إن كان من الخبازين أو القصابين»!!.

اعتاد (الحاج شاطر) أن يشتري عدداً من البطيخ الأصفر في الصيف ويرسلها إلى الإمام الخميني في النجف الأشرف لأنه كان يعرف أن سماحته يحب هذه الفاكهة الصيفية، ولا يوجد مثل جودتها في العراق، وكان السيد أحمد يقول مازحاً: «إن حاج شاطر يعتبر هذا العمل نوعاً من النضال ضد النظام المستبد لأن السافاك لو اطلع على ذلك لأحضره للتحقيق معه حتماً.. وقد بعث الإمام نداءاً له أن لا يقوم



من اليمين: الحاج شاطر، حسن، والدي والسيد أحمد

بمثل هذا العمل لأنه لا يرضى أن يتأذى أحد بسببه، ولكنه كان يقوم بذلك بكل عشق.

أتذكر ان حاج شاطر هو الذي علمني مبادئ قيادة السيارة بسيارته الخاصة. ففي أحد الأيام وبينما كنت أتمرن على القيادة انحرفتُ بالسيارة عن الشارع الأصلي خشية الاصطدام بشاحنة كبيرة كانت قادمة من الأمام،



السيد أحمد واقفاً بجانب سيارة الحاج شاطر

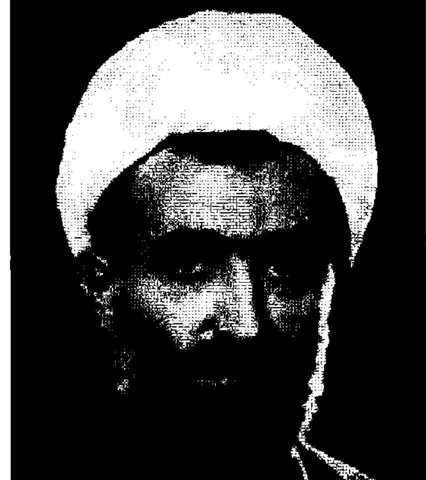
وسقطنا في منخفض صغير مما أدى إلى إصابته برأسه وخروج الدم من أنفه، إلّا أنه تحمل كل ذلك برحابة صدر ولم يغضب أو يشكو من ذلك أبداً.

وكان السيد أحمد يصادق عدداً آخر من الأشخاص ويشاركهم هموم الجهاد ضد النظام المستبد، وكنت قد سمعت بأسمائهم فقط مثل: آية الله عبد الرحيم رباني شيرازي، آية الله محمد مهدي رباني املشي، آية الله الشيخ حسن صانعي، وحجج الإسلام الشيخ فضل الله محلاتي والشيخ محمد علي رحماني اللذين كانا مع السيد أحمد في دروس البحث والحوار في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فضلاً عن السادة محمود دعائي، أسد الله خادمي، محمد حسن شريعتي المعروف بشيخ الشريعة، الشيخ املائي وأحمد مولايي وغيرهم.

الصديق الآخر للسيد أحمد ورفيق دربه الجهادي هوآية الله عباس علي روحاني الذي تعرف عليه في عام ١٩٧٢م عندما زاره في بيته في محلة يخچال قاضي بمدينة قُم وأخبره أن الشيخ رفسنجاني عرّفه عليه ليؤمّن قسطاً من الحاجات المادية والمالية للجهاد ضد النظام المستبد البائد، من مصادر غير الوجوه الشرعية وسهم الإمام قدر الإمكان، وكان الدكتور بهشتي هو الذي عرّف الشيخ هاشمي رفسنجاني على الشيخ روحاني.

من الأشخاص الذين كان السيد أحمد قد التقى بهم سراً هو الدكتور علي شريعتي.. ففي أحد الأيام وصل الدكتور شريعتي إلى مدينة قُم بدعوة من عدد من علماء الحوزة، واشترك السيد أحمد في الجلسة الحوارية المهمة معه. كذلك حضر السيد أحمد في جلسة أخرى عقدت بطهران بحضور عدد آخر من العلماء والشخصيات مثل الدكتور بهشتي

والدكتور محمد مفتح[١] وحجة الإسلام موسوي خوئينيها والأستاذ محمد تقي شريعتي، وتم التحاور حول المسائل الاعتقادية.



آية الله املشي



آية الله السيد الخامنئي

(١) ولد الدكتور محمد مفتح (١٩٢٨ ـ ١٩٧٩م) في مدينة همدان، وهو من تلامذة الإمام الخميني (رض) الذي عانى الكثير في طريق الجهاد ومقارعة النظام المستبد البائد سجناً وتعذيباً.. وأصبح إماماً لمسجد قبا عام ١٩٧٦م وكان هذا المسجد من أبرز المساجد التي لعبت دوراً مهماً في الثورة الإسلامية وكان أحد معاقلها الرئيسية.. وقد أعلن الدكتور مفتح في عام ١٩٧٧م أن صلاة عيد الفطر ستقام على أرض القيطرية (شمال طهران)، مما دعا القوات المسلحة ورجال الأمن للنظام البائد إلى احتلال المنطقة بشكل كامل ونشر عناصرهم عليها وذلك صباح يوم الخميس ١٩٧٧/٩/٧م.. إلّا أن صلاة العيد أقيمت بكل روعة وحفاوة. وبعد الصلاة سارت الجماهير الغاضبة في مسيرة كبيرة رفعت خلالها شعارات ضد النظام الملكي المستبد، وقد وصلت أخبار المسيرة إلى العالم عبر الإعلام. بعد انتصار الثورة الإسلامية بعدة أشهر استشهد الدكتور مفتح الذي كان عميداً لكلية الشريعة بجامعة طهران برصاصات غادرة أطلقها عناصر من مجموعة (الفرقان) المنحرفة.



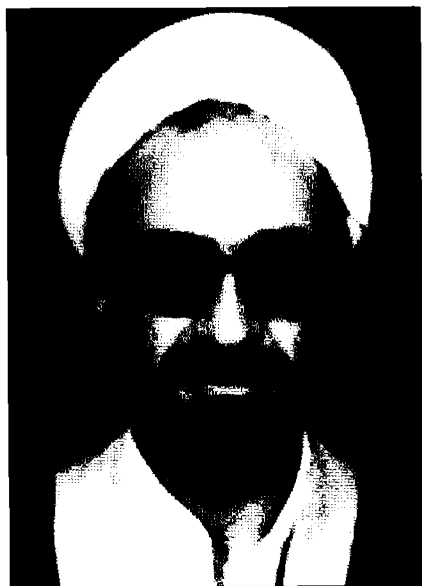
حجة الإسلام الشيخ كروبي



آية الله الشيخ المنتظري



حجة الإسلام محمد منتظري



حجة الإسلام الشيخ املائي



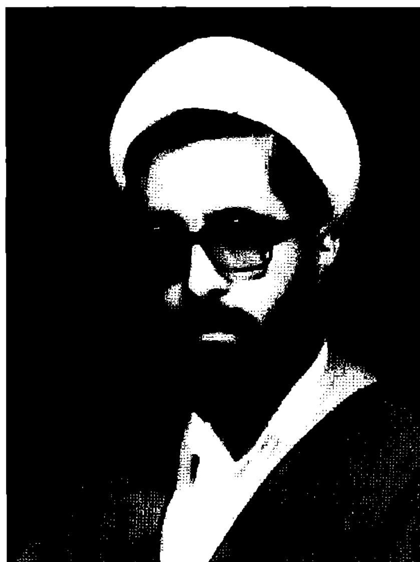
حجة الإسلام السيد محمود دعائي



حجة الإسلام السيد هادي موسوي



من اليمين: السادة حسين إمام جماراني، عبائي، موسوي خوئينيها، وهاشمي رفسنجاني في حفل زواج السيد مهدي إمام جماراني (جماران)



آية الله عباس علي روحاني



حجة الإسلام محمد خاتمي



من اليمين: السادة محمد حسن شريعتي، السيد أحمد وحسن كروبي

اعتاد السيد أحمد أن يطالع بإمعان كتب الدكتور شريعتي ويدقق فيها، وكان يعتبره مثقفاً واعياً بزمانه وعصره ويمكنه الارتباط بشكل جيّد مع الشباب ويؤثر عليهم، مع الاحتفاظ بحقه في نقد بعض أفكاره وآرائه أو رفضها.

عرف الدكتور شريعتي أن له موافقين ومخالفين كثيرين، وفي أحد الأيام اجتمع عدد من موافقي الدكتور شريعتي ومناوئيه في منزل والدي، وتحاوروا حول أفكار واعتقادات الدكتور شريعتي، وكل منهم بدأ باتهام الآخر بعدم فهم الدين بشكل جيّد، أو أنهم غير متديّنين وهكذا.. مما دعا والدي لأن يدخل وسط جمعهم ويخاطبهم: اسعوا لأن تكونوا واقعيين ولا تغالوا في إصدار الأوامر المتسرعة والعاطفية على الآخرين وانصفوهم.

عندما كنا في النجف الأشرف خاطب السيد أحمد مرة أحد الأشخاص الذين كانوا يهاجمون الدكتور شريعتي بشدة ويدينه، قائلاً: «هل قرأت مؤلفاته؟»، أجاب: «كلّا، لأني أخشى لو قرأتها سأكون من المدافعين عنه». فقال له السيد أحمد باندهاش: «إذن كيف تسمح لنفسك أن تخالف شخصاً لم تطّلع على أفكاره وأقواله أصلاً».

الإرشاد غير المباشر

كان السيد أحمد إلى جانب نشاطاته الجهادية ضد النظام المستبد، منشغلاً بكل شوق في الدرس والبحث العلمي، بحيث لم يكن يغب عن الحصص الدراسية، وكان حضوره في الدروس مشهوداً ومؤثراً بسبب كفاءاته العلمية وذكائه الحاد، لذلك فإن السافاك كان يجهل الكثير عن نشاطاته السياسية. ولم يكن السيد أحمد معروفاً بخطاباته العامة إلّا أنه اعتاد على الدخول في النقاشات والحوارات العقائدية داخل التجمعات

الصغيرة غير الرسمية في طريق الجهاد والكفاح، ومتى شعر بضرورة ذلك.



من اليمين: آية الله السيد محمود طالقاني، المهندس مهدي بازركان، آية الله مرتضى مطهري

ففي أحد الأيام كنا في رحلة عائلية إلى (دماوند) داخل حافلة برفقة الأخوات وأبنائهم؛ وبدأ السيد أحمد حديثاً معي بصوت مرتفع نسبياً، حول ضرورة الجهاد والكفاح ضد النظام المستبد، مشيراً إلى الحوادث التي تجري في البلاد ومؤكداً أن تلك الحوادث لا تتناسب مع مكانة وكرامة الشعب الإيراني، مضيفاً أنها تهدد الاستقلال الوطني وتعمق التبعية للأجانب.. وهكذا.

كان هناك شابان يجلسان في الكرسي الأمامي لنا ويستمعان بدقة لحديث السيد أحمد، وعندما سمعت السيدة «فهيمة» (شقيقة السيد أحمد) ذلك، أيضاً، سعت لأن تُفهمنا أن هناك مستمعين آخرين في الحافلة، وكان السيد أحمد يعرف ذلك وتعمّد أن يتحدث معي بهذا الشكل ليوصل صوته للآخرين.

حينما كنا نريد أن ننزل من الحافلة، جاء الشابان إلى السيد أحمد وقبّلاهُ وقالا له: «لم نكن نريد أن نتنصت على حديثك، إلّا أننا سمعنا كلامك الشيّق.. هل من الممكن أن نراك مرة أخرى؟».

وكنت أحياناً أسمع صوت السيد أحمد وهو يتباحث حول مختلف القضايا العقائدية في الاجتماعات التي كانت تعقد في بيتنا. ففي إحدى

الأمسيات سمعت السيد أحمد وهو يجيب على استفهام أثاره أحد الشباب الذي كان يشكك في القرآن الكريم ويدّعي أنه كلام النبي الأكرم محمد (ص)، ولكونه إنساناً ذكياً للغاية، فقد استطاع أن يأتي بكلام يعجب الناس!! حيث سعى السيد أحمد كثيراً بكل قوة وإصرار، على إثبات أن جميع الآيات القرآنية ليست سوى كلام الله جل وعلا، وأنها كلها من الله سبحانه وتعالى، وليست كلام الرسول (ص). وكان شقيقي جواد حاضراً في ذلك الاجتماع.

منظمة مجاهدي الشعب (خلق)

أثير الكثير من الحوارات والنقاشات خلال السنوات (١٩٦١ ـ ١٩٧١م) حول منظمة مجاهدي الشعب (خلق) في إيران، حيث كان لهذه المنظمة مؤيدون ومعارضون على حد سواء.. فالبعض من المجاهدين الثوريين كان يعتقد بضرورة الدفاع عنهم ومساندتهم لأنهم فضلاً عن تلقيهم دروس في أساليب النضال ضد النظام المستبد، فإن لديهم علاقات واسعة مع الفصائل الإسلامية الجهادية خارج إيران، وكذلك مع شخصيات علمائية داخل إيران مثل آية الله طالقاني[(١)] ومطهري ومنتظري.. إلّا أن آخرين كانوا مترددين في القبول بهم، بل كانوا يتصدون لأفكارهم، لذلك أثيرت الشكوك بشأن قبولهم أو رفضهم، وكانت تحدث أحياناً مشاكل ومنازعات بين الموافقين والمخالفين لهذه المنظمة بسبب ذلك لا سيّما بعد أن رفض سماحة الإمام (رض) تأييدهم.

---

(١) ولد آية الله السيد محمود علائي طالقاني (١٩١٠ ـ ١٩٧٩م) في مدينة طالقان، وكان مخالفاً للنظام المستبد الحاكم في إيران، وتم اعتقاله مراراً بسبب ذلك وتعرض للتعذيب والنفي. وللتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الثاني في نهاية الفصل.

أما حادثة عدم تأييد المنظمة من قبل سماحة الإمام (رض) فكانت كالآتي: في أوائل عام ١٩٧٢م التقى ممثل المنظمة في النجف الأشرف السيد حسين أحمدي روحاني المعروف بـ (كمال) مع الإمام الخميني (رض) وطلب من سماحته أن يؤيد المنظمة[١]، فطلب الإمام منه أن يزوده بالكراسات والبيانات التي توضح مواقف المنظمة وعقائدها بشكل تفصيلي.. وبعد عقد عدة جلسات منتظمة واستماع الإمام لكل ما تحدث به المشار إليه حول مواقف المنظمة وعقائدها، أعلن سماحة الإمام بصراحة: لا يمكنني تأييدكم، لأني أرى أن هناك أفكاراً التقاطية في عقائدكم.

نقل لنا أحد الحاضرين في ذلك الاجتماع أن سماحة الإمام (رض) كان ينظر إلى الأرض أثناء حديث المشار إليه ولم ينطق بأية كلمة.. وقد فسّر البعض هذا التصرف بأنه يدل على مدى فراسة الإمام (رض) وحكمته، وكانوا يقولون: «لو كان الإمام ينظر إلى عيني المتحدث لكان هذا الشخص قد تمكن من خلال نظرات الإمام أن يشخص ما هي النقاط التي أثارت اهتمام الإمام (رض) ولغيّر من النقاط التي يريد توضيحها أو أسلوب عرض الحديث من خلال التركيز على بعض الأمور دون غيرها.

يذكر أن شخصيات كبيرة وبارزة مثل السادة طالقاني، مطهري، منتظري، بهشتي، هاشمي وبازركان، كانوا قد طلبوا من سماحة الإمام (رض) أن يؤيد هذه المنظمة، بل وكانوا يعاتبون بسبب عدم تأييد

---

(١) قبل هذا اللقاء، كلّف السيد تراب حقشناس من أعضاء المنظمة من قبل آية الله طالقاني للقاء سماحة الإمام (رض)، حيث كتب السيد طالقاني رسالة بحبر سري عرّفه للإمام، وعند لقائه الإمام وضعت الورقة في أناء ماء وتم الكشف عن الرسالة المتضمنة خط يد آية الله طالقاني بشأن مهمة مبعوث المنظمة (يمكن مراجعة الهامش الثالث في نهاية الفصل).

الإمام لهؤلاء، إلاّ أنهم بعد ذلك تراجعوا عن هذا الموقف بعد أن رأوا تحقق الوعد الإلهي ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١) حيث أعان الله سبحانه وتعالى سماحة الإمام (رض) ونصره في موقف حساس، تأكد من خلاله مدى حكمة ودراية قائد الثورة الإسلامية ومؤسس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

وفي معترك تلك الحوادث العصيبة فإن ذلك الموقف التاريخي لسماحة الإمام (رض) الذي سبب انزعاج بعض رجال الثورة أدى إلى إعطاء ذريعة وحجة بأيدي بعض المناوئين لسماحة الإمام ليتصيدوا هذه الحادثة ويسخرونها لصالحهم، بل ويسعوا إلى استغلال مشاعر الشباب الثوريين وتحريكهم ضد الإمام. وقد سمعت آنذاك أنهم يقولون: «إن علماء الدين أساساً لا يعرفون أبداً معنى النضال المبدئي والتنظيمي، ولا يفهمون أبداً الزوايا المعقدة والمبهمة للإمبريالية»!!.

على أية حال، لقد مرت أياماً صعبة ومُرَّة على السيد أحمد، حيث كنت أشعر بمدى قلقه بسبب ذلك، رغم تحمله وصبره الكبير.. وكنت، أيضاً، مترددة في رفضهم أو قبولهم، فعندما كنت أسمع عن نضالهم وكفاحهم ضد النظام أو تصلنا معلومات عن صمود ودفاع بعض قادتهم في السجون، كانت نظرتي تصبح إيجابية بشأنهم، ولكن هذه النظرة تصبح سلبية عندما أسمع عمّا يدور داخل تنظيماتهم الداخلية أو أطّلع على عقائدهم ورؤاهم الفكرية.

رحلات السيدة (أم أحمد) إلى إيران

اعتادت السيدة (أم أحمد) خلال سنوات نفي سماحة الإمام أن تزور إيران أحياناً للقاء الأقرباء، وكانت هذه الرحلات تتم، غالباً، في فصل

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

الصيف، وتستغرق شهرين أو ثلاثة أشهر.. وكانت تأتي مرة كل عامين، حيث تسافر من النجف الأشرف بالسيارة برفقة أحد أعضاء المكتب حتى تصل إلى الحدود الإيرانية ـ العراقية، وبعد أن تجتاز الحدود تواصل رحلتها حتى تصل إلى بيت والدتها في طهران. وبعد زيارة أقربائها في العاصمة، كانت تسافر إلى مدينة قُم وتمكث فيها لحوالي أسبوعين حيث تستقر إما في مبنى مكتبة الإمام السابقة أو في بيتنا.

كما تعودت السيدة أم أحمد أن تجلب معها الهدايا المتنوعة من النجف الأشرف، مثل الأقمشة والملابس وشراشف طاولة الطعام وسفرة المائدة، وهدايا أخرى مناسبة لذوات الذوق الرفيع.

في أحد الأيام وبعد أن عادت السيدة أم أحمد من زيارة حرم السيدة فاطمة المعصومة (ع) قالت: «لقد زرت اليوم المدرسة الفيضية[١]». فسألها السيد أحمد باندهاش: «وما هو الشيء الذي لفت نظرك هناك»؟ أجابت: «لا شيء هناك يلفت نظري، ولكن الأخبار المرتبطة بذلك المكان تتميز بالجاذبية عند سماحة الإمام.. فقد اعتاد والدك أن يستريح قليلاً خلال برنامجه اليومي، فيطلب مني أن أتحدث معه لعدة دقائق حول مختلف الأمور، لذا، فإن مشاهداتي اليوم في المدرسة الفيضية، سأسردها على سماحته خلال مثل هذه الأوقات.

أحاديث السيدة أم أحمد

خلال تلك الأيام التي كانت تقضيها معنا السيدة (أم أحمد) في مدينة قُم، كنت أستغل فرصة اللقاء معها لتسرد لي ذكرياتها الشيقة

---

(١) تأسست المدرسة الفيضية في عهد السلطان القاجاري فتح علي شاه (يمكن مراجعة الهامش الرابع في نهاية الفصل).

ومنها: تحدثت لي عن حياتها في بيت جدها (آقا ماماني) وجدَّتها «خانم ماماني» وأوضحت أن أمها كانت البنت الوحيدة لعائلتها، لذلك كانت مدلّلة داخل أسرتها.

وعندما تزوجت أمها ما لبثت بعد عام تقريبا، أن ولدتها في عام ١٩١٣م وولدت أختها «شمس آفاق» بعدها بعام. لذا اقترحت جدتها على أمها أن تتعهد بمسؤولية تربيتها بدلاً عنها لتعينها، وبالتالي ليخرجوا من وحدتهم ويتسلوا معها. وهكذا تربت في بيت جدها وجدتها.. وأضافت تقول: «كان والدي من علماء الدين المتعصبين، حيث لم يكن يسمح باستخدام الملعقة والشوكة أثناء تناول الطعام لأن هذه الطريقة في تناول الطعام لم تكن شائعة بين أغلبية المسلمين آنذاك.. كما إني كنت اختلف مع أخواتي من ناحية وسائل البيت والملابس وأسلوب الحياة اليومية، فبينما كانت أخواتي تعيش حياة بسيطة للغاية، كانت الظروف المهيأة لي كشراء الملابس والأحذية الراقية والغالية، لا تقارن أبداً مع غيري من شقيقاتي».

مرحلة طفولة السيدة (أم أحمد)

تحدثت السيدة (أم أحمد) مرة عن طفولتها وقالت: «ذهبت في أحد الأيام، عندما كنت طفلة، من بيت جدتي «خانم ماماني» إلى بيت أبي، وكان يزيّن ضفائري مشط صغير مرصع بأحجار ثمينة بيضاء. وفجأة رأيت شقيقاتي تهمس كل منهن بإذن الأخرى وذهبن نحو والدتي وقلن شيئاً في أذنها. وهكذا.. وعندما عدنا إلى البيت قالت جدتي لي: «إن أمك همست في أذني شيئاً وأخبرتني أنه في المرة السابقة التي ذهبنا فيها إلى بيتهم كانت «قدسي» قد وضعت على ضفائرها دبوسين جميلين أعجبت بهما شقيقاتها وقد أشتريت لهن ما يماثله بسعر أرخص وسررن

به وقلن أنهن سيضعنه على شعرهن عندما تأتي «قدسي» إلى البيت؛ ولكنني رأيت أنكم أشتريتم لها شيئاً آخر أجمل من السابق. وقد أشارت والدتي على جدتي أن لا يستمر هذا الحال، لأن ذلك سيسبب لها مشاكل في المستقبل؛ إلّا أن جدتي كانت تشتري لي أحذية غالية الثمن لا تشتري أمي حتى أمثالها، ورغم ذلك لم أكن افكر بذلك أبداً، بل كنت في أجواء أخرى».

كذلك تحدثت عن ظروف تحصيلها العلمي وقالت: «إن جدي وفر لي فرصة التحصيل العلمي ومواصلة الدراسة في أفضل المدارس وكنت أذهب إلى المدرسة بعربة خاصة وأدرس اللغة الفرنسية بشكل جيد، كذلك كنا نسافر مع جدي وجدتي أحياناً إلى مازندران (شمال إيران). وكانا يمتلكان الكثير من البيوت والأراضي هناك، وكان عندهم بيت واسع رائع في مدينة بابلسر (على بحر قزوين).. وعندما كانت السيارات الصغيرة قد دخلت إلى إيران لتوها، اشترى جدي إحداها وسافرنا بها إلى شمال إيران. وكان ذلك رائعاً بالنسبة لي، وأتذكر أن الحيوانات كانت تخاف السيارات وتهرب منها، وأحياناً تسقط في الوادي وهي تهرب، ولا زلت أتذكر تلك المناظر المؤلمة والمرة.. لقد تمرضت مرّة ونحن في مازندران حيث ارتفعت حرارة جسمي كثيراً مما دعاهم ليطلبوا طبيباً خاصاً من إحدى المدن القريبة ومكث عندنا لأسبوع كامل حتى تماثلت للشفاء بشكل تام». وأضافت تقول: «وأتذكر، أيضاً، أنه بينما كنت جالسة مع جدي وجدتي في باحة البيت وكان عمري سبع سنوات، ظهرت طائرة تشبه الطائر الكبير في السماء وقال جدي: إنه المنطاد الذي قيل أنه دخل أجواء إيران حديثاً؛ وأضاف مخاطباً جدتي: ينبغي أن ترتدي العباءة حتى لا يروك بالمنظار.. وهذا يدل على مدى تعصب جدي وحرصه على جدتي».

قصة الخطوبة حتى الزواج

سردت السيدة (أم أحمد) لي قصة زواجها من سماحة الإمام الخميني (رض) من الخطوبة وحتى عقد القران التي استغرقت عشرة أشهر، فقد سألتها: كيف يمكن أن توافق بنت مثلك على الزواج من طالب علوم دينية قادم من مدينة خمين؟ فأجابت تقول: «حينها كان والدي قد انتقل لمدينة قُم لدراسة العلوم الدينية وسكن لخمس سنوات في زقاق (آقا سيد اسماعيل) إلّا أنني بقيت في طهران عند جدي وجدتي.. وقد تقدم العديد لخطبة أختي الأصغر «شمسي» التي كانت تسكن مع والديّ في قُم؛ فقال أبي لوالدتي إنه من الأفضل أن تأتي «قدسي» إلى قُم عندنا، لأنه إن لم نزوج البنت الأكبر «قدسي» أولاً لا يمكن تزويج الأصغر «شمسي»؛ وهكذا أخذوني إلى مدينة قُم بعد موافقة جدي وجدتي على ذلك.. وبعدها بدأت الوفود تأتي إلى بيتنا يطلبون يدي للزواج ومنهم السيد أحمد لواساني الذي تقدم بالنيابة عن سماحة الإمام» (رض).

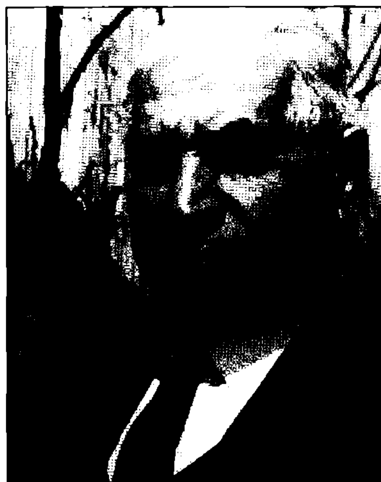
واضافت السيدة تقول: «ذكر أن السيد أحمد لواساني سأل الإمام يوماً: لقد حان وقت زواجك، لماذا لا تتزوج؟ أجابه الإمام: لم أعثر على البنت المناسبة حتى الآن.. سأله السيد لواساني: ما هي صفات الزوجة التي تريدها؟ فذكر له الإمام صفات الزوجة التي يريد الاقتران بها.

«فقال السيد لواساني: أظن أن الصفات التي ذكرتها متوفرة لدى بنت السيد ثقفي كما ذكرت زوجتي التي كانت قد رأتها.. فأجاب السيد الإمام: أعتقد أن رأيك صائب لأنه لا يُتوقع من السيد ثقفي إلّا مثل هذه البنت.

«وبعدها تم التقدم للخطوبة إلّا أن الجواب كان النفي.. بعد عدة

أشهر طلب السيد الإمام من السيد لواساني أن يكرر الخطوبة مرة أخرى، وكان الجواب بالنفي أيضاً؛ وحينها كان والدي قد أنهى تحصيله العلمي في قُم وعدنا إلى بيت جدتي في طهران.. إلّا أن السيد لواساني وتلبية لطلب الإمام سار في طريق قم ـ طهران لعدة ساعات بوسائط النقل القديمة المتوفرة آنذاك حتى وصل بصعوبة إلى بيت أبي. وفي آخر مرة حصل السيد لواساني على جواب النفي، كان قد سأل والدي عن سبب ذلك، فأجابه بالقول: إن جدها وجدتها خالفا هذا الزواج وأنا احترم رأيهما، حيث يقولا إن البنت تربت في أجواء مرفهة ولا يمكن أن تتحمل حياة طلبة العلوم الدينية، كما أنهما قالا: الأهم من كل ذلك أننا لا نعرف شيئاً عن أسرته، وهل تزوج قبل هذا؟ وهل عنده أولاد في مدينة خمين؟.. فأجاب السيد لواساني: طبقاً لمعرفتي به أظن أن لا داعي لهذا القلق، ولكن للتأكد أكثر سأسافر بنفسي إلى مدينة خمين لأتحقق عن كثب حول تفاصيل حياته وأسرته وأحصل على أجوبة مقنعة لاستفساراتكم التي أثرتموها.

«وهكذا سافر السيد لواساني إلى مدينة خمين، وبعد عودته نقل لوالدي نتائج مشاهداته وتحقيقاته هناك بالقول: إن أسرته أصيلة ومضيافة وكريمة وحسنة التعامل مع الناس وذات سمعة جيدة للغاية؛ كما أن وضعهم المالي جيد، وشاهدت في بيتهم طباخاً وخدماً. كذلك، فإن بيتهم كبير وباحاته واسعة، لذا لا داعي لقلق النساء أبداً بهذا الشأن.. وأضاف قائلاً: لقد سألت شقيقيه السيدين (هندي وبسنديدة) حول أخلاقه وتعامله وعائداته المالية وهل أن له حصة في هذه البيوت التي رأيتها هناك؟ وهل سبق له أن تزوج؟ فأجابا: أنه شخص متدين وملتزم للغاية وأن أحد هذه البيوت يعود له ويصله ثلاثون تومانا شهرياً كحصة له من الإرث ولم يتزوج حتى الآن أبداً».



السيد نور الدين هندي



آية الله السيد بسنديدة

وأضافت تقول: «رغم استماعنا لهذه الأمور إلّا أن رأينا لم يتغير وأصر جدي وجدتي على رأيهما المخالف لهذا الزواج؛ حتى حان ذلك اليوم الذي ذهب والدي للسيد لواساني وطلب منه أن يذهب مرة أخرى إلى طهران ويكرر الخطوبة للمرة الأخيرة، وإن سمع جواباً بالنفي، فلا بُدّ أن يعتبر الأمر نهائياً لا رجعة فيه، لذلك سافر السيد لواساني إلى طهران».

الأحلام المصيرية

أستغرقت السيدة أم أحمد في سرد ذكرياتها مشيرة إلى أحلام رأتها في المنام بهذا الخصوص حيث قالت: «لم أكن أؤمن كثيراً بالأحلام ولم أكن أعتبرها أحلاماً صادقة، إلّا أنني غيرت رأيي شيئاً فشيئاً بشأنها». طلبت من السيدة أن تشرح لي تفاصيل تلك الأحلام[1] فقالت: «عندما طلب السيد الإمام يدي من خلال السيد لواساني رأيت في المنام

---

(١) لقد سردت السيدة أُم أحمد تفاصيل هذه الحادثة أمام آية الله الخامنئي عندما زارها في حزيران ٢٠٠٧ م (في ذكرى رحيل الإمام الخميني) كالعادة في كل عام بعد أن طلب منها ذلك.

عجوزاً كانت تسير في الزقاق، فسألتها: أين تذهبين؟ فقالت: أذهب لرؤية السيدة فاطمة الزهراء(ع)، فقلت لها: إذن خذيني معك!!.. فقالت: لنذهب معاً.. تحركنا معاً ودخلنا بستاناً فرش في إحدى زواياه بساطاً واسعاً جلست عليه سيدة ترتدي ملابس خضراء وهي تحضن طفلاً، سلّمت عليَّ ووضعت الطفل في المهد، فبكى الطفل، فذهبتُ إليه واحتضنته ونظرت إلى وجهه فسكت الطفل. وضعت تلك السيدة كأساً من العصير أمامي فأردت تقديمه للسيدة العجوز إلّا أنها رفضت أن تأخذه وقالت: «كلا، لقد جلبوه لك، ثم أخذت الطفل مني وجلست أمامي، وهنا استيقظت من النوم.. سردت تفاصيل الحلم لإحدى قريباتي فقالت: إنها السيدة فاطمة الزهراء(ع)، حيث قبلت بك كنّة لها وسيكون ذلك السيد زوجك حتماً ويكون طفلك البكر صبياً أيضاً.

«وبعد عدة ليالٍ رأيت حلماً آخر حيث دخل رجل إلى بيتنا وسأل: هل أنت جاهزة أيتها السيدة؟ قلت: نعم.. خرجت من البيت ورأيت جملاً يجثم في أول الزقاق ولجامه بيد أحد الرجال العرب وأفراد أسرتي يقفون إلى جانبه، فأجلسوني على ظهر ذلك الجمل وودعوني، فتحرك الجمل واجتاز محلة (آب سردار)(١) حيث هناك بيتنا، ثم خرجت من المدينة.

«بعد عدة أيام رأيت للمرة الثالثة حلماً آخر، حيث دخلت غرفة كان يجلس في صدرها أربعة أشخاص، ورأيت العجوز التي رأيتها في الحلم الأول تقف في إحدى الزوايا وعرفتني على الحاضرين؛ وأشارت

---

(١) محلة (آب سردار) تقع عند نقاطع شارعي (مجاهدي الإسلام) و(إيران) في المنطقة الثانية عشرة من بلدية طهران، وأن سبب تسمية هذه المحلة يعود إلى أن شخصاً ثرياً اسمه (آقا بالا خان سردار) حفر في أراضيه الواسعة بئراً وضعه في خدمة جميع الناس.

إلىٰ أحد الحاضرين قائلة: إنه الرسول الكريم محمد (ص) ويقف على يمينه الإمام علي (ع) بعمّته الخاصة والمتميزة كما يقف الإمام الحسن والإمام الحسين (ع) على يساره. فرحت كثيراً لذلك المشهد، فقالت العجوز: لماذا تفرحين وأنت لا تحبين هؤلاء؟! قلت: لماذا لا أحبهم، فأنا أحبهم كثيراً، إنه رسولي الأكرم محمد (ص) وأئمتي الأطهار (ع).. وفجأة استيقظت من النوم، فسردت الحلم لجدتي فقالت: يبدو أن السيد سيكون من نصيبك ولن يجدي بعد الآن معارضتنا لذلك.

«بعد ثلاثة أيام جاءنا والدي وقال: جئت حتى أكمل الحجة مع السيدة «قدسي» وأنهي هذه الحكاية.. فالشاب الذي تقدم للخطبة هو من أسرة أصيلة وعريقة ويتميز بخصلتين قيمتين للغاية الأولى أنه شخص متدين وملتزم جداً والثانية يتميز بذكاء حاد ويطالع دروسه بشكل جاد، ولا بُدّ للسيدة «قدسي» أن تقدر مثل هاتين الخصلتين وقد جئت إليكم حتى أسمع الجواب النهائي بنفسي.

«لقد خجلت كثيراً وتذكرت الأحلام التي رأيتها في المنام فضلاً عن آخر جملة نطقتها جدتي بعد الحلم الثالث، وتعمقت في التفكير والتزمت الصمت. حمل والدي صحن الحلويات الذي وضعته جدتي أمامه وقال: سأتناول من هذه الحلويات احتفاءاً بسكوت ابنتي وسكوتها هو علامة رضاها.

«وهكذا نقل ردنا الإيجابي للسيد لواساني الذي غادرنا فوراً إلى مدينة قُم، وبعد عدة أيام وصلت أسرة العريس من خمين إلى طهران».

اللقاء المخفي

أضافت السيدة (أم أحمد) تقول: عندما وصل السيد الإمام وأشقاؤه إلى بيتنا لأداء مراسم الخطوبة وعقد القران، طلبت والدتي من

عامل البيت أن يرتب الأجواء حتى ترى صهرها المستقبلي عن قرب، فاقتنع بالفكرة ووعد بذلك قائلاً: سأقوم بترتيب الأمور حتى تتمكني وابنتك العروس من رؤية العريس بعد أن أرسل العامل القادم معهم السيد (مشهدي مسيب) إلى السوق لشراء علبة كبريت وتدخلان في الغرفة المجاورة وتشاهدانه من خلال جانب النافذة التي تفصل الغرفتين.. وأضافت: ونُفِّذت الخطة وتمكنت مع والدتي من رؤية العريس القادم من مدينة خمين مع أشقائه وأقربائه. وقد عرف العامل أن إرساله إلى السوق لم يكن سوى ذريعة لإبعاده مؤقتاً عن البيت وتوفير الظروف المساعدة لتنفيذ الخطة.

سألت السيدة: «هل أعجبك السيد الإمام»؟ فقالت: «أجل، أتذكر أنه كان شاباً ضعيفاً وبشرة وجهه تميل إلى الصفرة.. بالطبع، فإن، شكله الظاهري لم يكن مؤثراً على رأيي به لأن سبب اختياري له كان شيئاً آخر»(١).

مراسم عقد القران

تحدثت السيدة (أم أحمد) عن مراسم عقد القران قائلة: «تمت مراسم عقد القران وقراءة صيغة العقد في حرم السيد عبد العظيم الحسني (ع) في مدينة ري (جنوب طهران) في عام ١٩٢٩م بحضور السيد مرتضى بسنديدة الشقيق الأكبر للسيد الإمام والسيد نور الدين هندي (الشقيق الآخر للإمام) والعامل الخاص للأسرة (مشهدي مسيب) والسيد أحمد لواساني، وبلغت قيمة المهر ألف تومان.

«ولم تحضر أي من النساء من جانب أسرة العريس في مراسم

---

(١) يبدو انها كانت تشير إلى الأحلام التي رأتها في المنام كما ذكرنا آنفاً.

العقد لأن والدة السيد الإمام كانت متوفاة وشقيقة سماحته وزوجة السيد بسنديدة كانتا قد ولدتا تواً، ولم تكن الظروف ملائمة لسفرهن إلى طهران».

شراء لوازم العقد

ذكرت السيدة (أم أحمد) أنه تم شراء قطعتي قماش واحدة من المخمل والأخرى من الحرير وخاتم ثمين وقرطين من الذهب المرصع بالياقوت الأحمر ولوازم أخرى، قام بشرائها أحد اصدقاء السيد الإمام من السوق القريب من الحرم.

سألت السيدة: «هل أعجبكم ما تم شراؤه من لوازم آنذاك»؟ فأجابت: «أجل فقد استخدمت قماش المخمل كغطاء عند النوم لأن لونه لم يكن يناسب غير ذلك».

بيت الزوجية

تحدثت السيدة أم أحمد كذلك عن أثاث البيت الذي استقروا فيه بعد الزواج بالقول: «استأجر السيد الإمام بيتاً بالقرب من محلة بامنار[1]، زقاق ميرزا محمود الوزير، وبعد عدة أيام من مراسم العقد، تم تجهيز البيت بالمستلزمات اللازمة والأثاث المناسب وبدأنا حياتنا الزوجية المشتركة في شهر رمضان المبارك.. ومكثنا لشهرين في هذا البيت قبل أن ننتقل إلى مدينة قُم بسبب بدء الدروس هناك.

---

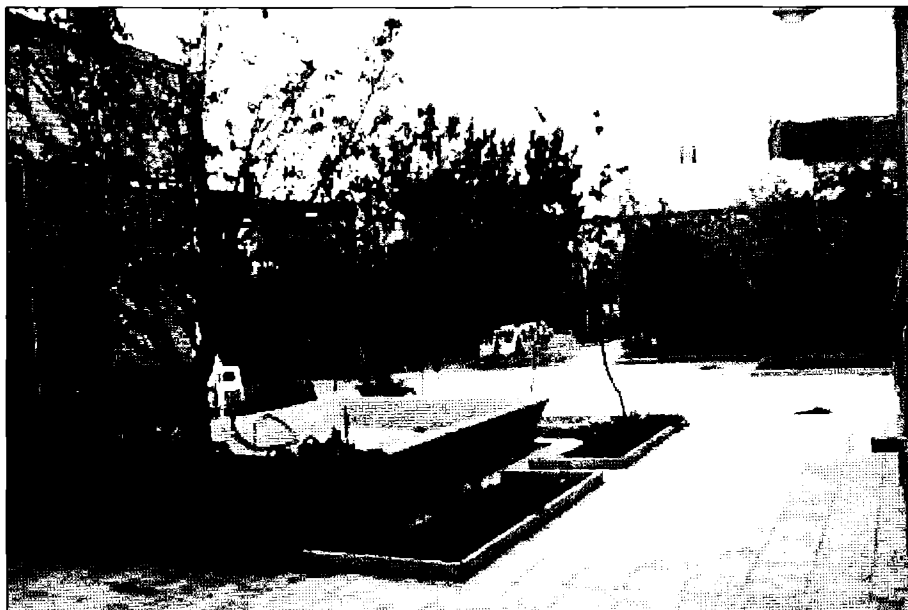
(١) محلة بامنار إحدى مناطق طهران القديمة وتقع في المنطقة الثانية عشرة من بلدية طهران (وسط المدينة)، ومركز هذه المحلة هي منارة تعود للقرن الثالث عشر الهجري؛ وفي عام ١٩٢٣ م تم تجهيز هذه المنطقة بخطوط الهاتف وهي أول منطقة في طهران تجهز بالهاتف.



أول بيت سكنه الإمام الخميني قدس سره بعد الزواج في مدينة قم، شارع أرم



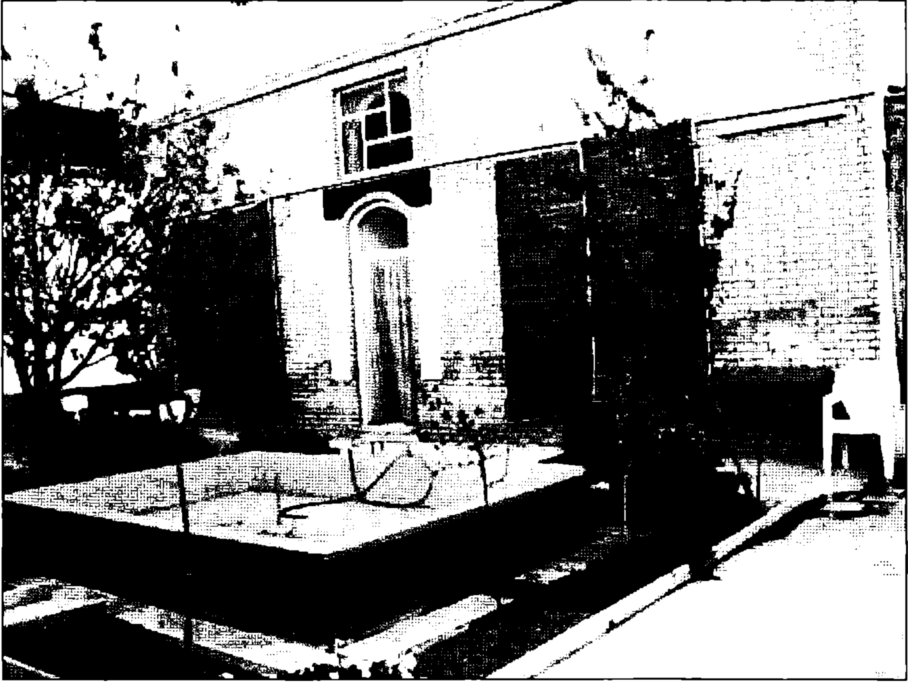
الباحة الخارجية لبيت الإمام الخمينى قدس سره



جانب آخر من نفس البيت



جانب آخر من نفس البيت



جانب آخر من نفس البيت

«كان البيت يتكون من ثلاث غرف، اثنتان منها في الداخل خصصتا لسكننا والثالثة في الخارج خصصت لاستقبال الضيوف وتردد أصدقاء السيد الإمام. وتم تجهيز الغرفة الثالثة بأثاث جلب من بيت والدي حيث أرجعناه إليهم عند انتقالنا إلى مدينة قُم».

طلبت من السيدة (أم أحمد) أن تتحدث حول أثاث البيت والمستلزمات التي تم تجهيزه بها فقالت: «تم تجهيز البيت بكافة المستلزمات المناسبة والأثاث اللازم مثل قطعة من السجاد بمساحة ١٢ متراً مربعاً، وبساطين جيّدين، وأربعة مساند، وفراش وأغطية وشراشف، ومدفأة، وأواني ولوازم مطبخ، وملاعق وشوكات وسكاكين فضية، (لم يسمح السيد الإمام استخدام الأواني والملاعق والسكاكين الفضية) ودورق شاي وسماور، وستائر، وأربعة صناديق مغطاة بالمخمل

والحرير، ومناشف ولوازم الاستحمام وغيرها». واصلت السيدة حديثها بالقول: «مع بدء الدروس في حوزة قُم العلمية، جمعنا أثاث البيت واستعدّينا للانتقال إلى هناك. وقد حزنت كثيراً بسبب وجوب ابتعادي عن عائلتي، وأن انتقل إلى مدينة لم أكن أحبها.

«استأجر السيد الإمام سيارة صغيرة وانطلقنا نحو مدينة قُم، ورغم أني كنت دائماً أحب السفر إلّا أنني هذه المرة بكيت طوال الطريق حتى وصلنا إلى المدينة».

«وكان السيد الإمام قد استأجر بيتاً في شارع ارم بمدينة قُم، وكان البيت فيه أربع غرف، اثنتان منها عند المدخل تم استخدامهما لاستقبال الضيوف الرجال، والغرفتان الداخليتان خصصتا لسكننا، وقد صادقت صاحبة البيت شيئاً فشيئاً وقضينا معاً لحظات سعيدة وهانئة».

«في أول رسالة بعثتها لوالدتي كتبت أقول: «رغم إني ابتُليت بالغربة ويؤلمني ابتعادي عنكم، إلّا أنني وجدت صديقة جيدة وطيبة، كما أن السيد الإمام استأجر لي بيتاً جميلاً فيه أربعة عشر نوعاً من الثمار والفاكهة، منها: العنب بأنواعه، والتين الأسود والاصفر، والرمان، والدراق، والسفرجل، والإجاص، والتفاح، والمشمش، والكرز وغيرها. لذا أرجو أن لا تقلقوا بشأني أبداً».

«وهكذا مكثنا لعامين في هذا البيت حيث ولد ابني البكر مصطفى فيه في عام ١٩٣٠م».

أسرة السيدة (أم أحمد)

واصلت السيدة (أم أحمد) حديثها حول أسرتها مشيرة إلى جدها آية الله الحاج ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني ابن آية الله ميرزا أبو القاسم



آية الله ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني
(جد السيدة أم أحمد)

كلانتري تهراني[١] حيث وصفته بأنه كان شخصية ضالعة في الفقه والأصول والفلسفة والأدب، وذو ذاكرة قوية للغاية وله عدة مؤلفات[٢].

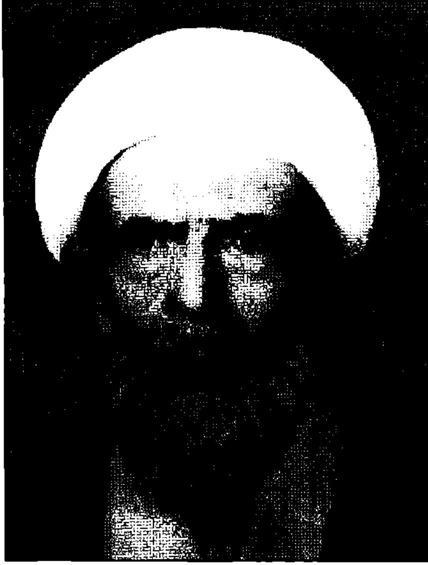
كذلك تحدثت السيدة عن والدها آية الله الحاج ميرزا محمد ثقفي تهراني ووصفته أنه شخصية حسنة الطالع والشكل، وقالت: «ولد في عام ١٣١٦ هـ. ق في طهران وانشغل بدراسة العلوم الدينية حيث هاجر إلى مدينة قُم عام ١٣٤١ هـ. ق ومكث هناك عدة سنوات، وحضر في درس خارج الأصول لآية الله الحاج الشيخ عبد الكريم حائري يزدي، وتلقى الفلسفة عند آية الله الحاج السيد أبو الحسن رفيعي قزويني، ثم عاد إلى طهران، وسكن في محلة بامنار وانشغل بالتدريس وأصبح إماماً للجماعة في مسجد صالحية المعروف بمسجد بامنار»؛ وذكرت أسماء مؤلفات والدها[٣].

---

(١) كان آية الله ميرزا أبو القاسم كلانتر والياً لطهران وقد منح لقب كلانتر بسبب ذلك. ولد في الثالث من ربيع الثاني ١٢٣٦ هـ. ق وتوفي في الثالث من ربيع الثاني عام ١٢٩٢ هـ. ق. له عدة مؤلفات منها كتاب (مطارح الانظار) وتقريرات درس الشيخ الانصاري حول الاستصحاب والتعادل والتراجيح.

(٢) للتعرف على مؤلفات آية الله ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني يمكن مراجعة الهامش الخامس في نهاية الفصل.

(٣) للتعرف على مؤلفات آية الله ميرزا محمد ثقفي تهراني يمكن مراجعة الهامش السادس في نهاية الفصل.



آية الله ميرزا محمد ثقفي تهراني (والد السيدة أم أحمد)

سألت السيدة (أم أحمد) عن سبب انفصال والدتها عن والدها فأجابت: «لقد تزوج والدي للمرة الثانية، وقرر ان يُسكن زوجته الثانية مع أبنائها من زوجها الاول بالقرب من بيت والدتي، فانزعجنا جميعاً.. وعندما سمع السيد الإمام هذا الخبر انزعج هو، أيضاً، وذهب إلى والدي وتحدث معه بالتفصيل، إلّا أن هذا الحديث لم يؤثر عليه، لذلك تألمت والدتي كثيراً وانتقلت للسكن في بيت آخر، وكانت آنذاك عندها ثلاثة أصهار، فضلاً عن أن أختي الصغيرة «مينو» وأخي الوحيد (رضا) لم يكونا قد تزوجا بعد».

أضافت السيدة تقول: «لم تلتق والدتي مع والدي أبداً بعد تلك الحادثة، كما أن الأخوة والأخوات تضامنوا جميعاً مع الوالدة ولم يذهبوا لزيارة والدهم إلّا نادراً، وفي المقابل كان أبناء والدي من زوجته الثانية يحترمون والدتي ويهتمون بها كثيراً.

«وكنا نجتمع غالباً في بيت الوالدة التي كانت تدير حياتها الخاصة بشكل مناسب بسبب مدخولها المالي الجيد.. وعندما كنت أعود من النجف الأشرف إلى إيران، كنت أذهب إلى بيت الوالدة، وكان والدي يأتي إلى هناك لرؤيتي، إلّا أن والدتي لم تكن تحضر ذلك اللقاء، وكنت أقضي يوماً كاملاً في بيت والدي.. والملفت أن والدي ووالدتي كانا أبناء خالة وتزوجا بعد محبة متبادلة بينهما».

كذلك وصفت السيدة (أم أحمد) شقيقها الدكتور رضا بأنه «إنسان مؤدب وذكي وخلوق ومذواق، وكان السيد الإمام يحبه كثيراً، وكان يأتي أحياناً إلى بيتنا في مدينة قُم في أيام العطلة وقد تخصص في اللغة والأدب الفارسي، وكان من أصدقاء الدكتور معين[1] وهو حالياً أستاذ الأدب الفارسي في الجامعة، وزوجته السيدة «فرهمند علي آبادي» من أسرة مرفهة وعصرية، وعندهما صبي وبنت واحدة».

كما قالت السيدة لي: «شقيقتي الأولى هي السيدة «شمس آفاق»، وقد تزوجت الدكتور علوي، وكان طبيباً ملتزماً دينياً ولهما ولدان وثلاث بنات، وقد توفي الدكتور علوي في شبابه، وهاجر أولادها إلى أوروبا وأمريكا[2] وعاشت وحيدة مع والدتي». وأضافت تقول: «أختي الثانية هي «نجم الزمان» وتزوجت العقيد برهان آزاد، وكان هذا زواجه الثاني ولديه صبي وبنت من زوجته الأولى». وقد وصفت السيدة (أم أحمد) شقيقتها السيدة «نجم الزمان» بأنها نموذج الصبر والتدبير والعقل، وأضافت: «رغم أن زوجها قد توفي في شبابه إلّا أنها تعهدت بتربية ابنها وبناتها الثلاثة، فضلاً عن ابني العقيد من زوجته الأولى، ونشرت بينهم أجواء المحبة والمودة والاحترام التام.

---

(١) ولد الدكتور محمد معين (١٩١٨ ـ ١٩٧١م) في مدينة رشت (شمال إيران) وأمضى مرحلة الطفولة والفتوة في مسقط رأسه قبل أن يهاجر إلى طهران ويواصل تحصيله العلمي في المرحلة الثانوية في مدرسة (دار الفنون) ويحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الفارسي من جامعة طهران. وكان أول من حصل على هذه الشهادة في إيران. ثم أصبح رئيساً لمؤسسة المعجم الفارسي في عام ١٩٥٧م وبقي في هذا المنصب حتى أصيب بنوبة قلبية في عام ١٩٦٦م واغمي عليه وهو في مكتبه وظل على هذه الحالة لخمس سنوات قبل ان يتوفى في عام ١٩٧١م. له عدة مؤلفات قيمة أهمها معجم اللغة الفارسية المعروف بـ (فرهنك معين) (معجم معين).

(٢) تم العثور على «فاطمة» إحدى بنات السيدة «شمس آفاق» مقتولة في بيتها في إحدى المدن الألمانية.



الدكتور رضا ثقفي تهراني (شقيق السيدة أم أحمد) مع السيدة أم أحمد



من اليمين: السيدات «صديقة مصطفوي»، «مينو ثقفي» والسيدة أم أحمد

«كذلك شقيقتي الثالثة هي السيدة «حوراء» التي تزوجت السيد درودي الموظف في المصرف والذي توفي أيضاً في شبابه وأبقى بعده ثلاثة أولاد وبنت واحدة[١].

«أما أصغر شقيقاتي، فكان اسمها «عذراء» المعروفة بـ (مينو) وقد تزوجت العقيد اسفندياري الذي توفي كذلك شاباً، وكان عندهما بنتان وصبي واحد»[٢].

كذلك ذكرت السيدة (أم أحمد) أسماء أربعة من أخواتها غير الشقيقات (السيدات مريم، بروين، زهرة ومهري) وثلاثة من أخوتها غير الأشقاء (السادة حسن، علي ومهدي) وأكدت أن علاقتها العاطفية معهم كانت جيدة جداً.

البيوت التي استأجرها السيد الإمام قدس سره

بعد أن استمعت إلى التفاصيل المرتبطة بأول بيت استأجره سماحة السيد الإمام (رض) بعد الزواج، اشتقت أكثر أن استمع إلى التفاصيل المرتبطة بالبيوت الأخرى التي سكنها الإمام قبل نفيه خارج إيران، ولحسن الحظ فإن السيدة (أم أحمد) كانت تحتفظ في ذاكرتها بتلك التفاصيل حيث قالت: «في العام ١٩٣١م استأجرنا بيتاً في زقاق ارك،

---

(١) كذلك خرج السيد سعيد ابن خالة السيدة «حوراء» في عام ٢٠٠٥م من البيت ولم يعد.

(٢) عندما توفي العقيد اسفندياري، كنا في العراق وقد بادر السيد مصطفى بمعونة السيد أحمد إلى اخبار السيدة (أم أحمد) بالنبأ غير السار بشكل تدريجي.. وقد خاطب السيد الإمام (رض) حينها السيدة والدة (أحمد) مازحاً: يبدو أني بفضل إبعادي إلى العراق خرجت من قافلة أصهارك وحالفني الحظ أن أعيش أكثر من الباقين!!.

وكان البيت مرتفعاً قليلاً عن سطح الأرض وله ثلاث غرف مشرفة على باحة البيت، وكنا ندفع مبلغ ستة توامين بدل الإيجار الشهري، وكان غالياً نوعاً مّا ولم يكن السيد الإمام يرغب في البقاء فيه، لذلك لم نبق فيه سوى ثلاثة أشهر.

«واستأجرنا بيتاً آخر في نفس الزقاق أرخص منه توماناً واحداً شهرياً. البيت الآخر الذي استأجرناه كان في (تكية ملا محمود) وبلغت مساحته حوالي مائتي متراً مربعاً وبدل إيجاره الشهري بلغ ثلاثة توامين، وصاحب البيت كان من أصدقاء السيد أحمد لواساني، وقد مكثنا فيه ثمانية أعوام، حيث ولد فيه نجلي علي[١].. وفي نفس العام وجبت فريضة الحج على السيد الإمام بعد أن وصله مبلغ من المال من عائدات أملاك ورثها عن والده، وقد أخّر موعد سفره إلى الحج للاطمئنان على صحتي بعد الولادة.. وهكذا غادر سماحته في شهر شوال عن طريق أهواز وآبادان والعراق وسورية ولبنان، وأرسل لي رسالة من لبنان مع أحد المسافرين[٢] وصف فيها جمال لبنان، ومن هناك غادر عبر البحر إلى مدينة جدة، وبعد حوالي خمسة أشهر عاد سماحته إلى مدينة قُم، وتزامنت عودته مع سيول جارفة اجتازت مدينة قُم بحيث أن أكثر سكانها لجأوا إلى مناطق مرتفعة خشية الغرق، وعندما تفاجأ السيد الإمام بهذه السيول أوصل نفسه بسرعة وقلق إلى البيت».

وأضافت السيدة تقول: «وبينما كنت جالسة في البيت رأيت ظلاً لرجل دخل باحة البيت، فقفزت مذعورةً وقلت: من القادم؟ قال: أنا

---

(١) علي هو الابن الثاني لسماحة الإمام (رض) الذي توفي في الصغر.

(٢) تاريخ الرسالة هو شهر نيسان عام ١٩٣٣م. يمكن مراجعة الهامش السابع في نهاية الفصل.



منظر داخلي لبيت السيد الإمام في قُم،
جزء من المبنى الحالي لمدرسة حجتية



منظر خارجي لنفس البيت



بيت الإمام الخميني (رض) في قُم (محلة يخجال قاضي)

روح الله. وسأل بقلق: ألم تخِفْك السيول؟ قلت: كلّا.. وذهبت بكل شوق لاستقبال الحاج القادم الذي كانت ملابسه قد تبللت بالمطر، فأبدلها بملابس جديدة كنا قد احتفظنا بها من السابق، وقال سماحته: لقد قلقت عليكم كثيراً عندما شاهدت أوضاع المدينة حال دخولي إليها.

«بقينا لفترة أخرى في هذا البيت إلى أن تركناه بطلب من صاحبه. البيت الآخر الذي استأجرناه بخمسة توامين شهرياً، كان في محلة (كذر جدّا) بالقرب من حرم السيدة فاطمة المعصومة (ع) وله أربع غرف بطابقين، وبقينا فيه حوالي ثلاث سنوات.

«البيت الآخر الذي سكنّا فيه كان واسعاً جداً، ويقع في شارع حجتية، ويعرف بالحديقة، وقد أجره صاحبه لنا بمبلغ زهيد، حيث ولد السيد أحمد فيه، وكان في البيت ست غرف وباحة واسعة جداً، وقد تم تبديله فيما بعد، إلى ما تعرف الآن بمدرسة حجتية العلمية.

البيت الأخير الذي استأجرناه كان في محلة (يخجال قاضي) (وشرحناه بالتفصيل سابقاً وأشرنا إلى ظروف تأجيره ومن ثم شرائه).

«بعد انطلاق الجهاد ضد النظام الملكي المستبد في عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م، ازداد تردد العلماء والطلبة والناس علينا، مما اضطرّنا إلى استئجار بيت صغير ملاصق للبيت للسكن من صاحبته «السيدة نصرت»، وقد أعدناه لها بعد نفي السيد الإمام إلى خارج البلاد».

التزام مشهود

بينما تنتقد السيدة (أم أحمد) بعض آراء الإمام الخميني (رض) في مجال الأسرة وتعتبرها نوعاً من التعصب، إلّا أنها تشيد في الوقت ذاته بالتزام سماحته الديني ووفائه بعهوده ووعوده، وتذكر أن ما قاله والدها عن السيد الإمام عندما تقدم لخطبتها، كان صحيحاً تماماً.. فقد كان سماحته ملتزماً بكل الوعود التي قطعها على نفسه أمام والدي، وكمثال على ذلك أذكر هذا النموذج حيث كان سماحة الإمام صعباً جداً وشديداً فيما يخص بعض المصاريف كغيره من طلبة العلوم الدينية، إلّا أنه في المقابل لم يعارض أبداً تشغيل أحد العمال لمساعدتنا في البيت كما وعد بذلك لوالديّ، ولم يتركني ولو حتى يوم واحد بدون وجود عامل لمساعدتي، ولم يطلب مني أبداً أن أقوم بأداء واجبات المنزل، إلّا أنني كنت أقوم بنفسي بالكثير من أعمال البيت وكنت أقضي عدة ساعات مساء كل يوم في خياطة الملابس لأبنائي».

أجل عرفت السيدة (أم أحمد) بذوقها الرفيع في أداء واجباتها المنزلية بأحسن شكل، وكانت تخيط الأقمشة العادية وتحولها إلى ملابس جميلة، بخاصة لبناتها، بحيث تلفت أنظار الآخرين وتثير اندهاشهم.

عمال بيت الإمام

خلال سردها لذكرياتها، كانت السيدة (أم أحمد) تذكر مراراً العمال الذين دأبوا على خدمتها وكانوا إلى جانب أسرة سماحة الإمام خلال مراحل المد والجزر المختلفة، وتحملوا الصعاب في هذه الطريق، وقد طلبت منها أن تذكر شيئاً عنهم فقالت: «إن أول عاملة كانت إلى جانبنا واستفدنا من خدماتها، كانت سيدة في الأربعين من عمرها، وكنا نعطيها تومانين شهرياً (وكان هذا المبلغ كثيراً آنذاك) وقد وافق السيد الإمام على ذلك وفاءاً لعهده مع أسرتي، وبقيت هذه السيدة معنا حتى أخطأت في أحد الأيام، حيث قامت برمي بعض قصاصات الورق العائدة لسماحة الإمام وهي تنظف غرفتنا، وقد انزعج سماحته منها وأخرجها من الخدمة.

«العاملة الثانية هي السيدة «رباب سلطان»، وكنا ندفع إليها أربعة ريالات شهرياً، وتركتنا بعد زواج ابنتها.

«العاملة الثالثة هي السيدة «زهرا سلطان» واستمرت معنا لعام تقريباً وكنا ندفع لها سبعة ريالات شهرياً.

«العاملة الرابعة هي السيدة «خاور سلطان»، وكانت معنا عندما كنا نسكن في بيت (تكية ملا محمود).

«العاملة الخامسة هي السيدة «زيور سلطان»، وكانت معنا في البيت الكبير الذي كان يسمى (حديقة)، وكانت تحافظ على السيد أحمد وترعاه، وكانت لها بنتان باسم «هاجر» و«فاطمة» التي كانت تُرضع السيد أحمد وأصبحت مرضعته. وكانت للسيدة «زيور سلطان» حفيدة من ابنها اسمها «كبرى»، وقد تربت في بيتنا وتزوجت فيما بعد مع مشهدي أحمد كرمجكاني[١].

---

(١) لا تزال السيدة «كبرى خانم» ومشهدي أحمد يعيشان في قرية كرمجكان (بالقرب =

«كذلك كانت عندنا السيدة «أمين آغا» التي تطوعت لخدمتنا في قُم بعد اعتقال سماحة الإمام ونفيه عن البلاد في عام ١٩٦٣م.

وعندما وصل الإمام الخميني إلى مدينة النجف الأشرف بالعراق وتقرر أن نلتحق بسماحته هناك، رافقنا في رحلتنا إلى هناك عامل وعاملة.. العاملة كان اسمها السيدة «سكينة سلطان» وبقيت في العراق أكثر من عامين، وعادت إلى إيران بعد أن اشتاقت كثيراً لأولادها، وكانت ترى في المنام أحلاماً مزعجة[١] ؛ وعندما عادت عرفت أن ابنها يواجه مشاكل يستلزم حضورها إلى جانبه، وبذلك عرفت صدق تلك الأحلام.

«العاملة الأخرى هي السيدة «مشهدي عصمت» التي بقيت ثلاث سنوات معنا في العراق وقد تشرفت إلى الحج وكانت سيدة مؤدبة وفعالة للغاية وكانت لديها بنت اسمها «مشهدي كبرى» وكانت تساعدنا، أيضاً، عندما كنا في قُم.

«العاملة الأخرى هي السيدة «اقليما» التي بقيت معنا في النجف الأشرف حوالي ثلاث سنوات وتشرفت إلى الحج، وكانت أسرتها من الثوريين الملتزمين وكانت تتقن الخياطة بشكل رائع.

«العاملة الأخرى هي السيدة «ننه فاضل» وكانت سيدة أفغانية تعيش في النجف الأشرف[٢] وتساعدنا هناك».

= من قم) وغالباً ما يجلبان لنا معهما بعض الهدايا مثل الجوز واللبن والخبز واللحم.

(١) بعد الزواج، جاءت إلى بيتنا وكانت ترعى السيد حسن وكانت معنا حتى سافرنا إلى العراق.

(٢) بعد انتصار الثورة الإسلامية وصلت هذه السيدة إلى إيران وبدأت بتقديم خدماتها في بيت الإمام الخميني بجماران وكانت سيدة ذكية وفعالة، وكان السيد أحمد=

كذلك ذكرت السيدة (أم أحمد) أسماء العمال الذين خدموا أسرة الإمام (رض) وقالت: «كان السيدان مشهدي رضا وميرزا ناد علي في بيت الإمام الخميني (رض) عندما اعتقل سماحته، وبعد نفي الإمام وفرض الحصار على البيت من قبل السافاك، بَقِيَا في البيت وكانا يتشاجران أحياناً مع رجال الأمن، وفي الوقت ذاته كانا يساعدان السيد أحمد في أداء بعض الأعمال إذ كان يعيش في البيت نفسه».

كما ذكرت السيدة أحد العمال باسم مشهدي علي وقالت: «السيد مشهدي علي كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة وكان يحدد الأشياء التي يريد شراءها من خلال رسمها على الورق ويحضرها لي. وفي أحد الأيام عثر رجال السافاك في جيبه على عدد من هذه الصور وشكّوا في أمره وسألوه عن سر هذه الصور ولم يصدقوه، فحجزوه ليلة في المعتقل حتى تأكدوا من صدق ادعائه، ثم أطلقوا سراحه[(١)]».

وذكرت السيدة (أم أحمد) أسماء بعض العمال الآخرين ومنهم مشهدي حسين وسيد مرتضى وحاج إبراهيم، وقالت إنهم لا زالوا في النجف الأشرف.

الرحلات الصيفية

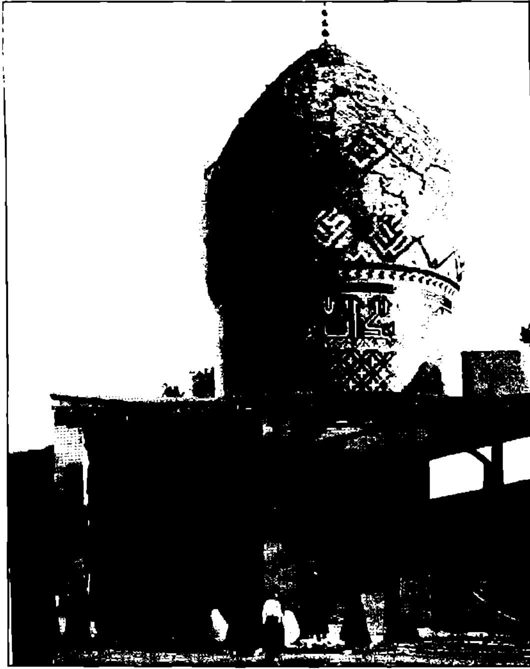
في مراسم عقد القران وَعَدَ السيد الإمام السيد ثقفي أن يعمد

= يمازحها بالقول: أظن أنك رئيسة حزب سياسي في افغانستان. وفي أحد الأيام، بينما كنت التقط صورة لسماحة الإمام، جاءت هذه السيدة وطلبت أن أصورها مع سماحته حتى يعرف العالم أن الإمام الخميني لا يفرق بين المسلمين الإيرانيين وغيرهم. وكانت تقول إن هذه الصور ستبقى للتاريخ ولا بُدّ من الاهتمام بها لتكون صالحة للنشر.

(١) لا زال السيد مشهدي علي يتذكرنا ويمر علينا بين فترة وأخرى.

لتخفيف العبء عن ابنته خلال فصل الصيف ويسعى إلى تخليصها من حر وجفاف مدينة قُم في هذا الفصل اللاهب، والسماح لها لتسافر إلى مناطق أقل حرارة؛ وبقي السيد الإمام وفياً لعهده هذا، حيث نقلت السيدة (أم أحمد) أن سماحة الإمام اعتاد مع بدء فصل الصيف، أن يأخذني مع أطفالي إلى بيت والدي في طهران ويعود وحده إلى مدينة قُم لينشغل في تأليف الكتب خلال أشهر الصيف، وكان يتردد علينا بين فترة وأخرى، واستمر ذلك لحوالي ستة أعوام متتالية، إلّا أنه في العام ١٩٤٣م حيث كانت ابنتي لطيفة قد ولدت لتوها، وبينما كنا جالسين في باحة بيت والدي وكان ولدي السيد مصطفى مشغولاً بلعب الكرة، وإذا به يرمي بها على زجاجة نافذة غرفة والدي مما أدّى إلى كسرها، وبالتالي انزعاج والدي وإثارة أعصابه ومحاسبة الصغير مصطفى، وتوبيخه بسبب ذلك. وقد أدّت هذه الحادثة التي جرت بحضور السيد الإمام، إلى أن يخاطبني سماحته بعد مرور عدة أيام بالقول: «هل ترغبين بالذهاب إلى مدينة مشهد ونقضي باقي أيام الصيف هناك»؟!.. لم أتردد في قبول الفكرة بل وفرحت كثيراً بسبب ذلك.

«اشترينا تذاكر القطار ودعا سماحة الإمام والدتي لترافقنا في هذه الرحلة وسافرنا معاً إلى مدينة مشهد؛ وهناك استأجرنا بيتاً صغيراً وبقينا فيه لشهرين. ولم يتحدث السيد الإمام معي بشأن هذا القرار الذي اتخذه، ولكني أظن أن سماحته قد تألم بسبب توبيخ مصطفى من قبل والدي، أو أنه أدرك أن الفوضى التي سببها الصغير مصطفى سلبت والدي هدوءه، ولا بُدّ من تغيير الأجواء والسفر إلى مشهد.. وبعدها، أدّى ذلك إلى أن نسافر في صيف كل عام إلى مدن أخرى ونقضي أشهر الصيف هناك، ويمكث سماحة الإمام معنا، فقد سافرنا لعامين إلى مدينة محلات ومثلها إلى مشهد ومرتين إلى منطقة (امامزاده قاسم) في شمال طهران، ومرة إلى

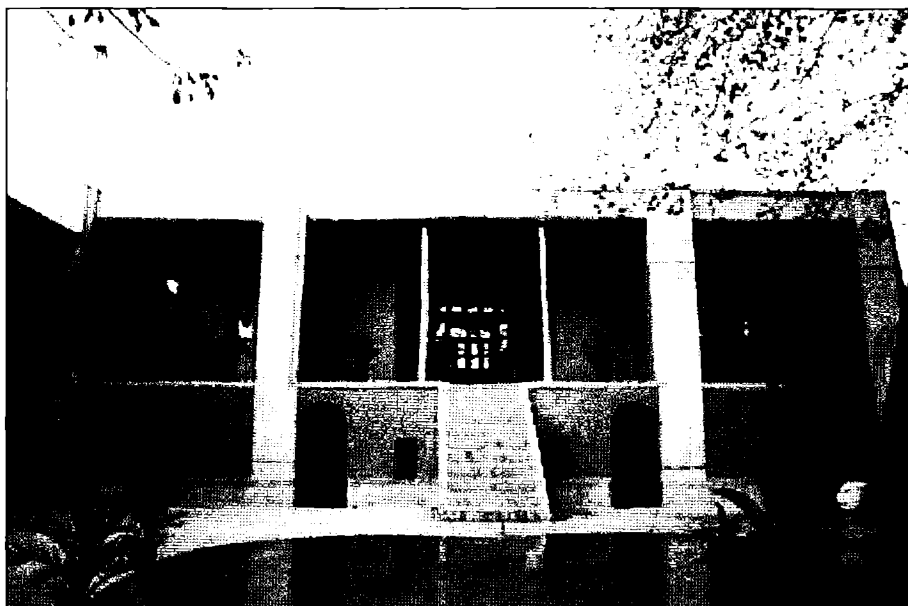

القبة القديمة لمرقد السيد (أمامزادة قاسم) في شمال طهران

أصفهان، ومثلها إلى همدان.. وهكذا، وكان السيد الإمام ينشغل غالباً في الصيف بتأليف الكتب أو كتابة تقارير دروسه التي ألقاها خلال العام المنصرم».

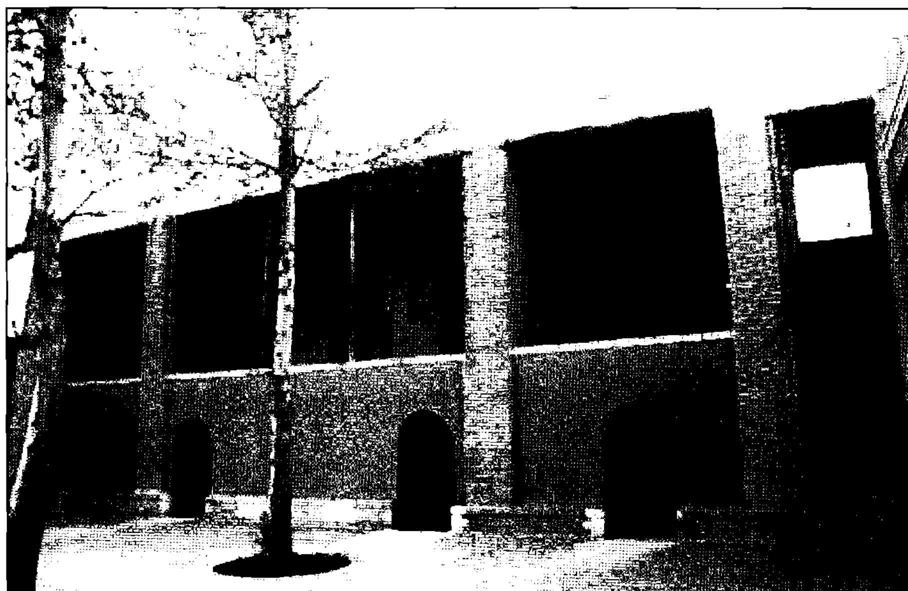
واضافت السيدة تقول: «بالطبع مع نفي سماحة الإمام (رض) إلى النجف الأشرف التي تشبه في طقسها الحار والجاف مدينة قُم، تم التعويض عن فصول الصيف المنصرمة التي قضيناها في المناطق المعتدلة التي ذكرناها».

السفر إلى مدينة خمين

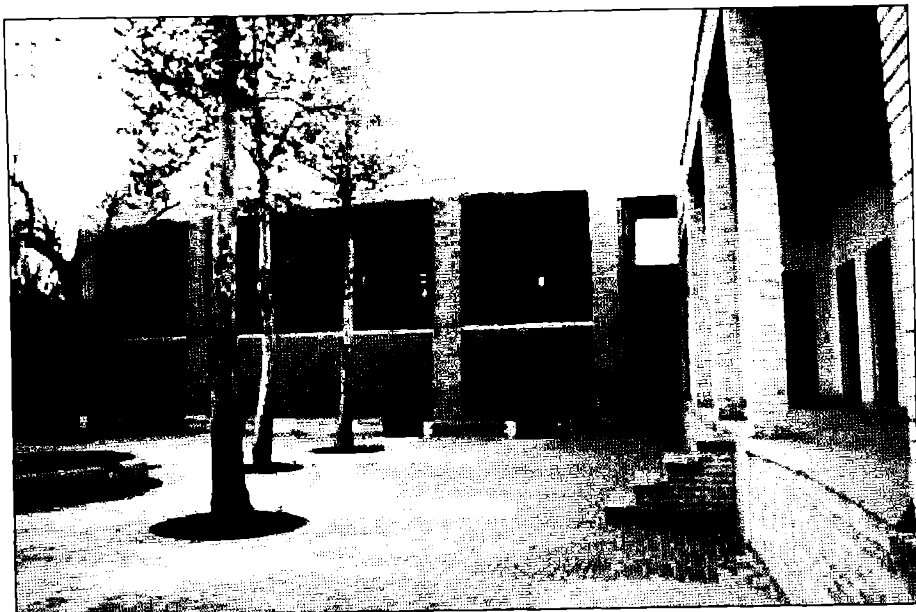
تحدثت السيدة (أم أحمد) عن أول رحلة قامت بها إلى مدينة خمين مسقط رأس السيد الإمام وقالت: «في العام ١٩٣٤م، وبينما كان عمُر نجلي مصطفى أربع سنوات، ذهبنا إلى مدينة آراك في طريقنا لمدينة خمين، حيث توقفنا فيها لفترة زمنية قليلة، لإتاحة الفرصة للسيد الإمام لزيارة صديق له يعمل طبيباً في آراك، وبقيت مع نجلي مصطفى في موقف السيارات قبل أن نتجول في السوق القريب الذي كان ينتهي بفسحة غزيرة بالأشجار الجميلة.



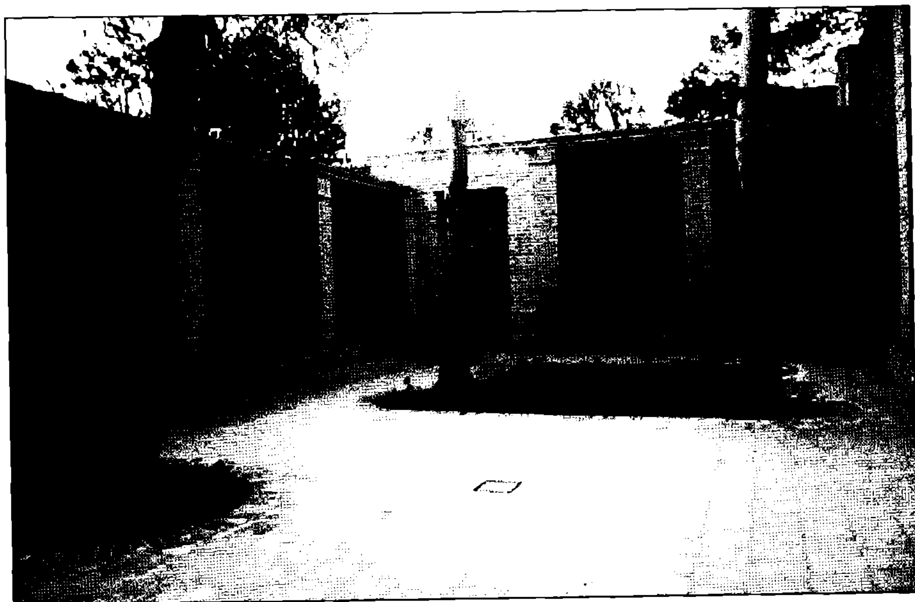
بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين



جانب آخر من بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين



جانب آخر من بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين



جانب آخر من بيت والد الإمام الخميني في مدينة خمين

«عدت إلى الموقف حيث كان السيد الإمام قد وصل أيضاً، وذهبنا معاً إلى بيت صديقه الطبيب الذي استضافنا عنده، وبعد استراحة قصيرة انطلقنا نحو خمين».

وصفت السيدة مدينة خمين قائلة: «لم تكن مدينة خمين آنذاك عامرة، بل كانت أشبه بالقرية ذات الطبيعة الخلابة والأراضي الزراعية الخصبة. ذهبنا إلى بيت السيد بسنديدة ـ الأخ الأكبر للسيد الإمام ـ وبقينا هناك أربعين يوماً، وحينها كان الأخ الآخر له السيد هندي الذي كان قد انفصل عن زوجته، يعيش في نفس البيت مع أبنائه الثلاثة، وكانت علاقة السيد الإمام حسنة جداً مع شقيقيه، وكان يكن احتراماً خاصاً لشقيقه الأكبر السيد بسنديدة. وكانت السيدة عمّة سماحة الإمام، تعهدت بمهمة تقسيم الإرث الذي وصل إليهم بعد وفاة والدهم، حيث مُنح المبنى الكبير بثلاث غرف وباحة واسعة إلى السيد بسنديدة لأنه مضياف ويتردد عليه الضيوف بكثرة. والمبنى الثاني الذي كان كاملاً من كل النواحي، منح للسيد الإمام. كما منحت الأراضي المحيطة بالمبنيين للسيد هندي، لأن بإمكانه استثمارها أو تشييد بناء مناسب عليها لتمتعه بالإمكانية المالية الكافية.

«في العام ١٩٤٢م سافرتُ للمرة الثانية إلى مدينة خمين برفقة مصطفى وبناتي: «صديقة» و«فريدة» و«زهراء»، وكذلك السيد مشهدي مسيب العامل لدى السيد هندي الذي كان قد جاء إلى قُم لإنجاز بعض الأعمال، والتحق بنا السيد الإمام بعد عدة أيام، وكان هدف الرحلة المشَاركة في مراسم زواج السيد هندي مع ابنة أخ السيد باقر خان مستوفي (زوج اخته)».

خصلتان جميلتان

ذكرت السيدة (أم أحمد) أن سماحة الإمام «لم يكن قادراً على تحقيق جميع طلباتي، إلّا أنه كان دائماً يراعي حالي.. ولأن سماحته كان يحبني ويحترمني بشدة، فإن مصاعب الحياة كانت تسهل نتيجة لذلك»؛ وأشارت إلى أمثلة على ذلك:

- في أحد الأيام أخذت السيد أحمد إلى الحلاق لتقصير شعر رأسه، فقام الحلاق بذلك حسب الموديل الألماني، وعندما عاد سماحة الإمام إلى البيت وشاهد موديل شعر رأس نجله أحمد وكان لونه أشقراً انزعج من ذلك، إلّا أنه لم يعترض عليّ.. وبينما كان غاضباً بشدة قال: «لماذا يجب أن يحلق شعر رأس ابني، أنا طالب العلوم الدينية، بهذا الشكل»؟ وبدأ بقص الشعر بالمقص طبقاً لرغبته، وقد انزعجت من ذلك بشدة وتعصبت بسبب ذلك، إلّا أني فضلت الصمت!.

- أهدتني والدتي في أحد الأيام، قطعة قماش للستائر وقمت بخياطتها وإعدادها لأعلقها في الغرفة باستخدام القضيب المعدني الخاص، إلّا أن السيد الإمام عارض ذلك، وقد انزعجت. بالطبع فإن أكثر الناس في قُم آنذاك، كانوا لايستخدمون القضيب المعدني لتعليق الستائر بل يستخدمون المسامير لهذا الأمر.

- جاءت شقيقتي في أحد الأيام إلى مدينة قُم من طهران، وبعد أن مكثت عندنا فترة من الزمن قررت العودة بالقطار إلى طهران، وارتأيت بدوري أن أوصلها إلى محطة القطار، لأني كنت أحب كثيراً أن أشاهد المحطة عن قرب، إلّا أن سماحة الإمام عارض ذلك ولم يكن يرغب أن أذهب إلى محطة القطار. وقد ذهبت إلى

المحطة بحجة توديع شقيقتي السيدة «نجمة»، وبعدما عدت إلى البيت سألني السيد الإمام: أين كنت؟ أجبت: ذهبت إلى محطة القطار لتوديع شقيقتي السيدة «نجمة».. فانزعج سماحته وطأطأ رأسه وقال: سأكتب لوالدك السيد ثقفي وأخبره بذلك.. وغادر الغرفة.

بعد استماعي لحديث السيد الإمام، بادرت إلى كتابة رسالة لأبي وأخبرته بتفاصيل الحادثة الآنفة حتى أضعه مسبقاً بأجواء الحادثة قبل أن تصل رسالة السيد الإمام إليه.. وقد تصادف أن مرضت بعد يومين من تلك الحادثة، وأصبت بحمّى شديدة ورقدت في الفراش، فجلس السيد الإمام عندي وقال: لقد تراجعت عن قراري في كتابة رسالة لوالدك بعد أن أصبت بالمرض. وحينها ندمت على تصرفي الخاطئ وكتابة رسالة لوالدي وإخباره بالحادث مسبقاً.. وكانت الرسالة قد وصلت لوالدي، وقد أوصاني في الرسالة الجوابية أن أراقب أكثر تحركاتي خارج البيت.

شاي التوديع

اعتادت السيدة (أم أحمد) أن تتزاور مع عوائل العلماء والمراجع في مدينة قُم. وكانت تراعي تقاليد خاصة أثناء استقبال الضيوف، حيث تفتح العاملة باب البيت ما أن يُطرق وترافقهم حتى السّلّم المؤدي إلى باب الغرفة، وتقوم السيدة باستقبال الضيوف وترافقهم إلى داخل الغرفة وتجالسهم حتى النهاية، وتتبادل الأحاديث معهم.. كما أن تقديم الضيافة يتم طبقاً لتقاليد خاصة: أن يقدم الشاي في الشتاء وعصير الفاكهة في الصيف. ويوضع أمام الضيوف صحن للحلويات وآخر للفاكهة؛ وفي ختام الجلسة يقدم مرة أخرى شاي التوديع.

وعند التوديع تقوم السيدة بمرافقة الضيوف حتى أسفل السلّم، ثم

تقوم البنات بمرافقتهن حتى قرب الباب.. بعد فترة تقوم السيدة في الوقت المناسب بالرد على هذه الزيارة وزيارتهن في بيوتهن.

ولكن بعض العوائل لم تكن تراعي مثل هذه التقاليد ولا تهتم بأصول الاستقبال والتوديع، وقد تجلس الضيفات لوحدهن في الغرفة دون حضور صاحبة البيت، أو يتأخر موعد رد الزيارة، لذلك، فإن علاقة السيدة (أم أحمد) مع بعض العوائل تميز بالبرود، إلّا أن علاقتها كانت حميمة وودية للغاية مع السيدة «نصرت آغا» حرم آية الله بروجردي التي كانت بدورها تراعي كثيراً تقاليد الضيافة.

* * *

الهوامش

١ ـ من المشاكل التي عانى منها الأشخاص الذين كانوا يُنفون من مدنهم بسبب نشاطهم السياسي ضد النظام الملكي البائد، هو الوضع المعيشي لأسرهم. لذلك بادر السادة منتظري وطالقاني ولاهوتي، وبمساعدة ودعم الأخيار والمؤيدين للثورة الإسلامية، إلى تأسيس صندوق تقدم من خلاله المساعدات المالية لعوائل المعتقلين والمنفيين، إلّا أن السافاك قاموا بإلقاء القبض على مؤسسي هذا الصندوق، وبالتالي فشلت هذه المبادرة الإنسانية.. وقد ضغط جلاوزة السافاك على هذه الشخصيات من خلال التعذيب داخل السجون للكشف عن أسماء الخيّرين والأثرياء الذين كانوا يدعمون هذا الصندوق، إلّا أنهم تحملوا كل صنوف التعذيب دون أن يكشفوا عنهم.

فقد قال لي السيد كروبي بهذا الشأن: عندما نُفيتُ إلى مدينة كنبد كاووس، أعطَيتُ مقداراً من النقود التي كنت قد وفرتها، إلى أسرتي لتصرفها في غيابي، وأخذت جزءاً يسيراً منها معي. وعندما وصلت إلى تلك المدينة قام رجل الأمن الذي رافقني، بتسليمي إلى رئيس السافاك هناك ولم يأخذني إلى أي فندق في تلك الليلة حتى لا يصرف أي مبلغ، وعاد هو لوحده.

قام رئيس السافاك في مدينة كنبد كاووس بوضعي في إحدى غرف

بيته وتناولت العشاء هناك. وفي صباح اليوم التالي ذهبت معه إلى مديرية الأمن والسافاك، ووقعت على سجل خاص بالمنفيين، ثم خرجت من المبنى لا أعرف أين أذهب في تلك المدينة الغريبة؟ وتمكنت أخيراً من استئجار غرفة صغيرة بالمبلغ الضئيل الذي كان معي.. والأسوأ في كل ذلك حالة البطالة التي لم أكن أعرف كيف أقضي عليها، حيث كنت أتجول في شوارع المدينة لأعثر على مسجد أو مكتبة أقضي فيها الوقت.

كذلك كان آية الله الشيخ حسن صانعي يحمل ذكريات مرّة عن أيام النفي القاسية إلى مدينة مشكين شهر ذات الطقس البارد حيث تهبط درجة الحرارة هناك إلى أدنى من الصفر في الشتاء دون أن تكون لديه أية وسيلة للتدفئة.

كما أن حجة الإسلام علي حجتي، نفي إلى غرب إيران، وبالاضافة إلى المشاكل التي عانى منها كغيره من الشخصيات السياسية المنفية أصيب بأمراض خاصة بسبب الضرب المبرّح الذي تحمّله في السجن، وبقي يعاني من آثار ذلك حتى الوفاة.. وفي المدينة التي نُفي إليها ألقى رجال الأمن القبض على شاب معه أحد البيانات الثورية، وخلال التحقيق معه كشف أنه حصل على ذلك البيان من السيد حجتي، مما دعاهم إلى مهاجمة بيته مساءاً وانهالوا عليه ضرباً مستفسرين عن مصدر ذلك البيان، وقد أنكر الشيخ حجتي علمه بذلك أصلاً. وقام رجال السافاك بمقابلته مع ذلك الشاب دون جدوى. وقد قال ذلك الشاب فيما بعد للشيخ حجتي، أنه اضطر إلى الصاق التهمة به للتخلص من الضغوط التي وجهت له، وأن السافاك يعرفونه كأحد الشخصيات السياسية الناشطة.

٢ ـ اعتُقل **آية الله السيد محمود طالقاني**، بعد انتفاضة الشعب الإيراني المسلم في الخامس من حزيران عام ١٩٦٤م وإصداره عدة بيانات

ثورية ضد النظام الملكي المستبد، كما تم اعتقاله مرة أخرى بعد إصداره البيان التاريخي المشهور (الدكتاتور يسفك الدماء) وبقي في السجن حتى الأشهر الأخيرة قبل انتصار الثورة الإسلامية حيث أطلق سراحه مع المهندس لطف الله ميثمي في تشرين الثاني عام ١٩٧٨م.

قبل انتصار الثورة الإسلامية كان السيد طالقاني إماماً لمسجد (هدايت) المعروف كأحد مراكز الجهاد والإرشاد الإسلامي في العاصمة، وقد تعرض مراراً للسجن والنفي بسبب جهاده ضد النظام البائد.

تم تنظيم مسيرات تاسوعاء وعاشوراء الكبرى في طهران في عام ١٩٧٨م بدعوة منه وعدد آخر من علماء طهران.. وبعد انتصار الثورة الإسلامية تقلد مهمة أول إمام جمعة لطهران بأمر من سماحة الإمام الخميني (رض)، كذلك أصبح رئيساً لمجلس قيادة الثورة الإسلامية بعد استشهاد آية الله الشهيد مرتضى مطهري وممثلاً لأهالي طهران في مجلس خبراء الدستور الإسلامي، وقد وصفه الإمام بعد وفاته في العاشر من أيلول عام ١٩٧٩م بأنه كان (الساعد القوي للإسلام).

٣ ـ كان الهدف الرئيسي من تأسيس المنظمة على يد عدد من المناضلين من أعضاء **(حركة تحرير إيران)** هو خوض الكفاح المسلح ضد النظام الشاهنشاهي الجائر، وعلى رأسهم السيدين محمد حنيف نجاد وسعيد محسن، وكانا من طلاب جامعة طهران وأبرز أعضاء الاتحاد الإسلامي لطلبتها، وكانا ينشطان ضمن لجنة الطلاب الجامعيين لحركة تحرير إيران، إلّا أنهما لم يقتنعا بالخط السياسي للحركة، وكانا من المنتقدين لهذا الخط، وفكرا بتأسيس

منظمة جديدة تضم شخصيات معتقدة بالإسلام وواعية للقضايا السياسية المعاصرة، وتطورت الأمور تدريجياً داخل التنظيم وبدأت الصراعات العقائدية بينهم، حتى تعرض عدد من الشخصيات المقاومة الملتزمة دينياً داخل التنظيم منهم السيدين: مجيد شريف واقفي ومرتضى صمدية لباف، لمحاولة اغتيال غادرة قتل على أثرها السيد مجيد شريف واقفي وأصيب السيد صمدية لباف بجروح وأدخل السجن وهو في تلك الحالة.

لم يكن للمنظمة لائحة مدونة حتى عام ١٩٧١م، وكان اثنان من العناصر القيادية المتديّنة وهما: أحمد رضائي ومهدي رضائي، ينشران بشكل سري كراسات بعنوان (طريق الحسين).. كما أنهما اتخذا قراراً بتفجير مقبرة (رضا خان) (والد الشاه المقبور) خلال زيارة الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون للمقبرة في أواخر حزيران عام ١٩٧٢م إلّا أنهما استشهدا في نفس السنة.

كذلك كانت المنظمة قد قررت القيام بعدد من العمليات المسلحة ضد النظام الملكي البائد، تزامناً مع احتفالات مرور ألفين وخمسمائة عام على الشاهنشاهية في إيران، لإثبات كذب ادعاء الشاه الذي كان يرفض الاعتراف بوجود معارضين سياسيين له في إيران، إلّا أن تغلغل أحد عناصر السافاك داخل التنظيم، كشف هذه العمليات وهوجمت مقراته السرية وتم اعتقال أعداد كبيرة منهم.

في العام ١٩٧٥م ظهرت داخل التنظيم اختلافات أساسية وتخلى عدد من قياداته عن النهج الإسلامي واختاروا الماركسية بدلاً عنه. وقد سمعنا أن أحد قادتهم أعلن في تجمع عقد في (هايد بارك) المعروف في لندن، عن هذا الانقسام والانحراف الكبير وقال: «إن زملاءنا في التنظيم وصلوا إلى هذه النتيجة، وهي أن الإسلام لا يمكنه الإجابة على أسئلة

الجيل الجديد وأن المبدأ الرئيسي لنا اليوم، هو النضال وليس التزام الصلاة والصوم و..

٤ ـ يعود البناء الأول **للمدرسة الفيضية** للقرن السادس الهجري، وكانت تعرف بمدرسة (آستانه)، وأعيد بناؤها في عهد السلطان شاه طهماسب الصفوي، وفي القرن الثالث عشر الهجري حل مبنى المدرسة الفيضية مكان البناء القديم للمدرسة.

تتكون المدرسة الفيضية من أربعة أواوين بطابقين واربعين غرفة، وكان الإمام الخميني (رض) يسكن في إحداها، وإن أقدم أقسام المدرسة هو الإيوان الجنوبي المزخرف والمتصل بحرم السيدة فاطمة المعصومة (ع).

يعود سبب تسمية هذه المدرسة بالفيضية إلى الملا محسن فيض كاشاني، الذي كان يعتبر من أبرز تلاميذ الملا صدرا وصهره، وسكن في هذه المدرسة لفترة من الزمن ودرس فيها أيضاً. هذا وقد أغلق النظام الملكي البائد هذه المدرسة منذ آذار عام ١٩٦٣م ومنع الطلاب من دخولها.

٥ ـ يمكن أن نذكر **مؤلفات آية الله الحاج ميرزا أبو الفضل ثقفي تهراني** كالآتي:

ـ شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور، وقد طبع مراراً في إيران والهند.

ـ صدح الحمامة في أحوال والدي العلّامة، وكان حول حياة والده آية الله ميرزا أبو القاسم ثقفي تهراني. وكان للمرحوم أبو القاسم كتاب في علم الأصول بعنوان (صاحب مطارح الأنظار).

ـ ديوان شعر باللغة العربية.

٦ ـ من مؤلفات **آية الله الحاج ميرزا محمد ثقفي تهراني** نذكر الآتي:

ـ الأسلوب الخالد في تفسير القرآن المجيد، خمسة مجلدات، وطبع مراراً.

ـ الحواشي على درر الحاج الشيخ عبد الكريم حائري، في أصول الفقه.

ـ الحواشي على منظومة السبزواري في الحكمة.

ـ الحواشي على رسالة خواجة نصير.

ـ عدة حواشي على عدة كتب معروفة أخرى، ولم تطبع.

٧ ـ نورد هنا قسماً من **رسالة الإمام الخميني (رض)** لزوجته:

التاريخ: آذار ١٩٣٣ م.

المكان: بيروت، لبنان.

«عزيزتي، أفتديك، منذ أن ابتليت بفراق نور عيني العزيزة وقوة قلبي، لم يفارق محياك الجميل مخيلتي، فهو منقوش في قلبي، أدعو الله لك يا عزيزتي أن يحفظك برعايته ويديم سلامتك، فحالي هنا لا بأس به؛ لكن ولله الحمد كل ما حلّ بنا حتى الآن كان جميلاً وحسناً.. وأنا الآن في مدينة بيروت الجميلة، فمكانك خالٍ هنا حقاً، لأن مشهد البحر ووجه المدينة رائع للغاية. إلّا أنه للأسف ومائة أسف لأن محبوبتي وعزيزتي لا ترافقني وليست معي حتى يترسخ هذا المشهد الرائع في فؤادي. على أية حال، فهذه هي الليلة الثانية التي ننتظر فيها وصول السفينة، يقال إن سفينة ستتحرك غداً، إلّا أننا ينبغي أن ننتظر السفينة الأخرى لأننا وصلنا متأخرين، فلا نعرف حتى الآن ما ينتظرنا بالضبط، أدعو الله بعزة أجدادي الطاهرين أن يوفق جميع الحجاج لإتمام أعمالهم، ومن هنا فإني قلق نوعاً مّا...» (صحيفة الإ مام ج ١ ص ٢).

الفصل السادس

الليلة الأخيرة

لبنان.. مرّة اخرى

بعد الانتهاء من امتحانات السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية واطمئناني إلى النتيجة، قررت أن أستعد لخوض الامتحان النهائي العام الذي يؤهلني لدخول الجامعة، إلّا أن السيد أحمد ارتأى أن نسافر إلى العراق للقاء سماحة الإمام الخميني (رض) والسيدة حرمه، والتشاور حول بعض الأمور. لذلك سافرت برفقة السيد أحمد ونجلي حسن إلى لبنان، بهدف الذهاب من هناك إلى العراق كالمرة السابقة، ولنعد إلى إيران بعد إقامة قصيرة، إلّا أن الأمور جرت هناك بشكل آخر.

به ریاست سازمان اطلاعات و امنیت
شماره:
تاریخ:
اداره کل سوم ۳۲۲ — سازمان اطلاعات و امنیت
درباره: سید احمد مصطفوی خمینی فرزند روح اله
بازگشت بشماره ۲۱/۸۱۹ — ۲۶/۲/۲۹

بقرار اطلاع نامبرده بالا اخیراً باتفاق همسر و فرزندان خود بدمشق مسافرت و قرار است از آنجا به بیروت عزیمت و در آنجا ویزای مسافرت به عراق و عربستان سعودی اخذ و برای زیارت به عراق و عربستان سعودی مسافرت نماید و در بیروت نیز مهمان سید موسی صدر خواهند بود.
بفرموده مقرر است در مراجعت از یاد شده تحقیقات لازم را بنمایند و گذرنامه های آنها را بررسی نمایند که بکدام کشورها مسافرت و با چه اشخاصی تماس گرفته و هدف از سفرشان چه بوده است آیا پول برای خمینی برده اند یا آنکه خمینی پول به آنها داده است که در ایران به اشخاصی بدهند تحقیقات کامل بشود. علیهذا خواهشمند است دستور فرمائید در اجرای اوامر صادره بموقع اقدامات لازم معمول و نتیجه را باین اداره کل اعلام نمایند.

مدیر کل اداره سوم — ثابتی
رئیس عملیات — مجتبوی
رئیس بخش ۳۱۲
رئیس اداره یکم عملیات و بررسی — عطارپور
۱۱۵-۳۲۵

صورة عن تقرير السافاك بشأن رحلتنا إلى لبنان والعراق

عندما وصلنا إلى بيروت أخبرنا السيد أحمد أن شقيقه الحاج السيد



من اليمين: السيد حميد الصدر (ابن خالي)، السيدة بروين، السيد أحمد، نجلي حسن، الإمام موسى الصدر، الخالة «بتول» والمؤلفة

مصطفى وآية الله بجنوردي[١] موجودان في سورية؛ فغادر السيد أحمد بكل شوق إلى دمشق ومكث هناك عدة أيام؛ وقد طلبا أن يتوسط الإمام الصدر للحصول على تأشيرة دخول للسعودية.

في أحد الأيام، وبينما كان الحاج السيد مصطفى يجتاز شارعاً بدمشق، لفت نظره أحد الأشخاص من بُعد، فخاطب صديقاً له يصاحبه بالقول: «اذهب وأخبر ذلك (الشخص الباكستاني) أن السيد مصطفى الخميني يرغب برؤيتك». سارع ذلك (الشخص الباكستاني) للقاء السيد مصطفى مندهشاً، وعرف الجميع حينها أن ذلك الشخص لم يكن سوى الشيخ علي تهراني[٢] الذي كان قد هرب من إيران متخفياً بالزي

---

(١) آية الله السيد محمد بجنوردي (المولود عام ١٩٤٥ م)، استاذ الحوزة العلمية والجامعة، للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الأول في نهاية الفصل.

(٢) ولد الشيخ علي تهراني، علي مراد تهراني (خانه لنكه) في طهران عام ١٩٣٠ م، تلقى دروسه في العلوم الدينية في قم والنجف الأشرف؛ للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الثاني في نهاية الفصل.


آية الله السيد محمد موسوي بجنوردي

الباكستاني؛ كما أن جميع الحاضرين تعجبوا من كيفية تعرف السيد مصطفى على الشيخ تهراني من بُعد، رغم ارتدائه الزي الباكستاني. وحينها قال الشيخ علي تهراني: «لقد اشتقت كثيراً للإمام الخميني (رض)، حيث خرجت من إيران بهذا الزي من أجل ذلك، وأنا أنتظر بكل شوق، لقاء سماحته». وطلب من السيد أحمد أن يطلب من الإمام الصدر التوسط للحصول على تأشيرة دخول العراق؛ وكان السيد مصطفى وآية الله بجنوردي، قد طلبا بدورهما من السيد مصطفى أن يحصل لهما على تأشيرة دخول السعودية.

وهكذا، عاد السيد أحمد مبكراً إلى بيروت لإنجاز هذه المهمة، وبعد يومين وصل السيد مصطفى وآية الله بجنوردي إلى لبنان وذهبا مباشرة إلى منزل صديقهما السيد رضا كشميري في منطقة كيفون[1].

وقد ذهبنا برفقة خالي الإمام الصدر والسيد أحمد والدكتور مصطفى شمران، إلى منطقة كيفون للقائهما هناك، وهذه المنطقة الجبلية في غاية الجمال، رغم أن زجاج النوافذ المظلل لأسباب أمنية، كان يحول دون رؤية الطبيعة الخلّابة المحيطة بالمنزل.. وفي ذلك اللقاء أخبر

---

(١) أخبرني السيد أحمد بعد فترة أن شخصاً مجهولاً راجعه في كيفون وتنبأ بأحداث مستقبلية أثارت دهشته حينها، حيث كان قد تنبأ بوفاة الحاج السيد مصطفى المفاجئ بعد عدة أشهر، وأن أمنياته ستتحقق فيما بعد.


السيد حسن

خالي الجميع أن الخطوات التمهيدية لإنجاز سفرهم للسعودية والعراق ستنفّذ قريباً إن شاء الله.

وفي هذا اللقاء، طلب الحاج السيد مصطفى والسيد بجنوردي من السيد أحمد أن يرافقهما في زيارتهما لمكة المكرمة، وكان السيد أحمد قد دعا في رحلته الأخيرة لبيت الله الحرام، أن لا يدعوه الله جلّ وعلا مرة أخرى لحج بيته، بسبب ما واجه من مصاعب في تلك الرحلة، إلّا أنه وافق مباشرة على الفكرة التي عرضت عليه، وغادروا إلى مكة بعد صدور تأشيرة السفر والتذاكر، وبقيت مع حسن في منزل خالي.

بعد يومين غادرنا برفقة خالي وأسرته وخالتي «بتول» إلى دمشق. وبعد يوم واحد التحق بنا شقيقي السيد صادق والدكتور مصطفى شمران.

وكان لقائي مع شقيقي صادق، بعد أحد عشر عاماً من الفراق، ملفتاً للغاية، حيث تغيّر الكثير من الأمور خلال هذه السنوات، فخاطبني بالقول: «عندما سافرت إلى المانيا، كنتِ بنتاً صغيرة مليئة بالنشاط والحيوية، والآن أماً لطفلٍ جميلٍ رائع».. وكانت لحظة اللقاء مع أخي صادق، مليئة بالعواطف والأحاسيس، وقد أثارت انتباه الدكتور شمران الذي قال: «ليتني كنت أتمكن من تصوير تلك اللحظات الجميلة والمثيرة».

وكان السيد صادق قد جاء إلى دمشق أولاً، وبعدها إلى بيروت للإعداد لإقامة مراسم أربعينية الدكتور علي شريعتي في لبنان، وقد شرح لنا بالتفصيل مراسم التشييع والبرامج والمراسم التي أقيمت بهذه المناسبة في مختلف المدن الأوروبية، وأخبرنا أنه وزملاءه، سعوا كثيراً كي لا يحقق السافاك هدفه المتضمن نقل جثمان الدكتور شريعتي لطهران، لأن الصحف الإيرانية ـ الحكومية ـ كانت قد غطّت بشكل واسع، نبأ وفاة الدكتور شريعتي، وأخبرت أنه من المقرر أن تقام للمرحوم مراسم تشييع رسمية في طهران. وكان الهدف من ذلك هو تشويه سمعة الفقيد والمس بشخصيته الثورية بين الناس، لا سيما في أوساط الشباب والثوريين؛ وقال: «حاولت السفارة الإيرانية في لندن (حيث كان الدكتور شريعتي قد اغتيل هناك في حادث اصطدام سيارة) أن تستلم من المستشفى جثمان



السيدان صادق قطب زاده والدكتور إبراهيم يزدي في مراسم تشييع الدكتور شريعتي (سورية)

الفقيد باعتباره مواطناً إيرانياً يعيش وحيداً هناك، وأن السفارة مسؤولة عن نقله إلى طهران.

إلّا أن السيد صادق وزملاءه، نجحوا في الاتصال بنجل الدكتور شريعتي «إحسان» الذي كان يقيم آنذاك في أميركا وعمره ١٨ عاماً، وطلبوا منه أن يبعث برقية لأحد المحامين الذي عرّفوه له، ويطلب منه أن لا يقوموا بأي إجراء لنقله للوطن حتى يصل إلى لندن.. كما تحدث السيد صادق، عن الإجراءات التي قاموا بها حتى بعد وصول السيد «إحسان» إلى لندن وإنجاز الإجراءات القانونية اللازمة للحؤول دون تحقيق السفارة الإيرانية أهدافها التي أشرنا إليها، وأضاف يقول: «كلفنا اثنين من أعضاء الاتحاد الإسلامي للطلبة الإيرانيين بمهمة ملازمة جثمان الدكتور شريعتي في المستشفى وفي سيارة الإسعاف، خلال جميع مراحل النقل والتشييع والدفن في دمشق».

بعد أن استمع خالي الإمام موسى الصدر لكلام السيد صادق قال: «لقد تقرر أن تقام مراسم رائعة وكبيرة في أربعينية الدكتور شريعتي، حيث ستتم دعوة كبار الشخصيات السياسية والثقافية والثورية من شتى أنحاء العالم، للحضور في المراسم وإلقاء الخطابات».

وهكذا استمعنا خلال أيام الزيارة التي قمنا بها إلى لبنان وسورية، إلى الكثير من التقارير والأخبار حول أوضاع إيران، والأحداث المرتبطة بوفاة الدكتور شريعتي وتبعاتها في أوروبا، وتبادلنا المعلومات والحوارات حولها.. وبعد عدة أيام عدنا جميعاً إلى لبنان.

مع الدكتور شمران في صور

ذهبنا في أحد الأيام برفقة شقيقي صادق والخالة «بتول»، إلى مدينة صور (جنوب لبنان) تلبية لدعوة الدكتور شمران لزيارة «مؤسسة جبل عامل الصناعية» هناك.



السيد أحمد وحسن في مدينة صور (لبنان)



الخالة «بتول»، المؤلفة، السيد أحمد وحسن

وصلنا إلى محل سكن الدكتور شمران داخل المؤسسة، وشاهدنا عن كثب، مدى الارتباط العاطفي بين الفتيان والشباب الساكنين هناك والدكتور شمران، وفي المقابل كان بدوره يبادلهم نفس المشاعر والأحاسيس.

كذلك دخلنا غرفة عمل الدكتور شمران التي كانت بسيطة للغاية وتضم عدداً من الكتب والأسلحة، وبعد دقائق خرج شقيقي صادق برفقة الدكتور شمران لإعداد طعام لنا، واستغلينا هذه الفرصة وقمنا بترتيب الغرفة وتنظيم محتوياتها والأثاث الموجود فيها.

بعد أن عادا إلى المنزل، تناولنا وجبة العشاء ثم تبادلنا مختلف الأحاديث. وكانت الكهرباء مقطوعة في تلك الليلة كالعادة، واستخدمنا الشموع للإضاءة، حيث أظفت أضواء الشموع طابعاً خاصاً على جلستنا تلك الليلة.

قرأ الدكتور شمران على ضوء الشموع جانباً من كتاباته الشيقة، ثم تحدث إلينا عن شخصية الدكتور شريعتي، وسرد مع السيد صادق، ذكرياتهما عن الفقيد العزيز، وكانت ملفتة وجذابة بالنسبة لي ولخالتي «بتول»؛ بعد ذلك تم انتخاب مقتطفات من كتابات الدكتور شريعتي قُرأت على مسامعنا.. ولا زال قسم منها عالق في ذهني:

«يا لروعة الإيمان، وكم هم تعساء أولئك الذين يسعون لحرمان الإنسان من الإيمان، وكم هم ظالمون، هؤلاء الناس، رغم تظاهرهم بحب الإنسانية».

لولا الإيمان لكانت الحياة بلا معنى، ولولا العشق فأي نار تؤجج الشعور بالحياة، ولولا الدعاء كيف يمكن أن تسير أمور الحياة؟!. ولولا الاعتقاد القلبي بعودة المسيح وظهور الإمام القائم، فما جدوى البقاء؟!. ولو لم يكن الميعاد أو اللقاء فلمَ الذهاب؟!. إني أتعجب من أولئك الذين يريدون سلب المعبود من الحياة والوجود، وأن يعيش الإنسان في الفراغ...».

بعد ذلك استجمع الدكتور شمران قواه وتصفح كتاباً آخر وقرأ:

«طوبى لمحمد (ص) الذي بكى بغزارة في محضر الله ـ جلّ وعلا ـ مخاطباً جلالته: إن كلماتك وآيات وحيك وقرآنك لم تطفئ ظمأ قلبي وحرارة شوقي، لذا خذني على مركب وأرني! فأنا من خلف ستار هذه الكلمات أموت من شوق لقائك،.. وهكذا بعث الله ليلاً نجماً صغيراً ليجلس حبيبه على أجنحة الشوق ويسري به من الكعبة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وبعدها ليعرج عبر السماوات وطبقاتها.. حتى وصل إلى قاب قوسين أو أدنى، حيث تحترق أجنحة جبرائيل».

ثم نقل الدكتور شمران عن الدكتور شريعتي قوله:

«كنت نائماً حيث وجدت نفسي في صالة كبيرة وسط جمع من الناس وقد قام أحدهم وسألني: ما هي الحياة؟ فقلت بلا تردد أو تأمل: الحياة تعني (الخبز) و(الحرية) و(الثقافة) و(المحبة)».

بعدها قرأ قطعة من كتابه حول (الحرية):

«أيتها الحرية، إني أحبك، وأنا بحاجة إليك، وأعشقك، فالحياة صعبة من دونك. وإنّ قامتَكِ العالية والحرّة منارة معبدي، ليتني عشت معك، ومتّ معك، بعد أن استنشق الهواء وأتنفس الصعداء في ساحتكِ أيتها الحرية!.. إنني أكره الظلم، وأكره السجن، وأكره الأغلال، بل وأكره كل شيء وكل ما يُقيّدك.. فحياتي هي من أجلك، فأنا ربيب الحرية وأستاذي علي (ع) ذلك الرجل الشجاع الذي لا يعرف معنى الخوف والضعف وكان مثالاً للصبر».

وعندما كان الدكتور شمران يصل إلى بعض الفقرات، كان يتأنّى ويتأمل قليلاً، ويتنفس بعمق ويذرف أحياناً الدموع، ويتابع قراءاته علينا.. وهكذا قضينا أمسية رائعة استمعنا خلالها لذكريات وقراءات لأفكار الدكتور شريعتي بصوت الدكتور شمران الدافىء.

بعد الانتهاء من قراءة مقتطفات من كتب الدكتور شريعتي، تبادلنا الأحاديث حول مختلف الأمور والشؤون، فقد سأل السيد صادق الدكتور شمران: «لماذا لا تقبل باقتراح خالي الإمام الصدر وتوافق على التدريس في الجامعة[١] مع ما تملكه من معلومات عامة وتخصصية ودينية؟»، فابتسم الدكتور شمران والقى نظرة ذات معنى على الجميع والتزم الصمت.

لذا بادرت إلى اختراق أجواء الصمت التي سادت المكان،

---

(١) كان مسؤولو الجامعة الأميركية في بيروت قد طلبوا من الدكتور شمران أن يدرس هناك.

لأتحدث عن فوائد حضور الدكتور شمران في الوسط الجامعي وتأثير شخصيته على الطلاب وتوعيتهم فيما يخص ظلم اسرائيل.

أصغىٰ الدكتور شمران بصلابة لحديثي وعقّب قائلاً: «إن حضوري في الجامعة يستلزم وضعاً خاصاً.. فكيف يمكنني أن أحضر الدروس بالزي العسكري، فالأجواء الجامعية تستلزم ارتداء الزي الرسمي العصري الكامل، وربطة العنق مع حمل شنطة راقية تليق بالأستاذ الجامعي العصري؛ وكيف يمكنني أن أدخل محيطاً معطراً بالعطور الفرنسية والأجنبية بينما تفوح مني رائحة البارود؛ وكيف يمكنني أن أنتقل من أجواء الجنوب الفقيرة ومن جوار الأيتام وفاقدي المعيل الذين فقدوا والديهم في سبيل الاستقلال والحرية إلى أجواء جامعية يدرس فيها طلاب متنعمون بثروات كسبوها عن طريق النهب والسرقات والسطو الذي ينفذه المسؤولون والجلاوزة الغربيون ضد هذه الأرض والبلاد».

سادت مرة أخرى المكان أجواء الصمت العميق، وصمت الدكتور شمران ثانية ليخفي في صمته الكثير من الأمور التي حالت دون مواصلة حديثه.

وحينها حاولت أن أسأل الدكتور شمران عن سبب تركه أبنائه في بلاد الاغتراب ليعيش هوفي لبنان بعيداً عنهم، مع ما يتميز به من سمات روحية رقيقة ودافئة للغاية[١]. هذا هو السؤال الذي كان الجميع يرغب في إثارته أمام الدكتور شمران ليحصلوا على الإجابة عليه، إلّا أنهم لم يسمحوا لأنفسهم طرح مثل هذا السؤال.

صمت الدكتور شمران في البدء، كالعادة، وأحال الإجابة إلى وقت آخر؛ وكنت قد سمعت من البعض قصة مجيء أسرته من أمريكا

---

(١) كانت زوجته وأبناؤه الأربعة قد عادوا إلى أميركا.

إلى لبنان ومن ثم عودتهم إلى هناك؛ حيث أن البعض كان يعتبرهم محقين في قرارهم، لأن تعامل الدكتور الصعب، وتعصبه أحياناً، لبعض الأمور وإصراره على بعض النقاط، سبّبت لهم بعض الآلام والمعاناة، وقد يكون ذلك سبب عودتهم إلى أمريكا.

وكنت أتحيّن الفرصة المناسبة لأحصل على أجوبة الدكتور شمران على علامات الاستفهام الكبيرة، وقد حان ذلك الوقت حين تحدث الدكتور عن غرق نجله في مسبح المنزل في أمريكا، وقال: «بعد أن حصل ذلك الحادث المؤسف، اتصلت زوجتي بي وأخبرتني بالنبأ المحزن، وقد بكينا لحوالي ساعة في الهاتف. وعندما أراد البعض أن يزورني لتعزيتي بالمصاب، لم أوافق على ذلك وقلت لهم إنها مصيبة خاصة بي ولا أريد أن يشاركني أي أحدٍ فيها عدا الإمام الصدر الذي لم أتجرأ أن أرفض طلبه، وقد ذرفت الدموع الحارة بحضوره».

بعد أن استمعت لكلام الدكتور شمران اغتنمت الفرصة وسألته: «لماذا لم تساير أسرتك حتى تقنعهم للبقاء معك هنا»؟ قال: «الحياة هنا صعبة جداً بالنسبة لهم، لأنهم عاشوا حياةً مرفهة في أمريكا ولم يتمكنوا من أقلمة وضعهم مع الظروف السائدة هنا، كما أنني لم ولن أسمح لنفسي أبداً أن أهيئ لهم حياة مرفّهة هنا إلى جوار جموع اليتامى والمستضعفين في الجنوب اللبناني».

قلت له: «سمعت أن زوجتك لم تطلب منك الكثير، بل إنها زارت الأسر المستضعفة في مدينة صور وبادرت مراراً إلى معالجة جروحهم وآلامهم»، فقال: «نعم حصل ذلك، وقلت لها: إن كل آلامهم ومعاناتهم هي بسبب ظلم واعتداءات حكومتك، وأن كل ما تقدمينه لهذه الأسر من خدمة لن يعوض ذلك وستظلين مدينةً لهم».

لم أقتنع بإجابات الدكتور شمران؛ فسألته: «يقال إن زوجتك كانت

قد قالت لك إن الخبز الموجود هنا لين وعجين ومعدتي لم تعتد على مثل هذا الخبز.. يمكنني أن أعدّ الخبز المناسب لنا إن أعددت لي الموقد المناسب، ولكنك رفضت ذلك»؟!. فقال: نعم حصل ذلك.. فأنا أعيش إلى جوار أشخاص لا يحصلون على مثل هذا الخبز إلّا بصعوبة، وأن أطفالهم ينتظرون طويلاً حتى يحصلوا على رغيف صغير من هذا الخبز، لذا لم أكن أتحمل أن تشكو زوجتي وأبنائي من مثل هذا الخبز»!!.. فسألته: «ما هي ضرورة أن تسكن أسرتك في منزل متواضع وبسيط في الجنوب اللبناني ويحرم أبناؤك من مواصلة التحصيل العلمي؟ ألم يكن من الأفضل أن تراعي ظروفهم وتعطيهم قليلاً من الحق؟ وألم يكن من الأفضل أن تدرس اقتراح خالي الذي قدمه لك، وأن تستأجر لهم شقة تليق بهم في بيروت، وبذلك يتمكنون من مواصلة دراستهم وتكون أنت قريباً منهم».. حينها علت شفتيه ابتسامة مرّة وقال: «لم أكن أطيق أن أعيش حياةً مزدوجة».

قلت له: «إذن كان هناك طريق ثالث، وهو أن لا تتركهم في أمريكا وحدهم، بل تسافر إلى هناك بين فترة وأخرى لتلتق بهم حتى لاتنقطع بينكم أواصر المودة، لأن أبناءك بالتالي بحاجة إلى محبة أبيهم»..

فقال: «أجل، أقبل ذلك، إلّا أنني لم أكن أبداً، أمتلك الوقت الكافي لمثل هذه الزيارات، لأن عملي هنا كثير للغاية، وكلما كنت أفكر أن أغادر لبنان لعدة أيام وأسافر إلى أمريكا، فإن عيون الأطفال والمحرومين، كانت تلاحقني وتمنعني من تركهم أبداً.. كذلك فإن محبة الأبوة واحتضان أبنائي لي حين وجودي معهم، لربما كان يضعف اندفاعي الإنساني ويؤثر على عودتي إلى لبنان لأواصل رسالتي هنا».. بعد ذلك صمت الدكتور شمران قليلاً ليقول: «واخيراً وبعد عدة سنوات،

أخبرتني زوجتي أنها تريد الزواج من شخص يماثلها في الأخلاق والسلوك، وكانت مسرورة لذلك».

وهكذا انتهت رحلتنا القصيرة وعدنا إلى بيروت، وقد عاد السيد أحمد والحاج السيد مصطفى في نفس الليلة من مكة المكرمة إلى دمشق، وكان السيد مصطفى يريد العودة سريعاً إلى العراق، وعاد السيد أحمد إلى بيروت، وبعد عدة أيام ذهبنا برفقة الدكتور شمران إلى مدينة صور؛ وهناك طلب السيد أحمد من الدكتور شمران أن يرافقه إلى مناطق المواجهة العسكرية ليقضي عدة أيام مع المناضلين الفلسطينيين هناك، حيث تلقّى دورة عسكرية مكثفة معهم.

بعد عودتهما إلى صور، تحدث الدكتور شمران للإمام موسى الصدر عن تفاصيل الرحلة وما شاهده عن كثب من سلوك ومعنويات السيد أحمد وأخلاقه العالية، لا سيّما شجاعته المتميزة واستعداده التام.. فقال الإمام الصدر مخاطباً الدكتور شمران: «أعتقد أنك لم تلتزم الحذر والحيطة لأن السيد أحمد ضيفنا هنا، وكان لا بدّ أن لا تجازف بهذا الشكل».. فأيد الدكتور شمران كلام خالي الإمام الصدر قائلاً: «ذهبنا مع السيد أحمد إلى سطح مبنى المؤسسة، وفجأة اتجه السيد أحمد نحو حافة سطح المبنى وبدأ بالسير على الحافة، فطلبت منه أن يبتعد قليلاً عن تلك المنطقة، إلّا أنه قلب جسمه رأساً على عقب، فجأة، وبدأ السير على كفي يديه بشكل متعادل!!، فقلقت كثيراً واضطربت بشدة وقلت له: «خشيتُ عليك، وبدأت أفكر بمغبة سقوطك من السطح واحتمال أن يتهمني الجميع بأني من رماك من هناك»[1]!!.

---

(١) كان السيد أحمد قد قام بنفس العمل فوق برج المتوكل أطراف مدينة سامراء شمال بغداد (ملوية سامراء) مما أدى إلى إثارة دهشة واستغراب كل من شاهد ذلك.



السيد أحمد والدكتور مصطفى شمران
عند المنطقة الحدودية اللبنانية ـ
الإسرائيلية (منطقة الطّيِّبة)



السيد أحمد



السيد أحمد في منطقة الطّيِّبة
العسكرية



السيد أحمد برفقة عدد من المقاتلين في منطقة الطيِّبة العسكرية



السيد أحمد في منطقة الطّـيِّبة العسكرية



السيد أحمد برفقة مقاتلي «حركة أمل» اللبنانية في منطقة الطّيّبة

التعرف على السيدة «وفا»

تعرفت خلال هذه الزيارة على سيدة نقلت لي ذكريات رائعة ومدهشة خاصة، أعجبت بها بعد أن استمعت لجوانب من تلك الذكريات؛ فقد كانت أنموذجاً للمرأة المسلمة الحرة التي تركت حياتها المرفّهة من أجل تحرير المسلمين من الظلم والجور المسلط عليهم، وقدمت كل شيء في هذا السبيل، وضحت بالغالي والنفيس من أجل ذلك، وسأذكرها هنا باسمها المستعار «وفا».

قالت لي السيدة «وفا»: في السنوات الأولى بعد احتلال فلسطين، قررنا مع مجموعة من الأصدقاء، أن نقوم بأعمال في سبيل مقارعة الصهاينة والتصدي لهم. قضينا أياماً وساعات طويلة في دراسة ومراجعة أفضل الطرق والأساليب الكفيلة بذلك والتي يمكنها أن توصلنا إلى ذلك الهدف.. وكان هدفنا الرئيس يكمن أن نسلب الصهاينة المحتلين أمنهم وهدوءهم، ونوصل في المقابل، مظلومية الشعب الفلسطيني إلى أسماع

العالم ونُفهمهم أن هناك شعباً مظلوماً يعيش في ركن من أركان الكرة الأرضية، ظُلِم من قبل فئة حاقدة سلبته أرضه ووطنه وبيته وشردته ظلماً في أصقاع هذه المعمورة».

«بعد ذلك أسسنا أول مجموعة مقاومة ودرسنا برامج عملياتنا، حيث أرسلنا في المرحلة الأولى رسائل إلى مختلف الدول وطلبنا العون من كل أحرار العالم، فاجتازت نداءاتنا الحدود الجغرافية ووصلت إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا.. وحتى آمريكا. فقد وصلنا أول رد على هذه الرسائل من اليابان، حيث التحقت بنا مجموعة من الشباب البوذيين المؤمنين بفلسفة كاميكاز[١] لكي يدعموننا في عملياتنا الاستشهادية».

وأضافت تقول: «كذلك فإن مجموعة أخرى كانت قد قدِمت من إيران.. حيث اتصل بنا في البدء، أحد الشباب واسمه المستعار (مظفر) وعمره اثنان وعشرون عاماً، وكان من المعارضين للشاه البائد، لذا كان يعيش في العراق وينطلق من هناك في نضاله ضد السافاك والنظام الايراني، ولكي لا تنكشف شخصيته الحقيقية، حصلنا له على جواز سفر بطريقتنا الخاصة، وقد اعتدنا على استحصال إقامة لمواطني الدول الصديقة للكيان الصهيوني.. هذا وقد دخل مظفر الأراضي الفلسطينية المحتلة وحصل على المتفجرات اللازمة لتنفيذ عمليته الاستشهادية من

(١) كاميكاز: في السابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٤٤ م وفي آخر يوم من الحرب البحرية في خليج (لي تي) في الفيلبين، دَكَّ طيار ياباني طائرته المليئة بالمتفجرات بإحدى قطع الأسطول البحري الأميركي مما أدى إلى غرقها، واستمرت مثل هذه العمليات حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعرفت بعمليات (كاميكاز) أي الرياح السماوية التي حمّلها الله مثل هذه المهمة. وقبل سبعة قرون، فإن مثل هذه الرياح العاتية كانت قد هبت على السفن التي كانت تحمل المغول لتحتل اليابان، وأغرقتها في البحر وصانت اليابان منهم. وقد أطلق اليابانيون هذا الاسم على هجمات طياريهم الانتحارية.

الداخل الإسرائيلي وصنع منها حزاماً ناسفاً ارتداه ودخل إحدى دور السينما الكبرى في مركز مدينة تل أبيب. وخلال عرض الفيلم، وقف في إحدى زوايا صالة العرض رافعاً صوته ومعرفاً بنفسه ومشيراً إلى هدفه الرئيسي، مذكراً بالمذابح الوحشية التي ترتكب بحق الأطفال الفلسطينيين، وطرد أبناء الشعب الفلسطيني من أرضهم وبيوتهم ومدنهم، فضلاً عن اغتيال الكثير من القادة والمناضلين الفلسطينيين في شتى أنحاء العالم، وذلك قبل أن يفجر الحزام الناسف وسط جموع الإسرائيليين هناك، وكان يريد من خلال تلك العملية أن يوصل مظلومية ضحايا الجرائم الإسرائيلية إلى أسماع الجميع».

وقالت السيدة «وفا»: «رأيت السيد مظفر في آخر لحظة قبل أن يغادرنا، إذ جاءني مسؤول المجموعة وسألني: «ألم تشرحي لمظفر تفاصيل العملية وأنه سيقتل خلالها»، قلت له: «بلى».. فقال: «إذن لماذا خاطبني عند توديعه قائلاً: إلى اللقاء؛ حتى ظننت أنه يأمل في العودة بعد انجاز هذه العملية وسيلتقي بنا، فقلقت بهذا الشأن وسألته عن سبب قوله ذلك فأجاب: كنت اعني اللقاء في الجنة».

«خلال سردها لذكرياتها أشارت السيدة «وفا» إلى أسماء عدد من المناضلين الإيرانيين، وكنت أعرف بعضاً منهم.. كذلك شرحت لي تفاصيل عدد من عمليات خطف الطائرات التي كانت تهدف إلى إيجاد الخوف والرعب ـ ولو لعدة ساعات ـ في قلوب المحتلين، وأن يتذوّقوا طعم الأسر والذل ولو لفترة قصيرة.. وبالتالي إيصال نداء الشعب الفلسطيني المظلوم إلى أسماع العالم؛ وكانت بعض هذه العمليات تؤدي أحياناً، إلى تحرير عدد من المناضلين من السجون الإسرائيلية، وهذه كانت لحظات طيبة وحلوة للغاية.

وأخبرتني أنه: «كان من المقرر أن تنفذ أول عملية من هذا النوع

من قبل ثلاثة من المناضلين من نيكاراغوا وأثيوبيا وفلسطين، إلّا أنه بسبب منعهم من ركوب الطائرة، فإن العملية فشلت، فقد قتل الشاب النيكاراغوي وألقي القبض على الشابين الآخرين وسجنا لعدة سنوات».

«كذلك فإن عملية أخرى من هذا النوع، خططت بدقة أكبر ونفذت بنجاح، حيث اشترك فيها أربعة عشر مناضلاً، وتم خلالها اختطاف طائرة كانت تحمل عدداً كبيراً من المسافرين الإسرائيليين وأخذها إلى مطار مهجور، وكان الهدف من هذه العملية إطلاق سراح عدد من المناضلين الفلسطينيين في السجون السويسرية، وما أن حطت الطائرة على المدرج، أحاطت بها أعداد كبيرة من رجال الأمن والجيش المدججين بالسلاح، كما استقرت أعداد أخرى من المدرعات على المدرج.. وحينها رفع رئيس المجموعة النقاب عن وجهه وأعلن بصوت مرتفع وقاطع: إن هدفنا هوتحرير الفلسطينيين الأبرياء من السجن ولن نسلم أنفسنا قبل تحقيق مطالبنا المحقة حتى لو أدّى ذلك إلى أن نقتل جميعاً».

«ولإثبات حسن نوايانا أطلقنا سراح الأطفال والنساء والمسنّين. وأتذكر أن حذاء أحد الأطفال كان قد فقد ولم نعثر عليه، مما اضطرنا لأن نلبسه حذاء أصغر أعضاء المجموعة الخاطفة وهو حذائي، ولبست حذاءاً كبيراً أخذناه من أحد المسافرين.. مما أظهرني بشكل غير طبيعي أضحك قائد مجموعتنا الذي كان حاسماً وجاداً للغاية.. وهكذا نجحت تلك العملية وأطلق سراح عدد من الفلسطينيين من السجون السويسرية».

«والملفت في العملية أن قائد الشرطة طلب ضماناً منّا أن لا نقتل الرهائن بعد إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، فأجابه قائد المجموعة بكل حسم: إني أضمن لك ذلك، وقبل قائد الشرطة ذلك الضمان».

بعد عودتنا إلى إيران نقلت قصة عملية اختطاف الطائرة المذكورة إلى أحد الأصدقاء المناضلين الذي بدوره قال: «في العام ١٩٧٠ تم اختطاف عدة طائرات في إيران، واحدة اختطفت في آبادان من قبل طالب جامعي وآخر طالب ثانوية، وحطت الطائرة في مطار بغداد وطالبا بإطلاق سراح عدد من المعتقلين السياسيين، كذلك تم في تشرين الثاني من نفس السنة، اختطاف طائرة أخرى متجهة من دبي إلى إيران وحطت في بغداد».. لا شك، أن مثل هذه العمليات أزعجت الشاه البائد وأرعبته بشدة.

مرة أخرى، في النجف الأشرف

بعد حوالي أسبوعين انطلقنا برفقة السيد أحمد ونجلي حسن وشقيقي صادق إلى بغداد؛ وأثناء الرحلة نقل لي شقيقي صادق جوانب من ذكرياته عن زيارته السابقة للعراق، فقال: «في أول رحلة سافرت خلالها للعراق كلّفت من قبل الإتحاد الإسلامي الطلابي أن التقي سماحة الإمام، حيث وصلت النجف الأشرف وقررت أن اعرّف بنفسي لسماحته كأحد أعضاء الاتحاد الإسلامي الطلابي في أوروبا. وبعد أن سلّمت على سماحته، رفع رأسه وألقى نظرة عليّ وأجابني على سلامي، وبعد تبادل كلمات الترحيب سألني: «هل أنت السيد صادق أم السيد جواد؟».. فتعجبت من ذكائه وفطنته الشديدة، ثم سألني عن والدي وقال سماحته: «أتذكرك عندما كنت طفلاً حيث كان والدك يجلبك مع أخوتك إلى الحمّام العمومي[١]، وكان يغسلكم بنفسه بكل حنان ورأفة، وكان يحذر كثيراً حتى لايدخل الماء ورغوة الصابون إلى اعينكم».

---

(١) أكثر البيوت في تلك الأيام لم يكن فيها حمام خاص، لذا كانت الحمامات العمومية تشاد في أنحاء متفرقة من المدن للاستحمام، يمكن مراجعة الهامش الثالث في نهاية الفصل.



آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر مع شقيقي السيد صادق

كذلك نقل السيد صادق، إحدى ذكرياته عن زيارته الثانية للعراق برفقة صادق قطب زادة[١]، حيث قال: «في تلك الرحلة كان من المقرر طبقاً لطلب زملائي في الاتحاد، أن التقط عدة صور للإمام الخميني قدس سره؛ ولكني كنت أعرف أن هذه المهمة ليست سهلة بسبب معرفتي بشخصية سماحته، لذا طلبت العون من الحاج السيد مصطفى لتسهيل الأمر، والتقيت بسماحته بعد أن أخذت معي جميع وسائل التصوير، وكان جالساً في الغرفة العلوية، وسألني بعد عدة لحظات: «ماذا تريد أن تفعل»؟ فقلت: لا أريد أن أزعج سماحتكم، أرجو أن تقوم بأعمالك كالعادة، وأنا سألتقط عدة صور متنوعة تلبية لطلب زملائي في الاتحاد،

---

(١) صادق قطب زادة (١٩٣٦ ـ ١٩٨٢ م) من أتباع الإمام الخميني (رض) ومرافقيه في باريس. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الرابع في نهاية الفصل.

فقال سماحته: «وما فائدة مثل هذه الصور»؟ أجبت: إن قيمتها بالنسبة لنا كبيرة. وبدأت بالتقاط الصور، وبلغ عددها ثلاثين صورة. بعد تقديم الشكر والتوديع، ذهبت إلى منزل الحاج الشيخ نصر الله خلخالي فالتقيت بصادق قطب زادة هناك.. ثم خرجت من الغرفة لعدة دقائق أغسل فيها وجهي ويداي، وعدت ثانية إلى الغرفة، وحينما أردت التقاط عدة صور للشيخ خلخالي وقطب زادة، انتبهت إلى أن الفيلم لايتحرك في الكاميرا، فقلت لربما أنه تمزق داخل جهاز التصوير، فغادرت إلى أحد محلات التصوير بالقرب من البيت، وطلبت منه أن يخرج الفلم من الكاميرا في المختبر، إلّا أن المصور عاد بعد عدة لحظات وقال إن الكاميرا لا تحتوي أي فيلم!!.. شككت بالمصور وظننت أنه أحد المتعاونين مع الأمن العراقي أو من أعضاء حزب البعث الحاكم في العراق، وقد سرق الفيلم ليسلّمه لهم، لأني كنت متأكداً من وجود الفيلم في الكاميرا أصلاً».

«وبعد أن تأكدت أن لا فائدة من الجدال والنقاش مع المصور، عدت إلى المنزل نادماً ومتألماً بسبب ذلك، ونقلت ما حدث لي للسيد قطب زادة، ومن ثم للحاج السيد مصطفى، فقال: «لا بأس من ذلك» فساءلت نفسي: لماذا حصل ذلك وقد تعبت كثيراً لانجاز هذه المهمة والتقطت عدة صور رائعة لسماحة الإمام بعد الاستئذان منه، والآن أرى أن جهودي ذهبت عبثاً».

«وعندما شاهد السيد مصطفى حالتي وتألمي بسبب ذلك، قال: «سوف أستأذن مرة أخرى من سماحة الإمام وأطلب منه وقتاً من أجل ذلك»، فقلت: ما هو المبرر هذه المرة؟ فقال: «سأصارح سماحته وأقول له أن الصور التي التقطت لسماحتك لم تكن ذات نوعية جيدة

ونطلب لقاءً آخر». فقلت له: إن هذا التبرير سيؤكد بساطتي وضعفي بهذا الشأن. فقال: «حسناً وهو كذلك، ولكنك ينبغي أن تتحمل ذلك من أجل تحقيق الهدف».

وهكذا ذهبت إلى بيت الإمام (رض) مرة أخرى عصر اليوم التالي، بعد أخذ موعد مسبق، وكان سماحته هذه المرة جالساً على بساط أزرق في الباحة ومستنداً لوسادة ومشغولاً بقراءة الرسائل.. سلّمت على سماحته باستحياء واعتذرت لإزعاجه مرة أخرى، إلّا أن سماحته أجابني بابتسامة ملؤها المحبة والرأفة.

بعد عدة دقائق من الحوار وتبادل كلمات المودة مع سماحته واحتساء كوب من الشاي، التقطت عدة صور له بينما كان منشغلاً في أعماله المعتادة وانصرفت مودعاً وشاكراً له».

«ذهبت بعد عدة أيام برفقة قطب زادة إلى لبنان، وبينما كنا جالسين مع خالي الإمام موسى الصدر في صالة «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» وكنت أقدم تقريراً عن رحلتنا للعراق ولقاءاتنا هناك، خاطبني خالي قائلاً: «سمعت أن البعثيين العراقيين سرقوا الفيلم الذي صورته هناك». وحينما شاهد مدى تأثري وانزعاجي من ذلك قال لي مازحاً ومبتسماً: «هل تريد أن أطلب منهم أن يعيدوه لك؟!».

بعد استماعي لهذه الكلمات المعبرة لخالي نظرت لقطب زادة الذي رفع رأسه للحظة بعد أن كان ينظر للأسفل، وقال لي: «أردت أن ألقنك درساً في ضرورة الحذر الأمني والعمل التنظيمي المحتاط، وأن لا تترك لوازم العمل والوثائق الخاصة المهمة في أي مكان براحة بال، دون أدنى اهتمام». أجبته قائلاً: تعلمت خلال هذه الزيارة أن لا أثق بأي أحد بعد

الآن، حتى ولو كان شخصاً محترماً ورفيقاً لي في السفر.. وهكذا أعددنا الصور في بيروت وأرسلناها إلى أصدقائي في الاتحاد».

أجل لقد انقضى الوقت بسرعة ونحن نستمع لذكريات السيد صادق خلال الطريق إلى النجف الأشرف.. وفجأة أخبرنا السيد أحمد أننا نقترب من المدينة وعلى وشك الوصول.

بعد وصولنا إلى النجف الأشرف، طلب السيد أحمد من شقيقي صادق أن يرافقنا إلى بيت سماحة الإمام. قبل بدوره الدعوة ولم يذهب كالعادة إلى بيت الخالة «فاطمة».

بيت الإمام الخميني (رض)

وصلنا بيت سماحة الإمام (رض) مسرورين، كما أن سماحته والسيدة زوجته، فرحا أيضاً برؤيتنا.. لا سيّما رؤية حفيدهما حسن، وقد أوصاني سماحته أن أهتم برعاية شقيقي صادق أكثر. ورغم أن السيد صادق كان له أصدقاء كثُر في النجف الأشرف، ويدعى غالباً من قبلهم، إلّا أنه كان يفضل في أكثر الأحيان، أن يذهب إلى بيت خالتي «فاطمة»، لأنه كان يأنس بالحوار وتبادل الأفكار مع زوجها آية الله السيد محمد باقر الصدر (رض).

بعد مرور عدة أيام سافر السيد أحمد برفقة شقيقي صادق، والسيدين حسين الخميني ودعائي، إلى مدينة كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين (ع) وبعد عودتهم من هناك سافرا إلى لبنان للاشتراك في مراسم أربعينية الدكتور شريعتي التي أقامها خالي الإمام موسى الصدر في بيروت، وقد غادر النجف الأشرف إلى لبنان عدد من الشخصيات، ومنهم السيد دعائي للمشاركة في المراسم.

بعد مغادرة شقيقي السيد صادق انزعجت كثيراً وضاق صدري لفراقه وجلست كئيبة في الغرفة وتذكرت مرحلة طفولتي حيث كان أشقائي يحيطون بي من كل جانب لأني كنت شقيقتهم الوحيدة وكانوا ينادونني بكل محبة (آبجي خانم).

أتذكر عندما كنت صغيرة صدر منّي في أحد أيام الشتاء تصرف طفولي أزعج شقيقي صادق بشدة وقابلني بتجهم، فلجأت باكية إلى شقيقي الآخر جواد قائلة له: «لماذا يدللني شقيقي صادق في الصيف ويتركني في الشتاء؟!». وكان شقيقي جواد يسرد هذه الحادثة بتصرف بين أعضاء الأسرة، مما دعا صادق إلى احتضاني ضاحكاً ويقول لي: «أنت دائماً عزيزة عندي ولن أتركك أبداً».

وكنت أحياناً وأنا بعيدة عن أسرتي، أشتاق إلى أمي وأبي وأخوتي وبالتالي إلى بيتنا الذي قضيت فيه طفولتي وصباي، وأسرد مع نفسي ذكرياتي عن تلك المرحلة المهمة من حياتي.

تذكرت أنه في إحدى المرات عندما كان أبي وأمي في مكة المكرمة، أخذونا إلى ضيافة إحدى العوائل، وهناك سمعت أن شيخاً طاعناً في السن، اختنق وهو يرمي الجمرات، فسألت خالتي السيدة «رباب» بانزعاج: إن أبي أيضاً شيخ طاعن في السن؟! فاختنقت بعبرتي وبكيت بشدة مما دعا خالتي لتحتضنني وتخفف عنّي.

وبينما كنت سارحة في هذه الأفكار والذكريات، رأيت السيد الإمام (رض) واقفاً عند باب الغرفة، حيث كان سماحته قد أحسّ أن صدري قد ضاق وانزعجت بعد مغادرة شقيقي صادق، لذا جاءني ليخفف عني وجلس قليلاً في الغرفة وتحدث معي حتى عاد السيد أحمد إلى البيت بعد أن ودّع السيد صادق، ثم اقترحت السيدة أم أحمد أن نذهب معاً لزيارة مسجد الكوفة، فذهبنا إلى هناك.



من اليمين: السادة حسين الخميني، أحمد وصادق في زيارة كربلاء المقدّسة



وسط الصورة السادة: أحمد موسوي بجنوردي وحسين الخميني في طريق النجف الأشرف ـ كربلاء المقدّسة



من اليمين: السادة حسين الخميني، أحمد ودعائي في زيارة كربلاء المقدّسة

برنامج الإمام اليومي الثابت

البرنامج اليومي لسماحة الإمام لا يتغيّر، فهو ثابت منذ عدة سنوات، وينفذه سماحته بشكل منظم ودقة متناهية، وأستعيد في ذاكرتي ما قالته السيدة زوجته يوماً لنجْلِها السيد أحمد: «لو شرحت لك فقرات برنامج والدك اليومي لأمكنك أن تعممه على ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً.. أي طوال العام، حينها ستكون مطّلعاً على تفاصيل برنامجه اليومي».

اعتاد سماحة الإمام أن يستفيق في الصباح الباكر بينما الجميع نائمون، حيث يقدم العامل وجبة الإفطار لسماحته، وهي مكوّنة من الخبز والجبنة والشاي. ويقوم سماحته بتناول الوجبة لوحده ثم يتمشى لنصف ساعة، ويدخل في الغرفة العُلوية للمطالعة، بعد ذلك يخرج إلى مسجد الشيخ الأنصاري في (سوق الحويش) لإلقاء الدروس هناك، ثم يعود غالباً إلى البيت قبل ساعة ونصف من أذان الظهر للاستراحة، حيث

تقدم له الفاكهة وقد أعدتها له زوجته بإتقان مع قليل من المكسرات الإيرانية التي كان يبعث بها الأصدقاء والأقرباء من إيران، ثم يتمشّى سماحته لنصف ساعة وينام قليلاً[١] قبل أن يتهيأ مرة أخرى للذهاب إلى مسجد الشيخ الأنصاري لأداء صلاتي الظهر والعصر جماعة، ويعود بعدها إلى البيت لتناول وجبة الغذاء والاستراحة.

وقد جرت العادة أن يتم وضع عدد من الكتب المتنوعة والمؤلفة حديثاً، والواصلة لمكتب سماحته من أنصاره وأعضاء الاتحاد الإسلامي الطلابي في أوروبا وأميركا، في الغرفة السفلية ليطالعها السيد الإمام طبق برنامج معين، وفي أوقات محددة مسبقاً.

وأتذكر عدداً من عناوين الكتب التي رأيتها هناك، منها: «الفارسية سكر» للسيد جمال زادة، و«طلوع الانفجار»، و«أفضل الجهاد» (رسالة مفتوحة للشاه) للسيد علي أصغر حاج سيد جوادي، ومؤلفات أخرى أعدها عدد من الطلبة من أعضاء الاتحادات الإسلامية الطلابية، كذلك «تفسير سورة الانفال» من إعداد منظمة مجاهدي الشعب (خلق)[٢]، فضلاً عن مؤلفات الأستاذ جلال آل أحمد والدكتور علي شريعتي.

وقد كنت آنذاك منشغلة في مطالعة رواية «زوج الغزالة» للسيد علي محمد أفغاني، حيث طلب مني سماحته أن في متناوله متى ما توقفت عن مطالعته؛ والملفت أن السيد الإمام انتهى من مطالعة الكتاب قبل أن أكمل مطالعته..

---

(١) يستحب النوم قبل أذان الظهر وتسمى (القيلولة)، حيث جاء في الأحاديث إن نوم القيلولة تزيد الوعي والذكاء.

(٢) بعد أن طالع الإمام الخميني هذا الكتاب، بعث سماحته لهم من خلال السيد دعائي، تنبيهاً وهو أنكم تريدون أن تمزجوا بين الأخلاق الإسلامية والاقتصاد الماركسي، وهذا هو عين الالتقاط الفكري.

كذلك كان سماحة الإمام، إلى جانب هذه المطالعات المتفرقة والمتنوعة، اعتاد على تلاوة القرآن المجيد عدة مرات في اليوم، قبل صلاة الفجر عند الاستيقاظ من النوم، وقبل صلاتي الظهر والمغرب، وبعد صلاة العشاء، بحيث كان يختم القرآن مرات عدة خلال الشهر الواحد.

أتذكر، كذلك، أنه في تلك الأيام شعر الإمام بتوعك في عينيه، وقد زارنا طبيب عراقي (كان سماحته معجباً به لأنه يشبه شقيقه السيد هندي، كما ذكرت ذلك السيدة أم أحمد)، وفحصهما وقال لسماحته: «يجب أن لا تطالع»! فقلت: «إن سماحته يقرأ القرآن كثيراً بالإضافة إلى مطالعات متنوعة»؛ فقال الطبيب له: «يجب أن لا تقرأ القرآن أيضاً»!! فنظر سماحة الإمام لي، ومن ثم إلى الطبيب، وقال: «أيها الطبيب، إني أريد عينيَّ لأقرأ القرآن بهما!!»، وكانت كلمة صعُب عليَّ فهمها آنذاك، لكنها ظلّت في ذهني وذاكرتي وتأخذني أحياناً لتفكير عميق. وبعدها سمعت من سماحته، أن النظر إلى القرآن الكريم عبادة.. وينقل عن الإمام جعفر الصادق (ع) أن أحدهم سأله: «أنا حافظ للقرآن الكريم وسأحصل على الثواب إن قرأت القرآن حفظاً»، فقال له: «اقرأ وأنظر في المصحف فهو أفضل»، ثم أضاف: «إن النظر في المصحف عبادة».

أجل، لقد كان سماحة الإمام يعتقد بهذا الحديث عميقاً، لذا كان يعمد إلى قراءة القرآن الكريم باستمرار. وقد كنت سمعت من سماحته أن أول آية نزلت من القرآن المجيد، أمرت بقراءة القرآن لأن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله (ص) بالقول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِی خَلَقَ...﴾[1]، كما يقول جلّ وعلا ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَیَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ...﴾[2]

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الخادمة الطائشة

«زهراء» بنت عمرها حوالي اثني عشر عاماً، كانت تخدم في بيت سماحة الإمام في النجف الأشرف، وكان أبوها عراقياً وأمها إيرانية، وقد جاءت بها أمها للسيدة أم أحمد وطلبت أن تبقيها عندها لتساعدها في أعمال البيت.

وكانت الصغيرة «زهراء»، ذات سلوك طفولي عجيب، ولم تكن تعرف أسلوب التعامل المناسب مع الإمام وزوجته، كما أنها لم تكن مجدية في عملها، وكان الحاج السيد مصطفى المعروف بالتزامه العميق باحترام والديه، لم يكن يتحمل بعض تصرفاتها وكلامها، ولم يكن راضياً عن وجودها في البيت، إلّا أن سماحة الإمام والسيدة زوجته، كانا يأنسان بها ويحبانها. وقد قامت السيدة أم أحمد بتعليمها آداب الاستقبال التقليدي المتبع داخل الأسرة، وكانت بدورها تقوم بتطبيق تلك التعليمات بشكل جيد خلال استقبال الضيوف، ولكن، ما أن يغادر الضيوف البيت، تبدأ زهراء بأعمالها الطفولية، حيث تقوم بالضحك بصوت مرتفع وتعمل على لفت الأنظار إليها، ثم تقوم بترتيب الوسائد والمساند في الغرفة بشكل فرس وتصعد فوقه وتدور داخل الغرفة وتقفز من فوقها، وكانت الصغيرة تصرّ على السيدة أم أحمد أن تشاهد عروضها الطفولية عن قرب، وكانت السيدة بدورها مرغمة على مشاهدة تلك العروض والألعاب.

كنت أتعجب من صبر السيدة أم أحمد وتحملها، إلّا أنها كانت تقول: «ليس أمامنا سوى الصبر والتحمل في مثل أجواء الغربة والوحدة هذه التي نعيشها في النجف الأشرف، وأن نشغل أنفسنا أحياناً، بمثل هذه الأمور».

من الصور الأخرى لسلوك «زهراء» الطفولي، أذكر أنها حينما

كانت تُكلّف، أحياناً، بجلب أوراق من المكتب إلى سماحة الإمام، وتضعها في علبة من الكرتون المقوىٰ، تشبه علبة الأحذية، كانت تقوم بحركات تشبه الفرسان وتُصدر من فمها صوت يشبه صوت أقدام الفرس، وتنزل من السلّم. وتقوم، في أحيان أخرى، برمي العلبة وتمر بسرعة أمام سماحة الإمام.. وقد قامت بهذا العمل في أحد الأيام بحضور الحاج السيد مصطفى، فانزعج بشدة، إلّا أن الإمام قال له: «أرجو أن لا تنزعج من ذلك يا بني، لأنها طفلة، وهي تقوم بعملها المتلازم مع اللعب والتنزه».

لقد حاولت السيدة أم أحمد، كثيراً، أن تعلم «زهراء» القراءة والكتابة، فأعدت لها كتاباً ودفتراً، وكانت تعلّمها خلال أوقات معينة، إلّا أن «زهراء»، في كل مرة، تبدأ فيها التعلّم، سرعان ما تخلط الأمور بالمزاح والتصرفات الطفولية المنوعة.. وفي المقابل كانت السيدة أم أحمد تتحلّى بالصبر ورباطة الجأش وتعطيها الدرس بغية أن تتعلم ولوشيئاً قليلاً، إلّا أن كل تلك الجهود ذهبت عبثاً ولم تكن مجدية أبداً..

وأنا، أيضاً، عندما وصلت إلى النجف، طلب سماحة الإمام مني أن أساعد السيدة أم أحمد في مهمة تعليم «زهراء» لكنني لم أكن أوفر حظاً، ولم أوفق في هذه المهمة، رغم الجهود التي بذلتها، وحينها غبطتّ السيدة أم أحمد على صبرها وتحملها، وكيف كانت تواصل مساعيها ولم تيأس أبداً.

تلاميذ الإمام الخميني (رض)

من بين تلاميذ سماحة الإمام، كان البعض يتميز بحضور بارز وملفت في بيت سماحته، ويُعرفون أنهم من أنصاره ومحبيه، منهم: آية الله السيد محمد موسوي بجنوردي، السيد جعفر كريمي مازندراني،

السيد عباس خاتم يزدي، حسين راستي كاشاني، اخوان مرعشي، الشيخ غلام رضا رضواني. كما كان هناك عدد آخر من الطلبة الشباب الناشطين، منهم: السيد محمود دعائي، الشيخ حسن كروبي، السيد باقر موسوي مازندراني، علي أكبر محتشمي بور، إسماعيل فردوسي بور، إبراهيم فاضل فردوسي، الشيخ محمد رحمت، الشيخ محمد حسين شريعتي، الشيخ محمد طاووسي، الشيخ محمد حسين إملائي، السيد حميد روحاني، محمد رضا ناصري، سيف الله قاسمي بور، مرتضى نيكنام، السيد رضا برقعي، محمد منتظري، شاه آبادي (نجل آية الله شاه آبادي) وغيرهم.. كما كان البعض منهم، يسافر إلى الدول الأخرى من أجل التبليغ الإسلامي في أشهر محرم وصفر ورمضان المبارك.

وكان هناك بعض الأشخاص يأتون، أحياناً، إلى النجف الأشرف، وتقوم زوجاتهم بزيارة السيدة أم أحمد دون مواعيد مسبقة، فكانت هذه الزيارات تسهم في إخراجها من غربتها والتعويض عن ابتعادها عن الوطن، كما كان بعضهن من المقيمات في النجف الأشرف، يأتين لزيارة السيدة زوجة الإمام لتبادل الأفكار والأحاديث معها، كما كانت هي، بدورها، تتبادل الزيارات معهن، لا سيّما مع زوجات وأُسر علماء الدين والمراجع.

الحاج السيد مصطفى كان رابطاً بين عدد من مجاهدي الثورة الإسلامية وسماحة الإمام (رض)، وكانت علاقته متينة جداً مع السيد أحمد الذي كان يحضر في أغلب الاجتماعات والمراسم التي تقام في منزل شقيقه، وكنا جميعاً نسمي الحاج السيد مصطفى بلقب (داداش)(*) تحبباً، وحتى زوجته كذلك.

(*) باللغة الفارسية المحكية: أخينا..

وقد اعتاد السيد مصطفى أن ينقل لسماحة الإمام الأخبار المرتبطة بإيران والدول الأخرى، حيث كان يأتي إلى البيت، قبل ظهر كل يوم، ويجلس إلى جانب سماحته ويسرد الأخبار والتحليلات التي ينقلها بعض الأشخاص، وكان يسعى، دائماً، خلال نقله للأخبار، أن يشير إلى بعض الذكريات الحلوة والمفرحة لإدخال البهجة والسرور إلى قلب سماحته، إلى جانب سرده للأخبار التي غالباً ماكانت مؤسفة؛ وكنا، أحياناً، نضحك بشدة من بعض المواضيع الطريفة التي ينقلها، إلّا أن سماحة الإمام الذي كان مقيداً بأن لا يضحك بصوت مرتفع وملتزماً بأن الضحك بصوت مرتفع مكروه، وكنت أفرح كثيراً عندما أرى سماحة الإمام في تلك الحالة. وحين لم أكن معهم في الغرفة، فإنهم كانوا ينادونني حتى أحضر تلك اللحظات.

وقد اعتاد السيد (داداش) أن يأتي للبيت صباح كل يوم بعد انتهاء درس الإمام، ويبقى ملازماً حتى الظهر ومن ثم يذهب برفقة سماحته إلى مسجد الشيخ الأنصاري، وبعد أداء الصلاة يغادر إلى منزله، ومن ثم يعود لإعطاء الدرس في أصول الفقه في المسجد ذاته عصراً، أما يوم الجمعة فكان الجميع، غالباً، ما يلتقون في بيت سماحة الإمام بعد الظهر لتناول وجبة الغذاء معاً. أكثر الأحيان كانت الوجبة تتكون من الأرُز ومرقة الباذنجان.

أوقات استراحة الأسرة

جرت العادة أن تطرح في بعض جلسات الاستراحة والمزاح العائلية، بعض المواضيع الجادة والمفيدة؛ منها الحديث في إحدى المرات، وبحضور سماحة الإمام، عن ظاهرة النوم وكيفية حدوثها إذ قلت: «حقاً إن النوم أمرٌ حلوٌ للغاية»، فسألني سماحته: «في أي وقت

تتذوقين حلاوته؟». أعتقد أنه كان سؤالاً ملفتاً، ولم أجد له جواباً مناسباً، لأنه إن كانت إجابتي: أتذوق حلاوته قبل النوم لقيل كيف يتم ذلك والنوم لم يتحقق عملياً، وإن قلت خلال النوم لا يمكن ذلك لأنه لا يمكن تذوق حلاوته آنذاك، كما أنه لو قلت بعد النوم، لظل الإشكال وارداً عليه؛ وبالتالي لم أتمكن أن أعطي الإجابة المناسبة على ذلك التساؤل.

وفي أحد الأيام أثار الحاج السيد مصطفى سؤالاً عن (العدد)، وكان لايقبل أية إجابة نعطيها للسؤال، وكان يقول: «إنكم تتحدثون عن (المعدود) وليس عن (العدد)، لأنه لا وجود خارجي للعدد!!». وكانت الجلسات تأخذ طابعاً حيوياً وتسودها أجواء من النشاط مع إثارة مثل هذه الأسئلة والأجوبة.

ومن المواضيع التي كانت تثار، غالباً، بين (داداش) وأفراد الأسرة وتطرح ثانية في جلسات بعد ظهر الجمعة، هي حول أهمية وخاصية العدد (سبعة) أو (تسعة)، وكان كل فرد من أعضاء الأسرة يسعى لإثبات أهمية ومكانة أحد هذين العددين، حيث كان (داداش) يعتقد أن بعض الأعداد تكتسب أهمية أكثر في نظام الوجود والحياة، لذا فإن كشف رموز هذه الأعداد يعتبر أمراً مهماً. البعض من أفراد الأسرة، كانوا يعتقدون أكثر بالعدد (سبعة) والحاج السيد مصطفى كان من أنصار العدد (تسعة) وكل طرفٍ كان يسعى لإثبات نظريته ويأتي بالأدلة التي تثبت رأيه. كانت الأجواء رائعة في تلك الجلسات. كان السيد حسين والسيدة «مريم» (أبناء الحاج السيد مصطفى) من أنصار العدد (سبعة) ويدافعون بشدة عنه، ويعددون الأدلة التي تثبت رأيهم، منها: كانا يشيران إلى أن عجائب الدنيا هي سبعة، وأن عدد السماوات سبعة، وطبقات الأرض سبعة، وسورة الحمد تتكون من سبع آيات، والطواف حول الكعبة سبعة أشواط، وضوء

الشمس يتجزأ إلى سبعة الوان رئيسية، ووجوب وضع سبعة من أعضاء بدن الإنسان على الأرض حين السجود، وأن أصحاب الكهف كانوا سبعة، والأصنام التي تم تحطيمها في الكعبة كانت سبعة، وأحياناً، كانوا يستشهدون بالعدد سبعة الوارد في بعض العناوين والأعمار وأرقام الصفحات لإثبات نظريتهم ويطرحون مثل هذه الأمور للمزاح.

من جانبه كان الحاج السيد مصطفى يؤكد على أهمية ومكانة العدد (تسعة) ويذكر الأدلة التي تثبت نظريته، لكنني الآن لا أتذكر سوى واحدة منها، وهي بحسب قوله «إن كل عدد يضرب بالعدد (تسعة)، فإن مجموع الأعداد التي تشكل النتيجة تساوي العدد (تسعة) أو مضاعفاته.

الملفت أن السيد مصطفى كان قد اقتنى كتاباً حول العدد (تسعة) في سورية، وكان يستند إليه في كلامه لإثبات رأيه.. وهكذا فإن إثارة مثل هذه المواضيع في بعض الجلسات العائلية، كانت في الواقع نوعاً من الترفيه وملء هذه الأوقات، لإضفاء أجواء المحبة والمودة في مثل تلك الجلسات، وإثارة مواضيع شيّقة وجذابة خلالها، للتعويض عن أجواء الغربة والابتعاد عن الوطن، ولعدم وجود إمكانات الترفيه الخارجية التي تتناسب وتقاليد مثل هذه العائلات، واستمر ذلك حتى حدثت تلك الواقعة المرّة والمؤسفة.

استشهاد الحاج السيد مصطفى الخميني

في فجر يوم الأحد ٢١/١١/١٩٧٧ م (٩ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ. ق)، حيث لم نكن قد استيقظنا من النوم بعد، رأينا سماحة الإمام ينادي السيد أحمد ويقول له: «لقد اتصلوا من منزل السيد مصطفى وطلبوا العون منّا، لا بد أن تذهب حالاً وتتأكد من الوضع هناك، فلربما تكون السيدة معصومة (زوجة السيد مصطفى) بحاجة للمساعدة». وكانت السيدة

«معصومة» تعاني مساء أمس من آلام في بطنها، وكان الإمام يعرف ذلك، لذا توقع سماحته أن حالتها ساءت.

استيقظ السيد أحمد بسرعة وتوجه إلى منزل شقيقه (داداش)، وأنا احتضنت السيد حسن وحملته إلى غرفة السيدة أم أحمد ووضعته إلى جانب سريرها، وذهبت إلى منزل الحاج السيد مصطفى.

عندما وصلت هناك، رأيت سيارة صغيرة تقف جوار البيت، وكان الزقاق ضيقاً بحيث لا تتمكن أي سيارة من دخوله، وشاهدت كذلك السيد أحمد يقف على السلّم أمام الباب باكياً، فسألت ماذا حصل؟ فأجابني بانزعاج وألم: «داداش!!»، ولم يضف كلمة أخرى وأنطلق نحو المستشفى[(١)].

دخلت البيت فرأيت السيدة «معصومة» وابنتها «مريم» تبكيان والدموع تغسل وجنتيهما، فسألت: «ما الذي حدث؟»، فأجابت السيدة «معصومة»: «عندما ذهبت الخادمة السيدة (صغرى مشهدي) كالعادة، فجر هذا اليوم، لتقدم العصير للسيد مصطفى (داداش) رأته قد سقط على وجهه (اعتاد السيد مصطفى أن يجلس علي ركبتيه عند المطالعة ويضع وسادة على قدميه وينحني على الكتاب)، فظننت أنه يستريح قليلاً، فنادته مراراً، فلم يجب، لذا اقتربت منه فرأت أن وجهه قد ازرقّ، فأسرعت نحوي لتخبرني، قمت بدوري بالاتصال ببيت سماحة الإمام (رض) لأخبره بذلك».

في هذه الأثناء رأيت السيدة أم أحمد قد دخلت البيت باكية

---

(١) لم يكن في النجف الأشرف آنذاك سوى مستشفى واحداً باسم (مستشفى النجف) فضلاً عن عدد من المستوصفات الصغيرة، وقد كان الدكتور أياد علي البير الذي كان يحمل شهادة التخصص من بريطانيا، أول من فحص السيد مصطفى في المستشفى.

ومحبطة للغاية، حاولت أن أمهد الأجواء حتى لا تتفاجأ بالنبأ المؤلم، إلّا أنها كانت قد سبقتنا في التأكد من الخبر، قالت: «استيقظت من النوم فرأيت الصغير حسن ينام بجانبي، فاندهشت من ذلك وسألت الإمام عن السبب وما الذي حدث بالضبط؟!، فشرح سماحته الموضوع، فسارعت للوصول إلى هنا، وعندما وصلت رأيت سيارة غادرت المكان، تبعتها حتى وصلت إلى المستشفى وطلبت من الحارس أن يسمح لي بالدخول، فسألني عن السبب، فقلت له: أريد السؤال عن المريض الذي أدخل المستشفى تواً.. فأجاب: «إنه كان ميتاً!!».. ما أن سمعت الخبر انهارت قواي وبكيت، وضربت لا إرادياً، على رأسي، فسألني الحارس: «ومن يكون بالنسبة لك؟»، فقلت: «إنه ابني، فرقّ قلبه وسمح لي بالدخول إلى المستشفى لأتأكد من الخبر بنفسي».. وهكذا فإن السيدة (أم أحمد) هي التي أخبرتنا برحيل السيد مصطفى.

وقد سمعت فيما بعد، أن الطبيب الذي فحص السيد مصطفى في المستشفى، قال: «لا تبدو أية آثار للحياة عليه». واقترح أن يتم تشريح الجسد إلّا أن ذلك لم يتم بالطبع. وبسرعة انتشر الخبر المؤلم في مدينة النجف الأشرف ووصل أصدقاء السيد مصطفى تدريجياً إلى البيت.

لقد كنت منذ صباي أتأثر كثيراً عند سماعي بموت أي شخص أو مرضه، وتسوء حالتي الروحية والمعنوية، لذا لم أكن أشارك كثيراً في مراسم العزاء التي كانت تقام، وكان السيد أحمد يوصي بذلك دوماً[١]،

---

(١) عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، كنا ضيوفاً في إحدى الليالي عند خالتي السيدة بتول، وكان زوجها السيد عبادي إنساناً عطوفاً وخلوقاً للغاية، لا سيما مع الشباب والفتيان، وكان الجميع يحبه ويحترمه، وكان بدوره يشجعنا دائماً على الدراسة واستمرار التحصيل العلمي ويرسم أمامنا مستقبلاً جميلاً. وفي تلك الليلة وبينما كان السيد عبادي مشغولاً بالحوار والحديث معي، فجأة توقف تنفسه =

لذلك طلبت السيدة أم أحمد، والآخرون، مني، أن أعود إلى بيت سماحة الإمام حتى لا أحضر أكثر في أجواء الحزن والتألم السائدة هناك.

حينما عدت إلى البيت شاهدت سماحة الإمام، وعدداً آخر من أعضاء مكتب سماحته، ومجموعة من الطلبة، يجلسون في باحة البيت، فسألت السيد أحمد: «كيف أخبرتم السيد الإمام بالنبأ المؤلم؟»، فقال: «عندما وصلنا للمستشفى قال الطبيب: «لقد توفي السيد مصطفى ولا بُدّ أن نشرّح جسده لنعرف سبب الوفاة». فغادرت المستشفى إلى مكتب سماحة الإمام لأحصل على إذن سماحته للقيام بذلك، وعندما وصلت شاهدت سماحته جالساً في الغرفة، ولم أتمكن من نقل هذا النبأ المؤلم لسماحته، ولم تكن قدماي تطيقان حملي، وحينها ناداني السيد الإمام وقد رأى ظلّي على زجاج النافذة وحالتي الروحية المؤسفة، وهي كانت تكفي ليستنتج سماحته أن أمراً عظيماً قد حدث، ولم أكن أجرأ على قوله، وهكذا نزلت من السلّم محبطاً وباكياً، وقبل أن أتفوه بأية كلمة، قال سماحته: «هل توفي السيد مصطفى؟»، فقلت: أجل.. فوضع سماحته يده على ركبته وردد مراراً هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1]، قلت: إن الطبيب قال إن حالة الوفاة تحيطها أجواء الشك والغموض، وإن بقعاً زرقاء تبدو واضحة على وجهه وجسده، ولا بُدّ أن يشرّح الجسد حتى يشخص سبب الوفاة. وقد جئت لسماحتكم حتى نستأذنكم للقيام بذلك، فقال سماحته: «أرجو أن لا تقوموا بذلك! لا أرى حاجة لمثل هذا العمل»».

= وسقط على الأرض.. حيث فحصه الطبيب وأكد وفاته بالنوبة القلبية.. وهكذا- فإن هذه الحادثة المرّة تركت تأثيراً سيئاً للغاية على روحي وجعلتني أقلق دائماً على حياة والديّ، وبعد زواجي اقترح السيد أحمد أن لا أحضر مجالس العزاء لمدة معينة حفاظاً على معنوياتي.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

ترك نبأ وفاة الحاج السيد مصطفى آثاراً مؤلمة على أصدقائه وأحبائه، وكان الخبر محزناً وغير قابل للتحمل، لأنه كانْ محبوباً من قبل الجميع، بخاصة تلاميذه وأصدقائه الذين اعتادوا على الحضور المستمر في دروسه ويأنسون بمجالسته والاستفادة من أحاديثه الشيّقة، لأنه كان يتميز بطباعه الحسنة، وخلقه الرائع، وحديثه الجذاب، ومزاحه المفيد الذي كان يزيل عنهم نوعاً مّا همّ التغرّب والابتعاد عن الوطن والأهل. لذا، فإن هذه الحادثة كانت صعبة عليهم للغاية، وأفقدتهم توازنهم وهدوءهم، بحيث أن السيد أحمد قال للإمام: «إن هؤلاء الأخوة متألمون للغاية ويمكن لسماحتك أن تواسيهم وتسكّن مشاعرهم وتهدئ نفوسهم».. قبل سماحة الإمام فكرة اللقاء معهم، فجاء الجميع وجلسوا في باحة البيت، وكان الأمر عجيباً بالنسبة لي.. كيف يمكن لمجموعة من الشباب أن يقتبسوا السكينة والهدوء من أب حزين ومفجوع بابنه الغالي؟ وفي المقابل، كان كل منهم يسعى للحفاظ على أحاسيسه ومشاعره ويضبط أعصابه أمام السيد الإمام، ولكن ما أن تقع عينه على سماحته، كان يفقد توازنه وينفجر بالبكاء والعويل..

وبعد أن جلس الجميع، بدأ سماحة الإمام حديثه بدعوتهم للصبر والاستقامة قائلاً: «على أية حال، لقد حدث ما حدث، فالله سبحانه وتعالى يسترجع أحياناً نعمة كان قد منحها للإنسان، لذا يجب أن نتحمل ذلك ونصبر».. وبعد أن أشار سماحته إلى عدة نقاط حول الموضوع ذاته، خاطب الحاضرين بالقول: «قوموا والتحقوا بأعمالكم واستمروا في برامجكم! وابحثوا عن الخطوات التي ينبغي القيام بها».

أخذت نجلي حسن وعدت إلى منزل (داداش)، وبدوره وصل سماحة الإمام إلى هناك قبل الظهر؛ وما أن دخل سماحته البيت خاطبته السيدة أم أحمد بحزن: «هل تلاحظ يا سيدي ماذا حل بنا وكم هو

عظيم مصابنا؟»، فأجابها السيد الإمام: «عليك أن تصبري يا سيدة في سبيل الله، أعرف أن الأمر صعب للغاية!؛ ولكن اجعليه في عين الله، فإن اعتبرتِ ما حدث هوفي سبيل الله، فسيسهل تحمل ذلك، فالله سبحانه سيعين الجميع لتحمل هذا المصاب».

أجهشت السيدة أم أحمد بالبكاء وقالت: «لقد تحملت الكثير من الصعاب، إلّا أنه لا طاقة لي لتحمل هذا المصاب».. وبينما كان سماحة الإمام متأثراً بما حدث ومتألماً لهول المصيبة، وضع يده على كتف السيدة أم أحمد مهدئاً ومصبراً وقال: «أعرف ذلك، ولكن عليك أن تصبري من أجل الله»!.

مكث سماحة الإمام هناك عدة دقائق تحدث خلالها، أيضاً، مع السيدة «معصومة» ونجليها حسين و«مريم» وواساهم ودعاهم للصبر قائلاً: «لقد كنت صغيراً عندما فقدت أبي وأمي، لذا فإني أقدّر مشاعركم وأفهم حالتكم تماماً، ولكن لابد من الصبر في سبيل الله ونستعين به جلّ وعلا، أدعو الله أن يلهمكم الصبر والسلوان، فلا بُدّ أن تهدأوا وتراقبوا كلامكم وردود فعلكم، واحذروا من أن تقولوا كلاماً غير مجدٍ»!!..

وحينما كان السيد الإمام يغادر البيت قالت السيدة أم أحمد له: «أرجو أن تطلب من (السيدة فاطي) أن ترافقك إلى البيت ولا تبقى هنا». فطلب سماحته مني أن أرافقه إلى البيت.. فتم ذلك.

وفي عصر اليوم ذاته وصل عدد كبير من أصدقاء الحاج السيد مصطفى إلى منزل سماحة الإمام وامتلأت باحة البيت الصغيرة بهم وكان الجميع يبكي بشدة ويرفعون أصواتهم عويلاً، إلّا أن السيد الإمام حافظ مرة أخرى على صلابته ورباطة جأشه واستقامته، وجلس أمامهم وقرأ إحدى الآيات المباركة بالمناسبة، وتحدث حول مفاهيمها وبدأ

بمواساتهم، وقال سماحته: «إن موت السيد مصطفى هو من الألطاف الإلهية الخفية»[1].

بعد ذلك انتقل سماحة الإمام إلى الطابق العلوي ودخل إلى الغرفة التي كنت جالسة فيها، وخاطبني قائلاً: «إنني منزعج للغاية من أجلك لأنك ضيفة عندنا، وقد ساءت الظروف كما ترين وتألمت بسبب ذلك، وسأسرد عليك إحدى القصص الحقيقية لتعرفي كيف كان العظماء وكيف نحن الآن: اجتمع عدد كبير من الأشخاص في يوم العيد في منزل أحد العرفاء ليهنؤوه بالعيد، وبينما كانوا جالسين ارتفع الصراخ من داخل البيت، فذهب هذا العارف إلى الداخل وشاهد أن نجله الصغير قد سقط في حوض الماء ومات مختنقاً، وكان الصراخ هو صوت زوجته، فقال لها: أرجو أن لا نزعج ضيوفنا، فلا بُدّ أن لا نخرب عيدهم بمثل هذا الصراخ والعويل.. وكانت زوجته عظيمة كزوجها حيث تحملت المصيبة حتى رحل الضيوف. ثم عاد السيد عارف إلى ضيوفه وقال: الحمد لله، لم يكن إلّا خيراً. واستمرت مراسم العيد والتهنئة حتى النهاية».

«وبعد مغادرة الضيوف طلب العارف من اثنين من أصدقائه أن لا يغادروا البيت، وقال لهم: «إننا بحاجة لمساعدتكم».. بعدها انشغلوا في مراسم الدّفن والعزاء»[2].

---

(١) أصدر سماحة الإمام الخميني في اليوم ذاته، بياناً مقتضباً جاء فيه: «لقد توفي يوم الأحد التاسع من ذي القعدة الحرام عام ١٣٩٧ هـ. ق نور بصري ومهجة قلبي مصطفى، ورحل عن هذه الدنيا الفانية والتحق بجوار رحمة الحق المتعال (صحيفة الامام/ج ٣ ص ٢٣٣).

(٢) تعود القصة لأستاذ الإمام الخميني في الأخلاق والعرفان السيد العارف الكبير آية الله ملكي تبريزي الذي عاش أواخر القرن الثالث عشر الهجري. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الخامس في نهاية الفصل.

بعد عدة دقائق، قام الإمام الخميني لأداء الصلاة، وتعطر ومشط محاسنه، كالعادة قبل إقامة الصلاة. واستمر سماحته في أعماله وبرامجه اليومية العادية مسيطراً بشكل كامل على أعصابه وتصرفاته.. وقد أوصى السيد رضواني في اليوم التالي، أن لا ينسى تقديم الراتب الشهري للعالم الفلاني طبقاً للموعد!.

أقيمت عدة مجالس تأبين على روح الفقيد السعيد، وقد طلب سماحته من علماء الحوزة العلمية، الذين كانوا قد عطّلوا دروسهم لعدة أيام بسبب هذه الحادثة الأليمة، أن يبدأوا دروسهم ثانية حيث بدأ سماحته أيضاً بإعطاء دروسه.

دخلت في إحدى المرات غرفة الإمام الخميني فرأيت سماحته ينظر إلى سقف الغرفة وعيناه قد اغرورقتا بالدموع؛ وتفاجأ عندما رآني أمامه، فسألني عن ولدي حسن، ثم قال: «هل أنت لوحدك؟ ألم تتعبي من هذا الوضع؟؛ يمكنك أن تطالعي أحد الكتب وقد اخترته لك؟!».. بعد ذلك أشار إلى خزانة صغيرة اعتادت السيدة أم أحمد أن تحفظ فيها الهدايا والحلويات التي تجلب من إيران، وقال: «هل تريدين شيئاً منها لاقدمها لك؟!».

عندما وقعت هذه الحادثة[١]، فكرت مع نفسي.. هل أن سماحة الإمام سيحافظ على نشاطه وبرنامجه السابق، أم أن أجواءً مملة ومتعبة، ستسود المنزل؟ وهل ستتكرر الاجتماعات الجَماعية لأعضاء الأسرة بعد الآن؟!.

هذه الهمسات الذاتية لم تبدد هواجسي الأخرى، فقد كنت قلقة

---

(١) أقام آية الله السيد الخوئي صلاة الميت على نعش المرحوم السيد مصطفى في يوم الاثنين ١٩٧٧/١١/٢٢، ووري الثرى في حرم الإمام علي (ع) بجوار مقبرة العلامة الحلي وآية الله نصر الله بني صدر.

بشأن السيد أحمد، لأنه كان خلال الفترة المنصرمة قد استأنس كثيراً مجالسة شقيقه الأكبر (داداش)، حيث كان يحضر دروسه ومباحثاته العلمية، فضلاً عن ذهابه مع عدد من الأصدقاء إلى بيته مرتين في الأسبوع.. وكان السيد أحمد قد ذكر أنه شاهد شقيقه (داداش) مرات عدة واقفاً أمام المرآة ويضرب بيده على وجهه ويقول: «انتبه يا مصطفى واستيقظ! لأن عيناك ووجهك سيدفنان بعد فترة تحت التراب، وعليك أن تفكر بيوم يبعث فيه من في القبور وكيف سنواجه ملك الموت؟!».

وهكذا انقضت تلك الأيام بمرارة شديدة وصعوبة للغاية.. وعادت السيدة أم أحمد إلى البيت، وقد اعتدنا أن نستقبل الطعام الذي كان يبعثه لنا كل يوم أصدقاؤنا من الإيرانيين والنجفيين، حتى اليوم الأربعين من وفاة السيد مصطفى، فالناس، هناك، اعتادوا طبقاً للأعراف والتقاليد العربية، أن لا يسمحوا لأسرة المتوفي أن تشعل موقد المطبخ أو تطبخ طعاماً خلال أربعين يوماً بعد الوفاة احتراماً للمتوفي، لذلك كانوا يبعثون لنا الطعام خلال تلك الأيام.

أقيمت مراسم أربعينية السيد مصطفى بحضور شقيقاته اللواتي قدِمن من إيران، وقد تعهدت بمهمة إعداد الطعام خلال تلك الفترة، وحيث أعجب به الجميع، لا سيّما السيدة أم أحمد.

تذكرت حينها أيام طفولتي، حيث كانت والدتي تصرّ علي أن أقوم بمهام البيت وأتعلم كل شيء، وكنت أرفض ذلك وأقول: «سوف أتعلم كل شي عندما تستلزم الضرورة».

مكثت السيدات أخوات السيد مصطفى في النجف، حوالي شهرين ثم عدن إلى إيران عدا السيدة «فريدة» التي سافرت إلى لبنان لزيارة بنتها التي كانت تدرس هناك.

الحوادث المصيرية

بعد هذه الواقعة المؤسفة، شهدت إيران الكثير من الحوادث المصيرية التي كانت تفاصيلها تصل إلى أسماع سماحة الإمام تباعاً، كما كانت أشرطة الخطابات التي كان يلقيها المبلغون والخطباء في أنحاء البلاد، تصل إلينا ونسمعها، وكانت مليئة بالكلمات الثورية الشجاعة والتحدي الصارخ. كانت تعكس الأجواء السائدة في إيران آنذاك. وقد أشار سماحة الإمام في إحدى خطاباته، إلى تلك الأجواء والفرص السانحة آنذاك، داعياً أبناء الشعب إلى استثمارها بكل وعي ويقظة، وتدبير وحكمة، ونظرة إلى المستقبل، مع الحفاظ على وحدة الكلمة ورص الصفوف(١).

شهر رمضان المبارك في النجف الأشرف

مع حلول شهر رمضان المبارك، كنا لا نزال في النجف الأشرف حيث كان سماحة الإمام الخميني والخادمة الصغيرة «زهراء»، الوحيدان اللّذين صاما في تلك السنة، لأن كلاً منّا حُرِم من الصوم لسبب ما، إلّا أن سماحته كان مصراً أن يُعد طعام مناسب لـ «زهراء» في السحور والإفطار.

وجرت العادة أن يُحتفظ بقسم من طعام الإفطار ليقدم في السحور لسماحته ولـ «زهراء».. وكان السيد الإمام يستيقظ وقت السحر ويهيء الطعام، قبل أن يوقظ «زهراء» لتتناول معه وجبة السحور.

وكنت أحياناً استيقظ إثر سماع صوت الإمام، وقد شاهدت مراراً،

---

(١) أرسل سماحة الإمام الخميني بياناً بهذا الشأن إلى الطلبة الإيرانيين المقيمين خارج البلاد، وكذلك لمسلمي إيران والعالم، وذلك بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٧٧ م.

كيف أن سماحته يبادر بأسلوبه الحنون لإيقاظ «زهراء» ومن ثم تشجيعها على تناول طعام السحور. وكان خلال النهار يطلب منها أن لا تعمل كثيراً حتى تتمكن من تحمل مصاعب الصيام حتى وقت الإفطار، وكان الطعام الذي يعد للإفطار، غالباً، يكون حسب رغبة «زهراء» وطلبها لذلك الطعام.

وقد اعتدنا في النجف الأشرف، ان نسمع أصوات عدد من الرجال خلال وقت السحر يسيرون بين الأزقة ويدقون الطبول ويدعون النائمين إلى الاستيقاظ لتناول طعام السحور، ومن ثم نسمع أصوات تدعو إلى الإمساك عن الطعام وشرب الماء قبل دقائق من وقت أذان الصبح.. وهكذا تتوفر فرصة مناسبة أمام الأشخاص لأداء صلاة الصبح في أول وقتها، حتى وإن لم يتمكنوا من الصيام لأسباب مقبولة.

كذلك كان عدد من طلبة سماحة الإمام، الذين تلقوا دروساً في التوعية الدينية والتبليغ الإسلامي عند سماحته، يغادرون النجف الأشرف إلى دول مختلفة خلال شهر رمضان المبارك، بهدف إرشاد الناس وتوعيتهم، وكانت أسرهم، غالباً، تبقى في النجف الأشرف. وكنا أحياناً، نجتمع مع أعضاء هذه الأسر خلال الفترة بين الإفطار وحتى وقت السحر، ونتبادل الأحاديث والأخبار بشأن الوطن وحركة الناس في الداخل وضرورة الجهاد والنضال ضد الطاغوت حتى تحقيق النصر أو الشهادة.

وكنا نسعى أن تحضر السيدة «معصومة» في هذه الجلسات للتعويض شيئاً عن غربتها ووحدتها بعد رحيل زوجها (السيد مصطفى).. وأتذكر أنه دار الحديث في إحدى الأمسيات حول سعي الشاه لإقامة الانتخابات. وعندما سمع سماحة الإمام هذا الخبر، خاطب الطلبة المبلّغين قائلاً: «لا بُدّ أن توعوا الناس خلال خطاباتكم وأحاديثكم

معهم، وتقولوا لهم أنه ما دام الشاه وحكومته الطاغوتية يسيطرون على زمام الأمور في البلاد، فلن يمكنكم أن تنتخبوا أي نائب في المجلس بشكل حر وصحيح»[١]، وهكذا اقتربت ليالي القدر. وقد قمنا بإحياء هذه الليالي في البيت؛ كما أن سماحة الإمام اعتاد سنوياً، أن يقضي عيد الفطر في مدينة كربلاء، حيث كانت تُستأجر له سيارة صغيرة، وكنا نتوجه جميعاً ليلة العيد إلى كربلاء، والشباب كانوا يذهبون أحياناً بالحافلة[٢].

اعتاد سماحة الإمام، أن يقيم صلاة العيد بشكل منفرد قبل أن يقدم (العيدية) للجميع، حيث عوّدنا سماحته، أن يقدم العيدية في المناسبات والأعياد الدينية ومواليد الأئمة (ع) ولم يترك هذه السنّة الحسنة إلّا مرتين، الأولى عندما توفي آية الله الميرزا حسن بجنوردي تزامناً مع مولد السيدة فاطمة الزهراء (ع) حيث لم يُقم سماحته مراسم العيد احتراماً لآية الله البجنوردي، والمرة الثانية عندما أعدم النظام العراقي البائد ثلاثة من كبار علماء الدين المجاهدين العراقيين، منهم نجل آية الله السيد جواد التبريزي وحفيد آية الله القبانجي (السيد عز الدين القبانجي) وعالم آخر لا أتذكر اسمه. يومها، وبينما كان سماحة الإمام يقدم العيدية لزائريه، وصلته ورقة من قبل نجله الحاج السيد مصطفى كتب فيها خبر الإعدام، مما دعا الإمام ليتوقف فوراً عن تقديم العيدية. وكانت العيدية في تلك السنة تبلغ عشرين ديناراً عراقياً.

وقد سمعت آنذاك، أن سماحة الإمام أصدر بياناً شكر فيه أفراد الجيش الإيراني لامتناعهم عن إطلاق النار ضد أبناء الشعب، وطالبهم

---

(١) يمكن مراجعة كتاب (صحيفة الإمام)، ج٣ ص٤٣٣.

(٢) كان سماحة الإمام يرفض أن يُشترى له سيارة خاصة للتنقل ويرى عدم ضرورة ذلك.

للدفاع عن وطنهم والتضحية في سبيل ذلك، وأن لا يسفكوا دماء الشعب الإيراني دفاعاً عن أهواء ومطامع عائلة ناهبة متسلطة على مقدرات الشعب. وقد اندهشنا حينها كيف يستحق الشكر من لايقتل الناس؟! فقد قال أحد الحاضرين: «لربما أراد الإمام أن يستفيد من عامل التشجيع والإشادة لتحقيق الهدف».. إلّا أن ذلك لم ينفع، حيث لم تمر سوى فترة قصيرة حتى حدثت مجزرة يوم الخامس من حزيران عام ١٩٧٨ وقتل الآلاف من الأبرياء في ساحة (جالة) وسط العاصمة طهران، على يد أزلام السافاك وقوات الحرس الملكي الشاهنشاهي، فيما عرف بالجمعة الدامية[١]؛



المجزرة الدموية في ساحة جالة (الشهداء) وسط طهران

---

(١) عرف هذا اليوم بالجمعة السوداء أو الدامية، حيث كان القائد العسكري للعاصمة طهران الجنرال غلام علي أويسي قد أعلن الأحكام العرفية، إلّا أن جماهير الشعب الإيراني تجمعت بالآلاف في ساحة جالة وسط طهران (ساحة الشهداء) وقد تصدت الدبابات والمدافع الرشاشة للجماهير العزلاء وفاجأتهم مما أدى إلى سقوط الآلاف منهم، وأدت هذه الحادثة الأليمة إلى زيادة غضب الناس ضد النظام الملكي البائد.

وبدأت الأخبار تصلنا تباعاً من طهران وباقي المدن الإيرانية، حيث اندلعت المظاهرات في كل مكان من أرض الوطن، والتي كانت تقابل بالرصاص والقتل وسفك الدماء.

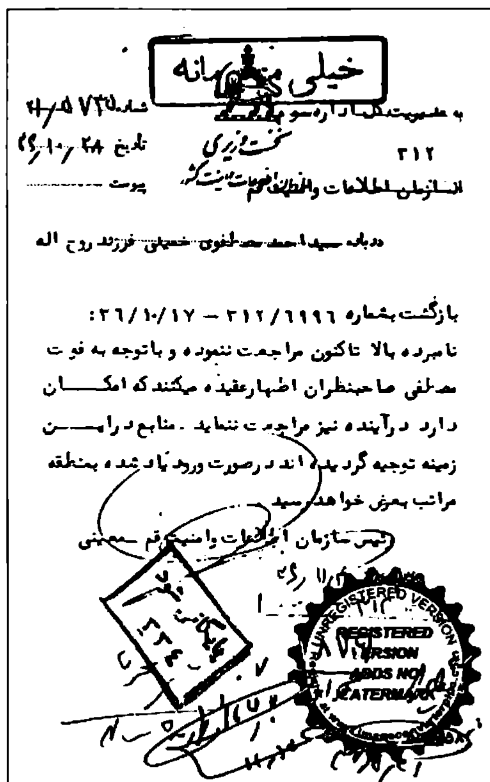
التردد في العودة إلى إيران

بعد وفاة الحاج السيد مصطفى الخميني، تضاعفت مسؤوليات السيد أحمد، حيث كان يسعى لأداء مهامه المختلفة، إلى جانب دأبه على التقليل من آثار فقدان السيد مصطفى على سماحة الإمام والسيدة زوجته، وملء الفراغ الذي تركه رحيله قدر الإمكان.. ولكن كان واضحاً أن هذه المهمة صعبة للغاية ولا يمكن إنجازها بسهولة، وفي مثل هذه الظروف ترددنا في العودة إلى إيران.

كذلك، فإن السيد أحمد كان يشعر بالقلق لسبب آخر، وهو أنه كان يعرف مدى تعلق أبي وأمي بي، لذا كان يشعر بصعوبة اتخاذ قراره المصيري بالبقاء في النجف الأشرف، ولهذا سألني قائلاً: «ما هو رأيك؟ لأني عندما كنت أودع والديك قلت لهما أننا لن نبقى أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر، بينما الآن مضى على وجودنا هنا عدة أشهر»؛ فقلت له: لا تقلق!! لأنهما يفهمان الظروف التي نمر بها حالياً جيداً، فهما يعرفان مدى أهمية وضرورة وجودك هنا. لكن المشكلة التي كانت تؤذيني كثيراً تكمن في قضية مواصلة دراستي وإني مرغمة الآن على عدم التفكير بذلك، وهذا أمر لا أطيق تحمّله.. وكان السيد أحمد الذي دأب على تشجيعي وحثي على مواصلة الدراسة، يفهم مشاعري وأحاسيسي بهذا الشأن، وخاطبني بالقول: «سوف أجد حلاً لهذه المشكلة إن شاء الله»..

وهكذا وقعت حوادث أخرى، شيئاً فشيئاً، ضاعفت من ضرورة وحتمية بقائنا إلى جانب سماحة الإمام، وعدم التفكير في العودة إلى

إيران. لذا استأجرنا بيتاً صغيراً في (سوق الحويش) بالنجف الأشرف قرب بيت سماحة الإمام وسكنّا فيه؛ وحينما انتقلنا إلى بيتنا الجديد قالت السيدة أم أحمد لي: «يمكنك أن تشتري أثاث البيت اللازم من هنا ولا داعي لنقله من مدينة قُم.. إلّا أني رفضت الفكرة، لأنني كنت أظن أنه ينبغي أن لا نُسرف في حياتنا، لذا قلت: «لماذا نشتري من هنا بينما أثاث بيتنا موجود في قم؟!،


خیلی محرمانه
به مدیریت کل اداره سوم ساواک
۳۱۲
از سازمان اطلاعات و امنیت قم
پیوست
درباره سید احمد مصطفوی خمینی فرزند روح اله

بازگشت بشماره ۳۱۲/۶۹۹۶ – ۲۶/۱۰/۱۷:
نامبرده بالا تاکنون مراجعت ننموده و باتوجه به فوت مصطفی صاحبنظران اظهار عقیده میکنند که امکان دارد درآینده نیز مراجعت ننماید. منابع در این زمینه توجیه گردیده اند در صورت ورود یاد شده بمنطقه مراتب بعرض خواهد رسید.
رئیس سازمان اطلاعات و امنیت قم – معینی

صورة عن تقرير السافاك بشأن قرارنا بالبقاء في النجف الأشرف

يمكننا أن ننقله بواسطة شاحنة». فقالت السيدة أم أحمد: «أرجو أن لا تبعثروا حياتكم في قُم، فأنتم لا تحتاجون الكثير من الأثاث هنا، ويمكنكم أن تشتروا الأثاث الضروري مثل السجاد والبراد والفِراش ولوازم المطبخ المهمة وغيرها، ويمكنني أن أزودكم باحتياجاتكم الأخرى».. إلّا أننا رفضنا تلك الفكرة وقلنا: «نمتلك كل هذا الأثاث في قُم ويمكننا نقله من هناك إلى هنا، وأن تكلفة النقل تعادل ثمن براد فقط»، ورغم النصائح البناءة التي قدمتها لنا كي نتخلى عن عنادنا، إلّا إننا قلنا: كلا، فلا حاجة لشراء الأثاث هنا».. وأخيراً اتصلنا هاتفياً بقُم وأرسلوا الأثاث.

ارتباط السيد أحمد بالمجاميع الجهادية

ظهرت في تلك الأيام تحركات جديدة على مستوى النشاط الثوري، والعمل الجهادي داخل البلاد، وقد لعب السيد أحمد دوراً مؤثراً في نقل أخبار ذلك الحراك إلى سماحة الإمام، حيث كان يسعى حثيثاً من أجل تسريع ذلك الارتباط.. لقد أخذت تلك التحركات الثورية طابعاً متسارعاً وواسعاً، لا سيّما بعد الموت الغامض والمثير للشكوك للدكتور علي شريعتي في لندن، والحاج السيد مصطفى الخميني في النجف الأشرف.

لقد ازدادت كثيراً منذ أواخر عام ١٩٧٧م، الزيارات وتردد الأشخاص إلى النجف الأشرف، بخاصة إلى بيت سماحة الإمام، حيث ازداد عدد الأشخاص القادمين من إيران والدول الأخرى، لا سيّما الطلاب الإيرانيين المقيمين في أوروبا وأمريكا، لزيارة السيد الإمام. وكان للسيد أحمد الدور الكبير في تنظيم هذه اللقاءات، لأنه كان مرتبطاً مع أكثرهم عندما كان في أيران، وكانوا يثقون به، بل وأصبح حلقة الوصل المطمئِنة والمؤثرة بين المجاهدين، ضد النظام البائد.

ومنذ أوائل عام ١٩٧٨م، تضاعفت تلك الزيارات واللقاءات، وكل يوم، أو أسبوع، كنا نشهد عدة لقاءات، انفرادية أو جماعية، مع سماحة الإمام، حيث كانوا يتباحثون مع سماحته بشأن مختلف القضايا السياسية والجهادية ومقارعة النظام البهلوي. بالطبع لم نكن نطّلع على تفاصيل تلك اللقاءات ومجرياتها، بل ولم نكن نعرف غالباً، الأسماء الحقيقية للشخصيات الزائرة، رغم أننا كنا نسمع أحياناً أخباراً عنهم.

بعد أن نشرت صحيفة (لوموند) الفرنسية، تفاصيل اللقاء الصحفي مع سماحة الإمام الذي كان قد أجراه مراسلها، طلبت صحيفة (فيغارو)

لقاءاً خاصاً مع سماحته، إلّا أن هذا اللقاء لم يتم بسبب ممانعة المسؤولين العراقيين ومعارضتهم وتهديدهم الجاد، وبعد ثلاثة أشهر تقريباً تم تنظيم ذلك اللقاء بفضل جهود السيد أحمد وزملائه، رغم معارضة الحكومة العراقية، وذلك بعد وصول فريق صحفي من فرنسا.

وقد قام رجال الأمن العراقي بمحاصرة بيت سماحة الإمام في النجف الأشرف ومراقبته للحؤول دون عقد ذلك اللقاء، إلّا أن السيد أحمد وضع مخططاً أدخل بموجبه الفريق الصحفي من الباب الخلفي للبيت، ولكن رجال الأمن العراقي، بعد أن عرفوا ذلك، دخلوا بيت الإمام وقام السيد أحمد بغلق الباب عليهم وهم في الداخل، ومنعهم من الخروج حتى انتهاء اللقاء الصحفي. أي أن رجال الأمن العراقي في الواقع، سُجنوا داخل البيت حتى انتهت المقابلة الصحفية.. وقام الأمن العراقي باعتقال الصحفيين الفرنسيين في بغداد وطلبوا منهم شريط المقابلة الصحفية، إلّا أن تسجيل المقابلة كان قد أرسل إلى باريس قبل هذا الاعتقال.

هذا، وكانت وسائل الاتصال العامة، آنذاك، بدائية للغاية، بحيث أن السيد أحمد كان قد أعدّ خطاً هاتفياً للبيت بصعوبة، وكان يستخدمه للاتصال مع المجموعات والعناصر الجهادية الناشطة في إيران، وبالتالي يوصل إليهم نداءات سماحة الإمام[١].

وكان السيد أحمد يأخذ عبر الهاتف الأخبار الصحيحة والدقيقة التي تصله من داخل إيران ويقوم بنقلها إلى سماحة الإمام الذي كان عبر هذه الطريق، يوضع في مجريات الحوادث والتحركات السريعة التي تجري هناك، وعلى رأسها المظاهرات الجماهيرية في أنحاء البلاد،

---

(١) لم يكونوا يسمحوا في العراق باستخدام أكثر من جهاز لكل خط هاتفي.

وكان سماحته يقوم بتوجيه وإرشاد تلك التحركات بكل حكمة ومسؤولية.. كما كانت تصل إلى سماحته الرسائل من الهند وأوروبا ويرد عليها بسرعة.

وإلى جانب هذه البرامج، التي كانت تجري بشكل سري ومخفي، كانت أيامي تمضي في النجف الأشرف برتابة، وكنت منزعجة للغاية لأني لا أستطيع أن أواصل تحصيلي العلمي، مما دفعني إلى مخاطبة السيد أحمد يوماً بالقول: «إني أفهم كاملاً الأوضاع السائدة حالياً، ومع توالي الحوادث التي تجري في البلاد لا أريد أن أصرّ على طلبي السابق، إلّا أني لا أستطيع أن أقنع نفسي بالتخلي عن مواصلة الدراسة، وقد يكون هذا الطلب الآن كثير، لكنك وعدتني بأن تجد طريق حل له، فقال السيد أحمد: «أجل، أقبل ذلك، إنما الأوضاع في الجامعات العراقية غير مناسبة بالنسبة إليك، لذا أعتقد أن الإمكانات التي توفرت لكِ في بيروت، ستعينك على استمرار التحصيل العلمي هناك، وسأبذل جهدي لإنجاز هذه المهمة إن شاء الله».

تسارع الأحداث في إيران

توالت إقامة مراسم التأبين والعزاء على روح المرحوم الحاج السيد مصطفى، في مختلف المدن الإيرانية، وقد أدت هذه، بدورها، إلى حدوث سلسلة من التحولات والأحداث، وبالتالي ظهور أمواج ثورية وشعبية عارمة ضد النظام البهلوي الظالم.. كما أنها أدت إلى تعميق التضامن والألفة والتعاضد بين مختلف طبقات وأفراد المجتمع الإيراني، بخاصة المجموعات الجهادية والثورية المقارعة لنظام الشاه الجائر، حيث كان الجميع من كافة الفصائل والمجاميع الجهادية والنضالية، يشاركون في هذه المراسم المقامة في مختلف المدن، وكان العديد من

الخطباء والشخصيات العلمائية يلقون خطابات وكلمات فيها. منهم السادة: رباني شيرازي وصادق خلخالي ومحمد جواد حجتي وعبد المجيد معاد يخواه، ضد النظام الطاغوتي البائد؛ وكانت أشرطة بعض هذه الخطابات تصل إلينا في النجف الأشرف، وكنا نستمع إليها، وأدى ذلك تدريجياً إلى إضعاف سيطرة السافاك على إدارة الأمور والأوضاع الداخلية بشكل عام.

في أحد الأيام دخل السيد أحمد البيت منزعجاً وقلقاً ومضطرباً للغاية، وبينما كان يسعى للسيطرة على أعصابه، أخبرنا عن حوادث دامية ومؤلمة وقعت في إيران، بالأخص في مدينة قُم، وقال: «لقد أطلق جلاوزة الشاه النار بكثافة على أبناء قُم الأبرياء»[(١)] وشرح تفاصيل الواقعة طبقاً للمعلومات المتوفرة لديه.. تأثر الجميع بسبب هذه الحادثة، وخاطبت السيدة أم أحمد سماحة الإمام بالقول: «ماذا يعمل من أطبقت عليه أنياب الأسد الدموي غير التسليم والرضا؟!». شاهدت سماحة الإمام قد أنسل إلى تفكير عميق، ثم خاطب السيد أحمد بالقول: «سأتحدث مع الناس بهذا الشأن».. وبعدها حضر سماحته في المسجد وقال في البدء: «لقد تحيّرت، لمن أقدم العزاء بهذه الحادثة الأليمة والفاجعة الكبرى؟! هل أقدم العزاء للرسول الأكرم (ص) أم للأئمة المعصومين (ع) أم للإمام المهدي (سلام الله عليه)، أو أن أقدم العزاء للأمة الإسلامية، بل لجميع المظلومين في أنحاء العالم!!»[(٢)].

بعد ذلك حذّر سماحة الإمام من مغبة أن يستلم زمام الأمور حفنة

---

(١) إشارة إلى المذبحة الدامية التي ارتكبت على يد جلاوزة الشاه في مدينة قم في ٨/ ١/ ١٩٧٩ م، للمزيد يمكن مراجعة الهامش السادس في نهاية الفصل.

(٢) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٢٩٦.

من الأشخاص الفاسدين وقال: «عندما تقع الأسلحة بيد الفاسدين، فستقع حتماً مفاسد كبيرة»، بعدها أشار سماحته إلى جملة معروفة قالها المرحوم الشهيد السيد حسن مدرس لرضا خان، وهي: «إني أخاف من الثور.. لأنه يمتلك السلاح ولكن يفتقد العقل»(١)، وأردف قائلاً: «إن كل مشاكل الإنسانية انحصرت في هذا الأمر وهو أن الأسلحة وقعت بيد أشخاص غير صالحين، إن الأنبياء بُعثوا ليجردوا هؤلاء الفاسدين وفاقدي العقل والمنطق، أسلحتهم»(٢).

وواصل سماحة الإمام خطابه التاريخي مشيراً لقضية العدالة وضرورتها في المجتمع قائلاً: «إن الله عادل، ورسوله الكريم (ص) عادل أيضاً، والأئمة المعصومين عادلون، كما إن القاضي والفقيه ينبغي أن يكونا عادلين، بل وحتى الشاهد على الطلاق، وإمام الجماعة، وإمام الجمعة، يجب أن يكونوا عدلاء؛ وهذا يعني أن العدالة في الإسلام هي حقيقة مستمرة متعلقة بالحق المتعال، وكذلك ينبغي أن يتصف بها جميع الحكام والولاة الذين يرسلون إلى مختلف المدن، لذلك، لو أن السلطة وقعت بأيدي أشخاص فاسدين وغير صالحين، وتخلي الحكام عن العدالة، لظهرت مفاسد نرى صوراً عنها في المجتمع»(٣).

بعد المذبحة التي ارتكبت بحق المتظاهرين في مدينة قُم أقيمت عدة مراسم تأبين للشهداء في عدد من المدن الإيرانية استمرت حتى ذكرى أربعينيتهم، وقد أقيمت مراسم كبيرة في عدد من المدن، ومنها مدينة تبريز التي خرج خلالها الناس في مظاهرات حاشدة رفع فيها

---

(١) نفس المصدر ص ٢٩٧.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) نفس المصدر ص٣٠٤.

المتظاهرون هتافات «الموت للشاه». ورددت الجماهير الغاضبة الشعار ذاته في المدن الأخرى وأعلنوا خلالها غضبهم وانزعاجهم من الحكومة المتجبرة والنظام الظالم، ولم تتردد قوات الحرس الملكي بالطبع، من فتح نيرانها على المتظاهرين وسفكوا دماء الآلاف منهم.

وخلال تلك الأيام بادر سماحة الإمام إلى إصدار عدد من البيانات ورسائل الثورة والجهاد المليئة بالألم والأمل بالنصر الإلهي، وكان الناس ينتظرون صدور بيانات سماحته بعد كل حادثة أليمة تقع في أي مكان من البلاد، لينفذوا إرشاداته وتعليماته الحكيمة.

بعد المجزرة الدموية التي وقعت في مدينة تبريز طلب السيد أحمد من آية الله السيد محمد بجنوردي أن يذهب إلى آية الله السيد الخوئي في النجف الأشرف ـ وكان من المقربين له ـ ويطلب منه تعطيل الدروس احتجاجاً على قتل الشعب الإيراني، وقد قبل السيد الخوئي بدءاً الفكرة بشرط أن يبادر باقي المراجع والعلماء إلى نفس الخطوة.. بعدها قام آية الله بجنوردي بنقل رأي آية الله الخوئي لسماحة الإمام.. ولكن رأي السيد الخوئي تغير بعد فترة، وأوصِل قراره الجديد لسماحة الإمام الذي لم يعطل دروسه، أيضاً، احتراماً له، إلّا أنه تحدث في بداية درسه، عن المجزرة التي ارتكبها النظام الجائر بحق أبناء تبريز، وحوّل الدّرس إلى مجلس خطابة وإرشاد.. بعد انتهاء الخطاب أصيب سماحة الإمام بحمىً شديدة بسبب شدة تأثره بالحادثة، إلّا أنه أصدر بياناً بهذه المناسبة وهو على تلك الحالة من المرض.

بعد تلك الحوادث التي شهدتها المدن الإيرانية، ازدادت اتصالات الطلاب الإيرانيين المقيمين في الخارج، مع سماحة الإمام من خلال السيد أحمد، وهم، بدورهم، بذلوا جهوداً كبيرة في إيصال نداء الشعب الإيراني ومظلوميته، لأسماع العالم وتعرية النظام الجائر المجرم.

وفي بيان وجّهه سماحة الإمام للاتحادات الإسلامية الطلابية في أوروبا وأميركا آنذاك، شرح الخطوط العامة للجهاد ومعالم الخط الجهادي والثوري الذي ينتهجه سماحته بالشكل الآتي: «بكل تواضع أمدّ يدي إلى جميع التيارات والأجنحة التي تعمل في خدمة الإسلام، واستمد العون من الجميع، للسعي معاً، والتضامن الشامل من أجل نشر العدالة الإسلامية، وهي الطريق الوحيد الذي يحقق سعادة الشعب. وأطلب من الباقين أن يُعيدوا النظر في عملهم وتوجهاتهم. إن سلاح الشعب الإيراني هو الإسلام. وملجؤه القرآن. وشعاره كلمة التوحيد»[١].

وفي هذا البيان قدم سماحة الإمام مجموعة من النصائح والإرشادات للطلاب المسلمين الإيرانيين في أوروبا وأميركا وهي كالآتي:

- «اجعلوا الإسلام وأحكامه العادلة على رأس أهدافكم، واهتموا بمبدئي التولي والتبرّي.
- ابتعدوا عن المجموعات التي تتعارض عقائدها وأعمالها مع الإسلام.
- من لا يعتقد بالتوحيد والمعاد لايمكنه أن يتنازل عن مصالحه الخاصة أو أن يفكر بمصالح الناس.
- اسعوا من أجل معرفة المبادىء الأساسية «التوحيد والعدل» وأنبياء الله العظام الذين أقاموا قواعد العدالة والحرية.
- التزموا بجميع أبعاد الإسلام وتورعوا عن إدخال آرائكم الشخصية في تفسير الآيات القرآنية وتأويل الأحكام الاسلامية؛ وكونوا على

---

(١) كتاب (صحيفة الإمام)، ج ٣ ص ٣٢٧، بيان الإمام الخميني للاتحادات الإسلامية الطلابية في أوروبا، ١٣/٢/١٩٧٨ م.

ثقة أن ما يصبّ في صلاح المجتمع الإنساني مثل نشر العدالة وإزالة الظلم وتوفير الاستقلال والحرية وتعديل الثروة وغيرها موجودة جميعها في الإسلام؛ لذا لاحاجة للتأويلات غير المنطقية[(١)].

- لابد من إيجاد مراكز وقواعد للتعريف بالإسلام ونشر حقائقه المنقذة للبشرية في أي نقطة من العالم يمكنكم ذلك، حتى تتوفر الفرصة أمام الشباب المخدوعين للتعرف على النظام الإسلامي وكشف انحرافات المدارس المادية.

- كونوا واعين ويقظين وحذرين من تغلغل العناصر المشبوهة والمنحرفة إلى داخل صفوف اتحاداتكم الطلابية.

- إن التفرقة والاختلاف تعتبر بمثابة السرطان الذي يشل نشاطاتكم. إذن لا بُدّ من الحذر من العناصر المفرِّقة؛ ولو أن مجموعة لم تنضم إلى صفوف اتحادكم الطلابي لأسباب معينة، إلّا أنهم منشغلون بنشاطات إنسانية ـ إسلامية، فينبغي أن لا تقفوا أمامهم. لأن مثل هذا العداء والاختلاف، إن حدث، فسينتشر في كل شيء.

- لأن هدفكم هو الإسلام، فلا بُدّ أن تبتعدوا عن أهوائكم النفسية، ولا تفضلوا أنفسكم على الآخرين، وأن تكونوا معاً أخوة متحابين يعين بعضكم الآخر.

- ينبغي على الجامعيين وعلماء الدين، أن يحترموا بعضهم الآخر.. وعلى الجامعيين أن يعلموا أن علماء الدين يمثلون قوة كبيرة إن تم

---

(١) إشارة إلى مبادرة عدد من أعضاء منظمة مجاهدي الشعب (خلق) إلى تفسير القرآن الكريم طبقاً لآرائهم الخاصة.

الاستغناء عنهم لا سمح الله، لانهارت قواعد الإسلام؛ ومن الممكن أن يكون بينهم عناصر لا يتمتعون بالصلاحية اللازمة إلّا أن أكثرهم في خدمة الناس.

- ينبغي على علماء الدين احترام الشباب والمثقفين الذين يسعون في خدمة الإسلام ـ حيث يستهدفهم الاستكبار لهذا السبب ـ، لأن مقدرات البلاد ستكون في أيدي الشباب المثقفين، لذلك لا بُدّ أن تحذروا من الإعلام المسيء الذي يستهدفهم والذي يؤدي إلى التفرقة والانفصال»[١].

كذلك أكد سماحة الإمام الخميني في بيانه، على أهمية العلوم الدينية قائلاً: «لو لم يكن متخصصون في العلوم الإسلامية لاندثر أي أثر للتدين، ولو أن الجامعات أفرغت بدورها من العلماء والمفكرين، لاستلم الانتهازيون زمام أمور الاقتصاد والإدارة العلمية للبلاد.. إذن، فإن إحدىٰ الطرق المؤثرة أو أكثرها تأثيراً في سبيل الجهاد ومقارعة الظالمين، هو التسلح بعلوم الدين والدنيا. وإن إفراغ هذا المعقل بمثابة الخيانة للإسلام والدولة الإسلامية»[٢].

كما أن سماحة الإمام أوصى مرة الطلاب الجامعيين الإيرانيين المقيمين في الهند، أن يلتحقوا باتحاد الجمعيات الإسلامية الطلابية في أوروبا وأميركا حتى تكون خطواتهم واحدة في طريق الحرية والاستقلال ويحذروا التفرقة[٣].

بعد إصدار كل بيان أو نداء من قبل سماحة الإمام الخميني، أو

---

(١) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٦.
(٢) نفس المصدر، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.
(٣) نفس المصدر، ج ٣ ص ٣١٨.

انتشار خطاب له، فإن السيد أحمد وزملاءه، ـ رغم عدم توفر الإمكانات المناسبة واللازمة ـ كانوا يسارعون لتنظيم واستنساخ وإرسال تلك الإصدارات إلى مختلف نقاط العالم بكل عشق واعتقاد بالهدف الذي يسعون من أجله، وبالتالي التعويض عن ضعف الإمكانات المادية المتوفرة آنذاك.

أسلوب الحصول على الخبر

في أوائل السبعينيات لم يكن الاستماع إلى المذياع هو الأسلوب المتّبع من قبل سماحة الإمام للحصول على الأخبار، حيث كان سماحته قد كلف آنذاك عدداً من الأشخاص في إيران ومختلف أنحاء العالم، لهذه المهمة دون أن يعرف أحدهم الآخر، وكانوا يجمعون الأخبار التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة وينظمونها قبل إرسالها لسماحته.

وكانت تحليلات الإمام عن الأخبار والأحداث التي تجري، مدهشة وملفتة للغاية بالنسبة لي، وكنت أندهش أحياناً من ذكاء سماحته وحنكته في تعامله مع الأخبار والأحداث، فقد كان يحدث أحياناً أن يُنقل خبر مّا لسماحته، فيقول بشأنه: «أظن أن هذا الخبر ليس صحيحاً ومحاطاً بالمكائد».. وبعد فترة نصل إلى هذه النتيجة، وهي أن رأي الإمام كان صحيحاً، وأن راوي الخبر كان يسعى لإيجاد أجواء كاذبة ليستثمرها لصالحه.

وفي أحد الأيام حيث كنا جالسين معاً، قال سماحة الإمام متأثراً بشدة: «لَمِن المؤسف حقاً.. إن أمة تمتلك كل شيء وتتمتع بثروات عظيمة.. وتحتها آبار النفط الغزيرة والمناجم المعدنية الواسعة، إلّا أن سكان القرى والأرياف في هذه الدولة يفتقدون لأبسط مقومات الحياة مثل المياه والكهرباء والطرق والصحة والمدارس.. وهؤلاء،

المحرومون، يبنون لأنفسهم أكواخاً يسمونها بيوتاً وأطفالهم محرومون من أبسط الإمكانات الحياتية».

وأشار سماحته إلى تقرير إحدى الصحف ذكرت فيه أن أطفال إحدى القرى في أطراف مدينة شوشتر يعانون من أمراض عديدة مثل التراخوما وغيرها. وقد رأيت أن سماحته كان متأثراً ومتألماً للغاية عندما كان يشير إلى هذا التقرير، بحيث لم أشاهد عليه مثل هذا التأثر حتى عند وفاة نجله السيد مصطفى.

وفي مرة أخرى جاء أحد الأشخاص وقال: «البعض يقول في إيران أننا في الواقع نطيع (أولي الأمر) وأن الشاه يمثل (اولي الأمر) وأن الله شاء أن يحكم الشاه في إيران، لذا، فإن طاعة من أراده الله حاكماً للبلاد، تصبح أمراً ضرورياً».. فقال سماحة الإمام بكل تعجب وتأثر: «لا أعرف لماذا لا يراجع مثل هؤلاء الأشخاص التاريخ، فلو كان الأمر كما يقولون، إذن لماذا وقف سيدنا موسى (ع) بوجه فرعون وهو صاحب ملك وسلطان؟ وهل أن غير الله هو من نصّب فرعون حاكماً على البلاد؟! أو لماذا قام أمير المؤمنين الإمام علي (ع) بوجه معاوية؟».. وبعد انتهاء حديث سماحة الإمام، قلت: «لقد سمعت كذلك إن البعض من الناس، في إيران، يعتبر الشاه (ظل الله) في الأرض، ويعتقدون أن الحاكم هو (ظل الله) في الأرض، لذا تجب طاعته»، فقال سماحته: «إن أولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم طبقاً للآية الشريفة ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] هم في مستوى النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع). وإن معنى (الظل) هو أنه لا يتميز بحركة مستقلة لذاته، بل إن حركته وكلامه وكل تصرفه، تابع للإسلام كما كان عليه

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

رسول الله (ص) الذي كان حقاً (ظل الله). هل إن هؤلاء الناس يظنون أن كلام الشاه وسلوكه وأحكامه هي مطابقة للقوانين والأحكام الإسلامية؟! فأي من القوانين الإسلامية تطبق في إيران؟! وهل إن إيران تسودها العدالة الإسلامية والاجتماعية؟».

رفض الجهاد أو القبول به

بعد وقوع الحوادث المختلفة في إيران، ووصول أخبارها إلينا في النجف الأشرف تغيرت الأجواء السائدة في البيت، وأصبح الموضوع الرئيس الذي يتم التباحث بشأنه والتحاور حوله، خلال جلساتنا ولقاءاتنا، هو الأخبار التي تصل من داخل إيران والأحداث التي تجري هناك وتتبعها التحليلات المختلفة والمتباينة أحياناً، فالبعض بشكل عام، كان يتحدث عن إمكانية توسع الثورة والحراك الثوري داخل إيران أو إمكانية جَني ثمارها، بينما البعض الآخر كان يرى عدم جدوى مثل تلك التحركات، إلاّ أن حكمة السيدة أم أحمد وتدبيرها وحنكتها، في إدارة مثل هذه الحوارات، كانت لا تسمح للأجواء السائدة آنذاك، أن تخرج من حالة الهدوء والصداقة والمودة المعتادة.

مهرجان شيراز الفني

في أحد الأيام وصلنا خبر مُر ومؤسف عن «مهرجان شيراز الفني»[١]، وقد تأثر سماحة الإمام وانزعج كثيراً لذلك، وتحدث عمّا سمعه بهذا الشأن في الدرس أمام الحاضرين، حيث أعرب في البدء عن اندهاشه لصمت علماء إيران حيال ذلك، وقال: لا أعرف لماذا يسكت البعض من السادة حيال مثل هذه التصرفات الوقحة والسلوك البعيد عن

(١) للتعرف أكثر على هذا المهرجان يمكن مراجعة الهامش السابع في نهاية الفصل.

العفة والحياء والمخالف للشرع المقدس.. فلو أن جميع الناس احتجوا على مثل هذه التصرفات وأصروا على إجراء الأحكام الإسلامية، لما حدثت أبداً مثل هذه الوقائع؛ لأن الشعب هو سند كل حكومة.. إن هذا الشعب هو شعب مسلم ويحب الإسلام وعلماء الدين، إذن، لا بُدّ للفقيه والمهندس والطبيب والطالب والجامعي والمثقف، أن يتعاضدوا معاً ولا يسمحوا بحدوث مثل هذه الامور[(١)].

وعندما سمعنا أن اثنين من علماء الدين في شيراز، هما آية الله العظمى السيد عبد الحسين دستغيب والشيخ بهاء الدين محلاتي، قد أدانا بشدة (مهرجان شيراز الفني) واحتجّا في خطاباتهما ضد انتهاك المقدسات الدينية في المهرجان، رأيت أن سماحة الإمام فرح كثيراً لذلك.

رغم حدوث مثل هذه الوقائع في إيران، إلّا أن الأوضاع السائدة في النجف الأشرف كانت هادئة، بل إن بعض الأشخاص كانوا يرفضون حتى الاستماع للاخبار المرتبطة بإيران ويبتعدون عنها، والبعض الآخر كان ينسب مثل هذه الأعمال إلى الشيوعيين والماركسيين؛ وأتذكر أن السيد أحمد قد أظهر انزعاجه وتأسفه لمثل هؤلاء الأشخاص، وقال لي: «هل تعرفين ما هو الشيء الذي يشغل أذهان بعض طلاب العلوم الدينية وأنصار الإمام المهدي (عج) هنا، وما هو هاجسهم الرئيسي؟؛ إنهم لا يفكرون إلّا بكيفية الحصول على حاجاتهم من السوق!!».

التسجيل في جامعة بيروت

في إحدى الأمسيات التي وفّقت فيها بالاتصال هاتفياً مع أبي وأمي في إيران، أخبراني أنهما سيسافران إلى لبنان، وطلبا مني أن أسافر إلى

---

(١) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٢٢٩ ـ ٢٣١.

هناك، إن أمكن، حتى التقي بهما في بيروت.. وافق السيد أحمد على فكرة سفري إلى لبنان وتوفُّر فرصة التسجيل في جامعة بيروت.. سرعان ما تم إعداد مقدمات السفر وتقرر أن أسافر إلى هناك برفقة ولدي حسن واحد المقربين.

كان قد سبقنا إلى بيروت شقيقي السيد مرتضى وزوجته السيدة «فرشته»، حيث كانا يدرسان في جامعة بيروت، وقد استأجرا شقة في منطقة (الروشة) المطلة على البحر الأبيض المتوسط.. وهكذا وصل والديّ أيضاً إلى بيروت، كما أن السيد أعرابي وصل من إيران، والسيدة «فريدة» جاءت أيضاً من العراق حيث استأجرا شقة أخرى في البناية ذاتها.

وكانت الأوضاع الداخلية في لبنان آنذاك، غير مستقرة حيث تتوتر الأوضاع الأمنية بين فترة وأخرى والجميع كانوا قد اعتادوا على مثل هذه الأوضاع.. وخلال وقت العصر كان الدكتور شمران يأتي غالباً برفقة صادق قطب زاده المتواجد آنذاك في بيروت، إلى بيت شقيقي مرتضى لزيارة والدي ويتبادلان الأحاديث والحوارات، حيث كان والدي يحب كثيراً الدكتور شمران وهو بدوره يبادله الحب والاحترام.. وأتذكر أن الدكتور شمران خاطبنا يوماً قائلاً: «أعتذر منكم لأني أزعجكم كل يوم بسبب هذه الزيارات لكنني أغتنم كثيراً هذه اللحظات والساعات التي أقضيها معكم».

وكان الجميع يحب الدكتور شمران لأنه كان متميزاً بالإخلاص والصفاء في كلامه وسلوكه، على الرغم من أنه كان قليل التحدث إلّا أنه كان حسن الخلق والسلوك. وعندما كان ينضمّ إليهم، أحياناً، عدد آخر من الرجال، تصبح الجلسة خاصة بالرجال، ولضيق المكان، كنا نغتنم نحن النساء مثل هذه الفرص ونخرج لنتمشى على الكورنيش البحري (الساحل البحري المطل على البحر الأبيض المتوسط).



مشهد من الساحل الجميل للبحر الأبيض المتوسط (بيروت)

كان هذا الشارع أشبه ما يكون بالسوق، حيث يعرُض فيه البائعون المتجولون مختلف أنواع البضائع الثمينة والكمالية والمواد الغذائية والملابس وغيرها.. وكنا أحياناً نسمع أصوات الرصاص والانفجارات أو صافرات الإنذار وتعم الفوضى في الشارع، وخلال دقائق يجمع البائعون بضائعهم ويهربون في شتى الاتجاهات، وتتحول السوق المزدحمة والمضيئة خلال لحظات إلى منطقة مظلمة وخالية، وبدورنا نسرع عبر الظلام إلى البيت بحثاً عن مكان آمن يقينا الأخطار.

كذلك كنّا، أحياناً، نذهب للمحلات والمتاجر الكبيرة والحديثة في وسط بيروت.. حيث زرنا في إحدى المرات أحدها برفقة والدتي والسيدة «فرشته»، وكنت أبحث عن قميص أسود لم أجده هناك.. وبينما كنا نخرج من المحل، فاجأنا صاحب المحل وهو يسرع باتجاهنا ويقول: «أرجو أن تعودوا إلى المحل لأني وجدت ماتبحثون عنه!!».



أحد شوارع بيروت

وبينما كنت أعود إلى المحل، فكرت مع نفسي بأني لم أخبر صاحب المحل عمّا أبحث عنه، ولكن ارتأيت أن أعود حتى أعرف ماذا يريد بالضبط!!. وعندما دخلنا إلى المحل، فجأة أغلقوا الباب بقوة وكان باقي الزبائن ينظرون إلينا بدهشة واستغراب، فسألتْ والدتي عن سبب هذا التصرف، فقالوا: «نرجو أن تعبروا من هذا الجهاز، فمرت والدتي والسيدة «فرشته» بلا مشاكل ولكن الجهاز أطلق صافرة التنبيه عندما مررتُ عبره، فقال البائع: «لقد أطلق الجهاز نفس الأصوات عندما خرجت في المرة السابقة ولا بُدّ أن تخضعي للتفتيش البدني». اعترضت عليهم عندما أرادوا تفتيشي أمام الزبائن، فأخذوني إلى غرفة مجاورة، فتبين للسيدة التي فتشتني أنه لا يوجد أي شيء أحمله معي، عدا طفل في بطني، فسألتني: «أين تسكنون؟» فأجابتها السيدة «فرشته»: «إننا ضيوف المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، فاتصلوا مع المجلس واعتذروا كثيراً بسبب هذا السلوك غير اللائق. إلّا أني قلت لهم بالعربية بعد أن أثاروا أعصابي: «عندما يسلّم

الإنسان عقله وذهنه بشكل كامل للتكنولوجيا، فإنه يُرغم أحياناً على الاعتذار.. صحيح أنكم مضطرون للاستفادة من هذا الجهاز للتفتيش والمراقبة، ولكن كما ترون فإن احتمال الخطأ موجود دوماً مما يؤدي ذلك إلى اتهام الآخرين بتهم باطلة كما حدث!!».

عندما وصلنا إلى بيروت كانت السيدة «فريدة» نبّهت الصغير حسن أن لا يعرّف عن نفسه للآخرين خارج البيت، لأنها كانت قد سمعت أن أسرة إيرانية تسكن في إحدى شقق المبنى، يعمل والدهم في مكتب وكالة أنباء «بارس» الإيرانية في بيروت.

إلّا أن حسن صادَقَ طفلهم شيئاً فشيئاً، وكانوا يستدرجونه أحياناً، ويأخذونه إلى بيتهم ليلاعبه ويقضي معه بعض الوقت.. وفي أحد الأيام، عندما عاد إلى البيت، توجه إلى عمّته «فريدة» التي كانت قد نبّهته سابقاً، وقال لها بصراحة الأطفال: «يا عمتي «فريدة»، لقد قلت كل شيء».. فسألته باندهاش: «ماذا تقول؟»، فكرر مرة أخرى بصوت مرتفع وثقة عالية بالنفس، وهو يحرك يديه، وقال: «أجل لقد قلت كل شيء».. فاجتمعنا حوله لنسأله ماذا قال بالضبط ولمن قال؟ فجلس حسن فرحاً وبدأ يقول: «أخذتني والدة صديقي إلى داخل بيتهم وسألتني عن الضيوف الذين يزوروننا عصر كل يوم وما هي علاقتهم معنا؟ وقالت: هل إنه عمّك الحقيقي عندما تناديه بالعم مصطفى؟ فقلت لهم: كلا، لأن عمي الحقيقي مصطفى توفي في النجف الأشرف.. وهذا هو عمي مصطفى شمران، وأن أبي هو أحمد الخميني الموجود حالياً في النجف الأشرف بجانب جدي!!».

قلقنا كثيراً بعد سماعنا ما قاله حسن، حيث أن السيدة «فريدة» قلقت أكثر على السيدة «فرشته»، إلّا أنها أشادت بصدق وشهامة حسن الصغير..



من اليمين: خالتي بتول، والدتي، المؤلفة والسيد حسن

في اليوم التالي زارتنا السيدة جارتنا ومعها هدية. وبينما كانت تفضل أن لا يعرف أي أحد عن هذه الزيارة، قابلتنا بكل محبة ومودة وقالت: «صحيح أننا موظفون رسميون للحكومة الشاهنشاهية، ولكن أرجو أن لا تقلقوا أبداً، واطمئنوا من جانبنا، لأننا لم ولن نبعث تقريراً للسلطات الإيرانية حول وجودكم هنا، ولكن سنراقبكم على أية حال ونطمئن عليكم، لأننا من المحبين لآية الله الخميني».

وهكذا مرّت الأيام بسرعة، وبالتالي نجحت في التسجيل في جامعة بيروت، وانشغلت بكل فرح وسرور بمطالعة دروسي.

زواج لن يُنسى

في أحد الأيام، وبينما كنا نستعد للعودة إلى النجف الأشرف، وصل الدكتور شمران إلى البيت للقاء والدي، وذكر لنا حادثة وقعت له خلال إحدىٰ العملات ضد إسرائيل، وقال: «حوصرنا مع مجموعة من

المقاتلين فوق إحدى التلال من قبل القوات الإسرائيلية.. وبقينا نقاوم ونتصدى لهم حتى أوشكت معداتنا وذخائرنا العسكرية والغذائية تنفد، إلّا أن الضغط الإسرائيلي ازداد علينا مع مرور الوقت، ولم يكن أمامنا أي طريق للتراجع أو الصمود في مواقعنا، وكانت لحظات صعبة للغاية.. وفجأة رأينا عدداً من الأشخاص يتسلقون التل بحذر ويتجهون نحونا، فحملت المنظار حتى أتعرف عليهم وأتأكد من هم القادمون لأسرنا، ولكني اندهشت عندما شاهدت اثنتين من النساء تقومان بهذه المهمة الصعبة، وتسعيان إلى تجنب نيران العدو الإسرائيلي والوصول إلينا، وأخيراً وصلتا بالقرب منا وسقطتا على الأرض من شدّة التعب والإرهاق.. فاتجهتُ نحوهن، فرأيت أنهن يحملن كميات من العتاد والطعام، فاعترضت عليهن وقلت: «لماذا قمتن بهذا العمل الخطير، ألَا تعرفن أن هذا الطريق تحت مرمى الأسلحة الإسرائيلية، ونحن محاصرون في هذا المكان؟!».. بعد أن استرحن قليلاً، قالتا: «بعد أن عرفنا أنكم محاصرون في هذا المكان، وأن طعامكم وعتادكم قد نفد، قمنا بهذا العمل لإنقاذكم، وكانت إحداهن تدعى (غادة)، وبعدها استطعنا أن نتراجع وننزل إلى أسفل التل».


الدكتور مصطفى شمران

وبعد أن ذكر الدكتور شمران اموراً أخرى ترتبط بـ «غادة» والأعمال التي انجزتها معهم، قال: «إن السيد الصدر وعدداً آخر من الأصدقاء، اقترحوا أن أتزوج من «غادة»، وأنا قلت إن حياتي مرتبطة

بالحرب والمعارك وأنا غير مستعد أن تشاركني أي امرأة في مثل هذه الحياة الصعبة.. لكنهم قالوا إنهم تحدثوا معها وهي موافقة على ذلك خلافاً لرأي أسرتها، ومستعدة للزواج معي، وهي مؤمنة بالطريق والهدف الذي أجاهد من أجله».

وخاطب الدكتور شمران والدي قائلاً: «أرغب كثيراً أن يتولى سماحتكم والسيد الصدر مهمة قراءة خطبة العقد». وكنا نعرف من قبل شيئاً عن هذه القصة، ومطلعين عليها من خلال أصدقاءنا المشتركين. وقد سررنا كثيراً بموافقة الدكتور شمران على ذلك وقلنا: «إننا ندعو أنفسنا للحضور في هذه المراسم!!».. طأطأ الدكتور شمران رأسه وقال: «يشرفني ذلك كثيراً، ولكنها ستكون مراسم بسيطة، وأنا و«غادة» سنأتي اليكم».

وهكذا حان اليوم الموعود، حيث شاركنا في حفل بسيط أقيم في منزل «غادة» وعرفنا أن أسرتها لم تكن راضية بإقامة مثل هذا الحفل البسيط، وكانوا يرون إقامة حفل واسع بمشاركة الجميع، إلّا أن تحوّل «غادة» الروحي، ورغبتها في الزواج من الدكتور شمران، أرغمهم على القبول بمثل هذا الحفل البسيط. ورأينا أن أسرة «غادة» كانت تكن احتراماً خاصاً وكبيراً، للدكتور شمران وضيوفه والمقربين منه، وكانوا يعبرون عن ذلك بأشكال مختلفة، ولكنني رأيت في عيونهم قلقاً كبيراً على مصير «غادة» ومستقبلها.

بعد انتهاء مراسم العقد عدنا إلى بيت خالتي في مدينة صور، حيث سرعان ما وصل الدكتور شمران إلى هناك، فقلت له باندهاش: «كيف تترك عروسك وحدها في مثل هذا اليوم؟ وكان لابد أن تبقى هناك الآن». فقال الدكتور شمران: «لقد بدأت مع والدك حديثاً ظل ناقصاً، وجئت لأكمله، ولا بُدّ أن أغتنم مثل هذه الفرص».

العودة إلى العراق

عندما قررت العودة إلى العراق قال والدي: «سأكون أنا ووالدتك معك في هذه الرحلة للعراق لأداء الزيارة (مرقد الإمام علي (ع))، وكذلك تقديم العزاء لسماحة الإمام والسيد أحمد ووالدته، برحيل الحاج السيد مصطفى».. وكان الخبر ساراً بالنسبة لي لأني كنت أعرف أن السيد أحمد سيفرح كثيراً لرؤية والديّ في النجف الأشرف.

وهكذا انطلقنا إلى العراق برفقة والديّ والصغير حسن، وحال وصولنا مطار بغداد الدولي، منع رجال الأمن والدي من الدخول بداية (وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً). وبعد جهود بذلها السيد محمود دعائي سُمح لوالدي بالدخول، وأنطلقنا معاً (برفقة السيد أحمد والسيد دعائي اللذين جاءا لاستقبالنا في مطار بغداد) إلى النجف الأشرف، وذهبنا إلى بيتنا الذي كنا قد استأجرناه هناك، وفي صباح اليوم التالي ذهبنا لزيارة سماحة الإمام وزوجته.

كان لقاء والديّ مع سماحة الإمام وزوجته، بعد حادثة وفاة السيد مصطفى مؤثراً للغاية.. وكان الطقس آنذاك حاراً ورطباً جداً، وقضينا تقريباً عشرة أيام في قبو البيت، ولم نكن نخرج منه إلّا للضرورة. وكان السيد أحمد يتردد بين بيت سماحة الإمام ومنزلنا، بسبب ضرورة العمل وإدارة شؤون البيت، كما إني كنت أخرج من



السيد أحمد في حرم الإمام علي (ع) - النجف الأشرف

القبو أحياناً، لطهي الطعام. وقد استفدت كثيراً من حضور والدي في النجف الأشرف بحيث كنت أراجع دروسي الجامعية معه قدر الإمكان.

وكانت علاقة السيد أحمد وأبي مُلفِتة للجميع، وكان كل منهما يأنس بالآخر، وقد فرح كثيراً لحضورهم معنا حيث أخرجونا من وحدتنا.. وأتذكر أنني كنت جالسة مع والدتي في البيت عصر أحد الأيام، وفجأة وصل السيد أحمد وسأل عن والدي، فقلت له: «إنه ذهب إلى حرم أمير المؤمنين (ع). فلم يقل شيئاً، وخرج من البيت. وبعد عدة دقائق عادا معاً؛ فقال والدي: «كنت منشغلاً بالزيارة والدعاء في حرم الإمام علي (ع)، وفجأة رأيت السيد أحمد يجلس بجانبي بهدوء وقال: «لقد اشتقت لك كثيراً، وضاق صدري، فجئت إلى البيت لأتبادل الحديث معك، فلم أجدك هناك، فجئت إلى الحرم؛ فقلت له: «إن ترغب نذهب معاً إلى البيت»، وهكذا جئنا معاً الآن».

بعد فترة من بقائهما معنا في النجف الأشرف، ورغم أجواء المحبة والمودة التي سادت بين والدي والسيد أحمد، للتعويض قليلاً عن ألم رحيل السيد مصطفى، عاد والديّ إلى إيران.. وبعد ذلك انشغلت بشكل جاد مع إحدى المعلمات في مراجعة دروسي، ولأنها لم تكن تتقن الفارسية اضطررت لتلقي دروسي بالعربية الممزوجة بالمصطلحات الإنجليزية، مما أدى إلى تقوية لغتي الإنجليزية. وكنا راضيتين عن بعضنا، ولكن لم تمض سوى فترة قصيرة حتى تعطل الدرس بسبب الأحداث التي توالت في النجف الأشرف وإيران.

محاصرة بيت الإمام في النجف الأشرف

توالى وصول الأخبار المختلفة من إيران، لا سيّما أخبار المظاهرات الجماهيرية في العديد من المدن ضد النظام البهلوي، ونصرة

للإمام الخميني.. كما أن لقاءات سماحة الإمام في النجف الأشرف، مع مختلف الطبقات الشعبية والجامعيين وطلبة العلوم الدينية والصحفيين تضاعفت، وازدادت كذلك البيانات والنداءات الصادرة من قبل السيد الإمام وإرسالها إلى داخل إيران، منها احتجاجه على الاحتفالات الضخمة والباذخة التي أقامها النظام بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عاماً على النظام الملكي، حسب زعمه، وكذلك اعتراض سماحته على العلاقات الودية السائدة بين إيران وإسرائيل، وذكرى تأسيس حزب رستاخيز (البعث الإيراني)[١]، فضلاً عن اعتراض الإمام الخميني على استبدال التاريخ الهجري بالتاريخ الشاهنشاهي وغيرها.. كما أن الإذاعات الأجنبية لم تكن تعكس سوى جوانب من ثورة الشعب الإيراني المسلم، إلّا أن الأخبار الدقيقة والصحيحة، كانت تصل إلى سماحة الإمام عبر الاتصالات الهاتفية والرسائل والبرقيات، أو من خلال المسافرين القادمين من إيران.

وكان الوقت يمر والأحداث المهمة تقع يومياً في إيران، والحكومة في طهران تواصل ارتكاب الأخطاء ولا تقر بها أو تتراجع عنها، وأحياناً، كانت الحكومة تنتهج سلوكاً خاطئاً وقبيحاً، وترتكب جرائم فاضحة تدل على تشبثهم بالسلطة مهما كان الثمن، حتى لو كان على حساب التضحية بالمصالح الوطنية وتدمير البلاد والعباد.. وفي المقابل

---

(١) تأسس حزب (رستاخيز ملت إيران) (بعث الشعب الإيراني) المعروف اختصاراً بحزب رستاخيز (البعث) بأمر مباشر من ملك إيران محمد رضا بهلوي عام ١٩٧٤ م، حيث تم إدغام جميع الأحزاب الناشطة آنذاك في إيران، وأصبح الانتماء إلى هذا الحزب إجبارياً حيث أعلن الشاه في خطابه: إن الجميع يجب أن يكونوا أعضاء في هذا الحزب، ومن يرفض ذلك عليه أن يخرج من إيران أو يدخل السجن، بعدها أعلنت الحكومة أن كل مواطن إيراني لايريد الانضمام للحزب، سيزود بجواز سفر ويرسل إلى الخارج!.

تضاعفت لقاءات سماحة الإمام مع الإيرانيين القادمين من إيران والخارج، كما أن الزائرين الإيرانيين أصبحوا أكثر شجاعة من السنوات الماضية حيث كانوا يقفون في الحرم الشريف لأمير المؤمنين (ع) يحيون سماحة الإمام الخميني دون خوف، بل ويزورون بيت سماحته بعيداً عن أنظار رجال الأمن، العراقي والإيراني. كان هذا الوضع الجديد، غير مناسب للحكومتين العراقية والإيرانية.

وفي أحد الأيام وصل محافظ كربلاء محاطاً بعدد كبير من القوات والمسؤولين العراقيين، إلى بيت السيد الإمام في النجف الأشرف والتقى سماحته، وقال له: «لدينا التزامات وتعهدات مع الحكومة الإيرانية، وطبقاً لهذه التعهدات ينبغي علينا أن نحول دون ممارستكم النشاطات السياسية.. ولم يتأثر سماحة الإمام بهذا الكلام، ولا بالهالة الظاهرية التي أحيطت بالمسؤول العراقي، بل أجابه بكل قوة وصلابة قائلاً: «أين ذهبت حميتكم العربية حينما أصبحتم عبيداً لشاه إيران؟ إنه ذاته عبد لأميركا؛ وأنتم تقولون إنكم قطعتم عهداً للحكومة الإيرانية[1]، ولكنني لم أقطع لكم أي عهد، فلو أنكم لا تستطيعون أن تستضيفوني هنا، فإني سأخرج من بلدكم».

(١) إشارة لإتفاقية الجزائر الموقعة في العام ١٩٧٥ م بين شاه إيران محمد رضا بهلوي وصدام، وطبقاً لها تم تعيين خط تالوك في مياه (شط العرب) بين البلدين، كذلك تعهد الجانبان بمكافحة المخلّين بالأمن في المنطقة الحدودية بينهما ويحولان دون عبور حدوديهما. بعد مرور ستة أعوام على توقيع هذه الاتفاقية، اندلعت الحرب الإيرانية ـ العراقية (ثاني أطول حرب في القرن العشرين) حيث مزق الرئيس العراقي صدام حسين نص الاتفاقية أمام شاشة التلفاز العراقي بتاريخ ٩/١٧/ ١٩٨٠ وانتهكها من جانب واحد وشن حرباً شاملة على إيران بتاريخ ٩/٢٢/ ١٩٨٠ م.

بعد عدة أيام جاءنا مسؤول حكومي محلي آخر، من النجف الأشرف، وطلب أن يعطل الإمام الخميني دروسه؛ وهنا شعر سماحته أن هدف النظام العراقي من هذه المساعي، تجميد برامج الإمام ونشاطاته تدريجياً حتى لا تظهر للعيان آثار هذا التشديد، لذا، فإن سماحته امتنع عن الذهاب إلى المسجد وإقامة صلاة الجماعة وزيارة حرم الإمام علي (ع) وأعلن أنه ليس من أولئك الوعاظ الذين يحصرون التدين في زيارة الحرم والذهاب إلى المسجد واعتلاء المنبر؛ «سأرحل من هنا متى ما شعرت أني لا أتمكن من القيام بواجبي الشرعي».

هذه التطورات والمضايقات التي تعرض لها سماحة الإمام، أوصلها السيد أحمد وزملاؤه، بسرعة، إلى أبناء الشعب الإيراني في داخل إيران وخارجها.. وقد أدّى ذلك إلى توجيه ضربة قوية لسمعة الحكومة العراقية التي لم تكن تتوقع أن الإمام الخميني، الذي دأب على زيارة حرم الإمام أمير المؤمنين (ع) مساء كل يوم، صيفاً وشتاءً، في الحر والبرد، وفي أصعب الظروف، أو خلال المرض، أن يعلن، فجأة وبصراحة، أنه سيترك هذه السُّنّة الحسنة ولن يذهب إلى المسجد، ولن يصعد المنبر من أجل صيانة الدين وبيان الأحكام الإسلامية.

إثر الإنذارات التي وصلت بيت السيد الإمام والتهديد الذي وجهه البعثيون، وردّ الفعل القوي الذي أبداه سماحته، قاموا بتشديد الحصار على البيت في النجف الأشرف. وبالرغم من أن هذه الضغوط والإجراءات لم تنل رضى أحد، إلّا أننا من ناحية أخرى، فرحنا عند سماعنا النبأ. لأن عدم ذهاب سماحة الإمام إلى المسجد، وعدم إلقاء الدروس يعني أن سماحته سيبقى أكثر داخل البيت، وبذلك سنحصل على فرصة أكبر للجلوس معه والاستماع إلى حديثه الشيّق ومحاورته.

أدت الإجراءات التي فُرضت على تحركات سماحة الإمام ومحاصرة بيته، وقطع ارتباطه مع أنصاره وأعوانه في الدول الأخرى، إلى اندلاع احتجاجات واسعة ضد هذه الإجراءات العابثة التي نفذتها الحكومة العراقية، وكانت الشعارات التي رُفعت فيها، ضد صدام بذاته، الذي كان يشغل آنذاك، منصب النائب الأول للرئيس العراقي أحمد حسن البكر.

خلال اتصال هاتفي أجراه شقيقي السيد صادق مع السيد أحمد، أخبره أنه تم إصدار بيان استنكاري من قبل اتحاد الجمعيات الإسلامية الطلابية الإيرانية في أوروبا وأميركا، وقدموا شكوى بهذا الشأن إلى المنظمات الدولية، فضلاً عن تنظيم مظاهرات في شوارع بون ونيويورك وغيرها.. كذلك سمعنا أن الإمام موسى الصدر نشر مقالاً في صحيفة لوموند الفرنسية بعنوان (نداء الأنبياء) شرح فيه تاريخ الجهاد الإسلامي لأبناء الشعب الإيراني ضد الطغيان، واصفاً نداءات سماحة الإمام للشعب الإيراني بأنها صدىً لنداء الأنبياء(ع)، وأعلن احتجاجه الشديد على تصرف الحكومة العراقية،


P. 4 LE MONDE 23 AOUT 1978

PROCHE-ORIENT

Iran

internationale

appel des prophètes

Le régime s'efforce de « mobiliser » l'opinion contre la « subversion »

صورة عن المقال الذي نشر في صحيفة (لوموند) الفرنسية بقلم الإمام موسى الصدر حول الثورة الإسلامية في إيران

كما دعا القادة العرب لتوجيه دعوة لسماحة الإمام الخميني إلى بلدانهم تدعيماً للجبهة المعادية للصهاينة. كذلك وصف الإمام موسى الصدر سماحة الإمام الخميني، في أحد خطاباته التي ألقاها في تلك الأيام في بيروت، بأنه (الإمام الأكبر).

أخبار مُرّة وأخرى سارّة

ازدادت شيئاً فشيئاً القيود التي فرضتها الحكومة العراقية على نشاطات السيد الإمام، وفي المقابل تشددت مواقف سماحته وازدادت كذلك نداءاته إلى الشعب الإيراني.

في صباح أحد الأيام، وبينما كنا نائمين على سطح البيت، استيقظ السيد أحمد إثر طرق الباب بشدة، فنزل من السطح وفتح باب البيت وكنت أنظر من الأعلى، فرأيت خالتي «فاطمة» وهي تتحدث مع السيد أحمد. قلقت بشدة بسبب مجيئها في مثل هذا الوقت المبكر، فنزلت للأسفل وسألت: «ما الخبر؟»؟ فأجابت وعيناها مغرورقتان بالدموع، تقول: «إن شخصاً دعي في ضيافة آخر، إلّا أن الداعي احتفظ بالمدعو».. فقلت: «من هذا الشخص؟»؟ فقالت: «إنه الإمام موسى الصدر»[(١)].

اندهشت عند سماعي الخبر، وقلقت في الوقت ذاته؛ ولم نكن نعرف بدقة عمق هذا الحادث المؤسف حينها، وكنا نظن أن ذلك لن يستمر أكثر من عدة أيام. وكانت الخالة «فاطمة» قد جاءت إلينا لتتشاور مع السيد أحمد حول ما يريد زوجها (السيد محمد باقر الصدر) أن يفعله بهذا الشأن. كما أرادت أن تطلب من سماحة الإمام أن يقوم بعمل ما لتحريره من مُضيفيه!!.

---

(١) وكان ذلك بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٨ م.

سارع السيد أحمد للذهاب إلى بيت سماحة الإمام وأبلغه بهذا الخبر، انزعج سماحة الإمام بشدة عند سماعه الخبر، واسترسل بتفكير عميق، ثم أرسل برقيات فورية للرئيس السوري حافظ الأسد، وزعيم منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات، وطلب منهما أن يتابعا هذا الأمر ويطمئنانه حول سلامة السيد الصدر، إلّا أن جهود سماحة الإمام وباقي المراجع ومسؤولي الدول الأخرى، لم تثمر للأسف، عن أية نتائج إيجابية.

وفي الوقت ذاته وصلنا خبر سار من إيران، وهو إطلاق سراح خال والدتي آية الله السيد حسن طباطبائي قمي من السجن والنفي، فبعث سماحة الإمام رسالة له جاء فيها: «لقد فرحت كثيراً لنبأ تحريركم وإطلاق سراحكم بعد اثني عشر عاماً من الاعتقال اللاقانوني وغير الانساني بجريمة قول الحق والدعوة إلى الحق[١]».

هدية من مجهول

في أحد تلك الأيام التي كان فيها بيت الإمام محاصراً من قبل البعثيين العراقيين، وكنا جالسين في الباحة، رأينا حسن يدخل البيت وبيده خمسة دنانير عراقية (الدينار العراقي كان يعادل عشرين توماناً إيرانياً)، فسألته: «من أعطاك إياها؟»، فقال: «بينما كنت في الخارج، مرّ من أمام البيت زائر إيراني برفقة زوجته، فسألا السيد مشهدي حسين (عامل البيت) هل إن هذا الصغير هو حفيد الإمام؟ فأجابهما: نعم، مما دعاهم إلى تقبيلي وإعطائي هذا المبلغ من المال، وقالا: إنها هدية، أعطها لأمك».

---

(١) وكان ذلك بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢١ م.

بعدها تأكدت من تفاصيل هذا الحادث من خلال السيد مشهدي حسين الذي أيد كلام الصغير حسن.

ورغم أن الظروف لم تكن مناسبة للرحلات، قررت السفر إلى مدينة كربلاء مع اثنتين من صديقاتي ومكثنا هناك يومين وصرفنا ذلك المبلغ هناك، وقلت حينذاك، إن الإمام الحسين (ع) هو الذي دعانا لزيارته، ونحن في الواقع ضيوفه. وقد طلب مني السيد أحمد أن لا أتحدث مع أي أحد بشأن البرامج والأحداث التي تحصل أو القرارات التي تتخذ بصددها.

اجتزنا المسافة، بين مدينتي النجف وكربلاء، بحافلة نقل الركاب العامة خلال ساعة واحدة تقريباً[1]، وكنت قلقة للغاية خلال هذه الزيارة.

وعندما عدنا إلى النجف الأشرف قال السيد أحمد: «سنغادر العراق بعد يومين!!»، تفاجأت لهذا الخبر وتحيرت كثيراً، وتساءلت: «ما الذي حدث؟»، قال: «لقد ساءت الأوضاع خلال اليومين الأخيرين وشددوا الحصار المفروض علينا، حيث إن قوات الأمن العراقي لا تسمح بدخول أي شخص إلى بيت سماحة الإمام أو الالتقاء به، والبيت محاصر بالكامل[2]، وقد طلبوا من سماحته أن لا يلتقي مع الصحفيين

---

(١) كانت هذه الحافلات التي تسمى (أمانة) نظيفة جداً وأنيقة وتبلغ الأجرة (١٢٠ فلساً)، حيث كان كل خمسين فلساً يعادل درهماً واحداً، وكل عشرين درهم يعادل ديناراً واحداً. كما كانت توجد سيارات صغيرة للأجرة من نوع مارسيدس وأجرتها ربع دينار لكل شخص، وعندما كنا نريد السفر إلى كربلاء بشكل عائلي مع سماحة الإمام، كنا نستأجر سيارتين، وكان سماحته يوصي دائماً أن لا يجلس السيدان مصطفى وأحمد في سيارة واحدة.

(٢) احتجاجاً على الحصار المفروض على بيت الإمام الخميني، أصدر علماء الدين في طهران بياناً استنكروا هذه الخطوة، كما أن حوزة قم العلمية أعلنت رفضها وغضبها الشديد لهذه الإجراءات التعسفية وعطّلوا جميع الدروس وصلوات الجماعة في المساجد.

ورجال الإعلام، وأن يتجنب إلقاء الخطابات وأن لا يصدر أي بيان!!.. وهكذا يكونوا قد سجنوا سماحة الإمام في بيته.. مع ذلك، فإن سماحة الإمام قلق أكثر على أنصاره وأعوانه، ويقول: «أخشى أن يوجدوا مشاكل لهؤلاء وأن يبادر البعثيون إلى اجراءات أسوأ وأشد، لذا، لا بُدّ أن نغادر هذا المكان بسرعة، وقد ارتأى سماحته أن نغادر إلى الكويت بأسرع وقت ممكن».

إن سماع هذا الخبر كان صعباً للغاية عليّ، لا سيّما أن السيد أحمد أردف قائلاً: «لقد أعطينا جوازات سفرنا للسيد دعائي لانجاز خطوات المغادرة والحصول على تأشيرات الدخول إلى الكويت».

سألته مندهشة: «هل تظن أنهم سيوافقون على مغادرتكم العراق؟»، فقال: «لا أعرف ماذا سيحدث!! لربما سيرفضون المغادرة بسبب تعهداتهم مع الحكومة الإيرانية.. على أية حال، إنه قرار اتخذه سماحة الإمام، وقد وضعنا الخطط اللازمة والمناسبة لمواجهة كل الظروف، ولا بُدّ أن ندقق ونحذر من أن لا يطلع أحد على هذا القرار. فلو سافرنا لا بُدّ أن لا تبقي لوحدك في البيت، وأن تذهبي عند السيدة والدتي، فمصيرنا غير معروف، وإن رغبت يمكنك أن تعودي إلى إيران، وأن وُلد ابني، فقولي له إن أباك يحبك كثيراً.. كذلك قلنا للسيدة الوالدة أن تتخذ القرار المناسب بعد مغادرتنا وتنفذ أي خطوة ترى صلاحها وصوابها».

كان صعب جداً عليَّ سُماع مثل هذا الكلام أو تحمُّله، وكانت لحظات صعبة ومؤلمة، وقد حاولت أن لا أنقل قلقي للسيد أحمد، إلّا أن حقيقة الأوضاع كانت أسوأ من ظاهرها.. وبدأ السيد أحمد يشرح لنا مرة أخرى ظروف الجهاد ومصاعبه وعلاقته بحياته، قال: «لقد وصلنا حالياً مرحلة حساسة للغاية في جهادنا، بالطبع هذه المشاكل كانت

موجودة منذ البداية، وكنت أشعر بالقلق عليكم دائماً لعدم وضوح المصير الذي ينتظرنا، واليوم، لأنني سأكون برفقة سماحة الإمام الذي ترك كل شيء خلفه (الحوزة والدروس والمرجعية والحياة العلمائية) واختار طريق الهجرة، فإن الأوضاع صعبة للغاية، والأخطار أوسع وأشد، لذا يجب أن تكوني أقوى وأكثر استقامة، من أي وقت مضى. بالطبع، فإن طريق الالتزام الديني والسعي من أجل الحقيقة مليء بالصعاب والأشواك، لأنه ليس من السهل أن يصبح الإنسان إنساناً، حيث إن اجتياز الأزمات يزيد من قوة الإنسان واستقامته وحكمته، لذا، ينبغي أن لا ندع الخوف يدخل قلوبنا، وأن لا نتوكل إلّا على الله.. أرجو أن لا تنسيني من الدعاء دائماً، وأن تخبري ابني القادم قريباً، إن أباك أحمد يحبك كثيراً». بعد ذلك احتضن الصغير حسن وقبّله قائلاً له: «أرجو أن ترعى أمك في غيابي»!!.

غادرت بيتنا إلى بيت السيد الإمام، وأنا مندهشة وغير مصدقة ما يحدث، وقد ازددت هدوءاً وسكينة عندما شاهدت هدوء وصلابة سماحته، ولم أعد أفكر إلّا بصعوبة فراقهم.

الليلة الأخيرة

بقينا تلك الليلة في بيت السيد الإمام، وباتت معنا هناك السيدة «معصومة» والأولاد والسيدة «فريدة» التي كانت قد وصلت من لبنان، وقد تركنا سماحته في الوقت المخصص لاستراحته كالعادة. حيث خاطبنا قائلاً: «أستودعكم الله جميعاً وأرجو أن ترضوا عني، وتصبروا، لأن مغادرتي هذا البلد هو واجب إلهي، حيث لا أستطيع أن أسكت والتزم الصمت خلافاً لهذا الواجب، ولا يمكنني السكوت طلباً للحياة المريحة، وإن كان الأمر كذلك، فكيف سأجيب الله سبحانه وتعالى؟!».

وكالعادة استيقظ سماحته، قبل ساعة ونصف من أذان الصبح لأداء صلاة الليل، وبعد أدائه صلاة الصبح، غادرنا سماحته مع مرافقيه، وعند التوديع أوصانا مرة أخرى بالصمود والاستقامة، وقال سماحته: «اسعوا لأن يكون قيامكم وقعودكم من أجل الله، لأن (القيام لله) ليس فيه الضرر والخسران أبداً، كما أن مثل هذا القيام لا يحدّده الزمان والمكان، لأن الإنسان في كل مكان وزمان، مخاطب من قبل الله الذي قال جلّ وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾[1]».

لا شك أن هذا التفسير والاستنتاج من هذه الآية المباركة، من قبل سماحته، يمكن أن يشكل دافعاً مناسباً لنشاطه وصبره واستقامته ورضاه، خلال اعتقاله ونفيه، والآن خلال هذه الرحلة المجهولة المصير التي بدأها.

بعد أن خرجوا من البيت، نظرت إلى الزقاق وشاهدت مجموعة من طلبة العلوم الدينية هناك، كما لفت انتباهي شخص آخر ليس من الطلبة، فسألت السيد أحمد: «من هذا الرجل؟»، فاجاب: «إنه الدكتور يزدي[2].. لقد وصل من أمريكا للقاء سماحة الإمام، وسنأخذه معنا في هذه الرحلة[3]».

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

(٢) الدكتور إبراهيم يزدي المولود عام ١٩٣١ م في مدينة قزوين ومتخصص في علم الصيدلة وحاصل على الدكتوراه في الغدد من أمريكا.. عرف بنشاطه الداعم للجامعيين وتنظيم صفوفهم خلال دعم ثورة مصدق أوائل الخمسينات من القرن المنصرم كما دعا إلى النضال المسلح ضد النظام الملكي البائد بعد انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٤ م في إيران.

(٣) غادر سماحة الإمام النجف الأشرف للخروج من العراق يوم الاربعاء ٣/ ١٠/ ١٩٧٨ م.

بعد مغادرتهم البيت، لجأ كل منّا إلى ركن من أركانه، وبعد فترة من الزمن نادتنا السيدة أم أحمد لتناول الفطور؛ وكل واحد منّا كان يقول شيئاً ويفسر الأمور كما يحلو له، فإحدى الحاضرات قالت: «لقد ساءت الأمور كثيراً»، والأخرى قالت: «إن طريق الجهاد مليء دائماً بالمشاكل»؛ وثالثة سألت: «ولماذا الكويت؟»، فيأتي الجواب من أخرى: «بالتأكيد كانوا مرغمين على التوجه إلى الكويت»!. واستمرت مثل هذه الأسئلة والأجوبة المملة حتى دخلت السيدة أم أحمد وقالت: «أظن إن تبادل الحديث حول القرار الذي اتخذ ونُفِّذ لا ينفع الآن، لذا أرجو أن لا تشغلوا وقتكم بمثل هذه الحوارات المرّة والعابثة وغير المجدية».

قلق عوائل مرافقي سماحة الإمام

قبل ساعتين من ظهر اليوم ذاته، طرقت إحدى السيدات الباب ودخلت، وهي قلقة ومنزعجة بشدة وسألت باكية: «أين السيد الإمام؟»، فأجابتها السيدة «مريم» بهدوء: «إنه في المكان الذي ينبغي أن يكون!»، فسألت ثانية: «هل أنت مطمئنة ومتأكدة؟»، فأجابتها: «نعم».. وطبقاً لتوصية السيد أحمد لم يكن مسموح لنا أن نتحدث مع أي أحد عن هذه الرحلة قبل وصول السيد الإمام إلى الكويت واستقراره هناك.

دخلت هذه السيدة باحة البيت ورأتنا جميعاً جالسين هناك، فسألت عن أحوالنا وغادرت بسرعة.. بعد عدة دقائق طرق الباب مرة أخرى، فدخلت سيدة أخرى باكية، أيضاً، وسألت: «أين السيد الإمام؟»، فأجبناها: «إنه في المكان الذي ينبغي أن يكون»، فسألت مرة أخرى: «هل يمكنني أن أذهب إلى غرفته» فقلنا لها: «نعم ولكن بعد الاستئذان من السيدة زوجته»، وهكذا غادرت هذه السيدة أيضاً.

بعد عدة دقائق دخلت البيت زوجة أحد المرافقين الآخرين لسماحة الإمام، وسألت عن أحوالنا أولاً ثم قالت: «ما الخبر؟»، قلنا لها: «وأنت ماعندك من أخبار؟»، فقالت: «كنت في بيت إحدى صديقاتي وكانت منزعجة وقلقة جداً»، فسألناها: «لماذا؟»، قالت: «لا أعرف». وطلبت من السيدة أم أحمد أن تسمح لها أن تأتي إلى هنا لترتاح قليلاً وتهدأ بفضل كلام السيدة المسكّن للنفوس.

غادرت هذه السيدة البيت وسرعان ما عادت برفقة صديقتها التي كانت أصغر منها في العمر.. وبعد السلام والتحية قالت: «إن زوجي لم يكن طبيعياً خلال الأسبوع الأخير وكانت تظهر منه تصرفات غير عادية، وكان حادّ المزاج، ولم يجبني على الأسئلة التي طرحتها عليه. وكان هادئاً حين ذهابه ومجيئه إلى البيت، وقد تحملت ذلك، إلّا أنه جاءني مساء أمس يحمل عدداً من البيض، فسألته لمن اشتريتها؟ فلم يجبني، ولكنه سلقها ووضعها في سلة، وعندما استيقظت منتصف الليل لم أجده في مكانه». وأكملت السيدة الأصغر الكلام بالقول: «وكذلك زوجي لم تكن تصرفاته طبيعية خلال الأيام الأخيرة وجاء مساء أمس إلى البيت ومعه مقداراً من الطماطم (البندورة)، فغسلها وأعدّها ووضعها في سلة، ولم يجبني كذلك على أسئلتي، وغادر البيت بعد منتصف الليل». وتابعت: «ذهبنا معاً إلى بيت صديقة أخرى لنا لنعرف ما الخبر هناك، فرأيناها أكثر قلقاً وانزعاجاً منّا، حيث كان زوجها بنفس الحالة مساء أمس ولم يكن يجبها على أسئلتها أيضاً، وعندما قالت له: إن لديها موعداً مع الطبيب، ولا بُدّ أن تراجعه غداً في عيادته ببغداد، قال لها: «الأفضل أن تطلبي مساعدة صديقاتك.. ولا بُدّ أن تضعي نفسك محل السيدات اللواتي استشهد أزواجهن في إيران أو اعتقلوا في سجون

الشاه.. وهكذا غادر زوجها بعد منتصف تلك الليلة ومعه كمية من الخيار بعد غسلها وإعدادها بشكل جيد».

وأردفت تلك السيدات بالقول: «ذهبنا إلى بيت صديقة أخرى، فرأينا نفس الحالة تكررت هناك، حيث أعد زوجها مقداراً من الخبز وغادر البيت بعد منتصف الليل».

وبذلك تأكدنا أن عدداً من تلاميذ سماحة الإمام المقربين يرافقون سماحته، وقد غادروا النجف الأشرف معه بعد أن قسّموا الأعمال ومهام التموين والإعداد للسفر، فيما بينهم[١].

وهكذا عرفت زوجات المرافقين من تلاميذ سماحة الإمام، أن لديهن قضية مشتركة ويواجهن نفس الظروف الصعبة، ولا بُدّ من التعاون والتعاضد لاجتياز مثل هذه الظروف، وكنّ يتساءلن بتعجب: «لماذا سافروا بهذا الشكل هذه المرة ولم يخبرونا كالمرات السابقة عن مقصدهم؟ وهل كنا نحول دون سفرهم إن أخبرونا؟»، والعديد من أمثال هذه الأسئلة.

ومع اقتراب وقت أذان الظهر، غادرت النساء البيت إلى منازلهن متألمات ومنزعجات كونهنّ لم يحصلن على أجوبة لأسئلتهن، وبانتظار عودة أزواجهن.

حلّ المساء ولم يصلنا أي خبر عن المسافرين، فقلقنا أكثر. وكانت السيدة أم أحمد تقول: «لربما توقفوا في الطريق للاستراحة أو لتناول الطعام أو للصلاة ولم يصلوا حتى الآن إلى الكويت»؛ فضلاً عن ذكرها

---

(١) رافق سماحة الإمام حتى الحدود الكويتية، بالإضافة إلى السيد أحمد، كل من الدكتور يزدي، والسادة أحمد مهري وفردوسي بور واملائي ودعائي.

لعدد آخر من الاحتمالات!! وذلك لكي تقلل من قلقنا وتهدىء من روعنا، لكن بلا جدوى.. تضاعف قلقنا وازداد اضطرابنا أكثر إلى أن جاءنا أحد الاشخاص (ولا أذكر اسمه) وهو يحمل معه خبراً مفرحاً عن المسافرين، قال: «إن جميع المسافرين بخير ولله الحمد، وطلبوا مني أن أخبركم بذلك، وأن تعدوا وجبة طعام بسيطة لسماحة الإمام، وسأراجعكم بعد حوالي ساعتين لأخذها إليهم».

وهكذا اطمأنينا على سلامتهم، ولكن من ناحية أخرى، قلقنا أكثر بعد أن طلب ذلك الشخص أن نعد الطعام للسيد الإمام، حيث عرفنا أنهم لم يغادروا الأراضي العراقية ولم يدخلوا الكويت، ولم يكن أمامنا سوى أن نستفسر عن التفاصيل من ذلك الشخص حنما سيعود إلينا لاحقاً.. وعندما جاءنا سألناه: «أين هم الآن؟»، قال: «لا أعرف!!»، فقلنا له: «ولكن كيف عرفت بالخبر؟»، فقال: لقد اتصلوا بي عبر الهاتف»، وقلنا له: «إذن.. إلى أين تأخذ هذا الطعام الآن؟».. وتأكدنا أنه يحاول أن يحافظ على الأسرار ولا يرغب أن يعطينا التفاصيل، وبدأ بإعطاء الأجوبة المتناقضة نوعاً مّا.. إلّا أن قلقنا واضطرابنا، دفعانا للمزيد من الأسئلة، فسألناه مرة أخرى: «لقد أخبروك عبر الهاتف أن تراجعنا وتطلب منّا أن نُعِدّ هذه الوجبة من الطعام، وهذا يعني أنك تعرف حتماً إلى أين يجب أن تأخذه، ويعني أنك سوف تلتقي بهم، فنرجو أن تخبرنا عن ذلك؟!».. وبعد أن لمس إصرارنا على الأمر قال: «إن سماحة الإمام وصل مع مرافقيه إلى الحدود المشتركة مع الكويت إلّا أن المسؤولين الكويتيين حالوا دون دخولهم الأراضي الكويتية، مما اضطرهم للعودة إلى الأراضي العراقية، وهم الآن في طريق العودة إلى بغداد، وأنا حقاً لا أعرف أين هم الآن بالضبط.. ومن المقرر أن يتصلوا بي مرة أخرى ويحددوا لي موعد اللقاء والمكان بانفسهم».

بعد استماعنا لهذه التفاصيل ازداد قلقنا، وازداد سيل التساؤلات مع أنفسنا: ماذا سيحدث لو منعت الحكومة العراقية سماحة الإمام والسيد أحمد من العودة ثانية بعد أن ختمت مهر الخروج على جوازات سفرهم؟ وحتى لو سمحوا لهم بالعودة ثانية، ماذا سيحصل؟ وهل سيعود الإمام إلى النجف الأشرف بعد تحمل كل ذلك التعب والإرهاق، جراء الطقس الحار والظروف الصعبة؟ وكيف سيواجه سماحته الظروف الجديدة مع مكانته العلمية والسياسية والاجتماعية البارزة، لأن خبر خروج سماحته من النجف الأشرف قد انتشر رغم إحاطته بالسرية والكتمان، وبدأت الأقاويل والأحاديث تصل إلى أسماعنا، وباتت عودة سماحة الإمام إلى النجف الأشرف أمراً غير مستساغ، وسيحاط باللوم والعتاب فضلاً عن احتمال أن يشدد، المسؤولون العراقيون، من إجراءاتهم ومضايقاتهم لسماحته ولأنصاره وتلاميذه.

أصداء رحلة الإمام الخميني إلى باريس في النجف الأشرف

تحدث لنا عدد من الأشخاص الذين عادوا إلى النجف الأشرف بعد أن ودعوا السيد الإمام، عن الظروف التي أحاطت موكب سماحته حين مغادرته النجف الأشرف منذ يومين، حيث أكدوا أنه عندما رفضت الحكومة الكويتية دخول السيد الإمام ومرافقيه، عاد سماحته إلى مدينة البصرة وبات تلك الليلة في أحد فنادقها، وغادر صباحاً إلى مدينة بغداد واستقر في فندق (دار السلام)، ثم زار مرقد الإمامين الكاظمين (ع) في مدينة الكاظمية، وكان الحرم مزدحماً بالزائرن الذين اجتمعوا حول سماحته، معبّرين عن مشاعرهم نحوه، مما جعل المسؤولين العراقيين في حالٍ من الاضطراب والقلق، والإسراع في إعادة الإمام إلى بغداد، حيث غادرها بالتالي إلى العاصمة الفرنسية باريس.

وقال هؤلاء الأشخاص: إن سماحة الإمام وجه بياناً إلى الشعب

الإيراني خلال مغادرته العراق، جاء فيه: «الآن وقد اضطررت لمغادرة جوار أمير المؤمنين (ع)، وبعد أن رأيت أن الأجواء في الدول الإسلامية لم تكن مفيدة لخدمتكم، حيث تواجهون حملات الإستكبار، لذا.. فإني أغادر إلى فرنسا، إن المهم، بالنسبة لي، هو القيام بالتكليف الإلهي ولا يهم المكان»[١].. وقد ارتحنا قليلاً بعد سماعنا هذا الخبر.

لقد ترك قرار سماحة الإمام السفر إلى باريس، أصداءاً غير مشجعة في النجف الأشرف، نتيجة التباس فهمه من قبل أهالي النجف. فقد جاءتنا زوجات عدد من العلماء يستنكرن هذا القرار بالقول: «لماذا اتخذ الإمام هذا القرار؟، أليس من المؤسف أن يترك أجواء النجف وجوار أمير المؤمنين (ع) ويغادر إلى بلاد الكفر؟!.. فلا معنى للجهاد والنضال عند مثل هؤلاء الناس»، إلّا أنهنّ أستدركن بأن المرجعية هي الأمر المهم الذي ينبغي السعي من أجل المحافظة عليها بأي ثمن كان. وأن المكانة العلمائية (حسب تعريفهنّ الخاص)، هي التي ينبغي للإمام المحافظة عليها وصيانتها..

وفي مثل تلك الأجواء التي لم يرون وجود أي تناسب بين معرفة لغة أجنبية أو استماع عالم ديني للمذياع مع التزامه الديني ومعرفته الدينية وحفظه للتقاليد المتبعة لدى الأوساط العلمائية والمرجعية، أجل في مثل هذه الأجواء فإن سفر مرجع تقليد لفرنسا لا يمكن القبول به بأي شكل من الإشكال..

كان البعض يظن أن السيد الإمام أهمل مقام المرجعية من أجل إثبات رأيه وإصراره عليه فحسب.. كما كان البعض الآخر يقول: «... وهكذا تبين أن المرجعية لا مكانة لها بالنسبة للإمام، وإلّا كيف يمكن

---

(١) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٤٨١.

لعالم ديني أن يغادر النجف الأشرف إلى فرنسا، بينما يفضل نظراؤه استنشاق هواء النجف الأشرف والموت في هذا المكان. وآخرون كانوا يقولون أن يدفن الإنسان في مقبرة (وادي السلام) أمر يستحق أن يسكت ويلتزم الصمت!!.

وفي اليوم ذاته زارتنا إحداهن والتقت السيدة أم أحمد، وبعد السؤال عن أحوالنا قالت لها: «ألم تقلي للسيد الإمام أنه من المؤسف أن يغادر النجف؟! وأليس من الأفضل أن يقضي سنوات عمره الأخيرة في هذه المدينة؟! وأن القيام بزيارة الحرم العلوي والسلام على الإمام علي (ع) أفضل من كل أمور الدنيا».. وقالت أخرى: «وا أسفاه، لقد كان له هنا مسجد يصلي فيه ويدرِّس دروسه، ويمتلك فرصة لأداء الزيارة، ولكنه ترك كل ذلك وذهب إلى بلاد الكفر، وإن صلاة ركعتين في حرم الإمام علي (ع) أفضل من الدنيا وما فيها!!»..

مع استماعي لمثل هذا الكلام ورغم أني سعيت أن أكون مستمعة فقط، ولم أكن أرغب في محاورة مثل هؤلاء الناس، إلّا أنني قلت: «إن هذا كله يعتمد على فهمكم للدين والالتزام الديني».. فأجابت إحداهنّ: «إن هذا الكلام المتنوّر هو ما رسخه شريعتي والمتغربون، في أذهانكم!!، إن أمثاله عندما يريدون سلبكم دينكم، فإنهم يقومون بذلك تدريجياً وبهدوء، ولا يقولون لكم بصراحة أن تتخلوا عن دينكم».

وقد أثرن بمثل هذا الكلام، أعصابي، فقلت: «إن سماحة الإمام هو مرجع تقليد وصاحب فكر واجتهاد، وقد اتخذ قراره حسب رؤيته للأمور.. فلو كنا نفكر مثلكم، كان لا بُدّ أن نقول إن الإمام الحسين (ع) لم يتخذ قراراً صحيحاً عندما غادر مكة، والكعبة المكرمة، والروضة النبوية الشريفة، وتحرك إلى الكوفة.. وطبقاً لمنطقكنّ ورؤيتكنّ للأمور فإن الإمام الحسين (ع) كان عليه أن يفضل زيارة جده على الجهاد، وهل

أن الإمام الحسين (ع) تأثر أيضاً بكلام المثقفين والمتنورين كما تزعمن؟!!».

طالت مثل تلك الحوارات والمناقشات في تلك الأيام، وعندما رأت السيدة أم أحمد أن كلاً منّا لا يقبل رأي الآخر، والطرفان مصران على رأيهما، قالت: «لا فائدة من مثل هذه الحوارات والنقاشات، وإنك تبذلين جهداً عابثاً، فلا داعي لأن تهدري وقتك في مثل هذا النقاش والجدال».

عودتي إلى إيران

بعد ما وصل سماحة الإمام والسيد أحمد إلى باريس واستقرا هناك، قمت بدوري بالاستعداد للمغادرة إلى إيران من أجل الولادة، ولكن كان لا بُدّ أن أجمع الأثاث الذي أرسل إلينا قبل أقل من عام من مدينة قم، وإعادته إلى هناك.

وحينها تأسفت، لأني لم أصغ لنصيحة السيدة أم أحمد، حين ارتأت أن لا نأتي بالأثاث من قُم في وقتها، وكانت المهمة صعبة للغاية بسبب حالتي الصحية والمعنوية السيئة، والطقس الحار في النجف الأشرف.

كنا نذهب صباح كل يوم إلى بيتنا لإنجاز هذه المهمة برفقة السيدة «ننه بي بي» وهي عجوز أفغانية طيبة وودودة للغاية، وعندما نتعب نعود إلى بيت السيد الإمام.. كما أن السيد إملائي[١]، كان قد أوصى برعاية

(١) حجة الإسلام الشيخ املائي من تلاميذ سماحة الإمام، وكان قد تزوج حديثاً ولكنه اضطر لترك زوجته في النجف الأشرف ورافق سماحته إلى باريس.. للأسف توفي الشيخ املائي في الأشهر الأولى بعد انتصار الثورة الإسلامية في حادث اصطدام في طريق قُم ـ طهران.

زوجته عند غيابه، وأن آخذها معي إلى إيران، لذا كنا نساعدها، أيضاً، في جمع أثاث بيتها لنسافر معاً.

في أحد الأيام وبينما كنّا قد عدنا لتوّنا إلى بيت سماحة الإمام، بعد قضاء وقت طويل في جمع الأثاث وكنت مرهقة للغاية، التقينا بإحدى صديقاتنا هناك، التي واجهتني بعتاب لا مبرر له دون أن تأخذ بنظر الاعتبار حالتي الصحية والروحية السيئة، ودَعتني لأساعد زوجة السيد «املائي»، وأن لا نتركها وحيدة، لا سيما تجربتها الأولى في نقل الأثاث، وأنها حديثة الزواج، وهي حزينة لمغادرة زوجها.. وقد التزمت الصمت ولم أجبها بأية كلمة لإرهاقي الشديد، وكنت بحاجة لمن يساعدني، فصبرت.

شعرت بالضيق الشديد عندما أردت مغادرة النجف الأشرف، وقد وصلت خالتي وقامت بتهدئة روعي ورفع معنوياتي.. استأجرنا سيارة صغيرة وغادرنا إلى مدينة الكاظمية وبتنا تلك الليلة في منزل ابنة خالتي السيدة «مرام»، وساعدنا عدد من أصدقاء صهر خالتي. واصطحبتنا هي صباح اليوم التالي إلى مطار بغداد.

في تلك الحالة، انتابني قلق آخر، وهو أن لا يُسمح لي بركوب الطائرة لكوني في الشهر الأخير من الحمل، أو أواجه مشاكل بسبب صحتي وقرب الولادة وغيرها.. على كل حال أنجزنا إجراءات الخروج وختم الجوازات. وغادرت الطائرة مطار بغداد إلى طهران، بينما كانت السيدة أم أحمد تستعد لإقامة مراسم الذكرى السنوية الأولى لوفاة الحاج السيد مصطفى.

الهوامش

١ ـ ولد آية الله **السيد محمد موسوي بجنوردي** في النجف الأشرف وتلقى العلوم الدينية في محضر علماء كبار أمثال آيات الله العظام الميرزا حسن بجنوردي (والده) والسيد الخوئي والسيد الحكيم، وحضر دروس سماحة الإمام الخميني بعد نفيه إلى النجف لمدة أربعة عشر عاماً واعتبر من تلاميذه البارزين والملازمين له؛ وكان سماحته يهتم به كثيراً وهو كذلك من الأصدقاء المقربين للحاج السيد مصطفى الخميني.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أصبح مسؤولاً عن قسم الاستفتاءات في مكتب سماحة الإمام في مدينة قُم، وأصبح عضواً في مجلس القضاء الأعلى خلال سنوات ١٩٨١ ـ ١٩٨٩ م، وأصبح منذ العام ١٩٩٢م عضواً في الهيئة العلمية، ورئيس قسم الشريعة والحقوق والعلوم السياسية في جامعة التربية وإعداد المدرسين (الخوارزمي) وكذلك رئيس قسم الفقه والأصول الحقوقية في مركز أبحاث الإمام الخميني والثورة الإسلامية.

في العام ١٩٩٦ تزوج نجلي الأكبر السيد حسن من الابنة الكبرى لآية الله البجنوردي السيدة «فاطمة» (ندا).

مؤلفاته:

- عقد الضمان.
- علم الأصول.
- الفقه المقارن.
- الفقه المقارن والقسم الجزائي (المجلد الثاني).
- القواعد الفقهية (المجلدان الأول والثاني).
- مجموعة المقالات الفقهية والحقوقية والفلسفية والاجتماعية (المجلدات ١ ـ ٩).
- مصادر التشريع.
- الأفكار الحقوقية (المجلدان الأول والثاني).
- الفقه المدني (١ و٢).
- المقالات الأصولية.
- الاستصحاب.
- شرح على كفاية الأصول.

٢ ـ ولد **الشيخ علي تهراني** عام ١٩٣٠ م وبعد تلقيه الدروس التمهيدية في العلوم الدينية حضر في دروس الإمام الخميني (رض) وكان معروفاً بحبه وتعلقه الشديد بسماحته ويعتبر من المناضلين الذين تحملوا السجون والتعذيب في هذه الطريق.

بعد انتصار الثورة الإسلامية، عُيِّن رئيساً لمحاكم الثورة الإسلامية في مدينة مشهد، ومن أعضاء مجلس خبراء الدستور الإسلامي.. ما لبث أن أصبح من مناوئي النظام الإسلامي. وبعد هروب بني صدر خارج البلاد، هرب بدوره إلى العراق واستقر هناك. وكان طوال سنوات الدفاع

المقدس والحرب العراقية ـ الإيرانية، يبث برنامجاً من إذاعة بغداد ضد الإمام الراحل والحكومة الإيرانية، وكان سماحة الإمام يستمع إليه أحياناً عبر المذياع.. كما أن الشيخ تهراني هو زوج شقيقة آية الله السيد الخامنئي، وقد سلم نفسه للقوات الإسلامية الإيرانية على الحدود الإيرانية ـ العراقية في العام ١٩٩٥ م وحكم عليه في المحكمة بالسجن والإقامة الجبرية في بيته.

٣ ـ كانت هذه **الحمّامات العامة** تتفاوت في مساحتها ونظافتها ويوجد فيها غالباً حوضا ماء صغيران وعميقان، أحدهما حار والآخر دافئ، يتم الدخول إليهما من خلال سلالم صغيرة. يقوم رواد هذه الحمّامات بغسل رؤوسهم وأجسامهم بسكب الماء الذي يُحمل في أواني صغيرة من النحاس أو القصدير، وقوفاً أو جلوساً. والبعض يطلب من عمال متخصصين غسل أجسامهم، والحمّامات تتفاوت من حيث براعة هؤلاء العمال وكفاءاتهم.

وهناك مجموعة من الأساطير تُسرد حول هذه الحمّامات، منها أن الجن يتواجدون فيها قبل أذان الصبح، وتخصص الحمّامات للرجال خلال الفترة الزمنية المحصورة بين ساعتين قبل أذان الصبح وحتى قرب الظهر، وبعدها تخصص للنساء.. هذا وقد شيدت تدريجياً حمّامات صغيرة خاصة إلى جانب الحمّامات العامة سميت بـ (حمام النمرة الخصوصي).

٤ ـ كان **صادق قطب زاده** (١٩٣٦ ـ ١٩٨٢ م) قبل انتصار الثورة الإسلامية من المقربين للإمام الخميني (رض) في باريس، وأصبح، بعد الانتصار، وزيراً للخارجية ومدير مؤسسة الإذاعة والتلفزة للجمهورية الإسلامية الإيرانية وعضواً في مجلس قيادة الثورة الإسلامية.

وكان قد اعتقل ودخل السجن مراراً خلال العهد البهلوي البائد، وبعد أن خرج من إيران درس في جامعة جورج تاون الأميركية. وخلال حفل ضيافة أقامته السفارة الإيرانية، قام بصفع السفير الإيراني في أميركا أردشير زاهدي، وتم إخراجه بعدها من هذه البلاد ليستقر في كندا وينشط في صفوف أنصار سماحة الإمام في إيران والإمام موسى الصدر في لبنان. وكان قطب زاده ضمن الأشخاص الذين رافقوا سماحة الإمام في الطائرة التي نقلتهم من باريس إلى طهران، وشارك في أول انتخابات لرئاسة الجمهورية الإسلامية أوائل عام ١٩٨٠م ولم يربح تلك الانتخابات، واختلف مع عدد من مسؤولي الجمهورية الإسلامية.

هذا وقد اتهم قطب زاده بمشاركته في إحدى المحاولات الإنقلابية العسكرية أوائل الثورة الإسلامية وتم اعتقاله وإعدامه في أيلول عام ١٩٨٢ م بعد محاكمته.

٥ ـ ولد **آية الله الميرزا جواد ملكي تبريزي** أواخر القرن الثالث عشر الهجري القمري في أسرة الحاج الميرزا شفيع في مدينة تبريز. وأمضى سنوات شبابه في النجف الأشرف وحضر دروس كبار العلماء هناك؛ ثم عاد إلى إيران حوالي عام ١٣٢١ هـ. ق وانشغل في نشر المفاهيم الدينية وتهذيب النفس في مسقط رأسه تبريز.

هاجر في العام ١٣٢٩ هـ. ق أوائل سنوات الثورة الدستورية إلى مدينة قُم بسبب توتر الأوضاع في تبريز، ومكث في هذه المدينة. وعرف آية الله ملكي ببراعته الفقهية وشهرته ضمن العرفاء الكبار في حوزة قُم العلمية، وكان، أيضاً، من أساتذة الإمام الخميني.

كان يدرّس الفقه في الحوزة العلمية، فضلاً عن إلقاء دروس عامة في الأخلاق في المدرسة الفيضية، وخاصة داخل بيته، وكان سماحة

الإمام يشارك في هذه الدروس الأخلاقية ويحضر باستمرار في صلاة الجماعة التي يقيمها في المسجد الرئيسي داخل حرم السيدة «فاطمة» بنت الإمام موسى الكاظم (ع) بمدينة قُم.

توفي سماحة آية الله ملكي تبريزي في العام ١٣٤٣ الهجري القمري ووُري الثرى في مقبرة (شيخان) بمدينة قُم.

٦ ـ **انتفاضة أبناء قُم** في ١٩٧٨/١/٨ م: شكل حادث وفاة آية الله السيد مصطفى الخميني في ١٩٧٧/١١/٢١ م منعطفاً في تاريخ النهضة الإسلامية لأبناء الشعب الإيراني المسلم؛ حيث أقيمت مجالس عزاء كثيرة في مختلف المدن الإيرانية تزامنت مع اندلاع مظاهرات حاشدة ضد النظام المستبد الحاكم آنذاك.. بعدها قرر النظام البائد القيام بعمل استفزازي يُوجّه من خلاله الإهانة لسماحة الإمام الخميني (رض) ليحاول المس بمكانة المرجعية الرشيدة المتمثلة بسماحته؛ لذلك أوعز إلى أذنابه في صحيفة (إطلاعات) لنشر مقال أوائل كانون الثاني عام ١٩٧٨ بالاسم المستعار (أحمد رشيدي مطلق) تم فيه اعتبار التبرج والتخلي عن الحجاب فضيلة، وأن الحجاب عودة إلى الوراء وتقليد قديم ورجعية، فضلاً عن توجيه الإهانة للإمام الخميني (رض) واعتبار انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣م مؤامرة استعمارية وغيرها.

أثار انتشار هذا المقال ردود فعل غاضبة ومستنكرة بدأت من مدينة قُم، حيث عطل أساتذة حوزة قُم العلمية دروسهم في يوم ١٩٧٨/١/٧ م واندلعت مظاهرة حاشدة نظمها طلبة الحوزة العلمية، سرعان ما أنظم إليهم تجار السوق والكسبة من خلال إغلاق محلاتهم في ١٩٧٨/١/٨ م، وتضاعف عدد المتظاهرين الغاضبين، مما دعا جلاوزة الشاه المقبور

والسافاك، لمهاجمة الناس العزّل وفتح النار عليهم، مما أدى إلى استشهاد أعداد كبيرة من الأبرياء.. وأصبحت هذه الانتفاضة في تاريخ النهضة الإسلامية، منطلقاً لثورة الشعب الإيراني المسلم حيث تبعتها إقامة مراسم أربعينية الشهداء في مختلف المدن. واستمر ذلك حتى انتشرت المظاهرات المليونية في كل مكان، والتي انتهت بسقوط النظام البهلوي.

٧ ـ **المهرجان الفني في شيراز**: تم تشكيل لجنة عليا لإقامة هذا المهرجان ضمت رئيس الوزراء وعدداً من الوزراء والمحافظين ورؤساء البلديات.. حيث افتتح أول مهرجان في ١١/٩/١٩٦٧ واستمر عشرة أيام، وكان الهدف منه القضاء على الثقافة الإسلامية وفتح الطريق أمام تغلغل الثقافة الغربية في المجتمع الإيراني المسلم؛ وكانت بعض البرامج الفنية، التي قدمت في هذا المهرجان في دورته لعام ١٩٧٦ م، متعارضة مع الأخلاق العامة في المجتمع، إلّا أن أوج الميوعة والرذيلة اللا اخلاقية، تمت في مهرجان عام ١٩٧٧ م، تزامناً مع شهر رمضان المبارك، حيث كشف النظام البهلوي من خلال السماح للعروض الفنية المخالفة للدين والثقافة الدينية، عن وجهه الحقيقي المناوئ للدين.. هذا وقد وصف السفير البريطاني في طهران (انطوني بارسونز) في مذكراته التي نشرها بعنوان (الغرور والسقوط)، تلك العروض الفنية ومنها العرض التمثيلي (الخنزير، الطفل والنار)، بأنها سببت في اندلاع أول شرارة للثورة في إيران. وشرح تفاصيل ذلك العرض كالآتي: «تجاوز مهرجان شيراز الفني للعام ١٩٧٧ م مهرجان العام المنصرم من حيث كثرة المشاهد والعروض التي وجهت من خلالها إهانة للقيم الأخلاقية للإيرانيين والمس بها».

«وقد تم استئجار أحد المحلات التجارية في أحد الشوارع المركزية في مدينة شيراز والمزدحمة بالناس، وتم هناك تقديم عرض فني وتمثيلي حي، نقل لنا أحد الشهود العيان الذي رأى مشاهد ذلك العرض بالشكل الآتي: «تم تقديم نصف العرض داخل المحل التجاري ونصفه الآخر على الرصيف، وقد كان أحد المشاهد الذي قدم على الرصيف وأمام الناس، نوعاً من الاغتصاب بعنف وبالشكل الطبيعي والحقيقي، وليس بالشكل الإيمائي أو الرمزي.. وأمام أعين الناس».

ويضيف السفير: «خلال لقائي الشاه قلت له: لو أن هذا العرض قدم في مدينة مانشستر البريطانية لما تمكن المخرج والممثلون من إنقاذ انفسهم من غضب الناس وانزعاجهم. فضحك الشاه لفترة من الزمن».

الفصل السابع

"صرخة الغضب"

قُم وأيام الثورة

عندما وصلنا طهران، ذهبت السيدة «املائي» إلى بيت أقربائها وذهبنا نحن إلى مدينة قُم، لقد تغيرت الأوضاع في المدينة كثيراً مقارنة مع الوضع الذي كان سائداً عندما غادرناها قبل عام تقريباً، فالدبابات الآن تنتشر بكثافة في شوارعها، وآثار الإضراب العام سائدة في كل مكان، مما أدّى إلى إغلاق الأسواق والمحلات التجارية وتعطيل المدارس وأكثر الدوائر والمؤسسات.

كذلك رأينا الأطفال يلعبون لعبة جديدة يهتفون خلالها بكل قوة بشعار (قل: الموت للشاه.. الموت للشاه) بينما كان الناس لا يجرأون في السابق على توجيه أي نقد أو اعتراض للمدراء والموظفين فضلاً عن رجال الحكومة.

وقبل عودتنا، ومع بدء العام الدراسي في النجف الأشرف كنت قد سجّلتُ ولدي حسن في مدرسة (علوي) الإيرانية، إلّا أني اضطررت للانتقال إلى مدينة قُم وتسجيله في مدرسة داريوش بالقرب من بيت أبي، ولكن المدارس كانت معطلة بسبب الإضراب العام.

وكان عليّ أن أستعد للولادة، لذا ذهبت برفقة خالتي «بتول» التي كانت عوناً لي دوماً، إلى (مشفىٰ ايزدي)، وهناك تعجبت من الوضع السيء الذي رأيته، حيث يرقد المرضى في الممرات وعلى الأرض ولا وجود لأي طبيب أو ممرضة، مما جعلني أبكي بسبب ذلك. ففضلت

خالتي أن تعيدني معها إلى البيت وتطمئنني أنها ستأخذني إلى مشفى أفضل ولا داعي للقلق.

بعد أن عدنا إلى البيت وشرحنا الوضع السائد في المشفىٰ، أقترح والدي أن نذهب إلى طهران، وكانت الأوضاع آنذاك غير طبيعية في كل مكان، والجميع منشغلون في حوادث الثورة والمشاكل الناتجة عنها، كما أن شقيقات السيد أحمد كنّ قد وصلن إلى مدينة قُم لإحياء الذكرى الأولى لوفاة الحاج السيد مصطفى.

في مثل تلك الظروف والفوضى السائدة في كل مكان وصلتني رسالة من سماحة الإمام هذا نصها:

«بسمه تعالى»

١٧ذي القعدة ١٣٩٨ هـ. ق

السيدة فاطي (فاطمة)

إن شاء الله يكون مزاجك الشريف سليماً.. فمكانك هنا خالٍ، والطبيعة رائعة وخلابة، ولكن لا يُعرف إلى متى سنبقى هنا. أدعو دوماً لعزيزي حسن، أرجو أن تسلمي على سماحة حجة الإسلام السيد والدك، وتطلعينا عن سلامتك، لا سيّما سلامتك بعد الولادة إن شاء الله تعالى والسلام.

روح الله الموسوي الخميني[١]

---

(١) تاريخ هذه الرسالة يعود للتاسع من تشرين الأول ١٩٧٨ م، كتاب (صحيفة الإمام/ج ٣ ص ٥٠٠).

زركندة

وأخيراً قررنا الذهاب إلى طهران، فقد طلبت من السيد مشهدي رضا العامل القديم والوفي لبيت سماحة الإمام، استئجار سيارة وأن يرافقنا في هذه الرحلة.



من اليمين، السيدة «قدسي فيروزان» والسيد اسكندر فيروزان

لذا سافرت برفقته ونجلي حسن إلى طهران، وبكيت في السيارة حتى وصلنا إلى هناك. وصلنا إلى منزل خالتي في محلة «زركندة»[1]، حيث الطقس في هذه المنطقة أبرد بعدة درجات عن باقي مناطق طهران، وحينها تذكرت أنه قبل عدة سنوات وصلنا طهران صيفاً برفقة السيد أحمد وشقيقي مرتضى، وعندما وصلنا ساحة «شوش» (جنوب طهران) كان الطقس حاراً جداً هناك، فقررنا الذهاب إلى بيت الخالة «زهراء» حيث كان الطقس هناك بارداً لوقوعها في مسير الرياح الباردة القادمة من قمة «توجال»[2]، وتتميز هذه المنطقة ببرودتها حتى في الصيف، مما يستلزم ارتداء ملابس إضافية.. وقد اخترنا بيت الخالة «زهراء» ذاته بعد عدة سنوات للإقامة، وكان أصحاب البيت طيبين وذوي تعامل حسن

---

(١) تقع محلة زركندة بالقرب من ساحة تجريش (شمال طهران) وفي المنطقة البلدية الثالثة، ويقول البعض أن سبب تسميتها يعود إلى اكتشاف مسكوكات وجرار في التلال المحيطة بهذه المحلة.

(٢) تقع قمة جبال توجال في شمال طهران ويبلغ ارتفاعها حوالي ٤٠٠٠ متراً.

للغاية، وسعوا كثيراً لإضفاء أجواء رائعة ومحببة خلال وجودنا هناك لإزالة أي نوع من القلق والاضطراب من وجودنا.

رسالة من بلاد الغربة

وصلتني آنذاك رسالة من باريس، فتحتها بكل شوق وكانت من السيد أحمد، بدأها بجمل مفعمة بالسؤال عن أحوالنا، والباقي حول الأوضاع في باريس وحالة سماحة الإمام والأحداث التي تجري هناك، وهذا نصها:

«نحن جميعاً بخير وأحوالنا جيدة، أرجو أن لا تصغي لما تنشره الصحف أو يقوله زيد أو عمرو وأعرف أنك لن تصدقيهم.. السيد الإمام بصحة جيدة ولله الحمد وهو مشغول دوماً، فأعماله كثيرة إلّا أنه مستعد لذلك.

«يا له من كهل ضاقت عليه الأرض بما رحبت، كما أن وضعنا هنا غير واضح المعالم، فدائماً يزورنا أشخاص من قصر الأليزيه ويقولون أنكم خدعتمونا ودخلتم بلادنا التي يتلازم اسمها مع الحرية وذاع صيتها في كل مكان، ولكننا تربطنا مع إيران بالتالي اتفاقيات اقتصادية؛ وباقي الدول تماثل فرنسا بهذا التوجه والكل أصبح يخشانا.. حيث لم يكتفوا بغلق الحدود أمام هذا الشيخ الكبير، بل إنهم فرضوا علينا رقابة صارمة.. يوم أمس اجتمع حوالي ألفي شاب وشابة قدِموا من أنحاء أوروبا في صالة، ليستمعوا إلى كلام إمامهم، وقد دخل مندوب جيسكار ديستان[١] فجأة وكانت يداه ترتجفان، وكان يظن أنه سيدخل

(١) فاليري جيسكار ديستان (المتولد عام ١٩٢٦م) كان رئيساً للجمهورية الفرنسية خلال الفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٨١م، وهو الرئيس العشرون للجمهورية الفرنسية.

بلاطاً فخماً، إلّآ أنه اندهش من بساطة المكان، وقد حالوا بكل احترام دون مغادرته.

انظري.. هذا هو الغرب الذي تلاعب بنا باسم الحرية منذ سنوات طويلة، حيث هناك اختلاف واحد بين الغرب والشرق، ففي الغرب يذبحون الإنسان تدريجاً دون أن يشعر، وفي الشرق يضربون عنقه بالسيف! إلّآ أن النتيجة واحدة لا غير.

إن هذا الرجل الذي نزع رداء المرجعية في النجف الأشرف من أجل إنقاذ أمته، واتخذ فجأة قراراً محيراً للعقول ـ كما يقول علماء الدين ـ متحرراً من كل قيود الدنيا وملتزما بالإسلام، ولكنه وجد نفسه في أجواء يزعم حرّاسه أنهم يحملون راية الحرية.. كما أنه كتب في مطار بغداد نداءاً بيديه المرتعشتين موجَّهاً إلى أبناء شعبه الصامدين بوجه رصاص الغرب والشرق (وقد ازدادت يداه ارتعاشاً أكثر من السابق)، ولا زال يصرخ في بياناته الثورية بكل قوة أنه لن يتخلى عن العمل الذي بدأه حتى لو قطّع إرباً إرباً.

إننا غرباء في الغرب، لأننا كنا نظن أننا سنجد هنا شيئاً يفتقده الشرق وهو الحرية. لقد أحاط أكثر من ثلاثمائة صحفي ومراسل ومصور بهذا الشيخ الكهل وجميعهم تقريباً كتبوا أن كل شيء مخبوء تحت هذا الهيكل العظمي، كما يقف أمامهم صف متشكل من أكثر من ١٥٠ رجل شرطة فرنسي يفرضون طوقاً أمنياً شديداً، بذريعة الحراسة والمحافظة، تماماً كما كان عليه الوضع في النجف الأشرف.. ياله من عالم عجيب، وهذا الشيخ الكهل يسخر من كل هذا الوضع السائد، ويعتقد أن كل ذلك لا شيء ولا جدوى منه أبداً، وأنا بدوري أعتقد بكلاهما رغم تضادهما معاً.

أخبرنا السيد محمود[١] هذه الليلة أنكِ وصلت طهران بينما الجميع غادروا إلى قُم، ولم يقل أكثر من ذلك[٢].. ولا أفهم لماذا جئت وحدك إلى طهران؟ هل حدث شيء ما لحسن؟ أو أصابك شيء لا سمح الله؟ وهل أن السيدة الوالدة منزعجة وقلقة بسبب بقائها وحيدة؟!.. رغم أن وضعنا هنا غير مستقر ومستقبلنا مجهول ولربما نغادر هذا المكان، ولكن نريد أن ننقل هذه السيدة إلى هنا لنواجه معاً نفس المصير، هذه السيدة التي تميزت حياتها بالحوادث العديدة وكأنها كتب عليها أن تعيش دائماً في الاغتراب[٣].

أما أوضاعنا فهي كالآتي: النماذج والأصناف والاعتقادات المتناقضة، الكلام المترادف، والمضمون والمفهوم الواحد في حالة وجود الترادف في الكلام، الأوضاع المتخذة المشتركة، والشكاوى المتناقضة و(الدين) نعم الدين، الدين الآحادي البعد الذي يعتبر حركات الركوع بمثابة الموج الذي سيزيل الشاه بالتالي!!.

إن قال أحدنا، يالها من زهرة جميلة، صرخ البعض معترضاً: الناس يتعرضون للتعذيب!!.. الجميع هنا يحلم قبل النوم بأن يكونوا وزراء ونواب في الدولة القادمة!!.. تذكرت الآن كلام (جلال آل أحمد) الذي قال إن هناك رئيس جمهورية واحد يخرج من بين كل أربعة مثقفين إيرانيين يجتمعون حول طاولة! وإنها حقاً عين الحقيقة.. أجل لقد جاءنا

---

(١) يقصد الدكتور محمود بروجردي صهر سماحة الإمام (رض).

(٢) يشير إلى اجتماع أفراد الأسرة في منزل السيد إشراقي (صهر سماحة الإمام) بمدينة قُم لإحياء الذكرى الأولى لرحيل الحاج السيد مصطفى.

(٣) بعد فترة من وصولنا إلى إيران غادرت السيدة أم أحمد النجف الأشرف برفقة حفيدها السيد حسين (نجل السيد مصطفى) ووصلت إلى باريس، كما أن السيد حسين عاد بعد فترة إلى النجف الأشرف ليكون إلى جانب والدته تنفيذاً لأمر سماحة الإمام (رض).

تواً أحد ممثلي السيد أبوعمار[١] الذي نقل عنه قوله: إن هذا الرجل الذي يصرح بأنه سينتقل من مطار إلى آخر حتى يقول كلمته، لا بُدّ أن يأتي إلينا ليعلّم العرب الشجاعة.. أظن أنهم يتصورون أن السيد الإمام ينبغي أن يستشهد هناك، وأنا لست هناك!!.

أرجو إبلاغ سلامي للسيد والدك العزيز، أظن أني تحدثت كثيراً، ما العمل وقد اشتقت إليكم.. أرجو أن تقبّلي حسن العزيز وتشمّيه.. سأتصل هاتفياً بكم غداً إن شاء الله».

أحمد ـ ١٤ تشرين الاول ١٩٧٨م

قصر الأليزيه

بعد يوم واحد من وصولي طهران، اتصل السيد أحمد هاتفياً وسرد لي تفاصيل دخول السيد الإمام لباريس ولقاءات المسؤولين الفرنسيين مع سماحته قائلاً: «ما أن وصلنا باريس، زارنا عدد من الأشخاص قدموا من قصر الأليزيه[٢]، وأعلنوا انهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن وصول الإمام إلى فرنسا، وطلبوا من سماحته أن لا يجري أية مقابلة صحفية وأن لا يقوم بأي نشاط سياسي ضد النظام الإيراني، إلّا أن سماحة الإمام أجابهم قائلاً: كنا نظن أن حرية التعبير عن الرأي موجودة في بلدكم!، فالوضع هنا يشبه العراق! فسأعلن عن رأيي في أي مكان كان، وسأتنقل من مطار لآخر حتى أوصل صوت الشعب الإيراني البطل والمظلوم إلى أسماع العالم، وسأقول لأبناء العالم ماذا يحدث في إيران».

---

(١) أبو عمار هي كنية القائد الفلسطيني ياسر عرفات (١٩٢٩ ـ ٢٠٠٤ م)، حيث قضى أكثر سنوات حياته في النضال ضد إسرائيل.

(٢) قصر الأليزيه في باريس هو المقر الرسمي لرئاسة الجمهورية الفرنسية، حيث تعقد داخله اجتماعات مجلس الوزراء.

وفي ردّه على مسؤولي الجهاز الأمني الفرنسي، قال سماحة الإمام: «لا أريد القيام بأي عمل محرك أو يؤدي إلى الفوضى ولا أعمل إلّا بالواجب الشرعي».

وأضاف السيد أحمد: «أمضى السيد الإمام الأيام الأولى صامتاً، حتى نظم صادق قطب زاده مقابلة صحفية لسماحته مع إحدى الصحف الفرنسية المهمة وهي صحيفة الفيغارو اليمينية التي تربط رئيس تحريرها علاقات جيدة مع الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان. وقد أدى انتشار هذه المقابلة مع الفيغارو إلى وصول طلب فوري من صحيفة اللوموند اليسارية المنافسة، لإجراء مقابلة مفصلة مع سماحته حيث أدّى نشرها بشكل واسع، إلى كسر حالة الصمت وانطلاق الحوارات الإعلامية والمؤتمرات الصحفية العديدة خلال الأسبوع الأول من وصولنا باريس».

مع انتشار تفاصيل هذه المقابلات الصحفية والحوارات الإعلامية كان البعض من الأصدقاء يقول: «هكذا شاءت إرادة الله أن يصبح العدو سبباً للخير، حيث دفعت المضايقات التي أوجدتها الحكومة العراقية، سماحة الإمام إلى مغادرة العراق والهجرة إلى باريس. وقد توفرت هنا فرصة جيدة لإيصال نداءات سماحته وخطاباته أسرع وأفضل إلى أبناء شعبنا، بل وكل شعوب العالم».

ولادة ياسر:

غادرنا يوم السابع عشر من تشرين الأول ١٩٧٨م بيت الخالة «زهراء» إلى (مشفى طهران)، ومكثت تلك الليلة هناك، وولد ابني ياسر في اليوم التالي (١٨ تشرين الاول ١٩٧٨م)، وبعد الولادة خرجت من المشفى إلى بيت الخالة «زهراء» حيث أحاطنا الجميع هناك بمحبته، حتى لا نشعر بأي نقص أو إزعاج، كما سعوا حثيثاً من أجل التغلب على برودة البيت وتدفئته رغم أزمة الوقود التي سادت البلاد في تلك السنة.


السيدة فخر الملوك فيروزان (مادر جان) مع ياسر

وكانت والدة زوج خالتي التي كنا نسميها «مادر جان» (أمنا العزيزة) تعمد إلى ملاعبة حسن ومداعبته حتى لا يشعر بالملل.. ومن تلك الألعاب أن حسن كان قد سمع أن الجنود في معسكراتهم يقولون للضباط: (بله قربان) (نعم سيدي) وكان حسن تعلم أن يردد هذه الجملة مخاطباً (مادر جان) بالقول: نعم سيدتي؛ وكان أبناء الخالة يشاركون، أيضاً، في هذه اللعبة، بل ويستقبلون برحابة صدر الضيوف الذين زارونا بكثرة في بيتهم.

قام زوج خالتي السيد اسكندر فيروزان (الذي يسمى في البيت بمصطفى) بتصميم ساعات ثبت عليها صورة الإمام الخميني (رض) بأشكال وأحجام متنوعة بعد أن استورد محركاتها من سويسرا وأدخلها للسوق باسم (نازوريف) (القراءة المعاكسة لاسمه فيروزان).

وكانت بعض الساعات يدوية والأخرى بشكل قِلادة وذات سوارات بلاستيكية جميلة، وكانت صور سماحة الإمام تظهر بتدوير الوجه الأصلي للساعة، وكان يعتقد أن ارتداء الممرضات في المشفيات لهذه الساعات، يسبب لهم ولمرضاهم الهدوء والسكون وهو مناسب لهم جداً، كما صمم نموذجاً آخر لساعات جدارية، تم تثبيت صورة لسماحة الإمام في حالة تفكُّر على وجهها الرئيس، وكتب تحتها هذا الحديث

الشريف (تَفكُّر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة) مع الترجمة باللغتين الفارسية والإنجليزية.

لقاء المهندس بازركان مع الإمام الخميني

تزامناً مع ولادة نجلي ياسر وما صاحبها من مشاعر جياشة داخل الأسرة، كان المجتمع تسوده أجواء ساخنة من النقاشات والحوارات الاجتماعية والسياسية حول مختلف شؤون الدولة والثورة. وفي أحد تلك الأيام اتصل السيد أحمد هاتفياً ليخبر عن حدوث لقاء بين المهندس مهدي بازركان وسماحة الإمام في باريس(١).

لقد تركت تلك اللقاءات ـ أي لقاء زعماء «حركة تحرير إيران»(٢) و«الجبهة الوطنية(٣) مثل الدكتور كريم سنجابي(٤) مع سماحة الإمام ـ

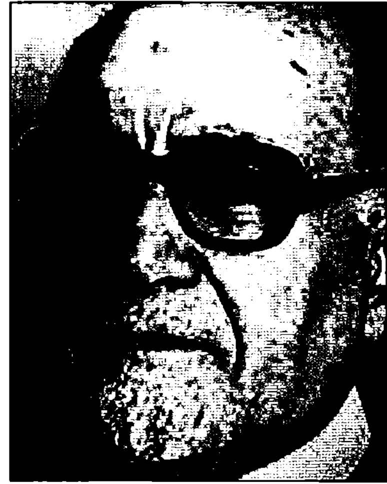
---

(١) أجرى المهندس مهدي بازركان في أواخر تشرين الأول ١٩٧٨ م، عدة لقاءات مع سماحة الإمام في باريس وتباحث معه حول مختلف شؤون الثورة والبلاد.

(٢) تأسست (حركة تحرير إيران) في عام ١٩٦١م، بعد انفصال عدد من العناصر الوطنية ذات التوجه الديني عن (الجبهة الوطنية) وتأكيدهم على الهوية الإيرانية والإسلامية. وكانت الحركة تهدف إلى النضال ضد الاستبداد ونيل الحرية المستنده إلى القيم الأخلاقية والإسلامية، وكان من أعضائها المؤسسين كل من المهندس بازركان والدكتور يد الله سحابي وآية الله طالقاني، وكان المهندس بازركان أول أمين عام للحركة. ومن أعضائها الناشطين في خارج إيران نذكر الدكتور علي شريعتي والدكتور مصطفى شمران والدكتور إبراهيم يزدي وصادق قطب زاده وغيرهم.

(٣) عرفت «الجبهة الوطنية في إيران» بأنها منظمة سياسية وطنية ناشطة في إيران وكان أول ظهور فاعل لها تجسد من خلال احتجاج عدد من أعضائها على نتائج انتخابات الدورة السادسة عشرة لمجلس الشورى الوطني، وكان من مؤسسيها الدكتور محمد مصدق والدكتور كريم سنجابي والدكتور حسين فاطمي، وكانت هذه المنظمة أنشط من غيرها خلال حادثة تأميم النفط الإيراني.

(٤) الدكتور كريم سنجابي (١٩٠٤ ـ ١٩٩٦م) سياسي وحقوقي ومن مؤسسي الجبهة الوطنية، للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الأول في نهاية الفصل.



المهندس مهدي بازركان



الدكتور كريم سنجابي

أصداء متباينة في الداخل والخارج، حيث أن مثل هذه اللقاءات، كانت تهز أركان حكومة الشاه وتثير الخوف والرعب في قلوب مسؤولي الدولة آنذاك؛ ولكنها في المقابل كانت تقلق بشدة بعض القوى والتيارات الدينية المتشددة، بسبب إمكانية تأثير مثل هذه اللقاءات على حركة الثورة والشعب الإيراني الثائر، لأنه أشيع آنذاك أن بعض هذه العناصر ومنهم المهندس بازركان، أعربوا عن قلقهم من تشدد السيد الإمام في مواقفه، وكانوا يقولون إن الناس لا يمكنهم أن يتحركوا بنفس وتيرة حركة الإمام، وكان هؤلاء يعتقدون بسياسة الخطوة خطوة.

وكان البعض الآخر يقول إن بازركان يعتقد أنه ينبغي القبول أولاً بأن يبقى الشاه على رأس الدولة ولكن دون مزاولة سلطانه، أي أن نجرده أولاً من صلاحياته الملكية وبعدها نقوم بتوعية الجيش والقوات المسلحة حتى يقوموا، فيما بعد، بمنع الشاه من التدخل في شؤون الدولة، وبالتالي نقوم بتحديد التدخل الأميركي في شؤون البلاد.

وكان البعض الآخر يضيف على ذلك بالقول: «إن الأوضاع الاقتصادية في البلاد مشلولة تقريباً بسبب الإضرابات، وأن النشاط

الاقتصادي والتجاري سيء للغاية، والأسواق معطلة، لذا لا بُدّ من المهادنة قليلاً حتى تتحسن الأوضاع الاقتصادية والتجارية نوعاً مّا ومن ثم نتابع النضال والإضرابات.. لذلك، فإن عدداً كبيراً من أنصار الإمام الخميني وأعوانه من الثوريين الذين لم يقبلوا بمثل هذه السياسة، كانوا قلقين بشدة بسبب هذه اللقاءات، حتى سمعنا أن سماحة الإمام تحدث حول هذه اللقاءات قائلاً: «لقد قلت لبعض هؤلاء السادة الذين زاروني وعرضوا فكرة (سياسة الخطوة خطوة) أي نخطو الآن خطوة، وبعد فترة نخطو الخطوة الثانية، وأكدت لهم لو إنكم ضعفتم في تحرككم، فإنهم سيكسروا أقدامكم في الخطوات القادمة! أي أنهم لن يصبروا حتى تنفذوا الخطوة الثانية[(١)].. إن هذا المنطق ليس صحيحاً، لأنكم إن توقفتم قليلاً لتستجمعوا قواكم، فإن العدو ستتضاعف قوته في المقابل مئات المرات، وحينها كيف تضمنوا أنكم ستتمكنون من إعادة حالة الثورة والاعتراض لأبناء الشعب المنتفضين ضد الطاغوت، فلو أن الشعب تراجع عن موقفه وبردت جذوة الثورة لديه، فكيف يمكنكم أن تعيدوه ثانية إلى الساحة»؟!.

وكان المهندس بازركان يقول: «ينبغي أولاً أن نجري انتخابات لنواب الشعب في مجلس المؤسسين، ثم نغير النظام الملكي بشكل قانوني».. لكن مثل هذا الاقتراح مستحيل التحقق بنظر البعض، لأنهم كانوا يعتقدون بعدم إمكانية انتخاب نواب حقيقيين للشعب من خلال انتخابات سليمة في ظل سيطرة جلاوزة الشاه على الأمور واستهدافهم للناس بالرصاص وارتكابهم المجازر الدموية.

---

(١) مقتطفات من خطاب سماحة الإمام بتاريخ ١٩٧٨/١١/١٩م، أمام جمع من الطلبة والجامعيين الإيرانيين المقيمين في الخارج؛ كتاب (صحيفة الإمام، ج ٥ ص٥٨).

اتصلتُ هاتفياً بالسيد أحمد وأخبرته بما يدور في الداخل من تحليل حول الأمور الجارية في البلاد. وقد قال إن سماحة الإمام لا زال يصر على أن الشاه يجب أن يرحل، «ولا بُدّ للنظام الشاهنشاهي أن يسقط ويتم تأسيس الجمهورية الإسلامية على أنقاض النظام الملكي». وأكد سماحته «لا بُدّ أن تُكرر هذه الأمور على أسماع الناس حتى لا تنحرف الثورة عن مسارها الصحيح ولا تبرد جذوتها».

وأضاف السيد أحمد قائلاً: «بالطبع، فإن السيد بازركان أصر على موقفه في مقابل تأكيد سماحة الإمام على نظرته للأمور واعتقاده الراسخ».

الملفت للنظر أن المهندس بازركان كان قد أعرب عن دهشته من ثقة سماحة الإمام العالية بنفسه وسكينته المحيرة وأمله بالنصر القريب. وأضاف يقول: «إن السيد الإمام في رده على اقتراحي بتأسيس مجلس المؤسسين، كان قد قال: «إن الشاه عندما سيرحل عن إيران سأعود أنا إلى البلاد، وأعين الحكومة، وأبناء الشعب سينتخبون نوابهم في المجلس».. وأكد بازركان أن سماحة الإمام طلب منه أن يعرّف إليه العناصر الملتزمة إسلامياً والواعية من مختلف المجموعات السياسية للتشاور معهم، والاستعانة بهم لمعرفة الأشخاص ذوي الصلاحية، لتمثيل الشعب في المجلس وتعريفهم للناس ليتم انتخابهم بشكل حر ومستقل.

وكان المهندس بازركان قد صرّح بعد لقاء سماحة الإمام قائلاً: إن السيد الإمام يمتلك ثقة تامة بأسلوب النضال الذي ينتهجه، ومؤمن بحتمية انتصار الثورة بشكل كامل، بحيث أنه تحدث معنا حول مرحلة ما بعد الانتصار، وينوي أن يسمح لنا بالمشاركة في إدارة البلاد وليس في النضال ضد النظام الحاكم الآن.

ولأن السيد بازركان لم يكن يمتلك الثقة التي تميز بها سماحة

الإمام، فإنه اقترح عليه مرة أخرى أن يتدخل هؤلاء المستشارون المنتخبون، بإدارة أمور الثورة، ولكن الملفت أن سماحته أصر على موقفه السابق، ولم يرفض أو يقبل اقتراح بازركان!!.

ظهور العشق والمحبة

عدت مرة أخرى إلى مدينة قُم بعد أن استرحت عدة أيام في بيت الخالة «زهراء»، حيث زارنا الكثير من الأصدقاء والأقرباء مهنئين بقدوم المولود الجديد، وقد سميته بـ (ياسر) ولم أتردد في ذلك، لأني كنت أعرف أن السيد أحمد يحب هذا الاسم، وأخبرته هاتفياً.

بعد انتهاء الزيارات واللقاءات، فكرت في وضع برنامج لي. فبالرغم من الإضرابات العامة وإغلاق أكثر المرافق والمؤسسات والمراكز، إلّا أن بعض دروس المعارف الإسلامية الحرة كانت مفتوحة، واغتنمت هذه الفرصة وشاركت فيها بعد تخصيص ممرضة لرعاية الصغير ياسر، واستعنت كذلك بالسيدة الوالدة لرعاية (حسن وياسر) عند غيابي عن البيت.

كانت الحصص الدراسية تشهد، بالإضافة للنقاشات الدراسية، حوارات جادة حول الأوضاع والمستقبل المجهول الذي ينتظر البلاد، حيث أن أكثر الحاضرين في الدروس كانوا يرغبون بتأسيس نظام يقطع أيادي الأجانب والظالمين عن البلد، ويتفاءلون بتحقق طموحاتهم وآمالهم القلبية، ولكن البعض الآخر كان يعتقد أن هذه الآمال والطموحات لا تتحقق إلّآ بظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالىٰ فرجه) وذلك بعد أن يملأ الظلم والجور كل مكان[1]، لذا، فإنهم كانوا يعتبرون

(١) تم تأسيس جمعية الحجتية في عام ١٩٥٣م، من قبل أحد علماء الدين الشيعة، للتعرف أكثر على الجمعية يمكن مراجعة الهامش الثاني في نهاية الفصل.

أن حدوث أي إصلاح أو تغيير في المجتمع، يعني العمل على تأخير ظهور صاحب الزمان (عج)؛ وكانت دائماً تجري حوارات ساخنة وجادة، بين الفريق الذي يؤمن بالانتظار الحقيقي والصحيح الذي يؤدي إلى رفع الفتنة والظلم من العالم، والفريق الآخر الذي يقف في الصف المقابل لمثل هذه الفكرة[(١)].

صور رائعة عن تعاضد الناس

مع استمرار إضراب موظفي وعمال شركة النفط الوطنية تضاعفت أزمة الوقود والمنتجات النفطية في البلاد، وكان الشباب الثوري يبذلون جهوداً كبيرة، ويتطوعون بكل شوق ولهفة، لإيصال النفط للأسر الإيرانية.

كما أن الأزقة والشوارع الفرعية كانت تشهد عصر كل يوم، تشكيل الصفوف الطويلة من البراميل الفارغة التي تنتهي عند محل توزيع النفط، وعندما يفتح المحل يقف الناس إلى جانب براميلهم للحصول على كمية النفط اللازمة للتدفئة.. وفي أحد الأيام وبعد انتظار الناس لعدة ساعات، فتح بائع النفط محله وأعلن أن كميات النفط المخصصة للتوزيع، قليلة ولن تكفي الجميع، مما تسبّب في انتشار الفوضى والضجيج بين الناس..

---

(١) خلال السنوات ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م، جرى حوار في منزل أحد الأقرباء حول جمعية الحجتية، حيث أشاد أحد الحاضرين بشخص كان قد نجح في إقناع عدد من البهائيين باعتناق الإسلام، فرد عليه شخص آخر معروف بشجاعته وصراحته قائلاً: «حتى لو أن هذا الشخص نجح في إقناع عدد من البهائيين في اعتناق الإسلام كما تزعمون، فلا بُدّ أن تصدقوا أن هذا الشخص سبب في ابتعاد المئات من المسلمين عن الإسلام بسبب سوء تعريفه للدين وعرضه أمام الناس بشكل خاطيء.

وخلال ذلك صرخ أحد الواقفين في الطابور قائلاً: «أيها الأخوة! أناشدكم بحق الإمام الخميني أن تتعاونوا فيما بينكم، بحيث يترك الطابور من عنده ما يكفيه من نفط للتدفئة هذه الليلة، ويعطي دوره للآخرين حتى لا يتعرض للأذى أي أحد منّا بسبب البرد».

وفجأة سادت في صفوف الناس الواقفين في الطابور، حالة رائعة من النشاط والإيثار جعلتني أذرف دموعي وأنا أنظر لذلك المشهد؛ فقد رأيت عدداً من الناس يخرجون من الطابور ويرفعون صوتهم بالصلوات على الرسول الأكرم محمد (ص) تحية للإمام الخميني، وهم يدعون لسلامته. وسمعت أحدهم يقول: «روحي فداءٌ لسماحة الإمام، إني لا أملك أي شيء من النفط في البيت إلّا أني خرجت من طابور المنتظرين احتراماً وتكريماً لاسم السيد الإمام».

وفي يوم آخر وبينما كنت أنتظر سيارة أجرة في الشارع اصطدمت سيارتان أمامي، ونزل السائقان من السيارتين ودخلا في جدال حاد يريد كل واحد منهما أن يثبت أن الخطأ على الآخر وأنه المقصر في حادث الاصطدام. ومع توقف السيارات حدث ازدحام مروري شديد وامتلأت أجواء الشارع بضجيج الأصوات المنبعثة من مزامير السيارات والدراجات البخارية المتوقفة بسبب هذا الاصطدام.. وفجأة خرج أحد أصحاب المحلات المحيطة بالمنطقة من محله وناشد الناس بحق سماحة الإمام الخميني أن يتفرقوا ويفتحوا الطريق أمام السيارات المتوقفة، فرفع الناس أصواتهم بالصلوات على محمد (ص) وآله الأطهار ما أن سمعوا اسم السيد الإمام، ثم طُلب من السائقَين اللذين كانا يتجادلان أن يتصالحا ويفتحا الطريق أمام الناس؛ بعدها رأيت السائق الذي تضررت سيارته أكثر يقول: «روحي فداءٌ لسماحة الإمام، وسأتنازل عن حقي ولن

آخذ أي شيء مقابل الأضرار التي لحقت بسيارتي احتراماً وتكريماً لاسم سماحته».

إن مشاهدة هذه المناظر كانت مدهشة ومحببة للغاية بالنسبة لي، حيث لم أكن أتخيل أن هذه المدينة وهؤلاء الناس، هم أنفسهم الذين كنت أراهم قبل عدة سنوات، لأنّ مشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم الحسن والجميل والصادق كانت رائعة بالنسبة لي، وقد رأيت الإيثار والقناعة وحب الإمام، وفي المقابل كره الشاه، واضح على الجميع.

وذات مرة فتحت باب الحوار والحديث مع سيدة كانت مثلي تنتظر قدوم سيارة الأجرة في الشارع وسألتها: «ماذا حدث للناس بحيث نراهم اليوم متحدين ومتآلفين معاً؟ وما هو سر اجتماعهم بكل محبة وبلا رياء ويقنعون بالقليل، رغم الإضراب السائد في كل مكان وأزمة المواد الغذائية والوقود، إلّا أننا لا نشاهد أحداً يشكو من هذه الأزمات»؟! فقالت: «إن كل ذلك بسبب عشق الناس للإمام الخميني.. ألم تسمعي أن المنازعات والاختلافات تنتهي دائماً ببركة الصلوات على النبي الأكرم (ص) بعد ذكر اسم سماحته».. قلت: «أجل، شاهدت نماذج حية لذلك، ولكني لم أكتشف سر ورمز كل هذا الحب والإخلاص لسماحة الإمام؟.. ففي السنوات المنصرمة كان هناك عدد من الأشخاص المحبين لسماحة الإمام والمناصرين بكل إخلاص له، وقبلوا بقيادته، وكانوا ينفذون أوامره بشكل تام وحاسم، إلّا أن هذه المحبة والتعلق بسماحته الآن، انتشر بين الجميع شباباً وكهولاً وطلبةً وطلاب علوم دين وكسبة وموظفين على حد سواء، حتى أن هؤلاء جميعاً يذكرون اسمه دون خوف أو خشية من السافاك، بل يجاهرون بمحبته وتعلقهم به».. فأجابتني تقول: «إن هؤلاء الناس شعروا جيداً أن الإمام الخميني تحمل السجن

والنفي وكل الصعوبات والمشاكل، في سبيل إنقاذ بلده وتحرير أبناء شعبه من الظالمين والمتجبرين، وبالتالي من أجل تطبيق العدالة والأحكام الإسلامية في المجتمع، كما أن الناس باتوا يؤمنون بصدق وإخلاص وشجاعة سماحة الإمام. لذلك، فإنهم يعشقونه، وأن مؤامرات السافاك ضده ونفيه عن بلده وإبعاده عن شعبه، لم تؤد إلى نسيانه، بل جعلت الناس يحبونه أكثر ويتعلقون به بشكل أعمق من السابق»[١].

أجل، عندما كان بيان الإمام يصل إلى إيران، فإن الناس كانوا يتناقلونه بينهم سراً بكل شوق ونشاط، دون أن ترهبهم ضغوط الحكومة وتبعات مثل هذا العمل الثوري.

في تلك الأيام اشتعلت النيران في عدد من المصارف، وكان أغلب الناس يقولون إن جلاوزة الشاه هم الذين أحرقوا تلك المصارف، وأن السافاك ينفذ مثل هذه الأعمال ليشوه سمعة الشباب الثوري، ولكن كان هناك أعداداً قليلة من الناس في المقابل، يصدقون ما تبثّه وسائل الإعلام الحكومية، وبالتالي يوجهون سهامهم للثوريين ويقولون: «لماذا يبادر هؤلاء إلى مثل هذه الأعمال»؟! وعندما نقول لهم إن تلك الأعمال لا علاقة لها بالثوريين أبداً؛ كانوا يقولون بكل بساطة ودهشة: «هل أن

---

(١) تذكرت في تلك اللحظة الصحفي الفرنسي فرانسوا لوسين جورج الذي أجرى مقابلة صحفية مع سماحة الإمام في النجف الأشرف في أيار ١٩٧٨م؛ حيث أشار في تقريره إلى الموقع الجغرافي لمدينة النجف الأشرف وتميزها بشحة المياه وحرارة الطقس ووصفها بأنها من أسوأ المناطق الصحراوية في العراق وكتب يقول: «لو أن آية الله الخميني يتميز بقدرته على تحريك الشعب الإيراني وإثارتهم، فإن ذلك يعود لتسلطه وسيطرته على أفكار وأذهان الناس، هذه القدرة على التأثير التي تضاعفت عشرات المرات بعد نفيه عن إيران عما كانت عليه في السابق».

الشاه والسافاك مجانين إلى هذه الدرجة، بحيث يعمدوا بأنفسهم إلى إحراق المصارف والحافلات و...»؟!

كانت تلك المرحلة عجيبة للغاية، فالحوارات والنقاشات بين الناس موافقين ومناوئين، كانت مستعرة في كل المجالس والاجتماعات واللقاءات في جميع شوارع وأزقة المدينة، ويتباحثون في مختلف الشؤون بكل شجاعة وشفافية.. وفي مثل هذه الأجواء المليئة بالحيوية، كانت بيانات الإمام الخميني تصل تباعاً لتفتح الطريق أمام المؤمنين والمناصرين لسماحته، لأن وسائل الإعلام الحكومية كانت لا تزال تحجب عن الناس أخبار سماحة الإمام ومظاهرات الناس الغاضبة والحاشدة، وتمنع نشرها أو بثّها مما يجعلهم يضطرون لمتابعة تلك الأخبار عبر الإذاعات الأجنبية التي كانت تبث برامجها الإذاعية من خارج إيران.

ذكرى مولد الشاه، وإعلان الحِداد العام

مع حلول يوم الرابع والعشرين من تشرين الأول في تلك السنة ١٩٧٨م، ذكرى مولد الشاه وإقامة مراسم الاحتفاء من قبل المؤسسات الحكومية وانتشار أنوار الاحتفال والبهجة على مباني هذه المؤسسات، انزعجت جماهير الشعب من ذلك بشدة، وأظهروا غضبهم ورفضهم لتلك الاحتفالات من خلال رفع شعارات ثورية منها: (أن يوم مولد الشاه هو يوم عزائنا وحِدادنا الوطني)، وفي المقابل أرسل الرئيس الأميركي كارتر[١]، برقية تهنئة للشاه بهذه المناسبة، أعلن خلالها تأييد دولته

---

(١) جيمس إيرل كارتر المعروف بجيمي كارتر هو الرئيس الأميركي خلال أحداث الثورة الإسلامية في إيران، للتعرف أكثر يمكن مراجعة الهامش الثالث في نهاية الفصل.



الشاه وكارتر

للشاه، وأن العلاقات بين البلدين ستبقى قوية ومتينة، مما أدّى إلى زيادة غضب الناس وانزعاجهم، وراحو يرددون في مظاهراتهم هذا الشعار (إن علاقة الشاه وكارتر الحميمة أشبه بالعلاقة بين اللص والقاتل).

كما أعلن سماحة الإمام من باريس، أن هذا اليوم هو يوم حِداد عام في البلاد، وقال: «إن هذا اليوم هو في الواقع مبدأ كل ما أصاب الشعب الإيراني المظلوم من آلام ومصائب».

وقد سمعت أن عدداً من علماء الحوزة العلمية، طلبوا من الناس أن يرتدوا الملابس السوداء، وأن يرفعوا الرايات السوداء في هذا اليوم خلال تظاهرهم في الشوارع، حيث أرعب هذا الحضور الجماهيري الغاضب وموقف علماء الدين التاريخي، بشدة، نظام الشاه آنذاك.

تغيير الحكومة

أُعلن آنذاك عن تشكيل حكومة جديدة سميت بحكومة (المصالحة الوطنية) برئاسة (جعفر شريف امامي)[(١)]، وكان الشاه يسعى من خلال ذلك إلى أن تنجح الحكومة الجديدة في إخراج النظام الملكي من الطريق المسدود الذي وصل إليه؛ إلّا أن (شريف امامي) فشل في ذلك، حيث أعلنت خلال ذلك الأحكام العرفية، وارتكبت مجزرة السابع من أيلول عام ١٩٧٨م في ساحة الشهداء (جالة).. وقد استقال شريف امامي في الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٨م وعين الشاه محله الجنرال ازهاري[(٢)] رئيس الأركان المشتركة للقوات المسلحة، رئيساً للحكومة الجديدة بتاريخ الخامس من تشرين الثاني ١٩٧٨م، ولم يعجب الشعب الثائر هذا التعيين، لأنه كان ينبىء عن قمع شديد لأبنائه وارتكاب مجازر جديدة، إلّا أن الجماهير رغم كل ذلك، حافظت على نشاطها الثوري وحضورها في الساحة، حيث كانوا يشعرون أن بإمكانهم بفضل قيادة سماحة الإمام، تغيير مستقبل بلدهم وتعيين مصيره، لذلك أظهروا رد فعل سريع وغاضب ضد الحكومة الجديدة ونزلوا بقوة إلى الشوارع معلنين عن رأيهم الصريح بالجنرال ازهاري وحكومته من خلال رفع هذا الشعار «الكلب الأصفر شقيق الثعلب، ومستحيل أن تتشكل حكومة ازهاري».

---

(١) جعفر شريف امامي (١٩١٠ ـ ١٩٩٩م) كان رئيساً لمجلس الأعيان لخمس عشرة سنة واستمرت حكومته من ٨/٢٦ وحتى ١٩٧٨/١١/٤م، وخلال هذه الأشهر من حكومة شريف امامي تم حل حزب (رستاخيز) (البعث الإيراني) وتغيير التقويم الشاهنشاهي إلى التقويم الشمسي، وقد حذر سماحة الإمام الناس من مغبة الانخداع بهذه التغييرات الظاهرية وحرّم استخدام هذا التقويم.

(٢) الجنرال غلام رضا ازهاري (١٩٠٩ ـ ٢٠٠١م،): لم تنجح هذه الحكومة العسكرية في قمع الثورة أيضاً؛ وأعلن فيما بعد أنه تعرض لنوبة قلبية واستقال من رئاسة الوزراء وسافر إلى أميركا.



غلام رضا أزهاري



جعفر شريف أمامي

وهكذا، فإن الجماهير الإيرانية الثائرة واصلت رفع شعاراتها الثورية في المظاهرات اليومية نهاراً، وكذلك مساءاً من على سطوح المنازل حيث كانت تردد شعارات عديدة مثل: الله أكبر؛ الموت للشاه، لا حزب إلّا حزب الله، ولا قائد إلّا روح الله. وفي نفس الوقت توجه أشد انتقاداتها لنظام الشاه، وكانوا يرددون، أيضاً: (إننا نقول لا نريد الشاه فيغيرون رئيس الوزراء، نحن نقول لانريد الحمار فيغيرون لجامه).

وفي المدن، اعتاد شباب كل محلة الاجتماع مساء كل يوم وإشعال النار وترديد شعارات مستوحاة من أحداث ذلك اليوم، بل وكان البعض منهم يقوم بتنظيم وترديد شعارات ثورية باللهجات المحلية لكل مدينة(١).

---

(١) بالإضافة إلى الشعارات الرئيسية التي اعتاد الجميع ترديدها في كافة المدن والمناطق الإيرانية، اعتاد الناس في بعض المدن ومنها مدينة قُم، على تنظيم وترديد شعارات باللهجة المحلية ومستوحاة من ثقافة وتقاليد وأعراف كل مدينة ومنطقة وكانت غالباً تردد بشكل جميل وملفت.. فمثلاً كان أبناء مدينة قم يرددون=

لم نكن نملك آنذاك جهاز تلفاز، ولكني سمعت أن الشاه ظهر على الشاشة وخاطب الناس قائلاً: «لقد سمعت صوت ثورتكم[١]؛ تعالوا لنتكاتف معاً ونتعاضد لنفكر في مستقبل إيران ونعوض عن الماضي».

إن تغيير الحكومة وتعيين حكومة عسكرية وتطبيق الأحكام العرفية في إيران للحفاظ على أركان الاستبداد الهزيلة لم تنجح في إحداث أي تغيير في حركة المجتمع الإيراني، فالأجواء التي كانت سائدة في المدينة تميزت بالفوضى والضجيج وكانت مليئة بالحوادث؛ كما أن الشعارات والمظاهرات الشعبية الحاشدة أدّت شيئاً فشيئاً، إلى إحباط أي أمل كان يراود السياسيين الذين كانوا يأملون بإجراء إصلاحات مع بقاء الشاه على رأس الدولة.

بعد تشكيل حكومة ازهاري اتصلتُ بالسيد أحمد الذي قال: «إن كل شخص هنا يقول ما يشاء ويحلل الأمور طبقاً لرأيه، إلّا أن سماحة الإمام لا زال قوياً ومصمماً على رأيه ويقف بكل صلابة واستقامة ويقول: «يجب الصمود بكل قوة أمام الإستكبار وظلم الظالمين؛ ويوصي الجميع أن لا يضعفوا أو يَهِنوا أمام الأعداء، لأن هذه الحكومة لن تستمر أكثر من عدة أيام». وأضاف السيد أحمد: حقاً إن شخصاً مقاوماً بعمر الإمام وبهذه القوة يستحق التقدير والاحترام».

صدرت الأوامر في إحدى الليالي، ولأسباب مجهولة، من قبل جلاوزة النظام المستبد لعناصر الجيش والأمن أن يغادروا بدباباتهم مدينة

= هذا الشعار باللهجة القُمّية الجميلة: «نحذرك يا ابن رضا (الشاه محمد رضا بهلوي)، نعطيك وقتاً للفرار حتى عاشوراء، فعليك أن تأخذ معك فرح (زوجة الشاه) وأولادك وتهربوا معاً... وغيرها...

(١) كان ذلك بتاريخ ١٩٧٨/١١/٦ م.

قُم، وبعدها خرج الناس إلى الشوراع فرحين احتفاءاً بهذه المناسبة وبادروا إلى تنظيف شوارع المدينة، لأن جميع المؤسسات والمراكز الحكومية ومنها عمال البلدية، كانوا مضربين عن العمل آنذاك؛ وقد ذرفتُ الدموع عندما شاهدت مناظر رائعة لتعاون وتعاضد أبناء مدينة قُم في خدمة بعضهم الآخر.

ولم تتأخر النساء عن هذه المهمة حيث شاهدت نساء قُم ينظفن الشوارع والأزقة والأرصفة، وهن يرتدين الشادور جنباً إلى جنب الرجال الذين كانوا يجمعون الأنقاض والأتربة والحجارة وينظفون قنوات المياه في المدينة.. وبعد فترة زمنية قصيرة تنظفت المدينة ورفعوا صور الإمام الخميني ووزعوها على الأشجار والجدران، إلّا أن ذلك لم يستمر طويلاً حيث عاد الجنود والعساكر ثانية إلى المدينة وانتشرت الدبابات والمصفحات مرة أخرى في شوارعها.

وهكذا كان أبناء الشعب يقضون أيامهم في تلك المرحلة التاريخية الحساسة، وقد اعتادوا فيها على المشاركة الفاعلة في المظاهرات اليومية، وكانوا يرددون الشعارات الثورية عندما يمرون أمام قوات الحرس الملكي المدججين بالسلاح والمنتشرين في الشوارع. وكانت هذه الشعارات والمظاهرات تثير أحياناً، أعصاب بعض هؤلاء الحرس، فيطلقون الرصاص في الهواء لإرعاب الناس الذين كانوا يرفعون أصواتهم وهتافاتهم أكثر رداً على ذلك، ويصرخون بقوة: «الثورة مستمرة حتى موت الشاه، وستتواصل حتى لو أمطرونا بالرصاص مساءاً ونهاراً». والبعض الآخر كان يهتف: «لا تأثير بعد اليوم لقذائف المدفع ورصاص البنادق حتى لو انهالوا علينا ضرباً بالرصاص في الليل والنهار».

وكانت بعض الشعارات الجماهيرية تحذر الجنود من مغبة

استهداف أبناء الشعب بالرصاص الذي تم شراؤه من أموال النفط وهو ثروة وطنية تعود للشعب الإيراني، وتدعوهم للامتناع عن ذلك.

وفي أحد الأيام خطب ازهاري قائلاً: «إن أصوات (الله اكبر) التي ترتفع مساءاً من على سطوح المنازل، ليست سوى أصوات تُبَث من مكبرات الصوت لأشرطة مسجلة ويتم بثها في أوقات معينة من الليل».. وعندما سمع الناس هذا الكلام انزعجوا بشدة ونزلوا إلى الشوارع بشكل أوسع وردوا عليه مستهزئين بكلامه من خلال ترديد هذا الهتاف: «أيها المسكين ازهاري، هل هذا الصراخ الذي تسمعه هو تسجيل أيضاً»؟! ويصفونه بأقبح الصفات.

وأصبحت المشاركة في المظاهرات من قبل بعض الناس كأداء الصلاة الواجبة، وكانوا يقولون: سنبقى في الشوارع طوال اليوم ولن نعود إلى بيوتنا إلّا في المساء ولا يهمنا تناول الطعام أبداً، كما كانت أكثر المحلات مغلقة ويقوم أصحابها بفتحها أحياناً ويوزعون بضائعهم على المتظاهرين، ويقوم البعض الآخر بإعداد وجبات طعام بسيطة ويوزعونها بين المتظاهرين.

كذلك كانت المشافي تستقبل المصابين بسبب إطلاق النار عليهم في المظاهرات، وكان الناس يهرعون لتقديم أي نوع من المساعدات والمواد الطبية والأقمشة النظيفة ووسائل التضميد التي يحتفظون بها في منازلهم.

ومن الأعمال الثورية الأخرى التي كان الشعب الإيراني يقدم عليها في تلك الأيام، إعداد (قذائف المولوتوف) الحارقة أو ملء أنابيب معدنية ثلاثية الأضلاع بالمتفجرات ورميها على الدبابات المستقرة في المدن لتخريبها ومنعها من تصويب مدافعها نحو الجماهير العزلاء.

كذلك، فإن الكهرباء كانت تقطع في المدن بسبب إضراب الموظفين والعمال المتضامنين مع الثورة الإسلامية، وكانت الكهرباء تقطع غالباً مع بث نشرة الأخبار المسائية التي لا تغطي حركة الجماهير وثورتهم ضد النظام الملكي، ولا تذكر شيئاً عن الإمام، في المقابل كان البعض لا يزال يصدق الأخبار التي تبثها الإذاعة والتلفزة الحكومية، وكانوا يتساءلون: «ما فائدة هذه الإضرابات؟ ولماذا ينزل أبناء الشعب إلى الشوارع ليعطلوا حركة المرور»؟ وكان البعض الآخر يقول بكل صراحة: «إن الإمام الخميني لا يرضى حتماً على مثل هذه الإضرابات التي يقوم بها موظفو الحكومة»!!.

ومع إضراب موظفي الحكومة، لا سيّما موظفي وزارة البريد والهاتف، فإن مهمة إيصال نداءات سماحة الإمام إلى الشعب أصبحت صعبة، لذا اتصل عدد من موظفي مؤسسة الاتصالات مع سماحته وسألوه عن واجبهم في مثل هذه الظروف، فقدم السيد الإمام شكره لهم لشعورهم بمسؤوليتهم حيال الشعب والدولة، وقال سماحته: «ينبغي الحضور بشكل متناوب إلى المراكز الحكومية المعنية بهذه المهمة مع رعاية الاحتياطات الأمنية، حتى لا ينقطع الاتصال بين طهران وباريس، وفي الوقت ذاته لا يؤثر ذلك سلباً على حركة الإضرابات في البلاد».

في الوقت الذي كان المستشارون الأميركان يسعون فيه من أجل إنقاذ الشاه وحكومته من غضب الجماهير، وفي ذات الوقت التصدي للثوريين وإحباط نشاطاتهم، كان الجميع يخشى من حدوث انقلاب عسكري ينفذه الجيش الشاهنشاهي، ولكن استباقاً لمثل هكذا خطوة، عمد رجال الثورة إلى بث نداء الإمام الخميني للجيش عبر مكبرات المساجد، حيث حذرهم سماحته من مغبة الانخداع وتنفيذ أوامر الأجانب ويهاجموا أبناء الشعب، وفي المقابل دعا السيد الإمام الناس

إلى احتضان عناصر الجيش والتعامل الحسن معهم، فبادرت الجماهير إلى نثر الزهور على الجنود والهتاف بشعارات سلمية وجذابة لهم والتأثير الإيجابي على معنوياتهم.

وفي أحد الأيام أعلن وزير الخارجية الفرنسي أن السيد الخميني يمكنه البقاء في فرنسا دون الحاجة إلى تأشيرة الإقامة، مما دعا أبناء طهران حال سماعهم هذا النبأ، إلى نثر الزهور على مبنى السفارة الفرنسية في طهران؛ وأصبح الفرنسيون يتجولون في شوارع طهران بحرية دون خوف، خلافاً للاميركيين والبريطانيين المقيمين في طهران.. وعندما كان السفير الفرنسي يشاهَد بسيارته في شوارع طهران، كان يُستقبل بحفاوة من قبل الناس وهم يهتفون بالحياة للإمام الخميني، وكذلك للرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ويعبرون عن فرحهم بهذا الشكل.. كما طالب المراجع والأحزاب والجامعيون، الحكومة الفرنسية أن تستضيف سماحة الإمام بالشكل الذي يستحقه.

كذلك سمعت يوماً أن الإمام الخميني خطب في عدد من الطلاب الجامعيين في باريس، وقد اتصلت بشقيقي السيد صادق وطلبت منه قراءة مقتطفات من ذلك الخطاب، فكان كالآتي: «إن إيران تسودها الآن حالة من الفوضى غير المسبوقة، حيث أن شيطاناً يستهدف أرواح الناس ويقتل الأبرياء إلّا أن الشعب الإيراني يواصل صموده، وأن هذا النوع من الجهاد والنضال، لا سابق له أبداً.. إن الشعب الإيراني قد استيقظ، وأن هذه الصحوة كانت بفضل الله سبحانه وتعالى.. وعندما نصّب البريطانيون في تلك الأيام «رضا خان» (والد الشاه الأخير) ملكاً على إيران، بدأت عملية قمع المثقفين والعلماء والملتزمين دينياً؛ إلّا أن رضا خان لم يُرائي أبداً، بل ضرب بحرابه الشعب الإيراني.

«واليوم، فإن خيراتنا تصب في جيوب الأميركان والبريطانيين، وهم ينهبون نفطنا ويزعمون أنهم يريدون إنتاج الطاقة الكهربائية من أشعة الشمس، بينما يعجزون عن إشعال مصباح زيتي.. لن نسمح أن تنهب أميركا نفطنا، ولا للاتحاد السوفيتي أن ينهب غازنا، ونحن لا حاجة لنا بأي قيّم».

وأضاف السيد صادق يقول: «إن الأجواء السائدة هنا مدهشة حيث نعيش لحظات مثيرة ورائعة، كما أن السيد أحمد منشغل للغاية».

أجل، كان الناس آنذاك في أوج النشاط الثوري والتحرك الفاعل ولا يصغون إلّا لإرشادات وأوامر قائدهم الإمام الخميني (رض) وكانوا يشعرون مع كل نداء أو بيان يصلهم من سماحته، أن أيام سقوط النظام البهلوي تقترب. حيث أن الناس سمعوا من السيد الإمام مع بدء انطلاق نهضتهم، إن على الشاه أن لا يرتكب جرائم ويطبق القوانين الإسلامية، ولكن بعد إيغاله في الجرائم الدموية وسفكه للدماء، قال سماحة الإمام: «على الشاه أن يرحل».. والآن يسمعون أن سماحته يوجه سهامه مباشرة إلى أميركا ويقول بوجوب اجتثاث جذور أميركا من إيران، والناس يفهمون الآن جيداً، إن الانقياد لزعامة الإمام الخميني تعني تحقيق النصر، وإن المذابح والمجازر الدموية التي يرتكبها جلاوزة الشاه، رسخت إيمانهم وضاعفت عزمهم على المضي في طريقهم، لأن أبناء الشعب يؤمنون بما يتحدث به الإمام الخميني ويثقون بسماحته بشكل تام.

وعندما أعلن سماحة الإمام في خطاباته أن الشعب الإيراني انتفض وقام بثورته ويطالب بحقه الآن، فإن أية قوة لا يمكنها أن تقف بوجهه. وهو يبشر أبناء شعبه أنهم سيحققون أهدافهم إن شاء الله إن تعاضدوا معاً وتكاتفت أيديهم كما هم عليه الآن وستصبح البلاد لنا.

وبهذا، فإن أبناء الشعب فرحوا كثيراً، لأن سماحة الإمام وعد الناس بالنصر القريب، في الوقت الذي كان فيه البعض لا يصدق ذلك ويعتبره بعيد المنال.

سقوط الشاه والخطر الشيوعي

حذر الإمام الخميني في أحد خطاباته من أن السافاك يسعى من خلال دفع مبالغ طائلة لبعض الأشخاص، ليرفعوا شعارات شيوعية داخل الوسط الجامعي أو في أماكن أخرى، لينخدع أبناء الشعب المسلم والمؤمن بمقولة أنه لو سقط الشاه، فإن النظام الشيوعي سيكون هو النظام البديل عنه. وأكد سماحته أن هؤلاء الأشخاص هم عملاء السافاك، وأن أبناء الشعب هم مسلمون ويسعون من أجل تطبيق الأحكام الإسلامية وشعارهم (الجمهورية الإسلامية)، فلماذا يصبحوا شيوعيين[١]؟!.

مع اقتراب شهر محرم تضاعفت حركة الجماهير وازداد نشاط الناس، بهدف إسقاط النظام الطاغوتي كما ازداد الضغط في مقابل ذلك، وكان جلاوزة حكومة ازهاري العسكرية، لا يتورعون عن استهداف الناس في الشوارع إلى أن أصدر سماحة الإمام بياناً موجهاً إلى الشعب الإيراني الثائر، تزامناً مع الأول من محرم[٢]، جاء في جانب منه:

---

(١) كانت المهمة التي كلّف بها الجنرال روبرت هايزر المستشار العسكري الأميركي، تتضمن السعي من أجل المحافظة على الهيكل التنظيمي للجيش الشاهنشاهي، فضلاً عن تشجيع الجيش على دعم حكومة بختيار.. حيث ذكر هايزر في مذكراته أن الشيوعيين يقودون حركة الجماهير وينظمون صفوفهم خلال الثورة.

(٢) الأول من محرم ١٣٩٩ هـ. ق تزامن مع تاريخ الأول من كانون الأول عام ١٩٧٨م.

«... لقد تأثرت كثيراً بالأخبار المؤلمة التي وصلتني من أنحاء إيران العزيزة ونحن في مطلع شهر محرم؛ حيث أن هذه الأخبار حول أحداث ليلة أمس واليوم، تشير إلى الأبعاد الواسعة لجرائم الشاه والحكومة الباغية، وفي المقابل تؤكد شجاعة وبطولة الشعب الإيراني الغيور والذي لا نظير له أبداً..»[١]

كما جاء في جانب آخر من البيان:

«إن هذا الشعب هم شيعة لأعظم رجل في التاريخ، الذي فجر نهضة عاشوراء مع عدد ضئيل من أنصاره، والتي أدت إلى دفن الأسرة الأموية إلى الأبد في مزبلة التاريخ؛ حيث أن الشعب الإيراني العزيز والسائر في طريق الإمام الحسين (ع) سينجح إن شاء الله بدمائه السخية، في دفن الأسرة البهلوية الشيطانية في مزبلة التاريخ، ويرفع لواء الإسلام في أنحاء إيران.. بل وفي شتى الدول والمناطق»[٢].

وفي هذا النداء طلب سماحة الإمام من الجنود أن يهربوا من معسكراتهم، وشكر المضربين عن العمل، ودعاهم إلى مواصلة الإضراب العام حتى إسقاط الخونة الباغين.

مع انتشار هذا النداء، هرب عدد من الجنود من معسكراتهم؛ وقد التقيت بأم أحد هؤلاء الجنود التي قالت إن ابنها هرب خارج إيران وأرسل لها رسالة أشار فيها إلى أنه اطلع على نداء سماحة الإمام في داخل المعسكر، ولم يتردد في الاستجابة لطلب سماحته وهرب من المعسكر.. وأعلن الناس تضامنهم مع الجنود الهاربين من خلال رفع شعار: «أيها الجندي الهارب، أنت حقاً (الحر) في هذا الزمن».

---

(١) كتاب (صحيفة الامام)، ج ٥ ص ١٥٢.

(٢) نفس المصدر، ص ١٥٣.

النقطة المهمة الأخرى في النداء، هي مخاطبة سماحة الإمام المراجع وتذكيرهم بمسؤولياتهم حيث قال: «إننا مسؤولون جميعاً أمام الله سبحانه وتعالى وأن كل ضعف أو تساهل في هذه المسؤولية يعني مساعدة النظام الظالم والتفريط بدماء المظلومين»[١].

بعد هذا النداء الهام، بادر عدد من علماء الدين المجاهدين في طهران، ومنهم آيات الله العظام السادة طالقاني ومطهري وبهشتي ومفتح، إلى إجراء الاستعدادات اللازمة، والحث المؤكد، على إقامة المظاهرات الكبرى في تاسوعاء وعاشوراء الإمام الحسين، ودعوة الناس للمشاركة فيها.. كما قام الصحفيون والمراسلون المتجمعون في نوفل لوشاتو، بإجراء مقابلات صحفية وإعلامية عديدة مع سماحة الإمام ركزوا فيها على حوادث إيران وسقوط الشاه، ومعالم الحكومة المستقبلية في إيران، وعدم مهادنة الشيوعيين وغيرها.

وهكذا عجز الشاه والحكومة العسكرية بزعامة ازهاري، عن مواجهة الأمواج البشرية الهادرة في الشوارع.

مظاهرات تاسوعاء وعاشوراء

أخبرني السيد أحمد في اتصال هاتفي أجراه معي، أنه يحب أن يشارك أبناؤه في المظاهرات التي ستنطلق يومي تاسوعاء وعاشوراء (التاسع والعاشر من محرم ١٣٩٩ هـ. ق) في طهران؛ كذلك طلب من السيد لاهوتي أن يساعدنا في الانتقال من قُم إلى طهران للاشتراك في مظاهرات العاصمة..

---

(١) نفس المصدر، ص ١٥٤.

ومن وحي اللحظة، مازح السيد لاهوتي السيد أحمد قائلاً: «هل تظن أنك تريد إرسال جنديين قويين ومؤثرين إلى ساحة المعركة»؟!.

وهكذا التحقنا (أنا وحسن البالغ من العمر سبع سنوات وياسر الذي بلغ عمره أربعين يوماً)، بصفوف المتظاهرين من أبناء الشعب الذين ملأوا الشوارع، وهم يرددون بلا خوف ولا وجل، هتافات (الموت للشاه)، ويدعون بكل قوة، إلى عودة الإمام إلى أرض الوطن، وكانت مشاعر الناس المتوقدة والمستعرة والغاضبة، ملفتة للنظر ومدهشة للغاية، حيث تمنيت حينذاك أن يكون سماحة الإمام والسيد أحمد معي ليشاهدا عن كثب هذه الأمواج البشرية الثائرة في شوارع طهران.

وفجأة ظهرت طائرات مروحية تابعة للجيش الملكي فوق رؤوسنا في سماء ساحة شهياد (ساحة الحرية حالياً)، وكنا نظن أنهم سيقصفون المتظاهرين كما حدث في الأيام السابقة؛ والبعض قال: «لقد ركب الشاه إحدى هذه الطائرات ليشاهد بعينيه جموع المتظاهرين من الجو»[١]؛ كما أن بعض المتظاهرين، الذين كانوا قد لجأوا للاحتماء تحت البرج الذي يتوسط الساحة، أعطوا أماكنهم للآخرين، وتم تبادل الأماكن بين الكهول والشباب وبالعكس، وهم يظنون أن الاحتماء تحت سقف البرج يحميهم من الرصاص إن أطلق من قبل الطائرات، وأصروا

---

(١) أشار المشير فردوست في مذكراته أن الشاه كان يستقل إحدى تلك الطائرات المروحية برفقة ازهاري، وعندما شاهد الحشود الكبيرة من الجماهير في الشوارع خاطب ازهاري مرتعباً: «ما دام المعارضون لي قد ملأوا جميع شوارع طهران، إذن أين المؤيدون لي»؟ فأجابه ازهاري: «إنهم في بيوتهم».. بعدها قال الشاه بإحباط: «إذن ما جدوى بقائي في هذا البلد»؟ أجابه أزهاري: «هذا يعود لرأيكم وقراركم».

عليّ أن احتمي بالبرج عندما شاهدوني برفقة الطفلين، ولكن لم أشعر لديهم أي خوف أو رهبة أبداً.

رأيت في ذلك اليوم امرأة عجوزاً وضعت قطعاً صغيرة من النقود المعدنية (ريالين) أمامها لتعطيها لمن يريد أن يستخدم الهاتف للاتصال بأهله وقالت: «هذا ما أستطيع أن أقدمه من عون». أجل، لقد كان حضور الناس الحاشد في ساحة الجهاد مفعم بالعشق الثوري، يتجسد فيه الإخلاص والعشق والمحبة والوفاء، مستلهمين الشجاعة من أنصار الإمام الحسين (ع) الأوفياء في ليلة عاشوراء، فلم أشاهد أي شخص يشكو من برودة الطقس ولا من الجوع، بل عبّر الجميع عن تعلقهم وعشقهم الخالص، من خلال رفع شعارات رائعة مثل (تحية للخميني الإمام) و(نهضتنا حسينية، وقائدنا الخميني) وغيرها.

بعد انتهاء مظاهرات عاشوراء اتصلت بالسيد أحمد وأخبرته بتفاصيل الحضور العظيم لأبناء الشعب في تلك المظاهرات، فقال السيد أحمد: «لقد أجرى سماحة الإمام اليوم مقابلة مع مراسل أمريكي الذي قال لسماحته: «إن الآلاف تظاهروا اليوم في طهران وهم يرفعون صوركم ورددوا شعارات ضد حكم الشاه، هل أنتم توافقونهم»؟ أجابه الإمام: «بالطبع أنا أوافقهم بشكل تام، لانهم أثبتوا لأميركا من خلال هذه المظاهرات، أن حكومة الشاه غير قانونية، ولا بُدّ أن يرحل الشاه، ولا طريق أمامه سوى ذلك.. لان الشاه لم يصبح ملكاً بفضل أصوات الناس له، ولا بُدّ أن يتنحى عن الحكم وسنقيم بعد رحيله، جمهورية إسلامية بالاستناد لأصوات الشعب والقوانين الإسلامية».

وأضاف السيد أحمد يقول: لقد أصدر سماحة الإمام بياناً بمناسبة مظاهرات تاسوعاء وعاشوراء حاولي أن تستمعي إليه.. وأكد

أن سماحته قال: «إن المظاهرات العظيمة للشعب الإيراني كانت في الواقع استفتاءاً شعبياً ضد الشاه ودليلاً على عدم امتلاكه أية قاعدة شعبية، وفي المقابل أشاد المتظاهرون بكل من يرفع راية التوحيد ويجدد البيعة مع سيد الشهداء (الامام الحسين (ع)).

وهكذا، فإن بيان سماحة الإمام الخميني حدد واجبات جميع أبناء الشعب في مثل هذه الظروف.. وأهم ما يميز خطابات وبيانات سماحة الإمام هو أن الجميع يفهمها، سواء كان متعلماً أو أمياً، لأن كلام الإمام الصريح والشفاف، لا يحتاج إلى تفسير أو تحليل، فكل من يسمعه يفهم مقصود سماحته من كل كلمة يقولها.

وفي البيان ذاته أعلن سماحة الإمام أن زعماء العالم عليهم أن يفهموا أن أية حكومة تساند الشاه بعد اليوم، فإنها ستحرم نفسها مستقبلاً من النفط الإيراني.

كما طلب من الحكومة والشعب الأميركي أن يستجوبوا كارتر. ودعا سماحته الضباط الشباب أن يلتحقوا بصفوف الشعب، وفي المقابل دعا أبناء الشعب أن يحتضنوهم ويوفروا الأمن لهم.

كذلك دعا سماحته الشعب الإيراني أن لا يهتم في هذه المرحلة التاريخية الحسّاسة، بما ينادي البعض إليه من سكوت وصمت عن معرفة أو جهل حيال الأحداث الجارية في البلاد، وأن يواصل جهاده المقدس.

ودعا أبناء الشعب إلى التعاون فيما بينهم لإيصال أخبار الثورة والجهاد، بأي وسيلة ممكنة في ظل الظروف التي تمر بها البلاد من إضرابات عامة وصعوبة الاتصال بين المدن.

فبالرغم من العقبات التي كان يضعها النظام الحاكم للحؤول دون

وصول نداءات سماحة الإمام إلى أبناء الشعب، وبالرغم من قلة الإمكانات آنذاك، إلّا أن تلك النداءات كانت تصل بسرعة مذهلة إلى أسماع الناس، فكل فرد من أبناء الشعب تحوّل إلى وسيلة إعلام فاعلة وعلى أهبة الاستعداد لإيصال نداء الإمام إلى الآخرين وأداء تكليفه الشرعي بهذا الشأن.

بالطبع كان هناك بعض الأفراد الذين لم يقتنعوا بشكل تام، ويضعون علامات الاستفهام أمام التحرك الجماهيري، ويركزون على بعض المنخرطين في صفوف الثورة من غير الملتزمين دينياً، ويعربون عن قلقهم حول مصير الثورة بسبب وجود مثل هؤلاء الأشخاص بين المتظاهرين، وكانوا يقولون: «إن البعض ممن يرفع راية الثورة غير ملتزم دينياً».. أو يقولون: «إن قُطعت يد أمريكا من إيران، فإن اليد السوفيتية الشيوعية ستحل محلها، وبالطبع، فإن الاتحاد السوفيتي الشيوعي أسوأ وأخطر من أمريكا المسيحية».. وعندما كنا نقول لهم لماذا يجب أن نفترض أن يأتي أحد من الخارج؟ كانوا يقولون: «إنكم لا تملكون قدرة إخراج الشاه من البلاد إلّا أن تطلبوا العون من الاتحاد السوفيتي، وبهذا يتغلغل داخل إيران».

بالطبع، من المؤكد أن جميع الأشخاص الذين كانوا ينزلون للشارع ويرفعون شعاراً واحداً هو (الموت للشاه)، لم يكونوا ذوي عقائد وأفكار واحدة، رغم أن مقارعتهم للشاه هي التي كانت تجمعهم.. وهذا يعني أن الجميع كانوا في جبهة واحدة رغم اختلافهم في العقائد والأفكار، وأن هذه الحالة من الاتحاد بين التيارات المختلفة، كانت تثير قلق بعض الملتزمين دينياً؛ وكنا نقول لهم: «إن هذا البعض الذي ترونه غير ملتزم دينياً هو، أيضاً، يحب وطنه، وأن حب الوطن هذا يمكنه أن يشكل عامل تضامن معهم لخوض النضال ضد الشاه الظالم ومقارعته معاً.

وهكذا كانت الأيام تمضي وكانت الأوضاع السائدة في المدن وأنحاء البلاد ملفتة للأنظار، فالناس رغم حالة الإضراب العام المطبق في كل مكان، والنشاط الثوري السائد، إلّا أنهم كانوا منشغلين في أداء أعمالهم اليومية.. فمثلاً، مجالس العقد والزواج كانت تقام في المدن، إلّا أن أغلبها كان يقام بشكل بسيط ودون مظاهر البذخ والإسراف وبمهر بسيط للغاية.

كما أن لوازم الزواج الضرورية كانت تجهز بشكل بسيط وحسب الضرورة، وكان التغيير واضحاً على عادات الناس وأعرافهم في مثل هذه المناسبات، وقلما كان الحديث بين الناس يدور حول أزياء الملابس وغيرها من الأمور غير الضرورية.

وكانت أغلب النساء يحضرن إلى مجالس الأفراح بملابس بسيطة لا تثير الانتباه. وفي المقابل كانت حالة الإخلاص والصفاء سائدة بين الناس. وكانت الحوارات غالباً، حول القضايا المهمة التي تدور أحداثها في البلاد، حتى الأشخاص من ذوي الثقافة والتعليم المحدود، كانوا يحللون الأمور بشكل صحيح ويتناقلون فيما بينهم خطابات سماحة الإمام ونداءاته، فضلاً عن خطابات وكلمات أبرز الشخصيات الثورية.

حرية النساء

سمعت يوماً أن سماحة الإمام تحدث في إحدى مقابلاته الصحفية عن حرية النساء، وقد أحببت كثيراً أن أستمع إلى أصل الخبر، لأن الإذاعة والتلفزة الرسمية الإيرانية لم تكن تبث أي شيء حول السيد الإمام والثورة.. لذلك لجأت لإذاعة (بي بي سي) البريطانية حيث ذكر مراسلها أن الإمام الخميني قال «إن النساء والرجال متساوون في الأعمال والنشاطات السياسية والاجتماعية، بالطبع فإن هناك أحكاماً

خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال، وهذا لايعني أن الإسلام فرّق بين النساء والرجال، فهم أحرار في الدراسة والتحصيل العلمي ودخول الجامعات والادلاء بأصواتهم أو ترشيح أنفسهم، إلّا أننا نعارض ما قاله الشاه في أن منزلة المرأة تأتي من جمالها وصفاتها الأنثوية(١)، ولكننا لا نعارض النشاط الاجتماعي للنساء».

الشوق للأحبة

وهكذا كانت الأيام تمضي واشتياقنا أنا وحسن لـ (بابا أحمد) يزداد يوماً بعد آخر، وبدوره كان السيد أحمد يفصح عن شوقه لنا، وبالأخص رغبته في رؤية وليده الذي لم يشاهده، وفي الوقت ذاته كان يتحدث إلينا عن بيتهم الصغير ومصيرهم المجهول ومهامه الكثيرة والمتنوعة هناك، ولكنه رغم كل ذلك كان يرغب أن أسافر إليهم إن كنت مستعدة لتحمل وضعهم غير المستقر في باريس.. بالطبع مع وجود احتمال آخر، وهو أن يرغم سماحة الإمام على مغادرة فرنسا ما أن نصل هناك، وتأكيد سماحته أنه قد يضطر ليركب سفينة لتجول به في البحار الحرة وهو يبلغ للإسلام ويدعو له، وفي الوقت ذاته يواصل نهجه في مقارعة الكفر والاستكبار.. على أية حال كان لا بُدّ من اتخاذ القرار.

عندما خوّلني السيد أحمد اتخاذ القرار المناسب في البقاء داخل إيران أو المغادرة إلى باريس، وبالرغم من جميع المشاكل، ومنها أن حسن كان قد سجّل تواً في الصف الأول الابتدائي، وبرودة الطقس، وقلة الإمكانات المتوفرة لحفظ الوليد الجديد، والمصير المجهول

---

(١) الإشارة هنا لمقابلة صحفية أجريت مع شاه إيران من قبل الصحفي الإيطالي اوريانا فالاجي في أيلول ١٩٧٣ م.

والمبهم الذي ينتظر المقيمين حالياً في باريس، إلّا أنني قررت السفر إلى فرنسا، لأني بدوري اشتقت لرؤية السيد أحمد وأحببت أن التحق بهم سريعاً. بالطبع، فان والدي ساعدني في اتخاذ هذا القرار، وقال: «نحن أيضاً سنرافقك في هذه الرحلة لنرى ماذا سيحدث في المستقبل».

تزامن ذلك مع مجيء آية الله محمد حسن لاهوتي إلى بيت والدي ولقائي معه هناك، وبعد حوار متبادل، طلب مني أن أكلفه بأي عمل ينجزه لي في غياب السيد أحمد، وأعطاني مبلغاً من المال، وقال: «إنه لمساعدة الأشخاص الذين يأتون إليك»، ثم خاطبني قائلاً: «إنك عزيزة جداً بالنسبة لي، لأنك ابنة أستاذي العزيز وشقيقة صديقي ورفيق دربي، وزوجة أفضل أصدقائي وكنّة مرادي».. قاطعت كلامه وقلت له: «إذن محبتك لنا هي من أجل هؤلاء، وأنا.. ألا أمثل شيئاً بالنسبة لك»؟!!

أجابني بدهشة: «اصبري يا والدة عالم الدين! (كان يناديني بهذه الصفة)، لقد استعجلت في حكمك، لأنك لم تسمح لي بإتمام كلامي.. أردت أن أقول لك: «إلى جانب كل ذلك، فإن «فاطمة هي فاطمة»[(١)]»!!. ثم أردف قائلاً أنه أيضاً يريد السفر إلى باريس. وقد قررنا أن نسافر معه إلى هناك.

ولإنجاز إجراءات السفر، ذهبنا إلى طهران. ومن ثم انتقلنا إلى مطار مهراباد للتمهيد من أجل أن نلتحق بالسيد أحمد.

وكانت الأجواء في المطار استثنائية، الموظفون والعمال كانوا مضربين عن العمل، والفوضى تعم المكان، والنظام داخل المطار مفقود

---

(١) هنا السيد لاهوتي يشير إلى أحد مؤلفات الدكتور علي شريعتي الرائعة بعنوان (فاطمة، هي فاطمة) حول حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع) ـ المترجم.

تماماً، بعكس ما كان عليه سابقاً، ولم يكن هناك أي شخص على استعداد للرد على تساؤلات المسافرين.. دخلنا إلى قسم جوازات السفر، فأعطى السيد لاهوتي جواز سفره، فاجتاز الحاجز مع زوجته بسهولة، وكذلك والدي، ولكن عندما وصل الدور لي ألقى الشرطي نظرة على جواز سفري، وقال: «لا يمكنك أن تغادري المطار».. ظننت أنه عرفني وأن القضية سياسية، فسأل السيد لاهوتي: «ولماذا»؟ فأجاب: «لأن ابنك الصغير بحاجة إلى موافقة والده ليسمح له بالخروج».

فقال السيد لاهوتي: «إن والده ليس هنا ولا يمكن الحصول على موافقته الآن، وهؤلاء يريدون في الواقع الالتحاق به، فقال الشرطي: «لا يمكن ذلك، ويجب أن تجدوا حلاً لهذه المشكلة».

اندهشت كثيراً عند سماعي لهذا الكلام وتحيرت ماذا أصنع؟ فقلت لوالدي والسيد لاهوتي: «لا بُدّ أن تسافروا أنتم وأنا سأعود إلى البيت؛ فرفضوا المغادرة بدورهم. وبعد إصراري الشديد عليهم ذهب الجميع عدا والدي الذي فضل البقاء معي، فعدنا معه إلى بيت خالتي «زهراء».

وبعدها اتصلت هاتفياً بالسيد أحمد وأخبرته بتفاصيل ما جرى في المطار، فأنزعج كثيراً وأكد أنه سيسعى حثيثاً لحل هذه المشكلة من خلال أصدقائه في إيران.

ذهبنا في اليوم التالي برفقة السيد سعيد لاهوتي[١]، وأحد أصدقائه لحل هذه المشكلة، وأخذنا ياسر معنا، لأن هناك حاجة لوجوده معنا، وقد نجحنا في حل جزء من المشكلة، وفجأة احتشدت المظاهرات في

---

(١) الدكتور سعيد لاهوتي نجل آية الله لاهوتي، وهو طبيب أسنان وصهر آية الله هاشمي رفسنجاني.

الشارع الذي كنا فيه، وسرعان ما أغلق هذا الشارع من قبل الجنود وبدأوا بإطلاق النار على الناس، وحوصرنا وسط الجموع في أجواء خطيرة للغاية، فأوقفنا السيارة في أحد الأزقة ودخلنا أحد البيوت القريبة، وحذرتنا صاحبة البيت من مغبة أخذ الطفل إلى مثل هذه الأجواء الخطيرة! وقالت يمكنكم أن تؤمّنوا الطفل عندي وتذهبوا أنتم إن كنتم مضطرين للذهاب لتمشية أموركم.. وفجأة اتخذت قراراً محيراً حيث وافقت على تسليمها الصغير ياسر، وغادرنا البيت وعبرنا عدة شوارع ووصلنا شارع آخر أغلق فجأة أمامنا وتأزم الوضع بشدة؛ اضطررنا للدخول إلى أحد المحلات المفتوحة مع عدد آخر من النساء، وأغلق صاحب المحل الباب، وكنا ننظر إلى ما يجري في الشارع من خلف الباب.. حيث رأيت إحدى السيارات العسكرية مليئة بالجنود المسلحين الذين بدأوا بإطلاق الرصاص في الهواء لتفريق المتظاهرين، ولكن الناس قابلوهم بترديد الشعارات الثورية والتوجه نحو الجنود ونثر الورود عليهم ووضع الزهور على فوهات بنادقهم..

تحيّر الجنود ماذا يصنعون أمام مثل هذه التصرفات، ورأيت عدداً منهم يبكي بعد وضع يديه أمام عينيه، كما نزل عدد منهم من السيارة والتحقوا بصفوف الجماهير.. وسمعت صاحب المحل يقول: «أجل.. قام الناس باصطحابهم إلى بيوتهم أو محلاتهم ليهربوا، بعد أن غيروا ملابسهم العسكرية، وكان هذا التصرف طبعاً محفوفاً بالأخطار بالنسبة لهم حيث سينكشف أمرهم في المعسكر وستواجه عوائلهم أخطاراً مؤكدة.

استمرت هذه الحالة عدة ساعات قبل أن تهدأ قليلاً، واصبح الوضع عادياً في الشارع تقريباً، فخرجت من المخبأ واتجهت يميناً

وشمالاً حتى عثرت على السيد سعيد؛ وعندما أردنا العودة إلى البيت الذي وضعنا ياسر عند ساكنيه، أضعنا الطريق ولم نوفق في العثور على الزقاق المطلوب لأننا تنقلنا بين عدة شوارع وأزقة ولم نكن نعرف تلك الشوارع جيداً.. وبعد البحث بين الشوارع والأزقة المحيطة، وجد السيد سعيد وصديقه أخيراً، ذلك الشارع والزقاق المقصود وذهبنا نحو البيت، فرأينا تلك المرأة العجوز تقف في مدخله وهي تحمل ياسر وشديدة القلق علينا، وقد فرِحَت كثيراً حالما رأتنا وقالت: «كنت أحدث نفسي ماذا سأصنع لو أصابكم مكروه أو قُتِلتم أو تم اعتقالكم، وماذا سيكون مصير هذا الطفل؟!.. لقد بدّلتُ ملابس الطفل وسقيته الحليب والعصير وحاولت تهدأته حتى عدتم ولله الحمد».

أخذتُ ياسر منها واحتضنته بشدة وشكرتها كثيراً وعدنا بسرعة إلى البيت، وأمضينا الطريق ونحن نستعيد الأحداث المفاجئة والخطيرة التي واجهتنا اليوم وأشَدْنا بأخلاق تلك المرأة وإيثارها ومحبتها.

وأخيراً أنجزنا مقدمات السفر وأعددنا الجواز وأدخلنا اسم ياسر فيه وتوجهنا نحو المطار وركبنا الطائرة هذه المرة دون أية مشكلة.. وأقلعت الطائرة نحو باريس[١]. سمعت فيما بعد أن تلك الرحلة كانت آخر رحلة أقلعت من مطار مهراباد إلى خارج البلاد بسبب إضراب موظفي وعمال المطار.

---

(١) كان ذلك بتاريخ ٢١/١٢/١٩٧٨ م.



والدي وياسر



ولدي حسن

الهوامش

١ ـ ولد **الدكتور كريم سنجابي** في مدينة كرمانشاه عام ١٩٠٤م، وكان والده رئيساً لعشيرة (سنجابي).. وبعد إنهائه المرحلة الثانوية دخل مدرسة الحقوق بطهران قبل أن يسافر إلى باريس ليواصل تحصيله العلمي ومن ثم حصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس.. تقلد منصب وزير الثقافة في حكومة الدكتور محمد مصدق واستقال من منصبه الوزاري ليشارك في انتخابات الدورة السابعة عشرة لمجلس الشورى الوطني وتم انتخابه في المجلس وأصبح قاضياً خاصاً في محكمة العدل الدولية في لاهاي.

خلال أحداث الثورة الإسلامية، كان الدكتور كريم سنجابي رئيساً للجبهة الوطنية وهو في الأصل من مؤسسيها، وقد غادر إلى باريس أواخر الحكومة الشاهنشاهية وأصدر بياناً أدان فيه هذه الحكومة معلناً بيعته مع الإمام الخميني.

بعد لقائه سماحة الإمام في باريس، عاد الدكتور سنجابي إلى إيران حيث تم اعتقاله حال وصوله طهران.

تقلد الدكتور سنجابي منصب وزير الخارجية في حكومة المهندس مهدي بازركان بعد انتصار الثورة الإسلامية ولم يستمر في هذا المنصب أكثر من خمسة وخمسين يوماً حيث قدم استقالته بعد حدوث بعض المشاكل. غادر الدكتور سنجابي إيران أواخر عمره إلى أميركا ومكث هناك حتى توفي عام ١٩٩٦م.

٢ ـ عرفت **جمعية الحجتية** بمعارضتها لتأسيس الحكومة الإسلامية

وتدخل علماء الدين في السياسة. وعندما حرّم سماحة الإمام إقامة الاحتفالات بمناسبة الثالث والخامس عشر من شعبان (ذكرى مولديّ الإمام الحسين والإمام المهدي (ع))، احتجاجاً على جرائم نظام الشاه، حاول أنصار هذه الجمعية مخالفة هذه الأوامر وإقامة الاحتفالات.

إن اعتقاد أتباع هذه الجمعية بمسألة انتظار الفرج وظهور الإمام المهدي (عج) كانت إلى درجة بحيث خالفوا أي نوع من النضال السياسي والسعي بهدف إقامة حكومة الصالحين في البلاد، وعارضوا ذلك لأن مثل هذا العمل حسب زعمهم يؤدي إلى التأخير في ظهور صاحب الزمان (عج).. بالطبع، فإن إشاعة مثل هذا الاعتقاد بين الناس يؤدي إلى انتشار منطق القبول بالظلم، واستنكار ورفض أي سعي وجهد يبذل ضد الظالمين كما حدث في انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣م. تم حل هذه الجمعية وتفرقها في عام١٩٨٣م بعد أن وصفهم الإمام الخميني (رض) بالخيانة والرجعية.

٣ ـ تقلد جيمس ايرل كارتر المعروف بجيمي كارتر، منصب رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الأميركية خلال أعوام (١٩٧٧ ـ ١٩٨١م)، وقد سعى كثيراً للمحافظة على حكومة بهلوي في إيران من خلال متابعة أحداث الانتفاضة الجماهيرية والثورة الإسلامية من خلال السفير الأميركي بطهران، والسفير الإيراني في واشنطن الجنرال أردشير ازهاري، وأعلن دعمه التام والمتواصل للشاه. ولإثبات ذلك سافر إلى طهران بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٧٧م، وأعلن دعم أميركا الكامل لمحمد رضا شاه.. وخلال مأدبة العشاء التي أقامها الشاه لضيفه، خاطب كارتر شاه إيران قائلاً: «بفضل قيادة الشاه العظيمة أصبحت إيران جزيرة الثبات والاستقرار في أكثر مناطق العالم فوضى وعدم استقرار».

الفصل الثامن

"نوفل لوشاتو"

باريس

جلست على كرسي الطائرة؛ كانت فرصة مناسبة لأغلق عيني وأزيل التعب الذي عانيته خلال الأيام المنصرمة، ولكني لم أتمكن من ذلك.. فاستعدتُ في ذهني الحوادث التي مرّت علينا خلال السنوات والأشهر الأخيرة، وكانت تبدو كأحداث جرت بشكل متسلسل ومدهش للغاية.. بدءاً من حادثة استشهاد الحاج السيد مصطفى الخميني، وبعدها انتشار اسم سماحة الإمام الخميني بشكل واسع في أنحاء العالم، لا سيّما في المجتمعات الغربية، ومن ثم هجرة الإمام من النجف الأشرف إلى باريس، واهتمام الناس الأكثر والأعمق، بحقيقة تلازم السياسة والدين، واندلاع المظاهرات والتحركات الثورية في أنحاء إيران، والمشاكل والصعوبات التي تحمّلها أبناء الشعب بسبب الإضرابات، وما تبع ذلك من اعتقال واستشهاد أعداد من المجاهدين والمناضلين، والأهم من كل ذلك حدوث التحول الكبير واتحاد أبناء الشعب وتراصّ صفوف الناس.

وكنت أفكر في الوقت ذاته في المستقبل، في باريس، نوفل لوشاتو والصورة التي تشكلت في ذهني عن هناك، وأخذتني أفكاري إلى تخيل لحظة اللقاء مع أعزائي، مما جعلتني أغرق في بحر من النشاط والفرح. وحينها أخبرتنا المضيفة أننا نقترب من المطار، وكان حسن لا

زال نائماً، وأبي ينظر إلى خارج الطائرة وشفتاه ترددان أذكاراً مقدسة، ويعبر ياسر عن جوعه من خلال البكاء.. حاولت أن أنظر إلى الأسفل ولكن بلا جدوى، حيث إن الغيوم الكثيفة حالت دون رؤية جمال الأرض من فوق ونحن على وشك الهبوط عليها بعد دقائق.

توقفت عجلات الطائرة عن الحركة، وبدأت أنفاسي تتسارع بشدة من شوق اللقاء، واحتضن والدي ياسر، وأخذت بيد حسن ونزلنا من الطائرة وكنت أتحدث مع حسن عن لقائنا مع (بابا أحمد) بعد عدة لحظات.. وبدأنا نتمشى داخل صالة واسعة وكبيرة في المطار وكان شوق لقاء (بابا أحمد) واضحاً في عينيّ حسن إلى درجة تلفت أنظار الجميع إليه؛ وحالما وصلنا إلى قسم التدقيق في جوازات السفر، ردد الشرطي الذي كان موجوداً هناك، اسم آية الله الخميني عندما وقع نظره علينا، حيث كانوا يرحبون بأي قادم إلى باريس لزيارة سماحة الإمام، ويعاملونه معاملة حسنة للغاية.

كنا متلهفين لرؤية السيد أحمد، لأنها كانت المرة الأولى التي يطول فراقنا إلى هذا الحد، وكنت أفكر في تلك اللحظة التي سيرى فيها السيد أحمد وليده ياسر ذي الثلاث وستين يوماً.

وأخيراً وقع نظري على السيد أحمد عن بعد، وحاولت أن أجعل حسن يراه، أيضاً، ورأيت كذلك شقيقي صادق والسيد صدوقي وقطب زاده، الذين جاؤوا لاستقبالنا برفقة السيد أحمد.

وكان مشهد لقائنا مع السيد أحمد واحتضانه لياسر ملفتاً للانظار؛ وبعد تبادل السلام والتحية اتجهنا نحو السيارة التي كانت تنتظرنا خارج المطار.

وقد رافقنا في الرحلة عدد من الشخصيات التي جاءت إلى باريس للقاء سماحة الإمام، منهم المهندس عزت الله سحابي[(١)].



المهندس عزت الله سحابي

بعد استقرارنا في السيارة بدأ الحوار بين الحاضرين حول مختلف حوادث الثورة الإسلامية وتطوراتها، فقد تحدث المهندس سحابي عن صرخات التكبير التي تنطلق من حناجر الناس مساءاً من على سطوح المنازل، وقدم تحليلاً ملفتاً جاء فيه: «المعروف أن الانتصار في الحروب يسجل غالباً لمن يهاجم الأعداء مساءاً. والآن، فإن النصر هو للناس الذين يهاجمون النظام مساءاً بنداءات التكبير، وفي المقابل، فإن قوات النظام عاجزة عن القيام بأي رد فعل حيال ذلك».. وقد استنتجت من ذلك التحليل أن النصر قريب، حيث سررت بسبب ذلك، لأن المعروف أن السياسيين نادراً ما يرون النصر قريباً خلال مراحل تطور التحركات الثورية؛ وواصل كلامه قائلاً: «بالطبع ينبغي أن لا نتفاءل كثيراً».

وبينما كانت أذناي تصغيان للحوارات التي كانت تدور في السيارة، فإن عيني كانت تراقب المشاهد التي كنا نراها خلال اجتيازنا

(١) اعتاد السيد صدوقي أن يكون في طليعة مستقبلي القادمين من طهران لزيارة سماحة الإمام لا سيّما الشخصيات المهمة حيث كان يتعهد بهذا الأمر ويوصلهم إلى مقر السيد الإمام برحابة صدر.



المؤلفة في فرساي

شوارع مدينة عرفت بعروس أوروبا، ورغم أن الشتاء كان قد بدأ في باريس ولم يبق أي ورق على الأشجار، إلّا أن منظر المدينة بشكل عام وبيوتها وشوارعها، كانت ملفتة للنظر.

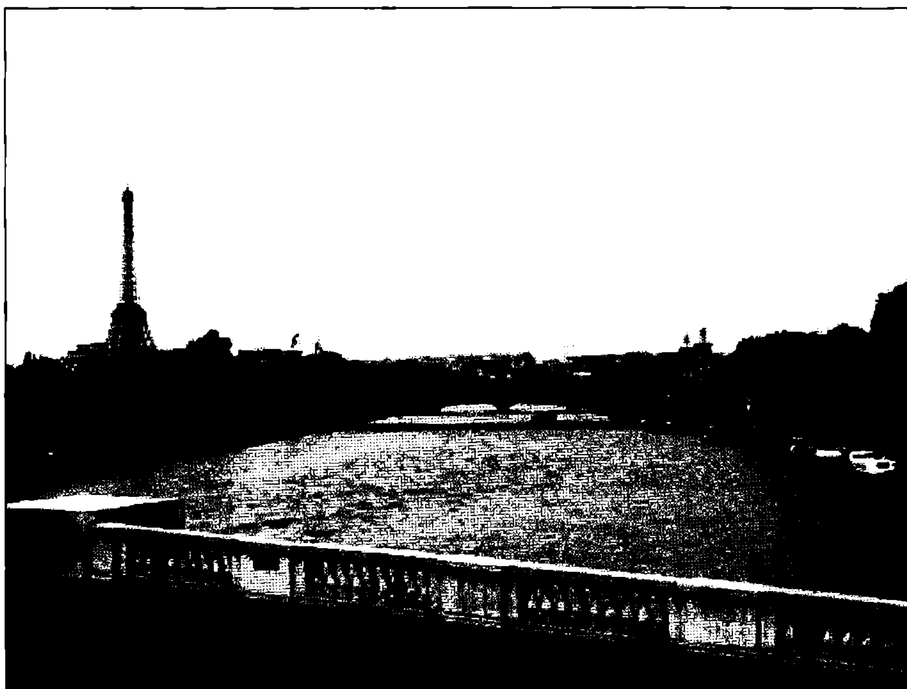
وصلنا إلى شقة صغيرة لصادق قطب زاده على ضفاف نهر (السين)[١]؛ حيث استقبلتنا سيدة بملابس طويلة وعريضة وعرفت نفسها أنها «جيلا كتيبائي»[٢] طالبة جامعية في قسم علم النفس.

بعد استراحة قصيرة وتناول طعام الغداء، تحركنا برفقة والدي والسيد أحمد وشقيقي صادق وقطب زاده، نحو منطقة نوفل لوشاتو.

---

(١) نهر غزير المياه يمر في وسط باريس.

(٢) الدكتورة «جيلا كتيبائي» زوجة الدكتور كريم خدابناهي من الطلبة الإيرانيين أعضاء الاتحاد الإسلامي الطلابي في أوروبا. الدكتورة «كتيبائي» متخصصة في علم النفس. وأصبح الدكتور خدابناهي بعد الثورة مساعداً لصادق قطب زاده في مؤسسة الإذاعة والتلفزة الإيرانية.



مشهد لبرج إيفل ونهر السين (باريس)

نوفل لوشاتو

بعد أن اجتاز سائق السيارة عدة شوارع رئيسية وأخرى ضيقة وعددا آخر من المنعطفات، توقف أمام أحد البيوت ونزلنا من السيارة.. نظرت إلى ما حولي وظننت أننا أخطأنا في العنوان وجئنا إلى مكان آخر بعيداً عن باريس، لأن المكان لا يشبه ما رأيناه من مناظر منذ مغادرتنا المطار وحتى وصولنا إلى هنا، كما أن الناس هنا لا يشبهون أولئك الذين رأيناهم في الطريق، حيث أن أغلب الرجال هنا ملتحون والنساء يرتدين المعطف والمانتو وغطاء الرأس.. كذلك، فإن هطول الأمطار الشتائية أدى إلى البلل والوحل في كل مكان.

انفصل والدي وشقيقي صادق وقطب زاده عنا وأخذوا إلى أحد البيوت، وذهبنا برفقة حسن والسيد أحمد الذي كان يحتضن ياسر، إلى

بيت صغير حيث دخلنا غرفة صغيرة بعد أن اجتزنا ممراً ضيقاً، وقد تمت تغطية باب الغرفة بستار من القماش البسيط المثبت بمسمارين على الحائط.

أزحنا الستار جانباً ودخلنا الغرفة، حيث رأيت سماحة الإمام جالساً في إحدى زواياها وإلى جانبه السيدة زوجته وكريمته السيدة «صديقة» وابنتيها زهراء ونعيمة إشراقي. كذلك فإن السيدة «انيس الملوك» (ابنة شقيقة الإمام) والسيدة «مهين» (ابنة شقيق الإمام)، كانتا قد جاءتا من إيران لزيارة سماحته وقد تم إسكانهما في مكان آخر من البيت.

سلمنا على سماحة الإمام وباقي الموجودين وتبادلنا كلمات التحية والترحيب، وقد رأيت سماحته فرحاً للغاية ونشطاً جداً، بل أفضل بكثير مما رأيته آخر مرة في النجف الأشرف حيث كان جسمه ضعيفاً وقليل الشهية، لا سيّما في الأشهر الأخيرة من إقامته هناك.

وحينما دخلنا الغرفة هرع حسن إلى أحضان جده وجدته بكل شوق وبهجة ومحبة مقبلاً رأسيهما ووجهيهما، وفي المقابل كان سماحته والسيدة حرمه يبادلانه نفس الشعور والمحبة والفرح.

بعد أن جلس حسن إلى جانب السيد أحمد، أخذ سماحة الإمام ياسر مني واحتضنه بشدة وقرأ الدعاء في أذنيه وأهداني قطعة من الذهب كان قد أعدها مسبقاً احتفاءاً بولادة ياسر(١).. ثم خاطبني سماحته مبتسماً بالقول: «إن لم تكن لك بنتاً، فلا أبناء لك»!! فقلت لسماحته مبتسمةً:

---

(١) عودنا سماحة الإمام على تقديم الهدايا في بعض المناسبات وكان سماحته يبادر إلى تقديم الهدايا أيضاً، لمن يقدم أيّة هدية لسماحته في المناسبات المختلفة.

كيف يقول سماحتكم مثل هذا الكلام وعندكم ابناً مثل السيد أحمد؟!، فهز سماحة الإمام رأسه وقال: «إن أحمد مستثنى من هذه القاعدة».

أخبر السيد أحمد سماحة الإمام عن وصول والدي إلى نوفل لوشاتو فأعرب سماحته عن شوقه ورغبته الشديدة أن يراه الآن، مما دعا السيد أحمد أن يغادر الغرفة ويعود بسرعة برفقة والدي وشقيقي صادق..

وبعد أن تصافحا وتعانقا، شكر سماحة الإمام والدي لما بذله من جهد وتحمله من التعب ومرافقته لي وولدَيّ حتى وصولنا باريس.. حينها رأيت عيني والدي تمتلئان بدموع الفرح والشوق، وقابل أحاسيس سماحة الإمام بمشاعر فياضة بالمحبة والاحترام والتقدير، بعد ذلك عاد السيد أحمد برفقتهما إلى المكان المخصص لأنصار سماحة الإمام وضيوفه.

بدأ سماحة الإمام يسألني عن الأوضاع السائدة في إيران ومشاهداتي الميدانية، فشرحت لسماحته تفاصيل ما رأيت، وأنا غارقة في أجواء مدهشة ومليئة بالشوق والمحبة لسماحته، فتحدثت له عن عظمة المظاهرات الجماهيرية في الشوارع ونداءات التكبير مساء كل يوم على سطوح المنازل وتضحيات الشباب والكهول والنساء والرجال وعدم خوفهم من أي شيء.

ورأيت سماحة الإمام يصغي لكلامي بدقة وشوق، كذلك تحدثت لسماحته عن تضحيات وشجاعة أبناء مدينة قُم ووفائهم للثورة الإسلامية وقائدهم الإمام. فقال سماحته: «إن هذه الثورة ستنتصر حتماً إن شاء الله لأنها أصبحت شاملة وجماهيرية، وأن الحكومة الحالية في إيران، فقدت مكانتها بين الناس.

محل إقامة الإمام الخميني

البيت الذي خصص لإقامة سماحة الإمام في نوفل لوشاتو كان بأربع غرف متجاورة وكان سماحته يستخدم إحداها لإجراء اللقاءات الخاصة فضلاً عن كونها غرفة نومه مع أسرته في المساء، كما كان السيد إشراقي (صهر الإمام) يستخدم الغرفة الثانية مع أسرته، والغرفة الثالثة كانت في الواقع مخزناً لحقائب الضيوف ولوازمهم، والغرفة الرابعة كانت مخصصة لباقي الضيوف من النساء.

كما كانت الغرف تمتلىء بالناس من الصباح حتى المساء، وكانت أعداد كبيرة منهم تنتظر موعد لقائها مع سماحة الإمام، وكان الوقت المخصص للقاءات العامة محدوداً، وكل مجموعة من القادمين تستفيد منه لعدة دقائق وتتناوب المجموعات الأخرى على ذلك.

وكنا نستفيد من فرصة مجيء سماحة الإمام عند أسرته لتناول طعام الغداء لنلتقي به ونتحاور معه، وكان الوقت المخصص لذلك محدوداً بالطبع.

وهكذا، فإن البيت بسبب صغره وبرودته، لم يكن مناسباً للإقامة، ورغم أن جهاز التدفئة المركزية كان وسيلة التدفئة فيه، إلّا أنه لم يكن كافياً بسبب فتح وغلق أبواب الغرف بشكل مستمر، وكنا أحياناً نضع موقداً في وسط الغرفة للتدفئة مع ارتداء الملابس المناسبة مثل المعاطف والكنزات؛ وكان البعض من الضيوف عندما يزوروننا يظنون أننا نواسي الناس داخل إيران الذين كانوا يعانون من أزمة الوقود آنذاك من خلال عدم استخدام جهاز التدفئة المركزية!!.

الأعمال اليومية لسماحة الإمام

تغيرت الأعمال التي كان سماحة الإمام يقوم بها في نوفل لوشاتو مقارنة مع النجف الأشرف كماً ونوعاً، فهو لا يدرّس الفقه ولا يبحث نظرياً في مباحث الفقه ولا نظرياته، بل يركز على كيفية الاستخدام العملي للأحكام الفقهية، لا سيّما السياسية منها.. وكان سماحته يقضي أكثر وقته في إجراء المقابلات الصحفية وإلقاء الكلمات ولقاء مختلف المجموعات والفصائل السياسية والاجتماعية ليوضح أمامها رأي سماحته بشأن نوع الحكومة التي يريد تأسيسها في إيران.. وكان الدكتور إبراهيم يزدي مسؤولاً عن تنظيم البرامج واللقاءات مع السيد الإمام، وكان سماحته يحبه ويحترمه.

وبسبب الحشود الكبيرة المتجمعة في المنطقة، فإن الكثير من الأفراد كانوا ينتظرون لساعات بل أحياناً لأيام حتى يحين موعد اللقاء.

وخلال هذه اللقاءات، يقوم غالباً السيدان قطب زاده وبني صدر[١] بالترجمة إلى اللغة الفرنسية والدكتور يزدي وشقيقي السيد صادق إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية.

كذلك، فإن الأخبار والرسائل التي كانت تصل من شتى أنحاء العالم، فضلاً عن التقارير والمقالات المطبوعة في مختلف الصحف والمجلات العالمية يتم ترجمتها من قبل مجموعة من الشباب والطلاب، وتقدم لسماحة الإمام مرفقة بالأصول ليطالعها سماحته ويدرسها بإتقان.. ويحدث أحياناً اختلاف بين المترجمين حول معاني بعض المصطلحات الواردة في تلك المقالات، وتتأزم الأوضاع بينهم، ويتهم البعض منهم

---

(١) الدكتور أبو الحسن بني صدر (المولود عام ١٩٣٣م): شخصية سياسية واقتصادية. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الأول في نهاية الفصل.



السيد أحمد وبني صدر

الآخر بالخيانة في الأمانة أحياناً، وحينها كان السيد أحمد يتدخل ليتأكد من المعنى الحقيقي للمصطلحات وبالتالي يفض النزاع بينهم بشكل مناسب.

هذا وقد اعتاد سماحة الإمام الخروج إلى الباحة الأمامية لغرفته قبل الظهر، لإقامة صلاتي الظهر والعصر جماعة، وبعدها يجلس أحياناً تحت شجرة التفاح التي كانت تحمل ثماراً كثيرة، ويتحدث حول مختلف الأحداث والمناسبات، قبل أن يعود إلى محل استراحته.. كما اعتاد سماحته أن يتناول وجبة الغداء مع أفراد أسرته. وبعد استراحة قصيرة، يعود مرة أخرى إلى مكتبه لإنجاز أعماله ومهامه حتى يحين وقت صلاتي المغرب والعشاء، فيؤديهما جماعة أيضاً، هناك.. وبعد أداء الصلاة يلتقي سماحته الشخصيات القادمة ويطالع الأخبار والتقارير والتحليلات المعدة من قبل مختلف الشخصيات، ويجيب على الرسائل الواصلة، ويتابع مثل هذه الأعمال حتى يحين وقت النوم والاستراحة.



الإمام الخميني في نوفل لوشاتو



صلاة الجماعة تحت شجرة التفاح (نوفل لوشاتو)

وكان سماحة الإمام يبدو أكثر نشاطاً وفاعلية، وأفضل حالاً مما كان عليه في النجف الأشرف، رغم الحجم الكبير لأعماله وانشغاله في مختلف المهام والأعمال لحوالي ست عشرة ساعة في اليوم، لأنه كان يشعر بالحرية في التعبير عن آرائه وقيامه بأداء رسالته الدينية والشرعية، ولم يكن سماحته يُظهر تعبه وإرهاقه أبداً، بل إن آثار التعب لم تكن تظهر أبداً على محياه، ولون بشرة وجهه كان يبدو أكثر إشراقاً وتوهجاً، وكان كل من يلتقيه في باريس بعد فراق عدة أشهر، يؤكد هذه الحقيقة.

البرنامج اليومي للسيدة أم أحمد

اعتادت بعض السيدات اللواتي كن يصلن نوفل لوشاتو للقاء سماحة الإمام، أن يكون لهنّ، أيضاً، لقاء مع السيدة حرم الإمام. وخلال اللقاء يتم عرض الأسئلة الشرعية والسياسية، وكذلك بعض المسائل العائلية والخاصة، وتقوم السيدة أم أحمد بالإجابة عليها. وكانت تعبّر أحياناً عن انزعاجها وتعبها من بعض الأسئلة المكررة والخاصة.

لم تكن السيدة أم أحمد ترغب بإجراء مقابلات صحفية رسمية، وفي أحد الأيام نشرت صحيفة (إطلاعات) الرسمية الحكومية، تقريراً حول حديث السيدة مع طبع صورة لها، وقد انزعجت كثيراً من ذلك، وبعدها كانت ترفض التحدث مع أي سيدة إن شعرت انها تريد ان تستغلها وتنشرها في الصحافة، وكانت تقول لهن: «سوف لن أتحدث بأي شيء إن كانت لكنّ رغبة في نشر حديثي في الإعلام، وكانت تتحدث معهن بعد أن تطمئن من ذلك. ويتحول اللقاء غالباً إلى لقاء تسوده أجواء الصداقة والمودة.

كذلك اعتادت أكثر السيدات الجامعيات اللواتي يأتين لزيارة السيدة أم أحمد، أن يقلن أنهنّ طالبات في علم الإجتماع، مما جعلها تتعجب من ذلك وتقول لهن: «هل هذا الفرع العلمي سهل إلى هذه الدرجة بحيث تنتخبه جميع النساء»؟! بالطبع يبدو أن السبب في ذلك يعود إلى تعلق الطالبات وتأثرهن بشخصية الدكتور علي شريعتي الذي كان متخصصاً في نفس الفرع.

وكان التزام السيدة أم أحمد بآداب الاستقبال والاستضافة وتأكيدها على ضرورة الترحيب الحار بالضيوف، ملفتاً للانظار؛ فهي لم تنس ذلك حتى في نوفل لوشاتو وفي أوج حوادث الثورة وتطوراتها، وكانت تؤكد على ضرورة استقبال كل الضيوف بنفس الطريقة والاحترام والتكريم.. وعندما كان الضيوف يدخلون الغرفة، تتوسط السيدة أم أحمد الحضور ويوضع أمام كل ضيف صحن فيه قطع الحلويات والمن والسلوى والسوهان، أو أي حلوى أخرى جيء بها من قبل الضيوف القادمين من إيران.

أتذكر أن عدداً من الشابات الإيرانيات اعترضن على السيدة أم أحمد على مثل هذه الاستضافة وقلن: «لماذا لا يتناسب السلوك المتبع هنا مع منزلة الإمام وموقعه القيادي الديني»؟ فسألتهن السيدة: «لماذا وكيف»؟ فأجبن: «من يأتي إلى هنا يتصور أنه دخل حفلاً بمناسبة حلول العيد لأنه يُقَدم له أنواع الحلويات الإيرانية، بينما يكفي كوب من الشاي وقطعة من البسكوت، حيث لا نرى آثاراً للثورة والتحرك الثوري هنا»!! فأجابت السيدة: «بناتي العزيزات.. إن كل ما يقدم لكنّ من حلوى، هي هدايا وصلت من إيران، وأن هذه الخزانة أمامكم مليئة منها، أليس من الأفضل أن نستفيد من تلك الحلويات لتقديمها أمامكن لتتذوقن منها

وأنتن ضيوفنا وقد جئتن من أماكن بعيدة، أو أن نترك هذه السنّة الحسنة ونتظاهر بالبساطة؟! لماذا لا تفصلن بين مثل هذه الأمور وتصدرن الأحكام بسرعة؟ أليس من النفاق أن نتناول نحن في أسرتنا هذه الحلويات ونحرمكنّ منها وانتن ضيوفنا العزيزات، حتى تبدو الأمور أمامكن بكامل البساطة والثورية كما تقولون»؟!!.

لقد كان الالتزام بمثل هذه الأعراف والتقاليد والآداب، صعباً علينا في مثل تلك الأجواء والمكان الضيق والإمكانات القليلة، لا سيّما عندما كنا نواجه مثل هذه الاعتراضات من قبل البعض، فيزداد تعبنا بسبب ذلك.

إلّا أن السيدة أم أحمد لم تكن تهتم بمثل هذا الكلام وتواصل استضافة القادمات إليها بكل احترام وتكريم وتقول: «إن احترام الضيف وتكريمه واجب؛ إن هؤلاء الضيوف قدموا إلى هنا من أماكن بعيدة من مختلف أنحاء العالم بعد تحملهم مصاعب كثيرة، والبعض منهن انتظرن لفترة زمنية طويلة حتى حدث اللقاء معنا، وليس من الصحيح أن لا نستضيفهن بالشكل اللائق والمطلوب. لذا، أرجو أن لا تأخذوا كلامهنّ بشكل جاد ولا تنزعجوا من ذلك أبداً؛ وواصلوا القيام بالواجب حسب الآداب والأعراف المناسبة.

بالطبع في مقابل ذلك كان عدد من الضيوف يحملون تصوراً آخر حول منزل قائد الثورة ومقر إقامته، ويظن أنه سيدخل في صالة استقبال كبيرة وفخمة وسيستقبلهم عدد من المضيفات المحترفات وغير ذلك من مظاهر الرفاه، وكن يعبرن عن ذلك بكل تعجب واندهاش.

إن أكثر الطالبات الجامعيات اللواتي كن يصلن إلى نوفل لوشاتو يتوقعن أن تدور حوارات سياسية معهن إلّا أننا كنا نفضل أن لا نفتح

مثل هذه الحوارات ولا ندخلها إن فُتحت أمامنا، لأننا كنا نحذَر أن تفسر الحوارات والآراء التي تطرح فيها بشكل آخر أو تنسب إلى سماحة الإمام، فكل واحد له رأيه الخاص وتحليله حول ما يجري في إيران. كان أحدهم يقول إن سماحة الإمام فرح عندما سمع الخبر الفلاني، إذن فهو راض عن ذلك. والآخر يقول عكس ذلك، إذن فهو غير راض عنه. أو أنه عبّر عن قلقه عندما سمع الخبر الآخر أو انزعج منه، وهكذا. لذا كنا نسعى لتجنُّب مثل هذه الأمور حتى لا تنسب الاستنباطات والاستنتاجات لسماحة الإمام (رض).

الحالة المعنوية والروحية للسيدة أم أحمد في باريس، كانت أفضل بكثير مما كانت عليه في النجف الأشرف، وكان السيد أحمد يمازحها أحياناً ويقول: «سيدتي الوالدة، أعتقد أن دعاءك هناك استجيب، حيث انتقل سماحة الإمام من الأجواء المملة ذات النسق الواحد في النجف الأشرف إلى أجواء جديدة في فرنسا».

وعرف عن السيدة أم أحمد إجادتها اللغة الفرنسية، تقول السيدة «نسرين حكيمي»[1] التي رافقت السيدة أم أحمد من المطار إلى نوفل لوشاتو حين وصولها من العراق، بهذا الشأن: «كنت أحمل صورة مغايرة عن السيدة قبل لقائها، باعتبارها سيدة قضت أكثر عمرها في قُم والنجف الأشرف، لذا فهي لا تعرف كثيراً عن مظاهر الحياة الجديدة أو أنها أصبَحت أكثر كآبة وحزناً بعد وفاة نجلها الحاج السيد مصطفى، ولكن ما أن رأيتها وتعاملت معها تغيرت تصوراتي عنها، فقد رأيتها

(١) الدكتورة «نسرين حكيمي» متخصصة في علم الاجتماع من باريس وأستاذة جامعية وقد ترجمت عدة مقالات ودراسات تحليلية وكذلك ترجمت كتاب (الظاهرة القرآنية) للمفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي وأصبحت بعد الثورة الإسلامية كنّة الإمام موسى الصدر.

سيدة ذات شخصية قوية ومتزنة ووقورة وذات ظاهر أنيق، وملتزمة بالآداب والأخلاق والحجاب الكامل».

وأضافت تقول: «عندما كانت السيارة تقطع الشوارع والطرق رأيت السيدة تقرأ اللوحات والكتابات التي يقع بصرها عليها بشكل جيد وتسألني أسئلة دقيقة ومناسبة، فسألتها: «سيدتي هل تجيدين اللغة الفرنسية؟ فقالت: «نعم، لأني كنت أدرس اللغة الفرنسية قبل الزواج».

دور السيد أحمد في نوفل لوشاتو

في تلك الأيام المليئة بالنشاط والحركة والفعالية في نوفل لوشاتو كنا نشهد حضور أعداد غفيرة من مراسلي وسائل الإعلام العامة العالمية، وشخصيات كثيرة قادمة إلى هناك باهداف متباينة ومتنوعة، بالإضافة إلى استضافة عدد كبير من أنصار ومحبي سماحة الإمام.. وكان السيد أحمد يتعهد بمسؤولية إدارة هذا الكم الهائل من اللقاءات والزيارات والحوارات، مع تنوع الثقافات واللغات وتفاوت الأهداف المعلنة والخفية، وبإمكانات بسيطة وضئيلة لا تذكر؛ حيث أدى تلك المهمة الصعبة بشكل جيد.

عندما وصلت نوفل لوشاتو رأيت السيد أحمد مرهقاً للغاية، فهو بالاضافة لمسؤولية إدارة الاجتماعات واللقاءات، كان يتنقل باستمرار بين المكتب والبيت وينقل آراء الناشطين في المكتب لسماحة الإمام، وفي المقابل ينقل أوامر وتعليمات وقرارات سماحته اليهم.

وكانت أحياناً تحدث اختلافات في الرأي بين الناشطين من أنصار الثورة، وكان السيد أحمد يشعر بمسؤولية كبيرة في مثل هذه الأجواء المتميزة بوجود شخصيات ومجموعات سياسية بأفكار واعتقادات متفاوتة

ومتنوعة، فالبعض من هؤلاء كانوا يقبلون بقيادة الإمام الخميني حتى مرحلة إسقاط الشاه في إيران إلّا أنهم لم يكونوا يوافقوا سماحته في نوع الحكومة التي ينبغي قيامها بعد السقوط. من ناحية أخرى، فإن علماء وطلبة العلوم الدينية لم يكونوا يثقون كثيراً بالناشطين المقيمين في أوروبا وأميركا، الذين هم بدورهم لم يكونوا يتحملون أفكار وعقائد العلماء والطلبة.

وهكذا، فإن السيد أحمد كان يلعب دوراً حساساً وأساسياً في مثل هذه الأجواء والظروف، ويحاور الجميع وينقل خلاصة آرائهم لسماحة الإمام.



السيد أحمد مع السيد إشراقي أمام مقر إقامة الإمام الخميني (نوفل لوشاتو)

تفاصيل الرحلة التاريخية لسماحة الإمام من العراق إلى فرنسا

طلبت من السيد أحمد يوماً أن يشرح لي تفاصيل رحلتهم التاريخية، أو حسب تعبيرهم، هجرتهم من العراق إلى فرنسا.. وتذكرت أنني كنت قد طلبت من سماحة الإمام في النجف الأشرف أن يشرح لي تفاصيل رحلته من إيران إلى تركية ومن هناك إلى النجف الأشرف؛ ولم أكن حينها أتصور أني سأطلب فيما بعد من السيد أحمد أن يشرح لي تفاصيل هجرته برفقة سماحة الإمام من النجف الأشرف إلى باريس هذه المرة.

فقال السيد أحمد: «بعد أن جلسنا في أماكننا وأقلعت الطائرة نحو باريس، حدث أمر ما أقلقنا بشدة، حيث عرفنا أن المسؤولين العراقيين كانوا قد قالوا للسيد دعائي في مطار بغداد وقبل ركوبنا الطائرة، أن يخبر السيد الخميني بأن عليه أن لا يعود إلى العراق. ورد عليهم السيد دعائي قائلاً: «هل إن هذه الرسالة هي باقة الورد التي تريدون تقديمها لضيفكم قبل أن يغادر بلدكم»؟!.. وبعد أن دخلنا الطائرة أخبرني السيد دعائي بذلك.

«رغم أننا لم نكن نفكر أبداً في العودة إلى العراق، إلّا أني تفاجأت بما سمعت، وحينها عرفت السبب الذي دعاهم لتأخير موعد إقلاع الطائرة لساعتين تقريباً حتى نصل إلى المطار ونلحق بها رغم أنها كانت مليئة بالمسافرين.

على أية حال، بعد أن دخلنا الطائرة طلبوا منّا الجلوس في الطابق العلوي(١) وشاهدنا هناك ثلاثة أشخاص اعتقدنا في البدء أنهم مسافرون مثلنا، ولكن تأكدنا فيما بعد أنهم ليسوا سوى رجال أمن مكلفين بمرافقتنا خلال هذه الرحلة، حيث ساورنا الشك أولاً بذلك، وللتأكد

---

(١) رافق سماحة الإمام خلال رحلته إلى باريس كل من السيد أحمد والدكتور إبراهيم يزدي والسيدين إملائي وفردوسي بور.

من الأمر طلبنا من السيد املائي أن يحاول تغيير مكانه وينتقل إلى الطابق السفلي من الطائرة إلّا أنهم منعوه من ذلك!!.

وبعدها شغلت أذهاننا أفكار مقلقة زادت في عدم ثقتنا بما يجري حولنا، فقررنا أن نقوم بخطوات وقائية لمواجهة الأخطار المحتملة.. حيث كان من المقرر أن تهبط الطائرة في مدينة جنيف أولاً طبقاً لبرنامج الرحلة المعلن قبل أن تتجه إلى باريس؛ لذلك قررنا أن ينزل من الطائرة في جنيف الدكتور إبراهيم يزدي والسيد املائي وإن منعهم رجال الأمن من ذلك، فيعني أن هناك مخططاً خبيثاً ولا بُدّ من مواجهة هذه الحالة.

«بعد أن هبطت الطائرة في مطار جنيف أخبر السيد املائي مسؤولي الطائرة أنه والدكتور يزدي يرغبان في النزول من الطائرة هناك، وبعد عدة دقائق أعلن من خلال الإذاعة المركزية في الطائرة أنه لا يسمح لهما بالنزول في جنيف، مما دعا السيد املائي إلى دفع رجل الأمن جانباً وخروجه من الطائرة، كما قام الدكتور يزدي بالقفز والوصول إلى سلم الطائرة وبالتالي الخروج منها؛ وحينها تأكدنا أن الحراس الثلاثة كانوا يحملون السلاح.

«كنا قد اتفقنا مع الدكتور يزدي انه بعد نزوله من الطائرة في جنيف، لا بد أن يخبر الدكتور حسن حبيبي الذي ينتظرنا في باريس، بأن يتأهب بشكل تام لاستقبال سماحة الإمام من خلال دعوة أكبر عدد ممكن من أنصار سماحته ومحبيه، ليتجمعوا في مطار باريس حتى يعلنوا احتجاجهم واعتراضهم على السلطات الفرنسية إن منعوا سماحته من النزول من الطائرة.

«عندما حان وقت الصلاة وقف سماحة الإمام الخميني بكل سكينة وطمأنينة للصلاة في الطائرة ووقفنا لنصلي جماعة خلف سماحته ونحن قلقون.. بعد الانتهاء من أداء الصلاة نقلت لسماحة الإمام تفاصيل ما

جرى قبل قليل إلّا أن سماحته قال بكل قوة وحسم: «لا تقلق، فلن يحدث أي شيء إن شاء الله».

«بعد مرور فترة زمنية قصيرة حطت الطائرة في مطار (اورلي) باريس، وهناك عرفنا أن عدداً آخر من الأعزاء ذهبوا إلى مطار (شارل دوغول) في ضواحي باريس ليتجمعوا هناك كما هو الحال في هذا المطار، إن حصل أي تغيير في مكان هبوط الطائرة.

«كذلك، كنا طلبنا من الدكتور حسن حبيبي أن يعد بيتاً في باريس ليستقر فيه سماحة الإمام، فتم انتخاب شقة تعود للسيد غضنفربور[١] بعد استشارة السيد بني صدر، وكانت الشقة تقع في محلة (كشان) في الطابق الرابع من أحد المباني وفيها ثلاث غرف.. وقد انقضى اليوم الأول بهدوء، إلّا أن اليوم الثاني شهد حضور أعداد كبيرة من أنصار الإمام ومحبيه، مما أدى إلى إزعاج الجيران، لذلك بدأنا بالتفكير في تغيير المكان، وبعد يومين انتقلنا إلى بيت صغير يعود للدكتور عسكري[٢] في ضاحية نوفل لوشاتو.

«وفي المكان الجديد ازداد عدد القادمين من مختلف أنحاء العالم، ولم يكن هذا البيت يكفي لهذه الأعداد الكبيرة من الضيوف والجامعيين والإعلاميين، لذلك تم نصب خيمة في باحة البيت وكان ينام فيها الطلاب والضيوف القادمون غالباً من مختلف الدول الأوروبية لزيارة سماحة الإمام، كما كان سماحته يؤم المصلين ويلقي خطاباته هناك في مختلف المناسبات».

---

(١) الدكتور أحمد غضنفربور من الشخصيات السياسية المناضلة قبل الثورة ومن أصدقاء الدكتور بني صدر، وبعد انتصار الثورة أصبح نائباً في الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي عن مدينة لنجان.

(٢) الدكتور مهدي عسكري من علماء الاجتماع ومن اصدقاء الدكتور شريعتي والدكتور بني صدر. كانت زوجته فرنسية، وهذا البيت في الواقع كان يعود لزوجته.

وأردف السيد أحمد قائلاً: «لحسن الحظ، سمعنا في نفس اليوم أن البيت المقابل لبيت السيد عسكري أخلي من ساكنيه، فسارعنا لاستئجاره وخصصناه لإقامة سماحة الإمام، وكنت مع السادة موسوي خوئينيها وصدوقي وإشراقي، ننام مع سماحة الإمام في المبنى ذاته حتى وصلت السيدة الوالدة من النجف الأشرف، حينها تم تخصيصه لأسرة الإمام مع باقي النساء وأفراد الأسرة.

«كذلك استأجرنا غرفة في فندق قريب لإقامتنا هناك. بالطبع كنا كذلك نستخدم شقة محلة (كشان) لإنجاز بعض الأعمال الإدارية فضلاً عن استخدامه لإقامة الضيوف حال وصولهم باريس».

وأشار السيد أحمد إلى أنه تم تخصيص حافلة كبيرة وأربع حافلات متوسطة، لنقل الضيوف من باريس إلى نوفل لوشاتو وبالعكس طوال اليوم.

وقد سمعت من بعض الأصدقاء أن سائق الحافلة الكبيرة كان من الشخصيات السياسية القديمة وقد اعتقل مراراً من قبل أزلام الشاه، كما أن سائقي الحافلات الأخرى كانوا إيرانيين، أحدهم طبيب جراح والآخرون من الطلبة الجامعيين.

المراقبة الخفية

كانت السيدة «مرضية دباغ»[١] مسؤولة عن إدارة الشؤون الداخلية

---

(١) ولدت السيدة «مرضية حديده جي» (دباغ) عام ١٩٣٩ م وهي من السيدات المناضلات في طريق الثورة الإسلامية، حيث بدأت نشاطها السياسي منذ عام ١٩٦٧ م واستمرت حتى انتصار الثورة الإسلامية.. بعد الانتصار أصبحت قائدة الحرس الثوري الإسلامي في محافظة همدان ومسؤولة قوات تعبئة النساء فضلاً عن انتخابها من قبل أبناء الشعب عضوة في مجلس الشورى الإسلامي لثلاث دورات.

لبيت سماحة الإمام في نوفل لوشاتو، وكانت حقاً جديرة بهذه المسؤولية؛ حيث كانت تراقب الأوضاع عبر نافذة المطبخ المشرفة على الباب الخارجي والشارع المقابل، ومهمتها الرئيسية تكمن في الإشراف على الشؤون الأمنية للبيت وإعداد طعام سماحة الإمام، إلّا أنها كانت تؤدي أي عمل حسب قدرتها وإمكاناتها بكل وفاء وإخلاص.. وكان سماحته في المقابل يقدر محبتها وإخلاصها ويشكرها دائماً، وقد سمعت أن سماحة الإمام قال لها يوماً: «أيتها الأخت، اسمحي لي أن أساعدك في غسل الأواني».. مما دعا السيدة «دباغ» أن تذرف الدموع بعد فقدانها السيطرة على مشاعرها.



«السيدة دباغ» والإمام الخميني (نوفل لوشاتو)

أتذكر عندما كنا في النجف الأشرف، تحدث السيد أحمد عن عدد من النساء المناضلات وكان يشيد دائماً بشجاعتهن ويقول: «أحب أن تكوني مثل هذه السيدات المقاومات، وأن تكوني مقاومة ولا تخافي أبداً».

شعرت آنذاك أن هذه السيدة المناضلة هي واحدة من هذه النساء وقد نالت الكثير من الفضائل، ولكن على حساب الانعتاق من أهوائها النفسية وتحمل آلام الابتعاد عن زوجها وأبنائها في سبيل الإسلام والثورة.. وكنت قد رأيتها مرة في بيت الحاج السيد مصطفى في النجف الأشرف حيث جاءت إلى هناك بهدف زيارة سماحة الإمام. وأتذكر أنهم وصفوها بأنها سيدة مناضلة تركت زوجها وأبناءها من أجل دعم الفلسطينيين ومقارعة إسرائيل.

لذلك، فإن الكثير من الحوارات كانت تدور بين عدد من الأشخاص المقربين حول العمل الذي تقوم به هذه السيدة، فالبعض كان يعترض عليها بسبب تركها لأبنائها وزوجها، وأسئلة أخرى كثيرة. لذا، أعتقد أن السيدة دباغ تعتبر نموذج المرأة المسلمة الثورية، وكنت أشعر بالرضا الكامل عندما أتحدث معها ولا زلت أحمل ذكريات طيبة عنها.

لقد تحدثت السيدة «دباغ» حول ظروف حضورها في نوفل لوشاتو وقالت لي: «عندما وصل سماحة الإمام إلى فرنسا كنت حينها في لبنان، فأُبْلِغتُ عن طريق مكتب الإمام موسى الصدر، أن أتصل مع الحاج مهدي عراقي[(١)]، حيث كنت قد سمعت باسمه وأعرف أنه أمضى عدة سنوات من عمره في السجن، وهو بدوره كان، أيضاً، يعرفني إلى هذا

---

(١) للتعرف على شخصية السيد مهدي عراقي يمكن مراجعة الهامش الثاني في نهاية الفصل.

الحد.. وخلال الاتصال الهاتفي معه، طلب مني أن أسافر سريعاً إلى باريس، فلم أتأخر. وقد طلبت مبلغاً من النقود من الأصدقاء في لبنان واشتريت تذكرة طائرة وسافرت إلى باريس، ومن هناك مباشرة إلى نوفل لوشاتو..

«وحينما وصلت إلى هناك، كان سماحة الإمام قد وصل قبلي بعدة أيام، فقال لي السيد عراقي: «قررت الحكومة الفرنسية أن تضع شرطية فرنسية داخل بيت السيد الإمام وسماحته رفض ذلك، فاقترح بعض الأخوة ومنهم السيد محمد منتظري، أن نتصل بك لتقومي بهذه المهمة وتستقري في بيت الإمام».

«واردفت السيدة «دباغ» تقول: «وهكذا استقريت منذ ذلك اليوم في بيت سماحة الإمام، وقد سبقتني السيدة «سرور (توران) طليعة» زوجة الدكتور إبراهيم يزدي، في إعداد الطعام لسماحة الإمام وكانت تجلبه لسماحته، وبعد استقراري في البيت، طلبت منها أن لا تكلف نفسها بذلك وسأتعهد بنفسي هذه المهمة».

كذلك تحدثت لي السيدة «دباغ» عن آية الله سعيدي وحضورها في دروسه، وعندها تذكرت ما قاله لي السيد أحمد في ليلة زواجنا: أرجو أن لا تصفقوا وتتجنبوا التظاهر بالفرح والسرور، لأني أُخبِرت أن آية الله سعيدي قد استشهد في سجون الشاه إثر التعذيب، ولم أكن حينها أعرف آية الله سعيدي كثيراً، إلّا أن هذه السيدة المجاهدة، حضرت في دروسه، وقالت لي: «كنت في إحدى المرات حاضرة في درس آية الله سعيدي وقد اتصلوا به هاتفياً، وبعد أن أنهى الاتصال، أخرج آية الله سعيدي ورقة من تحت البساط الذي كان يجلس عليه، وقام بتمزيقها فوراً، ثم وجه كلامه إلينا قائلاً: هل يستطيع أي منكم أن يأخذ هذه الأشرطة معه وينسخها ويوزعها بين الناس؟.. سارعت إلى تلبية طلبه وأخذت منه

الأشرطة بشكل خفي، حتى لا يراني أحد من الحاضرين، وأنا خائفة وقلقة، وأخرجتها بسرعة من البيت.

«وفي نفس اليوم هاجم جلاوزة السافاك بيت آية الله سعيدي، وبعد تفتيش البيت بدقة ألقوا القبض عليه وأخذوه معهم إلى السجن».

كنت أحياناً أغتنم الفرص المتاحة وأطرح بعض الأسئلة على السيدة «دباغ» ولم تكن ترغب كثيراً في التحدث أصلاً، وكنت أود أن تتحدث لي عن نشاطاتها السياسية وذكرياتها عن فترة اعتقالها، ولكنها كانت تأبى ذلك. ولكني حصلت منها على بعض التصريحات بسبب إصراري الشديد والمتواصل عليها.

تحدثت لي السيدة «دباغ» عن ذكرياتها قائلةً: «في أحد الأيام التي قضيتها في السجن، أغمي عليّ بسبب التعذيب الشديد، وبعد عدة ساعات من الإغماء أفقت وبجانبي إحدى ضابطات السافاك التي تحدثت معي بهدوء وسألتني عن أسماء الشعراء الذين أرتبط معهم؟! ولم أفهم هدفها من طرح هذا السؤال، فسألتني ثانية: من هم الشعراء الذين يثيرون مشاعرك؟ فأجبت: ليست لي أية علاقة مع أي شاعر ولا أعرف أياً منهم.. بعد ذلك أخرجت ورقة كتب عليها أبيات من الشعر وقالت: إذن لمن هذه الأشعار؟ قلت: لا أعرف، فقالت: سمعناك ترددين هذه الأشعار عندما كنت في الإغماء.. وما أن ألقيت نظرة عابرة على الأشعار إلّا وحفظتها، بينما لا أتذكر أني كنت قد سمعت تلك الأشعار ولا نظمتها يوماً».

وقد طلبت من السيدة «دباغ» أن تقرأ لي تلك الأبيات الشعرية، فرددتها أمامي، بل كتبتها لي بخط يدها تلبية لطلبي بأن احتفظ بخط يدها كذكرى عزيزة.


آية الله السيد سعيدي

لقد اعتادت السيدة دباغ، بذكائها وحنكتها، أن تراقب سلوك وتحركات المجموعات والشخصيات التي كانت تصل إلى نوفل لوشاتو؛ وفي إحدى الأمسيات نادت السيد أحمد وقالت له: «رأيت السيد الفلاني يتحدث مع عدد من المراسلين في أحد أركان باحة البيت بعد المؤتمر الصحفي الذي عقده سماحة الإمام مع رجال الإعلام والصحافة، ورغم أني لا أتقن اللغة الأجنبية التي كانوا يتحدثون بها، إلّا أنني شعرت أنه يتحدث إليهم حول رأي الإمام في قضية معينة، وينسب إلى سماحته ما يؤمن به هو، فأرجو أن تحقق في هذا الأمر للتأكد منه.. وبعد دراسة هذه القضية ومتابعتها تبين أنها صدقت في حدسها.. وبعد هذه الحادثة طلب سماحة الإمام أن يُكتب على لوحة (ليس للإمام الخميني ناطق رسمي، وأن رأيي في أية قضية هو كلامي الذي أعبر عنه) ؛ وطلب منّا أن ننسخ من تلك اللوحة ونوزعها في كل مكان.

وفي مرة أخرى وبينما كنت جالسة بجنبها هزّت السيدة دباغ رأسها وهي تقول: «حقاً أن يعيش الإنسان إلى جانب رجال عظام، فهو أمر مهم ورائع، ولا بُدّ من اغتنام مثل هذه الفرصة بشكل جيد، لأن سلوكهم وقولهم، بل وحتى سكوتهم، مليء بالدروس والعبر.. ثم قالت: «في إحدى المرات رآني سماحة الإمام، وهو يمر من أمام المطبخ، وأنا منشغلة بفتح مظروف رسائل، فسألني: هل أن هذه الرسائل تعود لي؟

باسمه تعالی

اشعاری که [illegible] امروز

[illegible] بودم . و یکی از روزهایی که [illegible]

شکنجه و [illegible] دیوار

زندان را [illegible]

[illegible]

[illegible] این اشعار را زمزمه می‌کردم :

[illegible] بالم ز عشق

[illegible] ز عشق

عشق که آغاز من و پرواز من

عشق دمساز من و همراز من

من زبان عشق می‌دانم ز عشق

خط روی سبزه می‌خوانم ز عشق

[illegible]

[illegible] سرگشته سرگردان او

تا مست اندر حرم عشاق بود

با تو با عشق هم میثاق بود

گفت این عشق بلندی مشکلست

این چنین آسان نمی‌آید بدست

اولش باید بسوزی خویش را

دور سازی هر کم و هر بیش را

تصفیه گردی ز [illegible] گردی از درون

تا بریزی هرچه با خامی درون

چون چنین شد گام را برداشتی

ذره‌ای از عشق در خود ساختی

اینک باید که ستاری کنی

نی ز هر تیر بلا زاری کنی

بی تأمل تا [illegible] گردیده گل

بی شکیبا غنچه کی گردیده گل

صبر باید تا بروید دانه‌ای

صبر کن گر عاشق جانانه‌ای

والسلام علیکم

سال ۱۳۵۲ [illegible] زندان قصر

صورة عن مخطوطة «السيدة دباغ»

قلت: نعم سيدي. فقال سماحته: إذن لماذا تفتحينها؟ قلت: أنا لا أنظر إلى مضمون تلك الرسائل أبداً، بل أفتح المظروف فقط ولا غير، فقال: إذاً لماذا تقومين بفتحه؟ أجبت: التزاماً بالنواحي الأمنية وتجنُّب حدوث أمر ما، فقال سماحته: ولهذا السبب بالذات أقول لك أن لا تقومي بهذا العمل!! فقلت له: لقد تدربت على كيفية فتح مثل هذه الرسائل والالتزام بالحذر الأمني في مثل هذه الحالة، ونأمل أن لا يحدث أي مكروه، وقبل كل هذا، فإن أمة بأسرها تنتظركم، وحتى لو حدث لي أي مكروه، فلا يهم ذلك، لأن المهم أن يكون سماحتكم سليماً ولا يصبكم أي مكروه، فقال السيد الإمام: كلا، ليس الأمر بهذا الشكل؛ لأن أبناءك وأفراد أسرتك بانتظارك أيضاً.. فأرجو أن تخصصي وقتاً لتعلميني ما تدربت عليه بهذا الشأن.

«وهكذا لقنني سماحة الإمام دروساً في التعامل الإنساني والإسلامي، وكيفية التضامن مع الآخرين ومواساتهم، فضلاً عن ضرورة

وأهمية التعلم والاطلاع على الأمور الجديدة في أي زمان ومكان، ومهما كان موقع الإنسان ومكانته السياسية والاجتماعية».

وفي أحد الأيام سمعت أن سماحة الإمام خاطب السيدة «دباغ» بجملة جعلها تقول له بخجل وندم: «على عيني، حتماً سيكون كذلك»؛ مما جعلني أهتم كثيراً بهذا الأمر وأتابعه حتى أعرف ماذا قال سماحته لها، لم أطق الصبر كثيراً، فسألت السيدة «دباغ»: هل حدث أمر ما؟! فقالت: أجل، لقد طلبت مني إحدى السيدات المنتميات لأحد الفصائل السياسية الخاصة، يوم أمس، أن أقف إلى جانب سماحة الإمام لتلتقط صورة لي نستفيد منها إعلامياً في المستقبل؛ فقبلت فكرتها واتفقنا أن تقوم بهذه المهمة وتلتقط صورة لي مع سماحة الإمام عندما يريد الخروج من الخيمة التي اعتاد أن يصلي فيها جماعة، وأن أنشغل معه في حوار مّا حتى تلتقط الصورة المطلوبة.. وعندما ذهبت نحو سماحة الإمام طبقاً للاتفاق مع تلك السيدة، رفض سماحته أن يقف لأتحدث معه وخاطبني قائلاً: أرجو أن تكلميني فيما بعد!! وبعد عدة دقائق، ناداني سماحته قائلاً: «هل طلب أحد منك أن تتحدثي معي هناك؟ فقلت له وأنا خجلة ونادمة: نعم سيدي، فقال لي: أرجو أن تخبريني بشأن أي مهمة يكلفك بها أي شخص، وتطلعيني على ذلك مسبقاً، فقلت لسماحته: «على عيني، حتماً سيكون كذلك»!!.

وفي يوم آخر قالت السيدة دباغ لي: «لو بذلنا جهوداً مضنية لألف عام، فلن نتمكن أن نفهم جيداً عظمة سماحة الإمام».. ثم نقلت لي تفاصيل حادثة شراء الفاكهة، وقالت: «عندما ذهبت يوم أمس إلى السوق، وجدت أن سعر البرتقال المعروض أرخص مما كان عليه في اليوم الذي سبقه؛ فاشتريت ضعف حاجتنا من البرتقال وجلبته إلى

البيت حتى نستفيد منه في اليوم القادم.. وعندما شاهد سماحة الإمام ذلك خاطبني بالقول: «أيتها الأخت، هل عندنا ضيوف اليوم»؟! قلت: «كلا سيدي، فقد اشتريت طبقاً للبرنامج».. وظننت أن سماحته سيفرح إن اطّلع على التفاصيل، لذا قلت موضحة: «كان سعر البرتقال رخيصاً اليوم، لذلك اشتريت كذلك حاجتنا منه ليوم غد». وفجأة رأيت سماحة الإمام قد انزعج خلافاً لتوقعي، وقال: «لماذا قمت بمثل هذا العمل»؟ أجبت: «سيدي، كان لا بُدَّ أن نسدد مبلغاً من المال غداً أكثر من المبلغ الذي سددته اليوم لشراء البرتقال».. فقال سماحته: «لا بُدَّ أن تشتري بقدر حاجتك وتسمحي للآخرين أن يشتروا البرتقال بهذا السعر الرخيص»»!!.

ذكرى بدء العام الميلادي الجديد (١٩٧٩م)

مع حلول ليلة عيد ميلاد السيد المسيح (ع) والسنة الميلادية الجديدة (١٩٧٩م) سأل سماحة الإمام الأخوة ممن يسكنون فرنسا عن الأعراف والتقاليد المتبعة هناك في مثل هذه المناسبة؟ ثم طلب من السيدة دباغ أن تُعدّ مجموعة من الهدايا بعد أن تستشير الآخرين، ليتم تقديمها لجيران بيت سماحته في نوفل لوشاتو، بعدها قال: «أرجو أن تقدموا رسالة تهنئة[1] من قبلي لهذه الأسر مرفقة مع باقة من الورد والهدية المعدة لهم وتعتذروا إليهم بالنيابة عني بسبب الإزعاج الذي حصل لهم لوجود الأعداد الكبيرة من الناس في منطقتهم، والذين

(١) أصدر سماحة الإمام الخميني بتاريخ ١٩٧٨/١٢/٢٢ بياناً هنأ فيه جميع المسيحيين في العالم حلول ذكرى مولد السيد المسيح (ع)، للمزيد يمكن مراجعة الهامش الثالث في نهاية الفصل.

زارونا خلال هذه الفترة».. بعد ذلك قام بهذه المهمة عدد من أعضاء مكتب سماحة الإمام ومنهم السيدة دباغ والسادة قطب زاده وصدوقي وموسوي خوئينيها وشقيقي صادق وكذلك شارك السيد أحمد في هذه المهمة لمرة أو مرتين، وقد ترك ذلك أثراً إيجابياً ورائعاً بين سكان نوفل لوشاتو.

وخلال إحدى هذه الزيارات جرت حادثة ملفتة ومثيرة للدهشة، وهي أن ربّ إحدى الأسر التي زارها السيد أحمد برفقة عدد آخر من أعضاء مكتب الإمام بهذه المناسبة، اندهش للغاية من هذه الخطوة وعبر عن فرحته وسروره الشديد بسبب ذلك من خلال الطلب من زوجته أن تجلب من مخزن البيت أعتق المشروبات الكحولية التي يحتفظون بها هناك وتقديمها للضيوف، إلّا أن زوجته منعته من ذلك ونبهته أن هؤلاء مسلمون ويحرمون تناول المشروبات الكحولية، فاعتذر قائلاً: «لقد كنت أعرف أن المسلمين يصلون ونساءهم يلتزمن الحجاب ولكني لم أكن أعرف أن دينكم يحرم تناول المشروبات الكحولية»!!.

انفجار بعد الضغط

في اليوم الأول لوصولي نوفل لوشاتو سمعت أن سماحة الإمام التقى الصحفي المصري المعروف محمد حسنين هيكل[1]، وانتظرت بكل لهفة حتى أعرف ما جرى خلال ذلك اللقاء.. حيث إني كنت قد سمعت باسم السيد هيكل، وأنه صحفي معروف ويدير إحدى الصحف الواسعة الانتشار؛ وقد لفتت انتباهي أجوبة سماحة الإمام على الأسئلة التي طرحت عليه.

---

(١) جرت تلك المقابلة الصحفية بتاريخ ١٩٧٩/١/٢٢ م، للتعرف أكثر على السيد محمد حسنين هيكل يمكن مراجعة الهامش الرابع في نهاية الفصل.


الإعلامي المصري المعروف
محمد حسنين هيكل

سأل السيد هيكل سماحة الإمام: «كيف يمكنكم مقارنة حركتكم الإسلامية الحالية مع التحرك الذي حدث خلال عصر مصدق؟ وهل تتوقعون أن تنتشر آثار تحرككم الإسلامي إلى باقي الدول»؟.

أجابه الإمام الخميني: «إن تحركنا الحالي ما هو إلّا نموذجاً للحركة التي شهدها الصدر الإسلامي الأول وسيترك خلال فترة قصيرة تأثيراً عميقاً وبعيد المدى».

فسأله: «خاض الشعب الإيراني خلال عامي ١٩٥٠ و١٩٥١ نضالاً معروفاً ضد البريطانيين، أي ضد الاستكبار البريطاني، ما هو الفرق بين ذلك النضال والنضال الحالي للشعب الإيراني»؟.

قال السيد الإمام: «إن التباين الرئيس بين تحركنا الحالي والتحرك الذي حدث خلال عصر المرحوم الدكتور مصدق هو أن ذلك التحرك كان سياسياً بحتاً، بينما كان أكثر الناس لا يعرفون شيئاً عن السياسة آنذاك، إلّا أن التحرك الحالي ذو طابع ديني وأن أكثر الناس المشاركين فيه مسلمون ويحبون الإسلام. وبالتالي، فإن التحرك الحالي إسلامي - سياسي بينما التحرك السابق كان سياسياً بحتاً».

فسأله: «هل تعتقدون أن هذا التحرك سيحقق أهدافه؟ فإيران دولة كبيرة ومصدرة للنفط، وشُرطيّ المنطقة، والمحافظة على المصالح الإمبريالية، وعضوة في الحلف العسكري الدولي؛ وتعرفون جيداً أن

أعداءكم أصبحوا الآن أكثر تجربة من السابق. صحيح إن القيادة السياسية والدينية كانت منفصلة عن بعضها البعض آنذاك (الدكتور محمد مصدق وآية الله ابوالقاسم كاشاني) بينما اليوم القيادة السياسية والدينية واحدة، ولكن ينبغي أخذ هذه النقطة المهمة بنظر الاعتبار، وهي إن أعداءكم اليوم متحدون وتخضع المنطقة كلها لهيمنتهم، وأن تحرككم الحالي فاجأ أعداءكم الغربيين.. سؤالي هو: ما هو برأيكم سبب حدوث مثل هذا الأمر»؟.

أجابه سماحة الإمام بكل قوة وحسم وإصرار: «إن هذه القدرة والقوة نابعة من الإسلام.. لقد نبهت السيد كاشاني آنذاك أن يهتم بالجانب الديني، ولكنه بدل أن يعمّق هذا الجانب عمد إلى الاهتمام بالجانب السياسي، إنما حركتنا الحالية دينية في جميع المجالات، حيث أن الشعب الإيراني يريد الإسلام، بينما التحرك آنذاك كان من أجل النفط. لذلك، فإن هناك تفاوتاً مؤكداً بين الشعب الذي ينتفض من أجل تحقيق الربح والفوائد وبعض المصالح، والشعب الذي ينتفض في سبيل الله.. كما أن الحركة كانت مادية آنذاك والآن فإنها حركة معنوية؛ من هنا أقول إنها تشبه تماماً الصدر الإسلامي الأول. ونحن نؤمن بنجاحها وانتصارها، لأننا نقوم اليوم بأداء تكليفنا الشرعي، وهذا هو منطق الصدر الإسلامي الأول.

سأل السيد هيكل: «المراقبون الذين ينظرون لما يجري في إيران اليوم لا يمكنهم تصديق هذه الحركة العظيمة، لأنها المرة الأولى في التاريخ التي يقود فيها الزعيم مجتمعه عن بُعد ويرشده في ثورته.. أين تكمن برأيكم عظمة هذا التحرك»؟.

أجابه سماحة الإمام: «إن كل ضغط يؤدي إلى الانفجار، وكلما كان هذا الضغط عامّاً وشاملاً، فإن الانفجار الذي ينتج عنه سيكون عامّاً

وشاملاً أيضاً. فالشعب الإيراني تعرض للضغط الشامل والعام ومن كل الجهات، وقد أدرك علماء الدين المشكلة الرئيسية التي واجهت أبناء الشعب والتي أدّت إلى اندلاع ثورتهم.. وأنا أفهم لغة الناس، وأعرف مؤسسات المجتمع وفصائله، وأتحدث بلغتهم، وأخاطبهم بمنطق قلبهم، وأنا مطّلع على نقاط ضعف النظام البهلوي الجائر لخمسين عاماً، وأبناء الشعب كانوا في حالة انفجار، وإن الاستبداد الذي فرض عليهم أدّى إلى هذا الانفجار. كما أن انتفاضة علماء الدين وتحركهم، هو الذي سبّب هذا الانفجار».

وعندما سأله: «ألا تظنون أن أمريكا والجيش سيتدخلون عندما يرون أن مصالحهم تهددها الأخطار»؟! أجاب سماحته: «لربما يظنون، طبقاً لتجاربهم السابقة، أن بإمكانهم أن يشنوا هجوماً عسكرياً، ولكن ذلك لن يبقى أو يستمر أبداً، لأن الدولة التي انتفض جميع أبناء شعبها ضد الحكومة، فإن المهاجمين لن يستمروا في غيّهم ولن ينالوا أهدافهم. ولو نفذوا مثل هذا الأمر، فإنهم سيهزمون حتماً».

الإمام الخميني يعاتب علماء الأزهر

بعد انتهاء المقابلة الصحفية خاطب سماحة الإمام السيد هيكل قائلاً: «أريد ان أؤكد لك أمرين مهمين للغاية:

أولاً: «إن ثورتنا إسلامية، وهي في الواقع انتفاضة شعب مظلوم بوجه جبارين يريدون القضاء على الجميع وإبادتهم؛ ما الذي أصاب علماء الأزهر[1] حتى يعلنوا تأييدهم للشاه ويعارضوا تحرك الشعب

---

(١) الأزهر هو أول مسجد شيد في مدينة القاهرة عاصمة مصر، كما أنه اسم أكبر جامعة في العالم الإسلامي، والبعض ينسب هذا الاسم إلى السيدة فاطمة الزهراء (ع).

الإيراني المسلم المظلوم؟! ما الذي ينبغي أن نفعله مع مثل هؤلاء العلماء»؟.

علّق السيد هيكل قائلاً: «للأسف إن علماء الأزهر يطيعون أوامر الحكومة، لذلك فإن بعض الشيوعيين يقولون لنا إن الدين وسيلة وأداة بيد الحكومة لتحقيق أهدافها».

اضاف سماحة الامام:

ثانياً: «أطالبك (وانت كاتب متمكن ومحترف) أن تسافر إلى إيران إن أمكن، وتحقق في هذه الجرائم التي ترتكب هناك وتراها عن كثب واسأل جميع أبناء الشعب، السياسيين، وتجار السوق، والكسبة، والفلاحين، والموظفين.. وحتى العسكريين، واستفسر عن أوضاعهم ومشاكلهم. بل وأدعوك أن تؤلف كتاباً عن إيران».

الفندق والقساوسة المسلمون!!

بالقرب من مقر إقامة الإمام الخميني في نوفل لوشاتو، كان هناك فندق صغير تملكه امرأة عجوز، حيث كانت جميع غرفه مؤجرة من قبل الإيرانيين خلال تلك الأيام؛ وكانت تقول: «أنا مسرورة جداً لأن جميع غرف فندقي محجوزة، بل إن أغلبها يقطنها (القساوسة المسلمون)!!.

ولكنها كانت منزعجة فقط لأنها لا تستطيع أن تسيطر على حركة ذهاب ومجيء ساكني الفندق أو تنظم ذلك، وكانت دائماً تبحث عبثاً عن طريق حل لذلك، ولكنها اضطرت أخيراً أن تقبل بالوضع الموجود.

في الطابق العلوي للفندق كانت توجد غرفتان صغيرتان وغرفة كبيرة يعلوها سقف بشكل رقم ثمانية؛ وكان السيد أحمد برفقة السادة صدوقي وموسوي خوئينيها وحسين الخميني وخمسة آخرين، يقيمون في

تلك الغرف فضلاً عن استضافتهم لسادة آخرين مثل السادة مطهري وموسوي أردبيلي[١] وبهشتي والمهندس بازركان وغيرهم، والمشكلة الرئيسية في تلك الغرف هو سقفها القصير حيث إن ساكني تلك الغرف كان لا بُدّ أن يحذروا دائماً خلال الوقوف حتى لا تمس رؤوسهم السقف ويتأذوا بسبب ذلك.

وقد ذهبت في أحد الأيام لذلك الفندق لأتفقد السيدة لاهوتي التي كانت تقيم مع زوجها في إحدى الغرف وشاهدت ذلك عن كثب، ومع أني كنت أعرف تلك المشكلة إلّا أن رأسي لمس السقف بشدة حينما أردت الوقوف.

كان السيد لاهوتي يقول: «أنا من شمال إيران ولا يمكنني أن اتخلى عن تناول الأرُز واكتفي بتناول البطاطا والخبز الفرنسي».. لذلك كان قد اشترى مقداراً من الأرُز، وكانت زوجته تطبخه له في الغرفة ذاتها، رغم قلّة الإمكانات، وتخلطه مع البطاطا اوالطماطم وغيرها من الخضار، وقد استضافتني أنا والسيد أحمد في إحدى المرات وأعدت لنا وجبة طعام لذيذة.

وكان بعض المقربين والأصدقاء الذين زاروا الفندق وشاهدوا عن كثب الأوضاع غير المناسبة السائدة فيه، قد انتقدوا ذلك، ولكن ما الحل؟ ولا بُدّ أن يتحملوا ذلك.

---

(١) ولد آية الله ميركريم (عبد الكريم) موسوي أردبيلي عام ١٩٢٥ م في مدينة أردبيل (شمال غرب إيران)، وكان منشغلاً في التدريس والتأليف قبل انتصار الثورة الإسلامية، وبعد الانتصار أصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة ومجلس خبراء الدستور الإسلامي ورئيساً لديوان القضاء الأعلى وكذلك عضواً في لجنة مراجعة الدستور الإسلامي.

نقل لي السيد موسوي خوئينيها أنه كان في الفندق مطعم صغير يرتاده أحياناً المسافرون الذين يمرون بسرعة على الفندق ويتناولون الطعام والشراب هناك.

وبسبب تقديمه للمشروبات الكحولية، فقد حرمنا على أنفسنا تناول وجبة الإفطار فيه ولم نكن نرتاده أبداً، إلى أن وصل آية الله الدكتور بهشتي إلى نوفل لوشاتو لزيارة سماحة الإمام واستقر في إحدى غرف الفندق.. وأضاف قائلاً: «في أحد الأيام بعد أن استيقظنا من النوم رأيت السيد بهشتي في طريقه لذلك المطعم لتناول الإفطار، فأخبرته أننا لا نذهب إلى هناك لأنه يقدم المشروبات الكحولية لمرتاديه، فسألني ولماذا؟ قلت له لأنه بالتالي نجس وغير طاهر. ولكنه قال: ما دامت الأواني والكؤوس تغسل من خلال جهاز الغسيل والعامل يرتدي الكفوف الخاصة، فليس هناك دليل على عدم طهارة الأواني أو نجاستها».

آية الله كميني!!

شهدت في تلك الأيام وصول أعداد غفيرة من الناس القادمين من مختلف دول العالم لزيارة سماحة الإمام في نوفل لوشاتو، وكانوا يقولون: «عندما نصل إلى الحدود الفرنسية، فإن شرطة الحدود يرحبون بنا ويقولون: (آية الله كميني)! ويرشدوننا للوصول إلى نوفل لوشاتو».. والبعض الآخر كان يقول: «عندما نركب سيارات الأجرة في باريس، ما أن يعرف السائق أننا إيرانيون يسألنا: هل تريدون الذهاب إلى نوفل لوشاتو»؟.. وأنا أيضاً مررت بمثل هذه التجربة، حيث كنت أعبُر يوماً من أحد الشوارع في باريس، وكان الزي الذي نلبسه يلفت بعض المارة، فاقتربوا مني وعبروا عن محبتهم لآية الله الخميني ببعض العبارات والابتسامات.

لقاءاتي في فرنسا

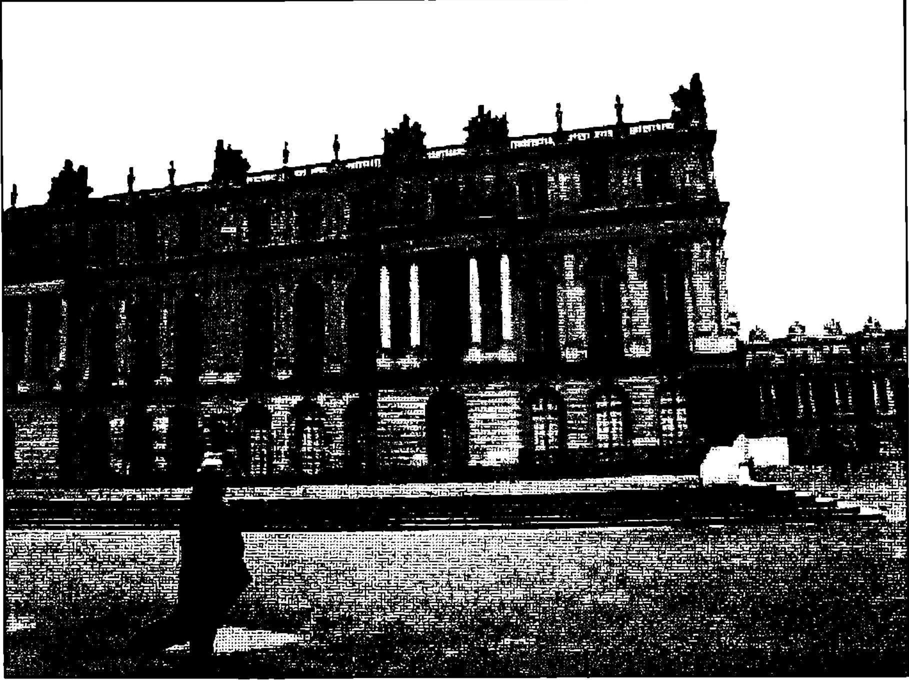
قررنا في أحد الأيام أن نزور برفقة عدد من الضيوف قصر (فرساي)[١] القريب من نوفل لوشاتو؛ وقد طلبت من السيد أحمد أن يرافقنا في هذه الزيارة وقَبِلَ الفكرة، ولكن قبل الانطلاق أُخبِر أن ضيوفاً قادمين من مختلف دول العالم لزيارة سماحة الإمام، ولا بُدّ له أن يكون حاضراً في اللقاء، لذا اعتذر عن مرافقتنا.

اضطلعت السيدة «رهيدة شفيق» زوجة الدكتور حسن حبيبي بمهمة الدليل والمرشد لنا خلال هذه الزيارة، وقد تجولنا في القصر والمتحف خلال ساعة واحدة، بينما كان من المفروض ان نقضي عدة ساعات للتجول في أنحاء القصر، فقلت لزميلاتي المرافقات لي مازحة: «نرجو من الله قبول هذا القدر من الجهد والتجول في المتحف بهذه السرعة وكأننا قضينا ديننا إزاء هذا المعلم التاريخي».

وقد شعرت حينها أن رؤية شيخ كهل يجلس على بساط متواضع في غرفة صغيرة في إحدى ضواحي باريس، واسمه يهز أركان القوى العظمى وهو يتسلح بقدرة الله الأزلية ويهزأ في المقابل بمظاهر القوة المادية الخاوية المحيطة به، أفضل بالنسبة لي وأكثر جاذبية من رؤية آثار الماضين، رغم أن ذلك أمر مطلوب في وقته ومكانه.

---

(١) قصر فرساي هو في الواقع مجموعة قصور تقع في مدينة فرساي بالقرب من باريس. وقد شهد هذا القصر حادثة التوقيع على معاهدة فرساي التي بموجبها انتهت الحرب العالمية الأولى. النقطة الملفتة في هذا المتحف هو عدم وجود مرافق صحية وحمامات. وعندما سألناهم إذن كيف كانوا يستحمون عند الحاجة قالوا: كانوا يأخذون الملكة وأفراد حاشيتها مرة في عدة أشهر إلى منطقة بالقرب من مدينة كولن في ألمانيا وفيها عين ماء معطر من أجل الاستحمام والنظافة، لذلك شيدت هناك مصانع للعطور تطورت تدريجياً وأصبحت تنتج أفضل العطور العالمية.



المؤلفة في قصر فرساي

وكنا أحياناً نذهب مساءاً برفقة والدي إلى بيت خالي في باريس[١] حيث كانت تتوفر هناك فرصة جيدة للقاء والدي والجلوس معه أكبر وقت ممكن.

قلت في إحدى المرات، لابن خالي الأكبر صدري (صدر الدين) إني أود رؤية برج إيفل عن قرب، فأخذني إلى منطقة البرج. ولكن بسبب البرد القارص وتساقط الثلوج، كان البرج مقفلاً لعدم إمكانية استخدام المصعد الكهربائي مما حال دون الصعود إلى أعلى البرج.

في إحدى الأمسيات وصل السيد أحمد برفقة السادة صدوقي وموسوي خوئينيها ولاهوتي وآخرين، إلى بيت خالي في باريس لزيارة

---

(١) كان أبناء خالي الإمام موسى الصدر يدرسون في باريس، حيث كانت زوجة خالي السيدة بروين قد وصلت باريس لزيارة أبنائها.


والدي السيد طباطبائي

والـدي، وفـجـأة شـعـروا أن ورقة رميت في القمامة التي أخرجت من البيت، فهرعوا للبحث عنها في المخزن الرئيس للقمامة، فوجدوها وسط تعجب العامل واندهاشه بسبب اهتمامهم بالورقة المفقودة.

وكانت الأيام تمر بهذا الشكل، وبدأ بعض الضيوف بالتفكير في العودة إلى إيران أو البلدان التي قدموا منها؛ وفي أحد الأيام قالت السيدة أم أحمد لي: «ليس لدينا اليوم برنامجاً خاصاً أو موعداً للقاء مع الضيوف، فإن رغبت يمكنك أن تؤمِّني ياسر عندي وترافقي أبناء أخت سماحة الإمام للتجول في باريس والتسوق من هناك قبل عودتهم إلى إيران».

رحبتُ باقتراح السيدة أم أحمد بكل سرور وانطلقنا بعد الظهر إلى باريس حيث تجولنا في شارع الشانزليزيه[1] وشاهدنا المحلات المنتشرة على جانبيه، فضلاً عن التجول في الشوارع الفرعية وتسوق الضيوف ما رأوه مناسباً قبل التوجه إلى المطار.. وقبل مغادرتنا المكان، طلب مني أحد الضيوف أن أشتري لأسرته مجموعة من الهدايا ليأخذها معه عند عودته إلى إيران، وكانت المهمة صعبة بالنسبة لي لتفاوت الأذواق

(١) شارع الشانزليزيه من أشهر شوارع العالم وأجملها وفيه أضخم المحلات التجارية وأحدثها ويعتبره الفرنسيون أجمل شوارع العالم.

والاهتمامات، ولعدم معرفتي تالياً، بالقياسات والأحجام المطلوبة. ولكن على كل حال أظن أني وُفقت في هذه المهمة.

مسيرات في نوفل لوشاتو

اعتاد السيد هادي غفاري نجل آية الله الشهيد حسين غفاري[١]، أن ينظم مسيرات في نوفل لوشاتو في مختلف المناسبات، وكانت بعض هذه المسيرات لا يستغرق الاستعداد لها سوى عدة ساعات، وكان السيد غفاري بارعاً في هذه المهمة وفي تنظيم صفوف الإيرانيين المتواجدين في نوفل لوشاتو، ليتظاهروا هناك تضامناً مع المتظاهرين في شوارع طهران وباقي المدن الإيرانية، وكان يؤمن فعلاً بأهمية الصرخات الغاضبة للشعب الإيراني المظلوم وتأثيرها الأكبر من الرصاصة.. وخلال فترة وجيزة يمتلئ الشارع الرئيسي في ضاحية نوفل لوشاتو، وكنت أشارك في هذه المسيرات وأنا أحتضن ياسر رغم شدة البرد، وكان البعض من الأصدقاء ينصحونني أن أشتري له عربة حتى لا يتعبني كثيراً، إلّا أني لم أكن أرى ضرورة ذلك، باعتبار أننا لن نبقى هنا سوى عدة أيام، كما أن البعض كان يساعدني في هذه المهمة.

وخلال تلك المسيرات كنت أرى، أحياناً، عدداً من الجيران الفرنسيين يعربون بمختلف الأشكال والحركات والعلامات عن سرورهم لتحول ضاحيتهم إلى مركز مهم، وعلى رأس اهتمامات العالم، وتصدرهم لأخبار أهم القنوات العالمية.

---

(١) آية الله الشهيد حسين غفاري (١٩١٤ ـ ١٩٧٤ م) من أبرز المجاهدين المسلمين، وقد ألقي القبض عليه من قبل السافاك بعد إلقاء خطاب ثوري في الرابع من حزيران عام ١٩٦٣ ضد المصادقة على لائحة الجمعيات الإدارية. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الرابع في نهاية الفصل.



من اليمين: السيدات نعيمة اشراقي، توران طليعة، جارتنا الفرنسية، زهرا اشراقي، المؤلفة، علي اشراقي والسيد حسن الخميني

أتذكر أن إحدى الشابات الفرنسيات قالت آنذاك: «منذ أن وصل (آية الله كميني) إلى فرنسا وأصبحت أخباره ونشاطاته المصورة في نوفل لوشاتو على رأس النشرات الإخبارية العالمية، فإن البابا عمد إلى القيام برحلات خارج الفاتيكان حتى لا يبدو متأخراً في التركيز الإعلامي»!!.

المركز الخبري في نوفل لوشاتو

تميزت تلك الأيام بالنشاط والحركة المستمرة حيث كان الجميع يتناقل الأخبار والتقارير التي تصل إلى نوفل لوشاتو، ويتحير المستمع أياً منها يصدقه، وما هي الأخبار الموثقة ويفصلها عن الاحتمالات والتوقعات، ولكن المهم في الأمر هو الاتصال السريع مع إيران وإيصال خطابات سماحة الإمام وكلامه إلى طهران وباقي المدن بشكل سريع

وانتشارها بين الناس، وبالتالي معرفة مدى تأثيرها على أبناء الشعب ونقل ذلك إلى سماحته.

وهكذا، فإن هذه الضاحية الصغيرة تحولت إلى مركز حر للإعلام السياسي للثورة الإسلامية، حيث كان المراسلون والمصورون الفرنسيون وغيرهم يأتون يومياً إلى نوفل لوشاتو، ويعدون التقارير المصورة لتبث عبر قنوات التلفزة الفرنسية وغيرها من القنوات.

وفي أحد الأيام كان نجلي حسن يلعب كرة القدم مع عدد آخر من الأطفال في أرض بالقرب من البيت، وقد بادر أحد المراسلين بتصوير الأطفال وهم منشغلين باللعب، وتم بث الفيلم إلى جانب الأخبار المرتبطة بسماحة الإمام في نوفل لوشاتو، وقد ترك ذلك تأثيراً إيجابياً بين الجميع، لا سيّما اليافعين والشباب.

كما أن الأجواء السائدة في مكتب سماحة الإمام، حيث يتجمع المراسلون والضيوف ورجال الإعلام، كانت دائماً مليئة بالنشاط والحركة، لا سيّما عندما كان سماحته يغادر محل إقامته ويعبر الشارع إلى الجهة الأخرى، حيث مكتبه ومحل استقرار الضيوف والمراسلين الذين يسعون حثيثاً للتقرب منه.



الإمام الخميني في نوفل لوشاتو

سمعنا في أحد الأيام أن الموظفين في أنحاء إيران لبوا نداء سماحة الإمام ولم يلتحقوا بدوائرهم، والكسبة امتنعوا عن فتح محلاتهم وشاركوا في المظاهرات.. وقد أحيا سماحته فيهم مرة أخرى الأمل بالنصر بكل جرأة وشجاعة وثقة بالنفس، وأكد لهم أنهم يمتلكون القوة الكافية لتغيير مصير البلاد والعباد وينقذوا، بالتالي، دولتهم ويستلموا زمام الأمور ويقرروا مصيرهم بأنفسهم دون الاهتمام بالفوضى غير المجدية.

في أحد الأيام دخل أحد الصحفيين برفقة الدكتور يزدي، مقر إقامة سماحة الإمام إلّا أن سماحته رفض الإجابة على أسئلته، فاندهش هذا الصحفي وانزعج بشدة. وبعد أن غادر نوفل لوشاتو التقى بآية الله السيد محمد بجنوردي في باريس وخاطبه قائلاً: «إن المسؤول الأمني في مكتب الإمام ذكي جداً». فسأله: «ولماذا»؟ فأجاب الصحفي: «لأني لم أكن صحفياً، بل أحمل هوية صحفي من إحدى وكالات الأنباء، حيث كنت مكلفاً أن أسأل الإمام حول قضية معينة، إلّا أن المسؤول الأمني في المكتب يبدو أنه كشف هذا الأمر واخبر آية الله الخميني بذلك». فأخبره آية الله بجنوردي أنه لا وجود لمثل هذا المسؤول في مكتب سماحة الإمام، بل إن فطنة الإمام وحكمته لعبت الدور الرئيس في ذلك.

لقد شاهدنا الكثير من الشخصيات قدمت في تلك الأيام إلى نوفل لوشاتو، ولم نكن نعرف سابقاً إلّا أسماءها، وكنا نُسَرُّ عندما نراها هناك، وكانت جموع القادمين إلى نوفل لوشاتو حاشدة وتؤدي إلى ازدحام شديد بالسيارات التي كانت تقل هؤلاء الزوار إلى المنطقة. وكنا ننزل إلى الشارع لمشاهدة تلك الحشود القادمة، وتنضم إلينا بنات الجيران من الفرنسيات متعجبات من قدوم هذه الأعداد الكبيرة من الناس لزيارة شخص واحد.

التحرك بين الخوف والرجاء

كنت أحياناً إلى جانب كل هذه البرامج والنشاطات، أشتاق إلى السيد أحمد بحيث كنت أشعر بضيق الصدر أحياناً، إذ لم تكن تتوفر له فرصة ليجلس معنا أكثر ونتبادل الأحاديث. كان دائم التحرك والتنقل بين المكتب والبيت، فخاطبته يوماً: «إن تنقلك هذا المستمر أشبه بالتنقل بين الصفا والمروة، وأنا اعتبره نوعاً من العبادة، لأنك لا تتوقف عن التحرك بين الخوف والرجاء.. لكن ذلك لا يحول دون الاشتياق إليك.. وأنا أنتظر منك أن تفكر قليلاً بي وبأولادي؛ فأرجو أن تعاملنا كما تعامل الضيوف القادمين إليكم وتقضي بعض الوقت معنا».. إلّا أنه غادرنا مودعاً بنظرة عميقة وودودة تضمر الكثير من المعاني.. وبعد فترة من الوقت يبدو أنه تأثر بكلامي وعاد إلينا ومكث عندنا لفترة من الوقت وشربنا الشاي معاً، وأشار خلال الحديث معه إلى ظروف العمل والأجواء السائدة هناك والأوضاع غير المتوازنة، لا سيّما بشأن الاختلاف الموجود بين بعض الشخصيات والفصائل المجاهدة والمناضلة، وابدى شكواه منهم بالقول: «منذ وصولي إلى نوفل لوشاتو عرفت أن هناك اختلافاً فكرياً جاداً بين الأصدقاء والزملاء، حيث أن طلاب العلوم الدينية لا يقبلون، غالباً، بالشخصيات والعناصر المقيمة في أوروبا وأميركا. وهؤلاء في المقابل، لا يقبلون بآراء وعقائد الطلبة. وسعيت ولا زلت أسعى، للتقريب بينهم. وكذلك أنقل آراءهم إلى سماحة الإمام». وأعطى مثلاً: «في إحدى المرات ذهبت متأخراً قليلاً إلى المكتب، فرأيتهم قد اختلفوا حول أعضاء الحكومة المحتملة!!.. في حين رأيت الصحفيين والمصورين يترصدون الجميع للحصول على أخبار خاصة ليستغلوها في تعميق الخلافات أو الانفراد بخبر وتحليل خاص بهم، فإن لم ننتبه للأوضاع، فإنهم سينشرون تحليلات البعض على أنها

أخبار خاصة، أو أنهم ينسبون بعض الأمور لسماحة الإمام وهو منها براء. على كل حال أنا، أيضاً، أشتاق دائماً لكم وأحب أن أجلس معكم واحتضن ياسر، ولكن ما العمل؟ يبدو أن مصيرنا قد قدّر بهذا الشكل»...

بعد أن استمعت إلى كلامه ضاق صدري أكثر، وشعرت أنه يتحمل مسؤوليات خطيرة. وبعد أن غادر لمتابعة عمله، لم أجد سوى الدموع ترجمة لهذا الضيق، فبكيت.

الأجواء السائدة في نوفل لوشاتو

منذ الأسبوع الثاني لوصول سماحة الإمام إلى نوفل لوشاتو، ووصول الحاج مهدي عراقي، أنيطت له مهمة إدارة مكان ومحل استقرار سماحته. وكان الضيوف القادمون إلى نوفل لوشاتو يُستقبلون بحفاوة وبساطة من خلال قطعة خبز وبيضة مسلوقة، وأحياناً قليلاً من البطاطا والطماطم وكأس شاي.. فقد سأل أحد الصحفيين سماحة الإمام يوماً قائلاً: «هل إن للبيض في دينكم خاصية معينة بحيث توصون بتقديمه لضيوفكم»؟ فسأله سماحته مستفسراً: «وكيف ذلك»؟ فأجابه: «سمعت أنكم تقدمون لكل زائر بيضة واحدة»!!.



الإمام الخميني والحاج مهدي عراقي

كذلك تم ابتكار وجبة جديدة من قبل أحد السادة وهي حساء يعد من بيض الدجاج بدل

اللحم، وكانت أخبار هذه الوجبة تتناقل عبر الألسن حتى داخل إيران.

فقد أعد أحد السادة كمية من اللحم وحوّلها إلى وجبة طعام لذيذة. وعندما سمع السيد أحمد بهذا الخبر خاطب الحاج مهدي عراقي مازحاً بالقول: «سمعت أن انقلاباً نفّذ ضدك مساء أمس، فقد تم إعداد وجبة طعام متفاوتة مع البرنامج الثابت المعد؛ مما استلزم أن يبحث الحاج مهدي عراقي عن مصدر موثق ليعد من خلاله اللحم الحلال.. وفي أحد الأيام تم شراء خروف وذبح في أحد الحقول المحيطة بالمنطقة وأعدّ منه وجبة طعام وحساء باللحم وقدم منه إلى سماحة الإمام، إلّا أن سماحته سأل عن مصدر اللحم المستخدم فيه، فشرح الحاج مهدي عراقي تفاصيل ذلك، فرفض سماحته تناول الطعام قائلاً: «إن عملكم مخالف لقوانين الحكومة الفرنسية، فارجو أن لا تكرروا ذلك». وقد جرى نفس الأمر في مرة أخرى عندما تم شراء عدد من الدجاج الحي وذبحه هناك، وكان رد فعل سماحة الإمام مماثلاً للمرة الأولى، مما جعل الحاج مهدي عراقي يفكر بشكل جاد بشراء اللحم اللازم لإعداد وجبات الطعام من متاجر المغاربة المسلمين في باريس.

الشعب الأميركي هو المعيار

دأب سماحة الإمام خلال تلك الأيام، على دعوة جميع أصحاب القلم والرأي لتأليف كتب حول إيران؛ ففي أحد الأيام التقى سماحته الباحث الأميركي المعروف ريتشارد كاتم[١]، وهو استاذ العلوم السياسية في الجامعة الأميركية، وقد وصف البعض هذا اللقاء بالمهم جداً،

---

(١) السيد ريتشارد كاتم أستاذ العلوم السياسية في جامعة (بيترز بورغ) الأميركية والباحث في القضايا الإيرانية، وكان آنذاك قد مرّ على باريس في طريقه إلى إيران حيث التقى سماحة الإمام في نوفل لوشاتو بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٩٧٨ م.

وكانوا يقولون إن هذا الباحث له أبحاث ودراسات عديدة حول الإسلام وتاريخ إيران؛ وكان قد أخبر أنه سيسافر إلى إيران للقيام بدراسات ميدانية دقيقة حول الأوضاع السائدة هناك.

وقد وصف سماحة الإمام، خلال لقائه السيد كاتم، الدراسات والابحاث التي انجزها حول إيران بالقيّمة، وخاطبه قائلاً: «لا بُدّ أن تعرفوا أن شعبنا لا يكن عداءً للشعب الأميركي، بل إن رؤساء جمهوريتكم هم الذين دعموا ولا زالوا يدعمون شخصاً مخالفاً لحقوق الإنسان وغير ملتزم بالمقررات والموازين الإنسانية». وتابع: «لا أرغب أن يحسب شعبنا الأعمال التي يقوم بها كارتر على الشعب الأميركي، فكارتر سيرحل ولكن الشعب الأميركي هو المعيار والميزان، وأنتم خلال رحلتكم إلى إيران، ستشاهدون عن كثب خيانات الشاه والمجازر التي يرتكبها جلاوزته ضد الشعب الإيراني البريء.. إن الأعمال التي يقوم بها كارتر ستجعل شعبنا يسيء الظن بالشعب الاميركي، فلا بُدّ أن تفكروا بطريق حل مناسبة وتحذّروا الحكومة الأميركية، فنحن نطالب بأن يعيش جميع أبناء البشر بسلام وهدوء وسكينة، وأعتقد أن نتيجة دراساتكم وتحقيقاتكم في إيران، ستُجمع في كتاب ضخم.. بل ستشكل رسالة ألم وغم وهم طويلة».

النقطة الملفتة في الأسئلة التي طرحها السيد كاتم على سماحة الإمام، هي سؤاله سماحته: «هل أنكم مطلعون على قوتكم ومحبوبيتكم بين الناس»؟ فأجابه سماحة الإمام، بكل تواضع وهدوء قائلاً: «ينبغي عليك أن تبحث عن جواب سؤالك في الدين وجانبه المعنوي، لأن القوة هي للدين الذي يفوق كل أنواع القوة الأخرى، حيث إن اعتمادنا هو على الله».

وواصل السيد كاتم طرح أسئلته على سماحة الإمام، ومنها قوله:

«إنكم خلافاً لبعض السياسيين في إيران لا ترون قوة كبيرة لأميركا في بلادكم، ما السبب في ذلك»؟ فقال سماحته: «إن الشعب الذي يعتمد على الله سبحانه وتعالى لا يخشى أية قوة أخرى».

رجل الدين المسيحي

اعتاد سماحة الإمام خلال لقاءاته مع الأشخاص والوفود الأجنبية، على الإشارة لمختلف الجرائم التي ارتكبها الشاه ودعم الحكومة الأميركية له، وكان يقول: «إن شعبنا يعتبر الحكومة الأميركية العامل الرئيسي وراء جرائم الشاه، إن جميع مشاكلنا ناتجة عن التدخل الأميركي ودعم أميركا لشاه إيران».

كذلك جرت العادة بعد كل لقاء أو مقابلة صحفية يجريها سماحة الإمام، أن يتم الحوار وتبادل الرأي وإعطاء التحليلات المختلفة حول تصريحات سماحته.. فمثلاً اشتد النقاش والتباحث بعد لقاء سماحة الإمام مع أحد رجال الدين والباحثين المسيحيين الذي جرى خلاله الحوار الآتي:

سأل الباحث المسيحي عن نوع الحكومة التي يسعى لإيجادها في إيران، أجابه سماحة الإمام: «إن حكومتنا ستكون استناداً للإسلام». فسأله: «ستواجهون قضايا جديدة في عالمنا المعاصر لم تكن مطروحة في زمن النبي محمد (ص)، كيف ستتعاملون معها»؟ أجاب سماحته: «إن هدف الحكومة الإسلامية تحقيق مصلحة المجتمع والأمة الإسلامية، لذا فإن الأحكام تتغير طبقاً لمصلحة الناس والمجتمع، فالإسلام أجاز للفقهاء والمجتهدين إصدار أحكام جديدة حسب الضرورة».

وهكذا، فإن أجوبة سماحته كانت مُلفتة ومفاجئة لهذا الباحث

البريطاني، كما أنها أثارت بيننا حوارات حول المصلحة وتغيير الأحكام وكيفية ذلك، بالأخص كيف يمكن لبعض الأحكام أن تتغير مع تغيير الموضوع والزمان والمكان وغيرها.

ومن الأمور التي كانت تطرح غالباً، وبأشكال مختلفة خلال لقاءات سماحة الإمام، هو وجود قلق جاد بشأن خطر أن يحل الاتحاد السوفيتي محل الهيمنة الأميركية في إيران، فكان سماحته يجيب بكل صراحة: «إن إيران لن تقع أبداً بأيدي الروس».. كما أن سماحته أجاب مراسل مجلة (تايم) الأميركية[١] قائلاً: «إن الشعب الذي طرد أميركا من إيران بكل فخر واعتزاز، وإصرار إسلامي، فانه وبنفس الفخر والإصرار والقوة، لن يسمح للاتحاد السوفيتي أو أية دولة أخرى، أن تتغلغل في إيران».

تعيين اللجنة الخماسية

تعتبر عملية استخراج النفط من القضايا الحيوية والمهمة في إيران آنذاك، فقد أدى إضراب العاملين في شركة النفط الوطنية والتحاقهم بالإضراب العام والمتظاهرين الثوريين، إلى خلق مشاكل جادة لنظام الشاه، وكانوا يسعون لممارسة أعمالهم إلى الحد الذي يؤمنون من خلاله حاجة البلاد لهذه المادة الحيوية ومشتقاتها.

وقد سمعت أن سماحة الإمام أصدر حكماً آنذاك بتكليف لجنة برئاسة المهندس مهدي بازركان للإشراف على إنتاج وتوزيع النفط في البلاد[٢]. بالطبع، فإن انتخاب هذه اللجنة في ذلك الوقت، حيث كانت

---

(١) أجريت هذه المقابلة الصحفية بتاريخ ٢٠/ ١٢/ ١٩٧٨ م.

(٢) أصدر سماحة الإمام هذا الحكم بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٧٨ م.

حكومة الشاه تسيطر على البلاد، وهي تعتمد بشكل رئيسي على الصناعة النفطية، كان خطوة جريئة ومدهشة للجميع، كما أن نظام الشاه بدوره كان يسعى، من خلال استخدام الضغط والقوة، للحؤول دون توزيع المشتقات النفطية في البلاد، فضلاً عن سعيه من جانب آخر، ومن خلال الضغط والتخويف والتهديد كذلك، إلى اختراق صفوف المضربين وإفشال إضرابهم وبالتالي مواصلة تصدير النفط إلى الخارج.

ومن أجل الحؤول دون تصدير النفط الإيراني إلى الخارج، وفي المقابل تأمين حاجة الناس للمشتقات النفطية، أصدر سماحة الإمام حكماً للمهندس مهدي بازركان ليترأس لجنة خماسية تتكون من السيدين هاشمي رفسنجاني والمهندس مصطفى كتيرائي واثنين آخرين يتم انتخابهما من قبلهم للإشراف على الشؤون المتعلقة باستخراج النفط وتأمين الحاجة الداخلية لمشتقاته، كما ومنع تصديره إلى الخارج، وذلك بالتعاون مع العاملين في قطاع الصناعة النفطية. كما أن سماحته ضمّن نص الحكم الإشارة إلى عدد من النقاط الرئيسية والمهمة في هذا المجال.

وكان سماحة الإمام يشير في خطاباته أحياناً إلى نقاط مهمة تثير علامات الاستفهام أمام البعض، فمثلاً عندما أكد سماحته أمام عدد من الصحفيين والمراسلين، بكل صراحة، أن الحكومة القادمة ستقطع علاقاتها مع إسرائيل والصهاينة ونظام جنوب أفريقيا العنصري، أشاعوا أن إيران تريد قطع علاقاتها مع جميع دول العالم، بينما أكد سماحة الإمام في تلك المقابلة، أننا نريد علاقات حسنة مع جميع الدول والحكومات في العالم[١].

---

(١) أجريت هذه المقابلة مع مراسل الإذاعة والتلفزة البريطانية (بي بي سي) بتاريخ ٤/ ١/ ١٩٧٩م، وقد أوضح سماحة الإمام في تلك المقابلة أسباب قطع العلاقة مع =

الجمهورية الاسلامية

في إحدى المقابلات الصحفية أعلن سماحة الإمام الخميني «إن هدفنا هو تأسيس الجمهورية الإسلامية، وأنا متأكد أننا سنحقق هذا الهدف في المستقبل القريب»[(١)].

بعض الحاضرين الذين سمعوا كلام السيد الإمام فرحوا كثيراً لما سمعوه، لأنهم كانوا يعتقدون أن سماحته لم ولن يعد بشيء لا يمكن تحقيقه.

وفي اليوم ذاته أصدر سماحة الإمام بياناً للشعب الإيراني دعاهم فيه لمواصلة الجهاد وحذرهم من الغفلة ولو للحظة «لأن أي تغافل سيؤدي إلى التفريط بالدماء الزكية التي قدمت في طريق الإسلام والحرية»، كما صرح سماحته في البيان أن النظام الملكي ومجلسي الشورى والأعيان غير قانونيين.

والحادث المهم الآخر الذي تناقله الجميع آنذاك، أن سماحة الإمام أعلن، باعتباره مرجع دين، إن طاعة النظام الحاكم حرام وهي بمثابة طاعة الطاغوت.

كذلك طلب من الموظفين أن لا يسمحوا للوزراء الفاسدين وغير القانونيين، أن يدخلوا إلى مباني الوزارات، وأن طاعة هؤلاء تعني مخالفة الإسلام والشعب.

= هاتين الحكومتين، كما رأينا أن حكومة الجمهورية الإسلامية أعادت علاقاتها مع دولة جنوب أفريقيا بعد سقوط الحكومة العنصرية فيها ووسعتها في كافة المجالات.

(١) أجريت هذه المقابلة بتاريخ ١٩٧٩/١/٥ مع مراسل الإذاعة والتلفزة الألمانية القناة الأولى.

كما أنه دعا أبناء الشعب إلى العمل على تضعيف الحكومة من خلال عدم تسديد الضرائب لها. وأوصى من جانب آخر الكسبة أن ينصفوا الناس عند بيعهم المواد الغذائية حتى لا يتحملوا ضغطاً كبيراً في حياتهم اليومية. كذلك سمح لعلماء الدين مساعدة العمال والمتضررين بسبب الإضرابات من خلال الاستفادة من الوجوه والأموال الشرعية التي بحوزتهم.

كما أعلن سماحة الإمام في مقابلة أخرى، أجريت معه في اليوم ذاته، أن الإسلام دين تقدمي وعصري وديمقراطي بالمعنى الحقيقي. وأوضح أيضاً، أن الأحكام الإسلامية أحكام تقدمية ومتحضرة للغاية حيث أنها تتضمن الحرية والاستقلال والتقدم والتطور الإنساني(١).

إزالة الأوهام

في أحد الأيام عمد سماحة الإمام، خلال خطاب ألقاه في جمع من الطلبة الجامعيين والحاضرين، إلى توضيح آرائه في مختلف الشؤون، مؤكداً أن النظام الملكي الحاكم في إيران نظام مفروض ولم ينتخبه أبناء الشعب أبداً، والأمة لا تقبل مطلقاً بمثل هذه الحكومة.. بل إن الشعب عبّر دوماً عن طلبه المتضمن تأسيس الحكومة الإسلامية، وليس هناك أدنى شك في ذلك.. كما رد سماحته على بعض مزاعم الشاه آنذاك، أشير إلى عدد منها(٢):

---

(١) أجرى هذه المقابلة مع سماحة الإمام الدكتور بيتر شولاتور كبير مراسلي ومحللي القناة الثانية في التلفزة الألمانية بتاريخ ١٩٧٩/١/٥م.. التقيت مع الدكتور شولاتور في عام ٢٠١٠ عندما كنت أضع اللمسات النهائية على كتابي هذا، للمزيد من التعرف عليه يمكن مراجعة الهامش السادس في نهاية الفصل.

(٢) من خطاب سماحة الإمام مع الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج بتاريخ ٦/١/ ١٩٧٩ م (كتاب صحيفة الإمام/ج ٥ ص٣٦١ ـ ٣٦٧).

- عندما نقول إن الشاه يجب أن يرحل، فإننا لا نقصد أن يذهب للتنزه، بل أن يتخلى عن سلطانه، وأقولها بصراحة: إن النظام الشاهنشاهي لا يقبل به الشعب، بل إننا ندعو إلى حكومة عادلة مستندة للقوانين الإسلامية.

- لقد قال الشاه إنه إن رحل فإن الغرب سيواجه مشاكل جادة بسبب عدم تصدير النفط الإيراني له، هو يهدف من ذلك إلى جعل الغرب في مواجهة الثوريين، بينما نحن نقول إننا سنواصل بيع النفط لأننا بحاجة إلى العائدات المالية وإننا سنبيع النفط لأي زبون جيد.

- لقد زعم الشاه أنه إن رحل فإن البديل هو النظام الشيوعي الذي سيحكم إيران، وهو يهدف من ذلك إلى تحريك أميركا، بينما الشعب الإيراني مسلم ولن يقبل الاتحاد السوفيتي بأي شكل من الأشكال.

- لقد قال الشاه إن هناك أقلية من الشعب تعارضني وسبب معارضتهم هو أنهم لم يفهموني.. أجل، إن الشاه يصدق في زعمه أن الشعب الإيراني لم يفهمه، لأنه ما دام الإنسان حياً ويعيش في هذه الدنيا، فلا يمكن فهم ملكاته وسماته الباطنية لأنها ليست ظاهرة بل إنها مخفية على الآخرين. وإن تلك الملكات تظهر في العالم الآخر، أي في عالم الملكوت (عالم الغيب)، لذلك، فإن الشاه يصدق في زعمه لأننا لا نحن ولا هو يمكننا أن نفهم ملكاته وملكات أبيه.. ولكن عندما يُزال الستار تظهر بواطن الأمور، وكما يعبِّر القرآن الكريم ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾(١).. إلّا أننا نقول نحن نفهم قسماً من الأعمال التي قمتم بها، فنحن نفهم أعمالك الشريرة أنت وأباك،

(١) سورة طارق، الآية: ٩.

ونفهم أجواء الرعب والخوف التي أوجدتموها؛ كما نفهم انتهاك الحرمات التي أنجزتموها.. وفي الوقت ذاته، لا نعرف شيئاً عن خياناتكم التي قمتم بها خلف الستار، ونجهل كذلك مصير المسجونين. فمثل هذه الأمور تسجلها ملائكة الله.. كما إننا لا نعرف شيئاً عن جلسات التعذيب في السجون التي لم تصلنا، فمثل هذه الأعمال يفهمها (نصيري) (رئيس السافاك) وأمثاله.. أجل نحن لم نفهمك بعد، فماذا كان سيحدث لو فهمناك جيداً.

النموذج الآخر كان فيما يخص ما يبثه السافاك من إشاعات تثير العسكريين وعناصر الجيش الإيراني ضد الثوريين وزعمهم أن الحكومة القادمة ستجتث الجيش لأنهم ليسوا بحاجة للجيش وعناصره.. مما دعا سماحة الإمام إلى مخاطبة عناصر الجيش قائلاً: «إن أي نظام أو حكومة أو أمة بحاجة مؤكدة للجيش المستقل والقوي، ونحن نحترم الجيش ونكرمه. والنظام بحاجة إلى الموظفين في أي مكان كانوا، ونحن نحتاج الجميع عدا اللصوص والفاسدين وغير النزيهين.

رسالة كارتر للإمام الخميني

جرى في أحد الأيام لقاء مع سماحة الإمام تميز بأنه فاجأنا واقلقنا في نفس الوقت، حيث أن الوفد كان يضم ممثلين عن الرئيس الفرنسي جيسكارديستان[(١)]، وكانت هذه المرة الأولى التي يزور سماحته ممثلون على هذا المستوى العالي عن قصر الأليزيه، والأعجب من ذلك، أن الوفد كان يحمل رسالة من الرئيس الأميركي كارتر، وعرفنا من خلال الاهتمام الكبير لرجال الصحافة والإعلام بهذا اللقاء أنه كان مهماً للغاية.

---

(١) جرى هذا اللقاء بتاريخ ٧/١/١٩٧٩م.


الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان

بعد اللقاء سمعنا أنهم اقترحوا على سماحة الإمام أن يتم الاعتراف رسمياً بحكومة بختيار في مقابل سعي الأميركان بمساعدة السيد الإمام، لإعادة الهدوء لإيران، وإن رفض الإمام هذا الاقتراح فلربما ينفذ الجيش الإيراني انقلاباً عسكرياً ويفرض سلطته على كل البلاد.

أجابهم سماحة الإمام قائلاً: «قولوا لكارتر، إن رسالتكم كانت تتضمن أمرين هما: أن نقبل أولاً بحكومة بختيار والثاني أنكم تهددوننا بشكل مّا، أي أننا إن لم نقبل بحكومة بختيار، فإننا سنواجه انقلاباً عسكرياً. أما فيما يخص ردنا على الأمر الأول، فهو أننا لا يمكن أبداً أن نقبل ببختيار رئيساً للوزراء، وأن الشعب الإيراني لن يخضع أبداً لحكومة بختيار، لأنه تم تنصيبه من قبل الشاه الذي هو بدوره غير قانوني.. وأنا أتعجب منكم كيف تحثوننا أن نقوم بعمل غير قانوني وأنتم تدّعون أنكم تلتزمون بالقوانين وترفعون راية القانون. أما الأمر الثاني، فهو أنكم تهددوننا بانقلاب عسكري ينفذه الجيش، فاعلموا إن الجيش مع الشعب الإيراني في صف واحد، وإن لم تتدخلوا أنتم، فإن الجيش لن يلجأ إلى القتل وسفك دماء أبناء الشعب أبداً».

وخلال اللقاء قدم الوفد مقترحاً لسماحة الإمام بأن تجرى حوارات سرية بين سماحته والرئيس الاميركي.

لا قانونية حكومة بختيار



شابور بختيار

في أحد الأيام أعلن سماحة الإمام رسمياً: إن حكومة شابور بختيار حكومة لا قانونية[١] ؛ وإن أي تعاون مع هذه الحكومة يعتبر حرام شرعاً. ورغم أن هذا النداء كان يعتبر نداءً سياسياً، إلّا أنه بسبب صدوره من مرجع تقليد لعدد كبير من أبناء الشعب الإيراني، فإن هذا الحكم يعتبر واجب التنفيذ بالنسبة لمقلدي سماحته، وبعد ذلك جرت اتصالات كثيرة بين مقلدي الإمام ومكتب سماحته يسألون عن حكم عملهم في الدوائر الحكومية واستلام رواتب شهرية من حكومة لا شرعية؟! فأجابهم سماحته: يتوجب على الموظفين أن يحولوا دون دخول الوزراء إلى مكاتبهم إن تمكنوا من ذلك.

الإعلان عن نوع الحكومة المراد تأسيسها

اشتدت مسيرة النضال والجهاد يوماً بعد آخر ضد نظام الشاه، ورفعت الجماهير مستوى مطالباتها في الشعارات الثورية التي كانت ترفعها في المظاهرات المناوئة للنظام الجائر، كما أن نشاط الإمام الخميني تضاعف بحيث كانت لقاءاته ومقابلاته الصحفية والإعلامية، تصل أحياناً إلى عشرة يومياً مع مختلف الشخصيات ووسائل الإعلام

---

(١) كان ذلك بتاريخ ٧/ ١/ ١٩٧٩م حيث أعلن سماحته عن ذلك في عدة مقابلات أجريت معه آنذاك.

العامة والصحافة. وقد أعلن سماحة الإمام رسمياً، أن الشعب الإيراني لن يكتفي برحيل الشاه، بل يطالب بسقوط النظام الملكي وتأسيس نظام (الجمهورية الإسلامية) في إيران.

إن إعلان الإمام الخميني عن نوع الحكومة التي ستقام في البلاد، ضاعف من نشاط وحركة الجموع المحتشدة، وأعلنت الجماهير دعمها التام والكامل لنظام الجمهورية الإسلامية، والبعض كان يقول إن عدداً من قادة الجيش الإيراني لا زالوا أوفياء للشاه ونظامه الملكي، ولربما يبادرون إلى ارتكاب مجازر دموية بحق الناس الأبرياء، مما دعا سماحة الإمام لمخاطبة ضباط وعناصر الجيش قائلاً:

«إن شعبنا يفرق بينكم وبين عدد ضئيل من أمراء الجيش الخائنين والسفاكين الذين يجلسون على رأس القوات المسلحة في إيران، حيث أني أعرف ان هناك الكثير من المخلصين في صفوفكم، ولا بُدّ لعناصر القوات المسلحة والعساكر، أن يفصلوا صفوفهم عن ذلك العدد الضئيل من الأمراء العملاء الأجراء».

التأكيد على نوع الحكومة

أظهرت الأسئلة التي أثيرت مراراً وتكراراً أمام سماحة الإمام، من قبل المراسلين والصحفيين حول نوع الحكومة التي سعى سماحته لعرضها، ويعمل على ايجادها، أنهم لم يفهموا معنى الحكومة الإسلامية. وكان البعض منهم يعلن ذلك بصراحة، فقد سأل أحد الصحفيين البريطانيين سماحة الإمام: «ماذا تقصدون بالحكومة الإسلامية»؟ أجابه الإمام الخميني بصراحة: «إننا نريد تأسيس الجمهورية الإسلامية، فالجمهورية هي الشكل والإطار المناسب لحكومتنا، وسنطلب من الناس أن يدلوا برأيهم حولها. والإسلام هو المضمون الأصيل لهذا الإطار، أي إن قوانين حكومتنا هي إلهية».

وقد صرح سماحة الإمام في رده على أسئلة الصحفيين والمراسلين المتكررة حول نوع الحكومة التي يسعى من أجلها قائلاً:

إن شكل حكومتنا هو (الجمهورية)، وهذا يعني أن الناس يحددون نوع الحكومة وكذلك مضمونها؛ كما أن رئيس الجمهورية ونواب المجلس يتم انتخابهم من قبل الناس. كذلك فإن جميع الأحزاب والأشخاص يحق لهم ترشيح أي شخص يرونه مناسباً للاضطلاع بمهمة رئاسة البلاد، إلّا أن الجماهير هي التي تنتخب رئيس الجمهورية بأكثرية الأصوات ومن خلال مشاركتها في انتخابات حرة.

«لن نستفيد من القوى العسكرية في الانتخابات، بل سنعتمد على آراء الناس الذين سيقومون بمهمة الإشراف على الانتخابات ويحافظون على نظمها بعد أن يتم انتخاب عدد من الأشخاص الموثقين والمطمئنين للإشراف على صناديق الانتخابات. وبالتالي، فإن الناس سينتخبون شخصاً واحداً لمنصب رئاسة الجمهورية الإسلامية.

«بالطبع فإني سأعرّف بدوري مرشحي لهذه الانتخابات[١].. فإن أراد الناس يمكنهم إعطاء أصواتهم له، وإن لم يرغبوا بذلك يمكنهم انتخاب أي شخص آخر لهذا المنصب؛ فالناس سينتخبون حتماً الشخص الصالح ما داموا أحراراً في هذا الانتخاب، فالمعيار هو مدى صلاح ذلك الشخص، حيث أن الرأي العام لن يخطئ في انتخاب الشخص الصالح، فلا يمكن أن يخطىء ثلاثون مليون إنسان في انتخابهم، وحتى

---

(١) بعد انتصار الثورة الإسلامية امتنع سماحة الإمام عن تعريف أي مرشح ودعمه لتقلد منصب رئاسة الجمهورية وذلك في أول دورة لانتخاب رئيس الجمهورية الإسلامية لأنه كان يعلم أن أكثر الناس سيصوتون لصالحه نظراً لحبهم وتعلقهم القلبي بسماحته، ولم يكن يرغب بالتالي أن تتأثر أصوات الناس بذلك. وقد اتبع سماحته نفس هذا الأسلوب في جميع الانتخابات التي جرت في البلاد.

لو حدث أي خطأ في ذلك، فإن الجماهير نفسها ستبادر إلى عزله عن المنصب.. ولو تم انتخاب شخص صالح لمنصب رئاسة الجمهورية، فإنه سينتخب حتماً حكومة صالحة.

«كذلك سنعمل بنفس الطريقة في مجال انتخابات المجلس، فالناس ينتخبون نوابهم بكل حرية. وسيتشكل مجلس لا يحقق مصالح أميركا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي».

رغم وجود التصريحات الواضحة لسماحة الإمام وتأكيده على دور الجماهير وأهمية أصواتهم في انتخاب المسؤولين في الحكومة القادمة، إلّا أنه كانت تثار أمام سماحته أسئلة أخرى حول دور الناس والسيادة الوطنية في الحكومة الإسلامية، ويكرر الإمام تأكيده على أن الناس هم الذين يحددون نوع الحكومة وهم يسعون من أجل استقرار القيم الإسلامية في المجتمع.

كتابة مسودة الدستور الإسلامي

خلال تلك الأيام التاريخية من عمر الثورة الإسلامية تم تكليف الدكتور حسن حبيبي من قبل سماحة الإمام بكتابة مسودة الدستور الإسلامي؛ كذلك طلب سماحته من والدي (لم يعلن عنه حينها) أن يساعد الدكتور حبيبي في ذلك، لا سيّما في المسائل الفقهية، لذلك فإن الدكتور حبيبي كان قلّما يتواجد في نوفل لوشاتو.. بل يحضُر أحياناً في منزل أبناء خالي في باريس ويتبادل الرأي مع والدي في مختلف الأمور المرتبطة بالدستور[١].

---

(١) بعد عودة سماحة الإمام إلى طهران، ومن ثم انتصار الثورة، تم الحديث كثيراً عن الدستور الإسلامي، للتعرف أكثر على ذلك يمكن مراجعة الهامش السابع في نهاية الفصل.

وكنت أحياناً أذهب إلى باريس لألتقيهم هناك وكان والدي يتواجد غالباً في باريس خلال حضورنا في نوفل لوشاتو.

كذلك دأب الدكتور حبيبي على المجيء إلى نوفل لوشاتو في كل مرة ينتهي من كتابة أي قسم من الدستور ليقدمه إلى سماحة الإمام الذي يقوم بدوره بتدوين ملاحظاته حول تلك المواد(١).



آية الله اشراقي ووالدي في نوفل لوشاتو

وقد عُرف الدكتور حسن حبيبي من بين أنصار الإمام المقيمين في أوروبا، بتميُّزه من حيث معلوماته القيّمة والتزامه الديني، والجميع كان يسميه بـ (الشيخ)، ويقرون بأمانته وتديُّنه.. وأصبح الدكتور حبيبي، مع وصول سماحة الإمام إلى باريس، مسؤولاً عن الأمور المالية للمكتب قبل أن تناط هذه المهمة فيما بعد، إلى الحاج مهدي عراقي بعد وصوله باريس.

---

(١) لا زال الدكتور حسن حبيبي يحتفظ بملاحظات سماحة الإمام المكتوبة بخط يده.

الحرية المستندة للتوحيد

تباينت الأسئلة التي كان يطرحها آنذاك الصحفيون والإعلاميون على سماحة الإمام، فالبعض منها كان جذاباً بالنسبة للمترجمين والمستمعين حيث يتم تناقل مضمونها بسرعة بينهم، منها ما أثاره مراسل صحيفة التايمز البريطانية إمام سماحته[١]، فهوسأل السيد الإمام خلافاً لباقي المراسلين، عن بعض الأمور الخاصة، حيث قال: «أودّ أن أتعرف على مرحلة طفولتكم وبرنامجكم الحالي، وأريد أن أعرف السبيل الذي أوصلكم إلى هذا الاعتقاد الذي تؤمنون به؟ وأنا كمسيحي أريد أن أعرف ما هي بالضبط عقائدكم؟ أين وكيف توصلتم إلى مثل هذه العقائد.. وكيف تطبقونها»؟.

صحيح أن هذه الأسئلة أثارها إعلامي مسيحي، ولكن يبدو أنها كانت أسئلة مشتركة للكثير من الإعلاميين والمثقفين الذين كانوا مشتاقين لسماع أجوبة سماحة الإمام على مثل هذه الأسئلة.

فقد أشار سماحته في البدء، إلى أن حياته الشخصية كغيرها من حياة باقي الأشخاص «ولا داعي لشرحها في الإعلام، ولكن فيما يخص عقائدنا، فهي مشتركة مع باقي المسلمين في أن أساسها (التوحيد).. وطبقاً لهذا المبدأ الرئيسي، فإننا نعتقد أن الذات الإلهية المقدسة هي أساس خلق العالم والوجود وكل العوالم الوجودية، وهو القادر والعالم والمالك لكل شيء.

«ونحن لا نسلّم إلّا أمام الذات الإلهية المقدسة ونطيعها، لذا لا يحق لأي إنسان أن يُرغم إنساناً آخر على طاعته.. ونحن نتوصل إلى مبدأ

---

(١) أجريت هذه المقابلة بتاريخ ١٩٧٩/١/٧م.

الحرية الإنسانية انطلاقاً من هذا المبدأ العقائدي، وطبقاً لهذا المبدأ الديني، لا يحق لأي إنسان أن يحرم الإنسان الآخر من الحرية، لأن سلب الإنسان حريته تعني جرّه نحو السقوط والانحطاط؛ كذلك نعتقد أن حق التقنين (القوننة) هو خاص بالله جلّ وعلا.. كما هو الحال بالنسبة لتنظيم قوانين العالم والكون».

وأضاف سماحته قائلاً: «إن أساس نضالنا الاجتماعي ضد القوى الاستعمارية المستبدة ينبع أيضاً، من مبدأ التوحيد هذا، لذلك، فإننا طبقاً لهذا الاعتقاد الديني، نقارع أي عنصر يهدد العدالة ويسعى إلى نشر القيم الخاوية في المجتمع».

بعد ذلك سأل مراسل التايمز قائلاً: «إنني أراكم صامدين كالصخرة وسط أمواج الحوادث والتحديات، ولكنني لا استطيع وصفكم كشخصية ثورية فحسب، إذن كيف يمكنني ان أبرر التناقض المشهود في دوركم كقائد ديني فضلاً عن كونكم زعيماً للمعارضة السياسية»؟!.

أجابه سماحة الإمام قائلاً: «إن استطعت أن تعرف مفهوم الدين في الثقافة الإسلامية لتوصلت إلى أنه لا وجود لأي تناقض بين أن يكون الإنسان زعيماً دينياً وسياسياً في الوقت ذاته، لأن السياسة وتنظيم العلاقة بين بني البشر، ومقارعة اللاعدالة، تعتبر كلها جزءاً من مهامنا الدينية والعبادية.. فلو راجعتم تاريخ حياة نبي الإسلام (ص) والإمام علي (ع) لرأيتم أنهما كانا قائدين دينيين وكذلك زعيمين سياسيين في الوقت نفسه.

«إن الدين في الثقافة الإسلامية لا يعني علاقة فردية ومعنوية بين الله والإنسان، فالاسلام كما يقول للإنسان اعبد الله، فإنه يعلمه كيفية عبادته أيضاً، وفي الوقت ذاته يعلمه كيف يعيش وكيف ينظم علاقته مع باقي البشر.. بل وحتى مع عالم الطبيعة؛ كما أن الإسلام تحدث مراراً

حول علاقة المجتمع الإسلامي مع المجتمعات الأخرى وقدم الإرشادات المناسبة بهذا الشأن».

وهكذا، فإن بعض الأسئلة المثارة والحوارات التي كانت تتم آنذاك، تتميز بالجاذبية للمستمعين، لذا، فإننا كنا نتحاور لساعات طويلة حول المواضيع المطروحة في هذه المقابلات، رغم أجواء البرد القارصة والثلج المنهمر في نوفل لوشاتو، وننسى أنفسنا أحياناً، وتأخذنا النقاشات وتضاعِف من نشاطنا، بحيث لا نشعر بالبرد حتى نعود إلى غرفنا.

رسائل بلا تواقيع

بينما كنا جالسين ليلة الثامن من كانون الثاني عام ١٩٧٩م انضم السيد أحمد إلينا وأخبر سماحة الإمام أن بيانات بدون تواقيع وزعت في أنحاء إيران تتضمن تهديداً بالموت لعناصر السافاك مع التأكيد أن منازلهم سيتم احراقها؛ وأضاف يقول: «إن هذه الرسائل والبيانات ستنسب حتماً للمجاهدين ومعارضي الشاه».

فكّر سماحة الإمام قليلاً وقال: «سأتحدث غداً حول هذه القضية».

وكان سماحة الإمام قد اعتاد أن يلقي خطابات في مختلف المناسبات بعد إقامة صلاتي الظهر والعصر أو المغرب والعشاء، فضلاً عن مقابلاته الصحفية والإعلامية التي يجريها مع المراسلين والشخصيات السياسية، ويضمّن كل ذلك بياناته ونداءاته لأبناء الشعب الإيراني.

لذلك انتظرنا حتى يخطب سماحته لنعرف بالتالي كيف سيواجه هذه المؤامرة الجديدة، وفي الوقت المحدد للخطاب سلمت ياسر للسيدة أم أحمد واتجهت نحو مكتب سماحة الإمام الذي هو في الواقع مركز قيادة الثورة.

وفي خطابه هذا حذر سماحة الإمام[١]، الشعب الإيراني من وجود أيادي غير نزيهة تعمل لإيجاد حالة من الرعب والخوف في صفوفهم، وخاطبهم قائلاً: «اعلموا أن الدين الإسلامي المقدس يصون أرواح وأموال الناس ويحرم أي نوع من الاعتداء على هذه الحرمات، لذا، فإن من يقوم بمثل هذه الأعمال إما ينتمون لفصائل منحرفة أو يهدفون إلى المحافظة على الشاه ونظامه، مستغلين حالة الفوضى التي تسود البلاد، فلا تهتموا بمثل هذه الرسائل والبيانات المجردة من التواقيع، لأن أي عقوبات بحق المجرمين لا تصدرها إلّا المحاكم الصالحة بعد إثبات جرمهم، ولا يحق ذلك للأشخاص العاديين».

حزب الله

من المصطلحات الجديدة التي كان يتم تناقلها آنذاك مصطلح (حزب الله). حيث أن المراسلين والصحفيين المحترفين المعروفين عالمياً، والذين كانوا قد أجروا مقابلات مع كبار السياسيين ورؤساء جمهورية مختلف الدول، عندما كانوا يصلون إلى نوفل لوشاتو لإجراء مقابلات صحفية مع زعيم النهضة الجماهيرية في إيران، يشاهدون أجواء ودية وبسيطة وبدون تجملات. وتلفت أنظارهم شخصيات سياسية بسيطة تعرف بأنهم من (حزب الله)، وقد سأل أحد الصحفيين الإيطاليين[٢] سماحة الإمام أن يوضح له مفهوم (حزب الله)، فأجاب سماحته قائلاً: «إن كل مسلم يقبل بالموازين والقوانين الإسلامية ويعمل بها، فهو عضو من أعضاء حزب الله، وإن خط سير ونشاط هذا الحزب يحدده القرآن

---

(١) ألقي هذا الخطاب بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٧٩ م.

(٢) أجريت هذه المقابلة الصحفية بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٧٩م.

والإسلام»؛ ثم أضاف يقول: «إن استلام زمام الأمور والاضطلاع بالمهام الحكومية في الإسلام لا تعتبر فخراً أو امتيازاً لأي أحد تمكّنه من تحقيق مصالحه الخاصة على حساب التفريط بحقوق الشعب، بل إنه واجب إلهي وتكليف رباني ثقيل يسخَّر الحاكم لأدائه، وإن الإسلام وضع حقوقاً ومهاماً معينة للحاكم وأبناء الشعب على حد سواء.

«كذلك يحق لكل فرد من أبناء الشعب أن يستوضح حكام المسلمين والمسؤولين وينتقدهم، ولا بُدّ لهؤلاء في المقابل، أن يجيبوا على أسئلتهم؛ ولكن هذا المسؤول إن قام بأي عمل مخالف لمهامه الإسلامية، فإنه يُعزل عن منصبه بشكل ذاتي».

تشكيل مجلس قيادة الثورة

بعد أن قضينا ليلة برفقة والدي في باريس، عدنا بعدها إلى نوفل لوشاتو، فشعرت أن أمراً مهماً حدث في غيابنا والجميع يتبادل الحديث بشأنه، فوصلت بسرعة إلى البيت وبدأت أسمع بعض الأخبار المتفرقة؛ فعرفت أن أمراً أهم مما توقعت قد حدث، فلجأت للسيدة دباغ، فحدثتني عن بعض التفاصيل ولكنها لم تكن كاملة، فانتظرت حتى التقيت بالسيد أحمد الذي قال: «إن سماحة الإمام أعلن في ندائه للشعب الإيراني أنه كلّف مجلساً للقيام بإدارة شؤون البلاد[1]، مما دعا الصحفيين والمراسلين للهجوم على نوفل لوشاتو ليتعرفوا على أسماء أعضاء هذا المجلس ويطّلعوا على مهامه التي كُلِّف بها».

---

(١) أخبر سماحة الإمام الشعب الإيراني بتاريخ ١١/١/١٩٧٩م أنه تم تشكيل مجلس قيادة الثورة ووعده بأنه سيعلن أسماء أعضائه في الوقت المناسب.

إشراف الإمام على أعمال المجلس

بعد انتخاب أعضاء مجلس قيادة الثورة، بدأ المجلس بعقد اجتماعاته السرية ورفع تقاريرها إلى سماحة الإمام بشكل منتظم، وكانت تتخلل هذه الاجتماعات نقاشات وحوارات ساخنة، وتظهر أحياناً اختلافات في وجهات النظر بين الأعضاء، وكان السيد أحمد يقوم بنقلها إلى سماحته. وفي المقابل ينقل أجوبة السيد الإمام إليهم.

سمعت في أحد الأيام أن الدكتور بهشتي ـ وهو أحد أعضاء المجلس ـ أخبر عن رغبة عدد من زعماء الجيش بلقاء أعضاء المجلس، وسأل عن رأي سماحة الإمام بذلك.

فأجاب سماحته قائلاً: «لا بأس أن تلتقوا بهم مع مراعاة الاحتياط الكامل، وقولوا لهم أن لا يقفوا أمام إرادة الشعب، وأفهموهم أن ليس بمقدورهم عمل أي شيء. وأن من مصلحتهم ان يقفوا إلى جانب أبناء الشعب».

وقد ترك هذا الخبر أصداءاً إيجابية. وزاد من معنويات المجاهدين ورجال الثورة.

وبينما كانت أجواء نوفل لوشاتو مليئة بأصداء ذلك الحدث المهم، وصلتنا أخبار جديدة من داخل إيران كانت تنبىء عن تحول جديد في حركة الثورة وأسلوب مقارعة النظام الشاهنشاهي، حيث ذكر أن مجموعة من الأوباش هاجموا بهراواتهم المتظاهرين في الشوارع مما استلزم أخذ رأي سماحة الإمام بشأن كيفية التصدي لهؤلاء، فقال سماحته: «يحق للجماهير أن تتصدى لهؤلاء الأوباش دفاعاً عن النفس».. وكان ذلك أول أمر يصدره سماحة الإمام يجيز من خلاله للناس أن يتصدوا للأوباش والقوات الخاصة التابعة للنظام، دفاعاً عن النفس.

الدفاع عن عناصر الجيش

في أحد تلك الأيام خاطب سماحة الإمام الجماهير الإيرانية قائلاً[(١)]: «أيها الشعب الإيراني العزيز، أخوتي وأحبائي، سمعت من أحد الأشخاص الموثقين خبراً رأيت من الواجب أن أطلعكم عليه، وهو أن هناك مؤامرة يحضر لها ولا بُدّ أن تفشلوها بوعيكم، وهي أنهم يريدون أن يحركوا مجموعة من الأشرار والعملاء بعد أن يرحل الشاه لمهاجمة الجيش والقوى الأمنية واستفزازهم باسمكم، أيها الشعب الثوري والمسلم، حتى يرغمونهم على الدفاع عن أنفسهم من خلال إطلاق النار على الناس وبالتالي ارتكاب مجازر دموية.. لذلك أنبّه أبناء الشعب الإيراني العزيز وجميع أجنحة القوات العسكرية والأمنية وأحذرهم من ذلك التزاماً مني بواجبي الإلهي، وأن يعملوا على إفشال هذه المؤامرة من خلال وعيهم واستقامتهم وشجاعتهم ومراعاتهم للأخلاق الإسلامية، وكما قلت لكم سابقاً، فإن على أبناء الشعب الأعزاء أن يتعاملوا بشكل حسن مع عناصر الجيش وقوى الأمن والشرطة، بل أن تدافعوا عنهم إن حاول الأشرار مهاجمتهم».

لقد ترك هذا النداء المهم الذي أصدره سماحة الإمام، ودعا فيه أبناء الشعب للدفاع عن الجيش، آثاراً إيجابية على معنويات أفراده، لا سيّما الجنود، لأنهم كانوا يرون أن السيد الإمام يوصي أبناء الشعب بالدفاع عنهم، بينما كانوا هم حتى قبل عدة أيام يطلقون النار عليهم..

وبعد هذه التوصيات، شهدنا كيف أن الناس يقدمون الورود للجنود ويقومون باحتضانهم، ويطلقون شعارات مليئة بالمحبة والمودة للجيش، وقد أدى ذلك إلى تغيير كبير وجذري في معنويات عناصر

---

(١) صدر هذا النداء بتاريخ ١٢/١/١٩٧٩م.

القوات المسلحة المنتشرين في الشوارع، ولم يبق إلّا عدد قليل منهم يصرون على موقفهم العدائي لأبناء الشعب حباً للشاه ونظامه، ولم يستمر ذلك طويلاً حيث لم تنجح هذه الأقلية في مواجهة الأكثرية.

حرية المرأة في الإسلام

تعتبر قضية المرأة وحريتها من القضايا التي سأل عنها أغلب الصحفيين ورجال الإعلام الذين التقوا سماحة الإمام آنذاك، حيث سأل أحد المراسلين سماحته قائلاً: «هل يعارض الإسلام حرية المرأة، وما هو رأيكم بهذا الشأن»؟

أجابه الإمام: «لا يعارض الإسلام حرية المرأة إطلاقاً، بل إن الإسلام وضع أسس مبدأ حرية المِرأة».

وكانت أجوبة سماحة الإمام تترجم حتى للجيران، والبعض منهم كان يطلب منا ان نوضح أكثر حول ما يتفضل به سماحته.

وبدأ هؤلاء يصدقون تدريجياً ما أثاره سماحة الإمام بشأن حرية المرأة في الإسلام، وذلك بعد أن شاهدوا عدداً من النساء والطالبات الجامعيات الناشطات في مكتب سماحته، فضلاً عن عشرات السيدات المتعلمات والمثقفات الملتزمات اللواتي كن يأتين لزيارة السيد الإمام في نوفل لوشاتو من إيران وشتى أنحاء العالم، ويتحدثون معه بكل حرية.

وقد تحدثنا يوماً مع عدد منهن حول بعض أحكام الإسلام فيما يخص الزواج وبدء الحياة العائلية المشتركة، وأن الرجل يتحمل لوحده نفقات الأسرة، وأن المرأة لا تتحمل أية مسؤولية بهذا الشأن، وقد اندهشن كثيراً بسبب ذلك، وقد طلب عدد منهن ـ مزاحاً ـ أن نجد لهن أزواجاً إيرانيين!!.

تصاعد حركة الثورة وغليان الداخل

وهكذا كانت الأيام تمضي والاضطرابات تزداد داخل إيران ويواصل أبناء الشعب بكل قوة وشجاعة ثورتهم ويصبوا جام غضبهم على النظام الطاغوتي من خلال قبضاتهم الحديدية وهتافاتهم المدوية في سماء المدن الإيرانية، وكذلك من خلال الدماء الزكية التي كانوا يقدمونها على مذبح الحرية والكرامة، وبالتالي يرسمون مستقبلهم ويسطرون صفحات تاريخهم بكل فخر واعتزاز في ظل قيادتهم الحكيمة والشجاعة.

خاطب سماحة الإمام أبناء الشعب في أحد تلك الأيام قائلاً: «ليعلم الشعب الإيراني العزيز أننا سنواصل الجهاد حتى آخر نفس حفاظاً على القوانين الإسلامية والمصالح الوطنية، ويتوجب على الجميع أن يستقيموا ويصمدوا في هذه الطريق. ولا تسمحوا للضعف والتراجع أن يتغلغل في صفوفكم، وكونوا على ثقة أننا سننتصر حتماً لأننا لا نطلب سوى الحق، وأن الحق منتصر لا محال».

لقد ترك خطاب سماحة الإمام وثقته الكاملة بالنصر، آثاراً طيبة وعميقة في نفوس الناس ورفع معنوياتهم، بل حتى على أولئك الذين لم يكونوا يعتقدون بالجانب الديني من النضال إلاّ أنهم يقرون بقدرة سماحته على خوض ومواصلة الطريق لمقارعة الظلم والاستبداد، فالجميع يعرفون أن القائد الذي يخوض نضالاً مريراً مع الشاه، وهو لا يملك إلّا قلماً وقرطاساً، ولا يُدعم من أية دولة أو قوة في العالم، إن مثل هذا القائد يعرف جيداً هدفه والطريق الذي يوصله إلى تحقيق هذا الهدف.

كذلك، فإن الأمر المهم الذي كان يدهش الجميع، يكمن في العلاقة العاطفية والعميقة بين الإمام والشعب، بحيث لم تضعفها أية

حادثة، رغم أن الأعداء حاولوا كثيراً أن يمسّوا تلك العلاقة أو يؤثروا عليها من خلال اللجوء إلى أساليب دنيئة، متغافلين أن هذه العلاقة لا تشبه غيرها بل هي من صنف آخر.

في إحدى الليالي وصلت مكتب سماحة الإمام اتصالات هاتفية كثيرة تؤكد أن شائعات قوية تتردد في إيران بشأن رؤية صورة سماحة الإمام على قرص القمر!!.. إلّا أن الشعب الإيراني الواعي لم ينخدع أبداً بمثل تلك الشائعات التي كانت من نسج أعداء الثورة، حيث كانوا يميزون جيداً بين الأخبار الصحيحة والشائعات المغرضة.

سمعنا في أحد الأيام أن بختيار في إحدى كلماته المتلفزة، قال إن آية الله الخميني لا يتمكن من إسقاط الحكومة.. وقد صدقه بعض زعماء الأحزاب السياسية بل حتى بعض العلماء.

وفي يوم آخر قدم السيد أحمد تفاصيل عدد من الأخبار القادمة من إيران إلى سماحة الإمام، فسارع سماحته إلى مخاطبة الشعب محذراً وموجهاً، حيث قال: «سمعنا أن الحكومة تفرغ مساءاً بالشاحنات، مخازن القمح حتى توجد مجاعة مصطنعة بين الناس، لا بُدّ أن يقف الناس أمام ذلك بوعي». وخاطب الجيش قائلاً: «إن أميركا تحاول أن تسرق الأسلحة التي زودت بها إيران بعائدات النفط، إن عليكم أن تحولوا دون ذلك».

كما دعا سماحته المزارعين أن لا يغفلوا عن الزراعة الديمية للقمح، ودعا المصارف الإسلامية أن تقدم قروضها للمزارعين، وأكد أن على الناس أن يدعموا المصارف في ذلك.

كذلك طلب من النواب أن يمتنعوا عن الذهاب إلى المجلس، وإلّا فإن الشعب سوف يعاتبهم ويحاسبهم ولا يرضى عنهم.

وحذر أيضاً أعضاء المجلس الملكي وطالبهم بتقديم استقالاتهم، وأعلن في المقابل أنه سيعرّف الناس قريباً بأسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة.

ومن خلال هذه البيانات والإرشادات، زرع سماحة الإمام الأمل في قلوب الناس، فضلاً عن تعريف الفصائل والفئات الحكومية وغير الحكومية، بواجباتهم ومهامهم الثورية الملقاة على كواهلهم[١].

هروب الشاه من إيران

بينما كنا جالسين في البيت، دخل السيد أحمد ومعه خبر هروب الشاه من إيران[٢]، ولم نصدق بدءاً، إلّا أنه أكد أن الخبر حقيقي والناس يحتفلون الآن في شوارع طهران وباقي المدن، وذرفنا جميعاً دموع الفرح. ومع انتشار هذا الخبر عبر وسائل الإعلام امتلأت شوارع نوفل لوشاتو مرة أخرى بالمراسلين والإعلاميين والضيوف الذين كانوا قد ذهبوا إلى باريس، ووصل عددهم إلى أكثر من خمسمائة إعلامي من شتى أنحاء العالم.

وبدأ المراسلون الذين كانوا يترددون على نوفل لوشاتو خلال هذه الفترة، بتقديم التهنئة والتبريك للإيرانيين لهذا الانتصار.. إلّا أننا كنا نشعر بالقلق من المستقبل المجهول ونحن في أجواء الفرح والسرور. وبدأنا نفكر بكيفية مواجهة المخططات الأميركية ومكائد نظام الشاه الذي لا يزال يحكم البلاد.. وخلال تلك اللحظات المليئة بالفرح والقلق والاضطراب والنشاط، كان الجميع ينتظر رد فعل سماحة الإمام وماذا سيقول بهذا الشأن.

---

(١) صدرت هذه الارشادات للشعب بتاريخ ١٤/ ١/ ١٩٧٩م.

(٢) كان ذلك بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٧٩م.



الإمام الخميني بين جموع الصحفيين، السيد أحمد، بني صدر، قطب زادة، مهدي عراقي والدكتور يزدي

دخل السيد أحمد إلى غرفة سماحته وأخبره عن الحشود الغفيرة من المراسلين والإعلاميين الذين ينتظرون في الخارج لسماع كلمته بهذه المناسبة.. إلّا أن سماحة الإمام قال: «إن الوقت الآن غير كافٍ، لاقتراب وقت صلاة الظهر».

ولكن رغم ذلك، خرج سماحته من البيت احتراماً للحاضرين، ولم يتمكن من عبور الشارع الفاصل بسبب الجموع الحاضرة هناك، ووقف خلف سياج البيت معتلياً أحد الكراسي، ونحن بدورنا أوصلنا أنفسنا إلى الجموع المحتشدة، ووقفنا مع الحاضرين للاستماع لخطاب السيد الإمام.

تحدث سماحة الإمام بكل صلابة وقوة كالعادة، وهنأ في البداية الشعب الإيراني بمناسبة هروب الشاه من البلاد، وأعلن: «إن خروج الشاه من إيران يمثل المرحلة الأولى لسقوط عهده الإجرامي الذي تم

بفضل الجهاد البطولي للشعب الإيراني».. بعد ذلك أعلن سماحته أنه سيعلن برنامجه السياسي في بيان منفصل.

كذلك خاطب الشعب الإيراني قائلاً: «احذروا.. لأن أصل الخطر لم ينته بعد، حيث أن مشاكل كثيرة ستواجهنا مستقبلاً، لأن القضاء على التغلغل الأجنبي أهم من خروج الشاه من البلاد، وأن هذا الانتصار هو مقدمة لقطع دابر الأجانب من إيران، وحينها ستكون التهنئة والتبريك أكبر من هروب الشاه».

وأضاف سماحته: «ليعلم الشعب الإيراني أن الدولة التي تم تهديمها وإبادتها خلال خمسين عاماً من حكم أسرة بهلوي (محمد رضا شاه وابيه رضا خان) لا يمكن إعمارها بسهولة، لذا، لا بُدّ لكل أبناء الشعب ومن كافة الاتجاهات والتيارات، أن يسعوا في هذا السبيل».. ثم دعا أبناء الشعب للمحافظة على النظام، وأن يصونوا الأوضاع، وأن يبادر الشباب الغيارى إلى القيام بمسؤولية المحافظة على المدن والقرى والحدود، ولا يتيحوا مجالاً للعناصر الانتهازية والفوضوية أن تستغل الأوضاع السائدة للقيام بأعمال الفوضى والشر في البلاد، وخاطب سماحته هذه العناصر قائلاً: «أُحذِّر هذه العناصر غير المنضبطة من مغبة أعمالهم الشريرة، لأن مصيراً حالكاً ينتظرهم إن تمادوا في غيهم، وأن الله سيتوب عن التائبين، وأن الشعب سيعفوا عنهم إن عادوا إلى أحضانه وصفوفه»؛ ودعا في الختام أبناء الشعب إلى مواصلة المظاهرات ضد الحكومة الغاصبة.. بعد ذلك غادر المكان لأداء الصلاة.

وقد رأيت بين الجموع عدداً من أبناء الجيران الفرنسيين الذين صادقناهم خلال هذه الفترة، فقدموا لنا التهاني بهذه المناسبة وأعربوا عن حزنهم وأسفهم في المقابل لأننا سنضطر لمغادرة نوفل لوشاتو ونتركهم قريباً.

بالإضافة إلى الخطاب المقتضب، أصدر سماحة الإمام بياناً مهماً للشعب الإيراني[١]، وصف فيه رحيل الشاه بأنه في الواقع هروب من إيران، وطالب الجيش بالتخلي عن دعم الشاه لأنه لن يعود إلى إيران ثانية.

كذلك أكد سماحته لأبناء الشعب الإيراني أنهم بفضل تضحياتهم واستقامتهم، سيتمكنون من التغلب على المشكلات مهما صعبت ويصلوا إلى الهدف المنشود. وطالبهم بمواصلة المظاهرات. وأوصى الشباب بالتعاون مع العناصر الأمنية وأفراد الشرطة الذين التحقوا بصفوف الناس، حفاظاً على الأمن والنظام في البلاد، وأن يمتنعوا عن القيام بأي عمل يخل بالأمن والنظام العام، أو رفع شعارات انحرافية تُرَدَّد من قبل العناصر المغرضة وغير المنضبطة.

كما طلب سماحة الإمام من الفصائل السياسية ذات الميول المنحرفة، بالعودة إلى حضن الإسلام الدافىء، وصرح أننا نعتبر هؤلاء أخوة لنا. وأعلن أنه سيعرّف قريباً الحكومة المؤقتة التي تتعهد بمسؤولية إقامة الانتخابات والمصادقة على الدستور الإسلامي. وبشّر الشعب في الختام، أنه سيكون بينهم في القريب العاجل.

كذلك وصلت في تلك الأيام أخبار تفيد بأن بعض الأشخاص يهاجمون، باسم قوى الثورة، السفارات الإيرانية في مختلف دول العالم، ولمعالجة هذه المشكلة كلف سماحته بعض الأشخاص للمحافظة على الوثائق الهامة الموجودة فيها، لا سيّما وثائق السافاك، وذلك بالتعاون مع بعض موظفي هذه السفارات.

---

(١) أصدر الإمام الخميني هذا البيان بتاريخ ١٦/ ١/ ١٩٧٩م.


الدكتور يد الله سحابي

وكان قد مضى حوالي أربعة أشهر على بدء الاضرابات الشعبية التي شلّت الاقتصاد الإيراني حيث تحمل أبناء الشعب، الصبورون، القانعون، المجاهدون.. أقسى الضغوط بسبب ذلك، وكانت الأخبار المرتبطة بهذا الموضوع، تؤلم سماحته كثيراً، مما دعا إلى تكليف لجنة برئاسة الدكتور يد الله سحابي[١]، لمتابعة الأوضاع السائدة في البلاد بسبب ذلك، لا سيّما وضع المضربين عن العمل في مختلف المراكز والمؤسسات الاقتصادية. ودعاهم كذلك، للتشاور مع الشخصيات الشعبية المؤثرة لانتهاج أفضل السبل الكفيلة بتقليل الخسائر التي يتحملها الناس جراء تلك الإضرابات بما يضمن من جانب آخر، استمرار هذه الإضرابات التي تضغط بشدة على النظام الغاصب للسلطة في البلاد[٢].

إهانة صور المراجع

وصلنا في أحد الأيام خبر مفاده أن عملاء النظام يخططون للتغلغل في صفوف المشاركين في إحياء ذكرى الأربعين الحسيني (ع)، وإهانة صور المراجع وكبار علماء الدين، لا سيّما سماحة الإمام.. مما دعا

(١) الدكتور يد الله سحابي (١٩٠٥ ـ ١٩٨٢م) المولود في طهران، بعد نيله شهادة الثانوية غادر إيران إلى فرنسا لإكمال تحصيله العلمي حتى نال أول دكتوراه في العلوم في إيران وهو من مؤسسي (حركة تحرير إيران).

(٢) صدر هذا الحكم من قبل سماحة الإمام بتاريخ ١٧/١/١٩٧٩م.

سماحته إلى إصدار بيان أكد فيه أنه يحرم أي نوع من التصدي لمن يوجه «إهانة لي أو لصورتي أو يحاول إثارة الاضطرابات في هذه المراسم بسبب ذلك، وهو لا يرضي الله جلّ وعلا».

كما أعلن سماحته أن أية إهانة للمراجع العظام، أو لصورهم، «يعتبر حرام شرعاً وخلاف لرضا الله تعالى، ومن يقوم بمثل هذا العمل غير المقبول، فهو من عملاء الأجانب أو من أزلام النظام»[١].

غاندي الرجل العظيم

بعد عدة أيام من هروب الشاه من إيران التقى وفد هندي عالي المستوى، من قبل الحكومة الهندية، سماحة الإمام في نوفل لوشاتو[٢]، حيث قدم التهاني والتبريك بهذا النصر الكبير واستقرار الديمقراطية في إيران، وأعلنوا استعدادهم للتعاون مع إيران.

من جانبه أشاد سماحة الإمام بالحكومة الهندية وشكرها على هذه المبادرة الإنسانية، وأشار للزعيم الهندي غاندي الذي نجح في قطع أيادي الأجانب عن بلاده. وأعرب عن أمله أن تكون الحكومة الهندية أول دولة تعترف رسمياً بالحكومة الإيرانية الجديدة.

كذلك أكد الوفد الهندي خلال اللقاء: «أن الحكومة الهندية تدعمكم، وكل الشعب الإيراني التواق للديمقراطية بشكل تام، رغم أن سياستنا هي الحياد الإيجابي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى، إلّا أن ذلك لا يعني أننا لا ندعمكم».

قدم سماحة الإمام شكره للوفد الهندي وأشاد بحسن نواياهم

(١) صدر هذا البيان بتاريخ ١٧/١/١٩٧٩م/كتاب (صحيفة الامام)، ج ٥ ص ٤٩٣.
(٢) جرى هذا اللقاء بتاريخ ١٧/١/١٩٧٩م.

وعواطفهم، وقال: «نحن كذلك نشد على أيديكم والشعب الهندي، ولأن انتفاضة الشعب الإيراني هي انتفاضة إنسانية، فإن كل إنسان حر وبفطرة سليمة، سيدعم هذه الانتفاضة ويقف إلى جانبها».

وبعد هذا اللقاء الودي عاتب سماحة الإمام الحكومة الباكستانية التي تضغط على شعبها بسبب دعمهم للشعب الإيراني المنتفض، وتلقي بهم في السجون. وأعلن سماحته عن رغبته بأن تبادر الحكومات التي تحترم حريات الشعوب إلى إدانة الحكومة الباكستانية بسبب هذا الموقف.

هذا وقد اعتُبِر الوفد الهندي الرسمي، أول وفد حكومي أجنبي رسمي، يلتقي سماحة الإمام في نوفل لوشاتو. وكانت هذه الخطوة ذات أهمية كبيرة ومغزى عميق برأي بعض المراقبين آنذاك.

وقد أعلن سماحة الإمام، في ختام اللقاء، استعداده التام لإقامة العلاقات السياسية والاقتصادية المناسبة مع الحكومة الهندية لما في ذلك مصلحة البلدين والشعبين الإيراني والهندي.

لقاء سيد جلال الدين تهراني مع سماحة الإمام

سمعنا في أحد الأيام أن سيد جلال الدين تهراني[1]، رئيس المجلس الملكي قد وصل باريس وطلب لقاء سماحة الإمام؛ واعتبر بعض المراقبين هذا الخبر حدثاً مهماً للغاية ومصيرياً للبلاد.. بعد أن وصل الخبر لسماحة الإمام قال: «لأني لا أقر بقانونية المجلس الملكي، لذا لن أستقبل رئيسه ما دام في هذا المنصب».

---

(١) سيد جلال الدين تهراني (١٨٩٦ ـ ١٩٨٧م)، عالم فلك ورياضيات وفقيه ورجل دولة، للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهامش الثامن في نهاية الفصل.

أوصل السيد أحمد رأي سماحة الإمام للسيد تهراني، واقترح عليه أن يستقيل من منصبه قبل لقاء سماحته، فقبل الاقتراح والتقى بالسيد الإمام لقاءً قصيراً؛ ولم يعد السيد تهراني إلى إيران بعد اللقاء.

الامام الخميني والصحفيين

دأب المراسلون والصحفيون الأجانب أحياناً، على طرح بعض الأسئلة على سماحة الإمام الذي لم يكن يرى من الصالح أن يجيب عليها بشكل كامل. وفي المقابل، فإن سماحته لم يكن يلجأ إلى الكذب حتى من النوع الأبيض كما يقال، حيث لا وجود لمثل هذه الأمور في ثقافة الإمام ونهجه الأخلاقي والثوري.. وفي مثل هذه الحالات كنا نتلذذ عندما ندقق بأجوبة سماحته، فمثلاً سأل مراسل التلفزة الفرنسية سماحة الإمام في إحدى المقابلات[1]: «سمعنا أن حالات الإضراب عن الطعام وصلت إلى داخل معسكرات الجيش الإيراني والوحدات العسكرية، ألَا يدل ذلك على أن الجيش أصبح يميل لجانبكم»؟..

ولأن سماحة الإمام لم يكن متأكداً من صحة هذا الخبر، فلم يعطه إجابة واضحة إذ قال: «نأمل أن يعود الجيش إلى أحضان الشعب لأن صلاحه في ذلك، وأن لا يفكر بعد اليوم بالشاه الهارب بلا عودة، الشاه الذي خان الشعب وجعل الجيش مرتبطاً بغيره وشل اقتصاد البلاد»... وقد أثارت أجوبة الإمام دهشة الحاضرين.

كما سأله صحفي آخر: «إن الكثيرين من الإيرانيين، رغم إيمانهم بالإسلام، إلّا أنهم لا يؤدون الفرائض الدينية الواجبة، كيف ستتعامل حكومتكم مستقبلاً مع مثل هؤلاء الناس»؟.. فأجاب سماحة الإمام:

---

(١) أجريت هذه المقابلة بتاريخ ١٩/١/١٩٧٩م.

«بالطبع من واجبنا أن نرشد الناس لطريق السلامة والخلود، ولكنهم أحرار في حياتهم الخاصة إن لم يقبلوا بذلك، ولن نتصدى إلّا لمن يتآمر على الشعب ويضر بمصالحه».

كذلك سأله مراسل آخر: «ألَا يساوركم القلق من حرب داخلية في إيران يشعلها الجيش والشيوعيون»؟.. فأجابه سماحته بكل حسم، وبلا تردد: «إن مثل هذه الحرب لن تحدث في إيران. وأن الجيش سينضم عاجلاً أم آجلاً، إلى صفوف الشعب. بالطبع، فإن بعض السياسيين الإيرانيين يشاطرونكم الرأي ويخشون وقوع مثل ذلك ونقلوا قلقهم لي، إلّا أني أعتقد أن هذا القلق سببه الأجواء الكاذبة التي أوجدوها بأنفسهم.. كما أننا لسنا قلقين كذلك من اليساريين، لأن من يرفع لواءاً ضد الإسلام لا فرصة أمامه في بلد يقدم أبناؤه دماءهم الزكية باسم القرآن وفي سبيل الله، ويجاهدون في هذه الطريق. إن الشعب الإيراني يريد الحرية والاستقلال ويعتقد أن ليس هناك سبيل آخر لنيل هذه الأهداف إلّا في ظل الإسلام والالتزام بالقوانين الإسلامية».

متى العودة إلى إيران؟

اعتاد أكثر المراسلين إثارة موضوع عودة الإمام إلى إيران عند لقاءاتهم به، وسؤاله: «هل تقبلون دعوة بختيار»؟ وكان سماحته يجيب: «لا.. ولن ننتظر وصول دعوة من أي أحد، فسأذهب إلى إيران متى ما رأينا الصلاح في ذلك».

وكانت الأخبار تتوالى في الوصول من داخل إيران، منها: «الدوائر الحكومية شبه معطلة، الأسواق مغلقة وشلل كامل في الاقتصاد، والنفط يستخرج للاستهلاك الداخلي فقط وممنوع تصديره إلى الخارج بأمر سماحة الإمام، التيار الكهربائي مقطوع في بعض المناطق، والأعجب من كل

ذلك أن الطقس أقل برودة مما اعتدنا عليه في مثل هذا الوقت من السنة، وقد عكس الناس ذلك في شعاراتهم في: إن الطقس أصبح مع الإمام والشعب الثائر. ولكن رغم كل ذلك، فإن الأوضاع مضطربة بشدة، والفوضى تعم كل مكان في إيران. وفضلاً عن المشاكل الحياتية والاجتماعية التي يعاني منها الناس، فإن فتن بختيار لم تتوقف ومكائده مستمرة، والبعض منها وصل إلى أسماع سماحة الإمام الذي شرحها ورد عليها من خلال البيانات والنداءات التي وجهها لأبناء الشعب.

دور الناس في الحكومة القادمة

إن قيادة سماحة الإمام لحركة الجماهير الإيرانية وإرشاداته لهم وللسياسيين، دعت المراسلين والصحفيين ليتساءلوا عن دور الناس وحصة التيارات السياسية المختلفة في الحكومة القادمة.. وكانوا يريدون أن يعرفوا ما هو دور الناس والأحزاب السياسية والأقليات القومية والدينية في الحكومة التي ستتشكل بعد انتصار الثورة؟ وكان سماحة الإمام يؤكد في إجاباته أن حكومتنا ستكون مستندة لأصوات الشعب بل حتى أن نوع الحكومة سيحدده الناس.. ورغم أن أبناء الشعب أعلنوا عن رأيهم في الحكومة القادمة من خلال الشعارات التي رفعوها في المظاهرات إلّا أن نوع الحكومة سيتحدد من خلال إجراء استفتاء عام يشارك فيه جميع أبناء الشعب الإيراني طبقاً لأكثرية الأصوات.. كما أن على مسؤولي الحكومة أن يتشاوروا مع نواب الشعب في اتخاذ القرارات.

كذلك، فإن نواب الشعب لن يكونوا من طبقة اجتماعية خاصة، بل سيتم انتخابهم من بين الناس أنفسهم، كما أن رعايا الأقليات الدينية سيكون لهم بشكل طبيعي، حقوقهم الخاصة بهم، ويحق لجميع الفصائل السياسية والأحزاب القانونية المشاركة في الانتخابات.

وبعد أن أجاب سماحة الإمام على السؤال المثار أمامه، فإنه خاطب المراسلين باعتباره زعيماً دينياً قائلاً: «نحن نعتقد أن الإسلام يمثل المدرسة الوحيدة التي بإمكانها إرشاد المجتمع وتضمن تطور ونمو وتكامل الشعب، ولو أراد العالم المعاصر أن يتخلص من آلاف المشاكل التي يواجهها ويحقق الحياة الإنسانية السليمة، فلا بد أن يتجه نحو الإسلام».

برنامج الإمام الخميني اليومي في نوفل لوشاتو

تضاعفت نشاطات وأعمال سماحة الإمام في تلك الأيام؛ فبالإضافة للأعمال الروتينية السابقة التي اعتاد سماحته عليها، أضيفت إليها نشاطات وأعمال جديدة، منها الإجابة عن أسئلة أعضاء مجلس قيادة الثورة وتقديم الاستشارات اللازمة لتشكيل الحكومة المؤقتة وحل الاختلافات التي كانت تحدث، أحياناً، بين أعضاء المجلس، وهم: السادة بهشتي ومطهري ومنتظري وطالقاني و.. وكان سماحته يدير أعمال المجلس من خلال توجيهاته التي كان يرسلها عن بعد. ومع توسع وزيادة الأعمال والمهام ازداد تردد السيد أحمد على البيت لتبادل النداءات والأوامر والرسائل، مما أتاح لنا أن نراه أكثر من السابق، رغم أنه كان يأتينا ويغادرنا بسرعة، ولكن كان ذلك يكفينا لنسعد برؤيته أكثر.

إلى جانب كل هذا النشاط والحركة والمهام، التي كان ينجزها سماحة الإمام، إلّا أنه لم يكن يغفل عن برنامجه اليومي المعتاد والاهتمام بأعضاء الأسرة، ولقاء الضيوف والقادمين من كل مكان. وكان يتحدث بكل محبة ومودة مع حفيده حسن الذي لم يكن عمره يتجاوز آنذاك سبع سنوات، ويداعب كذلك حفيده الأصغر ياسر ذي الأشهر المعدودة، بالإضافة إلى أداء عباداته وفرائضه الواجبة والمستحبة، والأذكار اليومية وتهجده، ونوافل الليل، وتلاوة القرآن المجيد وغيرها..

كذلك كان سماحته يلبي الكثير من الطلبات التي تصله، مثل قراءة خطبة العقد للأزواج الجدد، والتوقيع على بطاقات الذكرى، والدعاء للمرضى، والتوسط لحل الاختلافات بين الأشخاص والعوائل، والإجابة على الأسئلة الشرعية...



الإمام الخميني في نوفل لوشاتو



الإمام الخميني مع السيد علي اشراقي والسيدة نعيمة اشراقي (نوفل لوشاتو)



من اليمين: السيد أحمد، عاطفة اشراقي، الإمام الخميني، مرتضى وعلي اشراقي وآية الله اشراقي

من بين الأعمال التي كان سماحته ينجزها يومياً، أجوبته على الرسائل التي كانت تصله وبعضها يلفت النظر، مثلاً أتذكر أن سيدة المانية بعثت رسالة إلى سماحة الإمام طلبت منه أن يرسل لها بطاقة عليها كلمات بخطه لتقدمها لزوجها في ذكرى مولده، وقد لبّى سماحته الطلب وخط بيده على بطاقة التهنئة بارك فيها هذه المناسبة ودعا لهما بالتوفيق.

وخلال حواراتنا العائلية كنا نتناقل أمام سماحته بعض الأخبار المرّة والمحبطة، وكذلك تحليلات الشخصيات المتشائمة حول الثورة ومستقبلها واستحالة انتصارها، وكان سماحته يستمع إلى هذه الأحاديث بشكل جيد ودقة كبيرة وطمأنينة، وهدوء لا يمكن وصفه أبداً.

المواعظ الإلهية الخالدة

يوماً، وبينما كنا جالسين وسط جمع من المقربين، وصل السيد

أحمد وقال: «لقد طلب سماحة الإمام مني أن أخبر جميع الأشخاص الذين تواجدوا في نوفل لوشاتو، خلال الأشهر المنصرمة مثل الطلبة الجامعيين والسياسيين وغيرهم، أنَّ سماحته سيلتقيهم غداً.

ترك هذا الخبر حالة من الهيجان والنشاط والقلق، وكل واحد كان يظن نفسه أنه المخاطب في كلام سماحة الإمام، وكنا نرى آثار ذلك في وجوه الجميع، والكل كان يحاول أن يتنبأ بما سيقوله سماحته غداً ويذكر توقعاته بشأن ذلك، وكانت اللحظات والساعات تمر ببطء وقلق واضطراب؛ وكلما كنا نقترب من موعد اللقاء، كان اضطرابنا يزداد، كذلك لم أوفق في رؤية سماحة الإمام خلال هذه الفترة، حتى أحصل منه على أي خبر ممكن.

وفي الموعد المقرر حضر سماحة الإمام واستقر في مكانه، وقدم شكره في مطلع كلامه(١)، إلى كل من بذل جهداً خلال هذه الفترة، وسخر جهوده وإمكاناته في هذا السبيل. واعتذر كذلك منهم(٢).

وقد أثار كلام سماحة الإمام المليء بالتواضع والمحبة والمودة للجميع، مشاعر الحاضرين. ودعا لهم بالعز والسعادة، كما تمنى أن تتوفر الظروف المساعدة ليعودوا في القريب العاجل لبلدهم ليخدموا أبناء شعبهم..

بعد أن أنهى سماحة الإمام الجزء الأول من كلامه الذي كان ينبىء عن قرب انتهاء مرحلة الهجرة والابتعاد عن الوطن، دعا سماحته الجميع إلى الوحدة بالقول: «إن الشعب الإيراني استطاع بفضل اتحاده ووحدة

---

(١) ألقى سماحة الإمام هذا الخطاب بتاريخ ٢١/١/١٩٧٩م.

(٢) لقد قام الطلبة والمقربون الأعزاء خلال هذه الفترة بأداء مهامهم التي كُلِّفوا بها وأداروا شؤون المكتب في نوفل لوشاتو بكل إخلاص ووفاء ومحبة وبشكل جيد للغاية.

صفوفه، أن يهز أركان قصور القوى العظمى ويسقطها ويرغم الشاه على الاعتذار أمامه ويتلو رسالة التوبة وطلب العفو من الشعب، ولكن رغم كل هذه الانتصارات التي حققناها حتى الآن، إلّا أننا ما زلنا في منتصف الطريق».

وكان بعض السياسيين الذين كانوا قد شهدوا الانقلاب العسكري الذي نفذه عملاء أميركا في الثامن عشر من آب ١٩٥٣م، يخشون أن تعاد نفس المحاولة الانقلابية وبالتالي ينجحوا في إعادة الشاه للبلاد كما حدث قبل عدة سنوات.. وقد وصلت مثل هذه التحليلات المليئة بالقلق والخوف إلى أسماع سماحة الإمام، ولكي يطمئن الجميع ويزرع لديهم الثقة التامة بالنصر والمستقبل، قال بكل صراحة: «إن وحدة كلمتكم واتفاق رأيكم أدّيا إلى إحباط مخططات الشاه الذي كان يريد أن يَطرُد كل من لا ينتمي إلى حزب رستاخيز (البعث الايراني) من البلاد، لكن شعبنا المقاوم والصامد، تمكن بفضل جهاده، أن يخرج الشاه من البلاد، وعليكم أن تطمئنوا أنه لن يعود ثانية إلى إيران ولن يتمكن أيّ أحد من إعادته إلى البلاد، لأنهم إن كان بإمكانهم أن يحافظوا عليه لفعلوا ذلك، لأن الحفاظ عليه أسهل من إعادته إلى البلاد.

وبعد أن تطرق سماحة الإمام إلى مواضيع مهمة أخرى، خاطب الحاضرين قائلاً: «أطالب الجميع أن يهتموا دائماً بأمرين هامين للغاية كانا السبب الرئيسي لانتصاركم، وهما: وحدة كلمتكم واتفاق رأيكم وكذلك التوكل على الله جلّ وعلا. إنكم جميعاً صرختم في سبيل الله وطلبتم الإسلام وجاهدتم لتحقيق الحرية والاستقلال والحكومة الإسلامية».. ثم خاطب الجميع بشكل جميل للغاية ووجه مشرق قائلاً: «أدعوكم للموعظة الإلهية الخالدة، وهي في الحقيقة موعظة الله سبحانه

وتعالى نقلها لنا الرسول الأكرم محمد (ص) وسجلها القرآن الكريم، وهي ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾[(١)]..

وشرح سماحته المفاهيم الواردة في هذه الآية المباركة بشأن القيام الفردي والجماعي، وأهمية هذه الموعظة في احتوائها على جميع الأوجه الإنسانية الطبيعية والاجتماعية والإلهية، فقال: «إن أردتم أن يكون قيامكم مفيداً، فلا بُدّ أن يكون هذا القيام لله، حتى لا ينتهي إلى التفكيك والتقسيم. ويجب أن يكون جميع عزمكم وهمتكم، نحو نقطة واحدة وهي ما وراء الطبيعة، وفي مثل هذه الحالة فقط، يصبح قيامكم ونهضتكم إسلامية وخالدة، لأنه يستند لمسند لايفنى أبداً».

بعد ذلك أوضح سماحته بأسلوب بسيط رائع، معياراً لتقييم الأمور قائلاً: «كلما شاهدتم تشتت الصفوف في أي قيام أو نهضة، فاعلموا ان الله لا وجود له في مثل هذا القيام، لأن وحدة العقيدة توجد وحدة الكلمة، ووحدة الكلمة بدورها تحدث الوحدة في العمل».

بعد هذا الخطاب الهام، شعر الجميع أن مرحلة الهجرة والابتعاد عن الوطن ستنتهي في القريب العاجل.

الحكومة المطلوبة

تحدث سماحة الإمام في جمع ودّي اقتصر على أفراد العائلة، عن خصائص الحكومة المطلوبة من وجهة نظره حيث قال: «في ظل الحكومة الإسلامية يحق للناس انتقاد حكامهم ولا بُدّ للحاكم أن يتقبّل النقد؛ كما أننا في الحكومة التي نريد تأسيسها، نقتدي بما ذكره التاريخ بشأن الحاكم الذي كان يتفقد بنفسه بيوت الفقراء والمساكين ويلاعب اليتامى

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

ويمزح معهم.. إننا نحب الحكومة التي كان الحاكم فيها يجلس في المسجد ليستمع مباشرة لما يقوله الناس حول مختلف قضاياهم؛ كذلك نريد الحاكم الذي يطبق العدالة في المجتمع».

إن مثل هذه الحكومة كانت كالحلم بالنسبة لي، لأني لم أر أو أسمع عن حكام، إلّا حفنة من الدكتاتوريين الذين يصدرون أوامرهم من فوق لينفذها أبناء الشعب.

تذكرت وأنا استمع لمثل هذا الكلام الرائع، ما نقله لي شقيقي جواد عن ما جرى له في اليوم الأول من دخوله الجيش لقضاء الخدمة العسكرية الإجبارية التي طالت كثيراً، حتى ظننت أنها عشرين عاماً! قال: «كانوا يلقنوننا منذ اليوم الأول من دخولنا الجيش (أنه لا مكان للسؤال عن سبب أي شيء تراه في الجيش) ويجب عليك أن تنفذ أي أمر يصدر إليك». سمعت فيما بعد أن هذا القانون لم يكن قانون الجيش، بل كان قانون الحكومة الشاهنشاهية بشكل عام.

وكنت أسمع أحياناً من بعض المقربين أخباراً عن كيفية انتخاب الوزراء والنواب وأبرز المسؤولين السياسيين والثقافيين، وذلك في الحفلات والمآدب الباذخة التي تقام في المساء ويحضرها الكبار من أركان الحكومة، والمعيار هو مستوى الخدمات الخاصة التي يقدمها هؤلاء للكبار.

ولا زلت أتذكر صدى أنين شابة تعمل في بيت إحدى الأسر المقربة، وقد نقلت لنا بألم وحسرة قصة والدها، فقالت أنه عندما كان والدها شاباً يخدم في الجيش الملكي، كلّف في إحدى المرات أن يوصل إحدى الأمانات لأسرة مرتبطة بالبلاط الشاهنشاهي، وقد أعجبت سيدة تلك الأسرة بأناقة والدها وقوته الجسمية مما دعاها لتطلب نقله من

المعسكر إلى بيتها ليخدمها ويلبي بالتالي طلباتها اللامشروعة وغير الإنسانية، وقد أمضى سنوات الخدمة العسكرية في بيتها، وبالتالي نجحت هذه السيدة، في توريطه داخل أجواء الحفلات الصاخبة، وجعلته مدمناً على المخدرات والمشروبات الكحولية، وبعد عدة سنوات عاد إلى أسرته مدمناً ومريضاً بشتى الأوبئة والأمراض.

كذلك أتذكر أن أحد الثوريين المقربين، كان يقول إن أبناء الشعب برأي هؤلاء، لا يتمتعون بأية حقوق، وما يحصلون عليه هو في الواقع بفضل بركات ورحمة البلاط الملكي، ولا بُدّ لهم أن يشكروا دوماً صاحب الجلالة المعظم!!.. كما أن النخب والعلماء يجب أن لا يتدخلوا في شؤون رجال الحكومة والمسؤولين عن إدارة الدولة، لأن الملوك هم أعرف من غيرهم بمصلحة بلدانهم.. وكانت الصورة التي انطبعت في ذهني عن الحكومة الشاهنشاهية قد مرت في مخيلتي كالفيلم الوثائقي والسينمائي.

رغم كل ذلك، فإني أسمع اليوم من سماحة الإمام إن الله جلّ وعلا هو المالك الأصلي للكون، وأن الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم، أميرهم ووزيرهم، متساوون في الحقوق أمام القانون.

وكنت أفكر مع نفسي كم هي جميلة ورائعة مثل هذه الحكومة. والأروع من كل ذلك أن يكون لدينا مثل هذا الحاكم. وكنت أتساءل وأخاطب نفسي بالقول: هل من الممكن الوصول لمثل هذه الحكومة؟!.

العودة إلى إيران

بعد عدة أيام من هروب الشاه من البلاد، جاء السيد أحمد عند سماحة الإمام وقال له: «إن السيد موسوي خوئينيها وأنا أيضاً، نعتقد بضرورة العودة جميعاً إلى إيران؛ حيث نرى أن الشاه الذي أبعد

سماحتكم عن البلاد قد هرب الآن إلى الخارج، وإن حالة الجيش مهتزة، والحكومة الحالية لا يمكن أن تقاوم، لذا نعتقد أن الظروف مساعدة لحضوركم في إيران.. قال سماحته: «أنا كذلك كنت أفكر في هذا الأمر، ولكن أرى ضرورة أن تستشيروا أيضاً، السادة في إيران: منتظري، مطهري، هاشمي، طاهري وطالقاني.

غادر السيد أحمد غرفة سماحة الإمام وعاد بعد فترة ليقول إنه اتصل معهم ولكن أكثرهم عارض الفكرة وقالوا إن الأوضاع خطيرة، والخطر جاد في طريق السيد الإمام وأن الحكومة ستقاوم، ولا زال الجيش وفياً للشاه ولا يمكن أن نعوّل عليه، لذا فإن مسيرة الثورة ستتعثر وتتأثر بشكل جاد إن تعرضوا لسماحة الإمام.

وهكذا بدأت النقاشات حول هذا الأمر الهام، والموافقون والمخالفون على رأيهم. وكل منهم له مبرراته الخاصة.

وبعد عدة أيام خاطب السيد أحمد سماحة الإمام قائلاً: «إن أصدقاءنا في طهران بعثوا لسماحتكم رسالة قالوا فيها إننا استمعنا لكلامكم حتى الآن وقبلنا بكل ما تفضلتم به، لذا نرجوكم أن تقبلوا هذه المرة مانقوله لكم. ابتسم سماحته وقال: «لن تخسروا إن أصغيتم أيضاً هذه المرة لكلامي».

وخلال تلك اللحظات العصيبة والأيام الصعبة زار سماحة الإمام عدد كبير من الأشخاص الذين كانوا متفقين على أن عودة سماحته إلى إيران في مثل هذه الظروف مخاطرة غير محسوبة النتائج. وقد سمعت آنذاك، أن السيد عسكر اولادي[(١)] وصل باريس مبعوثاً من قبل السيد

(١) حبيب الله عسكر أولادي؛ من تجار السوق وعضو حزب المؤتلفة الإسلامي، وعرف أنه من السياسيين الذين اعتقلوا خلال عهد الشاه وحكم عليه بالسجن=

بهشتي وغيره، والتقى سماحة الإمام وتباحث معه مطولاً حول مختلف الأمور شارحاً المخاطر التي تحيط بهذه العودة كما يعتقد بذلك علماء إيران وشخصيات البلاد البارزة..

كما تحدث مع السيد موسوي خوئينيها الذي يوافق فكرة عودة السيد الإمام إلى البلاد. ونقطة قلقهم الرئيسية كانت تدور حول احتمال تكرار الانقلاب العسكري المشؤوم (١٨ آب ١٩٥٣م) بعد قضائهم على سماحة الإمام لا سمح الله، وانتهاء الثورة بهذا الشكل.

وفي معرض إجابته قال السيد موسوي خوئينيها له: «إنني لا أفكر بهذا الشكل، ولا أرى أي تشابه بين الحادثتين، ثورة الإمام وانقلاب ١٨ آب العسكري، لأن سماحة الإمام ليس السيد مصدق، كما أن شعبنا الآن لا يشبه الناس الذين عاصروا تلك المرحلة التاريخية.. إن سماحة الإمام خلافاً للسيد مصدق، قال بقوة لا بُدّ أن يرحل الشاه. وأكثر أبناء الشعب والعلماء والكسبة وتجار السوق، وقفوا مع سماحته والجميع ينفذ أوامر وتعليمات السيد الإمام ويشاركون في الاضرابات، لذلك، لا أرى وجود أي تشابه بين الحادثتين».

بعد حوالي ثلاثة أيام قال سماحة الإمام للسيد أحمد: «أرجو أن تقوم بالإجراءات اللازمة للعودة إلى البلاد، فلو كنت متردداً قليلاً في قراري هذا سابقاً، إلّا أني متأكد الآن، ومتيقن، أن لا بُدّ أن أعود إلى إيران، فقد زارني خلال الأيام المنصرمة عدد من الأشخاص الذين طلبوا مني أن لا أعود إلى إيران، وأنا أعرف انهم لا يريدون النصر للشعب

= المؤبد. بعد الانتصار أصبح مندوباً عن طهران في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الأولى وكذلك وزيراً للتجارة في حكومتي الشهيد رجائي والمهندس موسوي.

الإيراني، ولم يكونوا يعتقدون بالجهاد والثورة أبداً، إذن لماذا أصبحوا فجأة قلقين على حياتي»؟!.

وقد شرح لنا سماحة الإمام تفاصيل لقائه مع أحد التجار الأميركان الذي زاره خلال تلك الأيام قائلاً: «لقد زارني يوم أمس أحد الأشخاص وقدم نفسه على أنه تاجر أميركي مناضل وهو ضمن مجموعة من المناضلين المسلمين الأميركان المؤيدين للثورة الإسلامية.. كما زعم أنه ومجموعته في خدمة الثورة الإسلامية وقيادتها، وأعلن أنهم يتدربون حالياً على العمليات العسكرية ومستعدون لتقديم الدعم العسكري لنا إن احتجنا لهم داخل إيران.. وطلب في نهاية اللقاء أن نؤخر عودتنا إلى إيران حتى يكملوا تدريبهم العسكري وتكون مجموعتهم في خدمتنا».. تابع سماحة الإمام: إن هذا الشخص عرض تقديم معونات مالية لمساعدة أبناء الشعب الإيراني المضربين عن العمل منذ عدة أشهر، وهم حتماً بحاجة لهذه المعونات.

وقد خاطبه الإمام قائلاً: «لسنا بحاجة لدعمكم، ولو أردتم أن تقدموا دعماً مالياً للمجاهدين الإيرانيين يمكنكم تقديمه للجان التي شكلت داخل إيران لهذا الهدف».. وأضاف سماحته يقول: «لقد كان هذا الشخص يؤكد خلال اللقاء على أمرين: الأول أن يقدم المال لي والثاني حاول تغيير قراري في العودة إلى البلاد، ولكني لم أشعر أنه كان صادقاً في كلامه، واعتقد أنه لم يكن من المناضلين الأميركان أبداً، بل إنه كان في مهمة مكلف بها من الآخرين وهي أن يحول دون عودتي إلى إيران[١]».

بعد الاستماع لكلام سماحة الإمام بدأ كل منّا بإعطاء تحليله الخاص حول الأوضاع المستجدة، فقد قلت: لربما يحق لكم أن تقولوا

---

(١) بعد عودتنا إلى إيران لم نسمع أو نر أي أثر له ولزملائه المناضلين أبداً!!.

ماشئتم فيما يخص هذا الشخص الأميركي لأننا لا نعرفه، ولكن ماذا تقولون بشأن العديد من الأشخاص المعروفين والموثقين من داخل إيران الذين لهم نفس الرأي وهم يطالبونكم أن تعيدوا النظر بقراركم بشان العودة إلى البلاد، لانهم يحتملون أن يقوم الجيش بانقلاب عسكري، وهم يقولون: صحيح أن الكثير من الجنود هربوا من معسكراتهم والاضرابات عن الطعام مؤكدة ومتواصلة في داخل المعسكرات، إلّا أن الأوضاع لا زالت خطيرة ولا يمكن التنبؤ بمستقبلها أبداً.

فقال سماحة الإمام: «كما يأتي هؤلاء الأشخاص إلى هنا وينقلون إلينا رأيهم، فانهم يذهبون إلى تلك الشخصيات داخل إيران ويقولون لهم نفس الشيء على اختلاف مواقعهم وأدوارهم».. وهكذا أثار انتشار خبر عودة سماحة الإمام إلى البلاد قلق الجميع.

وكلما كانت الأيام تمر كانت الضغوط الموجهة من قبل مختلف الشخصيات والفصائل السياسية في الداخل والخارج تزداد لإقناع سماحة الإمام بعدم العودة إلى إيران.. فالبعض كان يلتقي سماحته ويقول له إن عودتكم إلى البلاد ستضاعف سفك الدماء ويزداد قتل الناس؛ وأتذكر أن أحد المراسلين خلال حواره مع سماحة الإمام وصف عودته إلى إيران بأنها نوع من الجهاد، فأجابه سماحته قائلاً: «ليكن كذلك، ونحن لا نرى أية مشكلة في ذلك ولا نتأثر بمثل هذا الكلام، فلو كان مقدرا أن يسفك دمي في هذه الطريق، فأنا أفضل أن يكون ذلك وأنا موجود إلى جانب الناس لا سيّما الشباب الإيراني».

رمز الانتصار

إن وقوع كل حادثة أو طرح أية قضية آنذاك، كانت تؤدي إلى ظهور الاختلاف في وجهات النظر بين الشخصيات والفصائل الناشطة



الإمام الخميني وآية الله اشراقي

والمتواجدة في الساحة، وكان السادة إشراقي وحسين الخميني والدكتور إبراهيم يزدي؛ بالاضافة إلى السيد أحمد، يقومون بإيصال آراء هؤلاء إلى السيد الإمام.

خاطب سماحة الإمام في أحد تلك الأيام الحاضرين بعد الانتهاء من صلاة الجماعة قائلاً: «أريد أن أذكّركم بموضوع مهم للغاية وهو أن تتركوا جانباً التعصب الحزبي والفئوي(١)، وأن لا تفرقوا بين الجامعي وعالم الدين، لأن ذلك يضر الجميع.. فلو أنكم مسلمون حقاً ينبغي عليكم أن لا تسعوا لحذف بعضكم البعض، لأ رسول الله الأكرم محمد (ص) يقول: (يد الله مع الجماعة)، وثقوا أن اتحادكم هو الذي

---

(١) ألقى سماحة الإمام هذا الخطاب بتاريخ ١٩٧٩/١/٢١م في جموع الطلاب والإيرانيين المقيمين في الخارج.

أوصلكم إلى هنا وبفضله حققتم هذا النصر، لذا لا بُدّ أن تحافظوا عليه حتى النهاية، وبذلك تُقطع الأيادي الأجنبية عن بلدكم تماماً. ولو تفرقتم لانهزمتم، ولو كنتم وطنيين حقاً وتفكرون بعقلكم، فإن الوطنية والعقل تدعوكم للابتعاد عن أي نوع من الاختلاف».

ثم خاطبهم بهدوء وتواضع قائلاً: «أرجوكم سواء كنتم في إيران أو خارجها، أن تسعوا جميعاً من أجل تحقيق هدف واحد. ولا بُدّ أن تنشطوا، جميعاً، تحت راية الإسلام، وابذلوا جهودكم وسخروها من أجل تشييد دولة نموذجية، وانشروا الأخلاق الحسنة بينكم، وفكروا ببناء بلد لا يُظلم أيُّ أحدٍ فيه، ولا تطمعوا بثروات الآخرين، ولا تظلموا أحداً كما لا تقبلوا أن يظلمكم أيُّ أحدٍ، كذلك ينبغي أن ترفضوا أيَّ شيء يُفرض عليكم كما لا تفرضوا أيَّ أمرٍ على الآخرين، إذن لا بُدّ أن تخلصوا نواياكم وترصّوا صفوفكم وأن تكونوا معاً حتى يُنزل الله عليكم نصره المؤزر».

خطاب الوداع

سمعت في أحد الأيام أن سماحة الإمام طلب من السيد أحمد أن يجمع أعضاء مكتبه بعد صلاتي المغرب والعشاء ليخطب فيهم.. وبعد أن حان الموعد المقرر قال سماحته: «لقد بذلتم جميعاً جهوداً كبيرة وأنا أشكركم على ذلك. بالطبع، فإن أيّ عمل قمتم به كان منكم وإليكم، وقد عملتم معاً وتطورت الأمور بالشكل المطلوب وينبغي أن تحافظوا على هذه الروحية وتتعاونوا معاً في إدارة بلدكم وتشرفوا على أوضاعه وإلّا فإن الشياطين سيتغلغلون في كل مكان».

ثم أشار سماحة الإمام إلى أهم ما تميز به عهد بهلوي وقال: «إن كل مصائب البلد بدأت عندما بدأ الشاه بإدارة البلاد حسب رأيه، وتحقيقاً

لمصالح الأجانب ولم يكن ملتزماً بالقانون، كما أن مسؤولي البلاد تابعوه في ذلك، والمجلس واصل المنهج ذاته ولم يكن نواب المجلس ملتزمين بالقانون، ولا بُدّ أن ينتهي مثل هذا السلوك والتصرف في ظل الحكومة الإسلامية، وإذا كنا نريد لإيران أن تكون دولة متطورة ومتحضرة بالمفهوم الحقيقي، وخالية من أي أثر للأجانب والمجرمين والخائنين، فلا بُدّ لجميع أبناء الشعب أن يبقوا في الساحة ويشرفوا على الأمور».

وفي الختام قدم سماحة الإمام اعتذاره مرة أخرى للجميع وأردف يقول: «سنعود قريباً إلى إيران، وكما أخبرت الدكتور يزدي، فإن هناك احتمالات لكل الأخطار، لذا لا أحب أن يخاطر أي شخص من أجلي، حيث سأعود أنا وولدي أحمد، وإن وصلنا إيران دون أية مشاكل، سنراكم هناك إن شاء الله، وإن حدث لي أي مكروه فلا بُدّ أن تواصلوا المسيرة الجهادية من خلال حضوركم الفاعل في الساحة».

ارتفع صوت الحاج مهدي عراقي بالبكاء وشاطره جميع الحاضرين بالقول: «لن نترك سماحتكم لوحدكم، وسنكون معكم دائماً، وسنقبل بما يحدث لنا.. وتحدث أحد السادة الحاضرين بالنيابة عن السيدات قائلاً: «فهمنا من كلام سماحتكم إنكم لا ترغبون أن تكون السيدات معكم في هذه الرحلة؛ ولكن ألم تكن النساء في قافلة الإمام الحسين (ع)؟ وألم تكن السيدة زينب (ع) وأخواتها إلى جانب الإمام الحسين (ع) في تلك الرحلة»؟! أجاب سماحته قائلاً: «إن الإمام الحسين (ع) كان حقاً هو الإمام الحسين (ع)، إلّا أني لا أرغب أن أكون برفقة السيدات، كما إني أقول للرجال، إنني لا أحب أن يتحمل أي شخص أي مشقة من أجلي».

لقد سادت أجواء عجيبة آنذاك، والجميع دخل في حالة خاصة من المشاعر والأحاسيس التي لا توصف، فالأجواء كانت مليئة بالفرح

والقلق معاً، قلقون من مستقبل مجهول المصير. كما كانت العيون حيرى تذرف الدموع بكل غزارة وحرارة.. وقد قالت إحدى السيدات الحاضرات بهدوء: «هل رأيتم أدب وأخلاق سماحة الإمام؟ فهولم يقل فيما يخص السيدات أنه لن يأخذهن معه في هذه الرحلة، بل قال لا أرغب أن أكون برفقة السيدات».

إغلاق المطار

بعد قرار سماحة الإمام بالعودة إلى إيران، وصلنا خبر من طهران أن بختيار أغلق جميع المطارات. وقد وصف سماحته ذلك بأن هناك مؤامرة تحاك في الخفاء. وأن حكومة بختيار تهدف من ذلك إلى خلق ظروف مساعدة على إرجاع الشاه المخلوع الهارب، إلى البلاد مرة أخرى وبالتالي فرض حكومته الجائرة والطاغوتية ثانية على الشعب الإيراني الثائر، ولكن عليه أن يعلم إن إرادة الشعب الحديدية ستُفشل، أيضاً، بفضل الله وعونه، آخر مؤامراتهم(١).

ازدادت مرة أخرى أعداد المراسلين والصحفيين في نوفل لوشاتو، وضاعف ذلك من حالة النشاط والحركة والازدحام في تلك المنطقة، وقد سأل أحد الصحفيين سماحته قائلاً: «هل من الممكن أن تصدر سماحتكم أوامره للناس بأن يحملوا السلاح لفتح المطارات أمامكم»؟ أجابه سماحته قائلاً: «لا أرغب حالياً بإصدار مثل هذا الأمر، وإن لزم ذلك سأقول لهم ماذا يفعلون».

كذلك وصلنا حينها خبر وصول أعداد كبيرة من الناس من شتى أنحاء إيران إلى العاصمة طهران للمشاركة في مراسم استقبال سماحة

---

(١) من نداء سماحة الإمام للشعب الإيراني بتاريخ ١٩٧٩/١/٢٥م.

الإمام مما دعا سماحته لإصدار بيان شكر فيه جموع الناس من أبناء المدن والقرى الذين وصلوا طهران، وخاطبهم قائلاً: «شاركوا أبناء طهران في مظاهراتهم وافضحوا ظلم وجرائم الحكومة اللاقانونية والخدّاعة أمام الجميع».

وهكذا استثمر سماحة الإمام بشكل جيد هذا الحضور الحاشد للناس في طهران ودعاهم للتظاهر ضد الحكومة اللاقانونية وأخبرهم أنه سيكون في طهران في أقرب فرصة ممكنة وسيشارك الشعب أفراحهم واتراحهم وسيكون معهم في صف واحد للقضاء على خيانة الأجانب والعملاء. وأضاف سماحته قائلاً: «في هذه الطريق إمّا سننال هدفنا ونقيم الحق والعدل، أو سنفوز بالشهادة في هذا السبيل».

استمرار المشاورات حول رحلة العودة إلى إيران

تواصَل الحوار والنقاش حول الرحلة المليئة بالمخاطر التي يزمع سماحة الإمام القيام بها والعودة إلى البلاد بالطبع، فإن الزملاء كانوا يفضلون أن لا يتحدثوا أمامنا بشأن هذه المخاطر، والملفت أن أغلبهم كان يقول إن القلق يزول ما أن تقع أعيننا على وجه سماحته ونكون في جانبه ولا نفكر إلّا بالعودة معه.

كذلك كانوا يقولون بصراحة إن وجودنا إلى جانب السيد الإمام يؤدي إلى أن تتحول الحوادث الكبرى إلى حوادث صغيرة لا أثر لها. لذلك، فإن الأشخاص الذين لم يُعرفوا بمجازفتهم معنوياً وروحياً، قرروا، أيضاً، أن يكونوا مع سماحة الإمام في هذه الرحلة، وطردوا الخوف من قلوبهم.

كما تناقشوا حول انتخاب الخطوط الجوية المناسبة. وبالتالي قرروا أن تتم الرحلة على الخطوط الجوية الفرنسية (اير فرانس) لأنها تعتبر

شركة عريقة وذات سمعة طيبة. وللحفاظ على هذه السمعة ستتم الاحتياطات الأمنية اللازمة لمثل هذه الرحلة.

كذلك اقترح البعض أن يُخبر الصحفيون والمراسلون أن بإمكانهم مرافقة هذه الرحلة إن رغبوا بذلك. وما أن أعلن هذا الخبر حتى سجل حوالي مائتي صحفي أسماءهم وأعلنوا استعدادهم لتلك الرحلة، بالطبع فإن فكرة السماح للصحفيين والمراسلين لمرافقة سماحة الإمام في هذه الرحلة أكدها السيد أحمد وباقي الأعزاء، لأن وجودهم سيوسع التغطية الإعلامية فضلاً عن مضاعفة درجة الحالة الأمنية للرحلة.

وكانت «السيدة دباغ» مريضة آنذاك وراقدة في المشفى، فطلب سماحة الإمام من السيد أحمد أن يتفقدها هناك ويضعها في أجواء رحلة العودة إلى إيران.

وكانت حالة الهدوء والسكينة التي ميزت سماحة الإمام مشهودة كذلك، ولم يشعر أيّ أحد بوجود أيّ نسبة، ولو ضئيلة، من القلق والاضطراب والتوجس على وجهه، وكنا نزداد هدوءاً وسكوناً كلما نظرنا إلى سماحته.

هذا وقد طلب سماحة الإمام من السيد إشراقي أن يبقى في نوفل لوشاتو ليواصل استضافته للضيوف الذين قدموا من شتى أنحاء العالم لزيارته، ليعود فيما بعد، برفقة السيدة أم أحمد وباقي أفراد أسرته إلى إيران.

وقد انزعج السيد إشراقي لأنه لن يتمكن من مرافقة سماحته في هذه الرحلة التاريخية، وكان يقول: «إن وجودي إلى جانب سماحة الإمام وتحمل أخطار هذه الرحلة، أسهل من البقاء هنا والانتظار».

كما أصدر سماحة الإمام أوامره بأن يتم إخبار أصحاب البيوت

المستأجرة، وكذلك الفندق الذي استخدم خلال هذه الفترة، أننا على استعداد للتعويض عن أية خسائر لحقت بهم خلال هذه المدة، لا سيّما بسبب زيادة تردد الضيوف إلى المنطقة. وقد طلب سكان نوفل لوشاتو الالتقاء بسماحة الإمام بعد أن سمعوا عن قرب عودته إلى إيران، حيث أعرب سماحته عن احترامه ومحبته لهم واعتذر لهم بسبب المتاعب التي سببها خلال وجوده في منطقتهم.

الاستعداد للرحلة

كانت تلك الأيام مليئة بالقلق والاضطراب، وكان التوجس والقلق يزداد مع وصول الأخبار الجديدة، وكلٌ منّا يتعمق في التفكير، وكنّا أحياناً نزداد شوقاً للعودة إلى البلاد مع سماع بعض الأخبار، وفي المقابل نزداد اضطراباً وقلقاً مع سماع أخبار أخرى.

أما الأجواء السائدة في البيت، فكانت غير مستقرة وثقيلة أحياناً، مع الاستماع لبعض التحليلات والمخاطر التي تنتظر هذه الرحلة، وهكذا كانت تلك اللحظات والساعات تمر بالقلق والاضطراب، وكان الجميع يتبادل الحوار حول المخاطر المحتملة، فأحدهم كان يقول: «ان لا خطر يهدد الرحلة لأن فرنسا لا تخاطر بمثل هذه الأمور، إن هناك حوالي مائتي صحفي وإعلامي على متن تلك الطائرة فضلاً عن سماحة الإمام ومرافقيه». والبعض الآخر كان يقول: «لربما تقوم إسرائيل أو دولة أخرى باختطاف الطائرة»، وآخرون يقولون: «إن أية دولة تريد القيام بذلك ستخبر الفرنسيين، أي أنهم لن يقوموا بمثل هذا العمل دون استشارة فرنسا، فتكون النتيجة أن هذا الاحتمال ضعيف ويستبعد حدوثه.. إلّا أن هناك احتمالاً أقوى وهو أن يلقى القبض على سماحة الإمام ومرافقيه في المطار ويؤخذوا إلى مكان مجهول».

وفي تلك الأجواء وصلنا خبر من إيران أن بختيار اتخذ قراراً بارتكاب مجازر جماعية بحق أبناء الشعب الإيراني، مما أدى إلى إشاعة حالة من الشك والتساؤل، فأحدهم قال: «إن أميركا لن تترك بختيار لوحده حيث أرسلت له مستشارين جدد لدعمه»، والبعض الآخر قال: «إن اجتماعات هامة تعقد في مناطق خارج إيران يشارك فيها كبار المسؤولين من مختلف الدول المعنية بالقضية الإيرانية، ومنها اجتماع عقد بمشاركة الرئيسين الأميركي والباكستاني ورئيس الكونغرس في الولايات المتحدة الأميركية، وتباحثوا حول إيران».. وكان البعض الآخر يقول: «إن حل الأزمة في إيران خرج من أيدي الزعماء الإيرانيين وأصبحت القضية تُبحث في أوساط عالمية خاصة». وهكذا كانت لحظات عجيبة ومحيرة وبعض هذه الأخبار والتحليلات كانت مُقنعة والبعض الآخر كان ينظر إليها على أنها تهديدات ليس إلّا.

وكانت هذه الأخبار والتحليلات، تصل إلى أسماع الجميع، ومنهم سماحة الإمام الذي كان يواصل دعوته للناس بالصمود والاستقامة وتوسيع الاحتجاجات ضد النظام، كما دعا سماحته عناصر الجيش والموظفين بأن يرفضوا عار الخنوع والذل وعدم طاعة أوامر مسؤوليهم وغاصبي حقوق الناس، لأن الحكومة غير شرعية ولا قانونية ويجب أن لا يطيعونها بل ويستنكرون أعمالها لأن «طاعة الطاغوت حرام ومخالفة لرضا الله سبحانه وتعالى»[١].

الإمام يشكر الحكومة الفرنسية

في آخر يوم من إقامته في فرنسا، بعث سماحة الإمام الخميني رسالة إلى الحكومة والشعب الفرنسي جاء فيها:

---

(١) من نداء سماحة الإمام للشعب بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩٧٩م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«في هذا الوقت الذي أريد أن أُغادر بلدكم من أجل خدمة وطني بعد أن توقفنا هنا أربعة أشهر، أرى من الواجب عليَّ أن أوجه شكري للحكومة الفرنسية التي وفرت لنا أجواء الأمن وحرية التعبير عن الرأي. وكذلك لأهالي هذه المنطقة المحترمين الذين تحلّوا بمشاعر إنسانية رائعة عبروا من خلالها عن حبهم للحرية والاستقلال لإيران، ونحن لن ننسى هذه الضيافة التي قُدمت لنا من قبل الحكومة والشعب الفرنسي، فضلاً عن مشاعرهم التحررية التي قوبلنا بها، كما اعتذر لجيراننا وأهالي نوفل لوشاتو عن الأتعاب التي تحملوها بسببنا.. آمل أن يقبلوا احترامنا وتكريمنا لهم».

٢ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ. ق

روح الله الموسوي الخميني[(١)].

رحلتنا إلى المانيا

بعد أن يئسنا من مرافقة سماحة الإمام والسيد أحمد في تلك الرحلة التاريخية إلى إيران، اقترح شقيقي صادق أن نذهب إلى ألمانيا للالتحاق بزوجته هناك حيث رزقها الله طفلاً كياسر، وأن يرافقنا إلى هناك ليودعها حتى يلحق بقافلة العائدين إلى إيران برفقة سماحة الإمام، وقد رحب السيد أحمد بهذا الاقتراح، وفرح أكثر لأن والدي سيرافقنا أيضاً إلى ألمانيا.

وهكذا حانت مرة أخرى لحظة الوداع العصيبة. وقد ودعنا سماحة الإمام والسيدة حرمه، ولكن كيف يمكن توديع السيد أحمد، إن النظرات

---

(١) كان ذلك بتاريخ ١٩٧٩/١/٣١م، كتاب صحيفة الإمام ج ٦ ص ٦.



السيدان حسن وياسر

التي تبادلناها في تلك اللحظة كانت أكثر تعبيراً من أي كلمة للوداع.. نظرات مليئة بالتوجس والقلق، وهي تعبر بشكل جيد عن مشاعرنا الصادقة.. مرة أخرى سنفترق على أمل اللقاء ولكن أين ومتى سيكون ذلك؟!.. ولا نعرف كيف وكم من الوقت سنكون، أنا وحسن وياسر، بعيدين عن السيد أحمد!!..

حاولت أن لا أثير قلق السيد أحمد بهذا الشأن من خلال تصرفي في تلك اللحظة، إلّا أنه كان أكثر قلقاً وتوجساً مني، قلِقٌ على زوجته وولديه، وقلِقٌ على حياة سماحة الإمام، وأيضاً على الثورة.. وما ينتظرهم من مصير مجهول...

ركبنا القطار مساءً، وكان البرد شديداً في القطار، فكنا نرجف حتى الصباح، شقيقي صادق أعارني معطفه واحتضنت صغيري ياسر، وركن حسن في إحدى الزوايا مع والدي الذي غطّاه بعباءته، وذهب

صادق بدوره إلى صالة المطعم وأمضى الليل هناك حتى الصباح.. وقد فقدت صبري في تلك الليلة وقلت لصادق: «أهذا هو الغرب الذي تحدثت لنا عنه مراراً؟!. أين ذهبت إمكاناته ومظاهره»؟! وواصلت كلامي المليء بالعتاب والضجر من تلك الحالة المزرية، وكنت أتذرع ببرودة الطقس في القطار ولكن قلبي وتفكيري كانا في الواقع في مكان آخر، وكان قلبي مليئاً بالآهات والحسرات وقد أفرغتها على شقيقي صادق الذي كان يكتفي بالقول: «متى دافعتُ عن الغرب»؟!.

وصلنا مع الصباح إلى ألمانيا وكان من المقرر أن تأتي زوجة السيد صادق لتأخذنا بسيارتها من المطار، إلّا أننا انتظرنا نصف ساعة ولم نرها هناك، فاتصل بها شقيقي صادق، فقالت له: إن الثلوج تملأ الشوارع ولا يمكن استخدام السيارة.. بدأت مرة أخرى بمعاتبة صادق، وكنت أقول له: «لماذا يعجزون عن فتح الطرقات والشوارع، ولماذا و...»؟.

وأخيراً استأجرنا سيارة مجهزة بإطارات مقاومة للثلوج وغادرنا محطة القطار.. وبعد أن اطمأن شقيقي صادق علينا بوصولنا إلى البيت عاد إلى فرنسا في نفس اليوم ليرافق سماحة الإمام في تلك الرحلة إلى طهران..

لقد بقينا هناك وبدأنا بمتابعة الأحداث ومراحل تلك الرحلة الخطيرة، وكانت وسائل الاتصال قليلة في تلك الأيام وتضاعف قلقنا، وكنا نلتقط إشارات المذياع بصعوبة لاسيّما إذاعة طهران. وكانت التلفزة الألمانية تبث الأخبار التي تصب في صالحها. وكان الاتصال هاتفياً مع إيران صعب للغاية.

لم نفارق في تلك اللحظات جهاز الراديو والتلفزيون أبداً، وفجأة

أخبرنا أحد الأصدقاء الإيرانيين المقيمين في المانيا، أن إحدى القنوات التلفزيونية الألمانية ستبث الصور المرتبطة بوصول سماحة الإمام إلى طهران، وهكذا شاهدنا تلك الصور التاريخية وكانت لحظات تاريخية رائعة لن تتكرر أبداً في تاريخ الشعوب، بل لن تحدث إلّا مرة واحدة في تاريخ كل أمة، وشاهدت الملايين من أبناء الشعب الإيراني الأوفياء الذين هرعوا لاستقبال قائدهم وإمامهم في مشهد تاريخي عظيم.

وهكذا عاد سماحة الإمام الخميني إلى وطنه بكل فخر وعظمة وروعة بعد فراق دام لأربعة عشر عاماً، وقد ذرفت الدموع بغزارة وأنا أشاهد مراسم الاستقبال التاريخي عبر شاشة التلفزيون حيث مشاعر الفخر والعز والفرح ملأت كل وجودي.

في أوج الانتصار وفي تلك اللحظات التاريخية كنت أرغب أن أكون حينها بين الناس في طهران لأشهد عن كثب ذلك الانتصار، وأكون إلى جانب سماحة الإمام، وكذلك إلى جانب السيد أحمد.

وشاطرني والدي نفس المشاعر والأحاسيس وهو يتحدث بفضل تجربته ومعرفته لحوادث التاريخ المعاصر، عن الأهمية الاستراتيجية لإيران في المنطقة والعالم، لا سيّما أن أرض إيران تزخر بالثروات الطبيعية كالنفط والغاز و... وطلب منا أن ندعو الله بكل إخلاص أن يمن على إيران بالعز والاستقلال.

ورغم أنني كنت متفائلة دوماً وأنا وسط الأحداث وأتابعها الآن، ولكن من خلال قراءتي للمستقبل وسماعي لتحليلات بعض الزملاء والأعزاء، كنت قلقة بشدة وأفكر مع نفسي وأتساءل:

هل الجهاد والكفاح سينتهي مع وصول سماحة الإمام إلى إيران؟

هل الأخطار لا تهدد حياة الإمام بعد الآن؟

هل إيران ستصان من مؤامرات الأعداء؟

هل دماء الشعب الإيراني الكريم ستتوقف عن النزف من أجل الحرية؟

هل النفي ودخول السجون والاعتقال لن يكون بعد اليوم مآل من يدافع عن حقوق الناس؟

هل حكومة الجمهورية الإسلامية ستتحقق فعلاً؟

وأسئلة أخرى كثيرة، بل الآلاف منها حملتها كالعادة إلى والدي ولجأت إليه كما اعتدت على ذلك في منعطفات حياتي وكلما كنت أتضايق، فأصغيت له يقول: «ابنتي.. لا بُدّ أن تلجأي إلى القرآن الكريم في مثل هذه الأوضاع، فالحديث الشريف يقول: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن»[١].

فتحت القرآن الكريم، فخرجت هذه الآية المباركة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢]..

ولم تنته القصة بعد، ففصولها مستمرة مع استمرار الثورة والحياة..

والسلام....

---

(١) كتاب (وسائل الشيعة)، ج ٤ ص ٨٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.



الإمام الخميني والمؤلفة



لقاء المؤلفة مع السيد شولاتور مراسل التلفزيون الألماني في طهران/
عام ٢٠١٠م

الهوامش

١ ـ الدكتور **أبو الحسن بني صدر** هو نجل آية الله نصر الله بني صدر؛ أنهى دراسته الجامعية في جامعة طهران فرع الاقتصاد والحقوق الإسلامية وتم اعتقاله بسبب نشاطاته السياسية، وبعد إطلاق سراحه غادر إلى فرنسا وأكمل تحصيله الجامعي في جامعة السوربون ونال شهادة الدكتوراه منها.

كان ضمن مستقبلي سماحة الإمام عند وصوله باريس وظل ملازماً له خلال وجوده هناك. وبعد انتصار الثورة الإسلامية تقلد منصب مساعد وزير الاقتصاد في الحكومة المؤقتة قبل أن يصبح وزيراً للاقتصاد والشؤون المالية.

بعد استقالة الحكومة المؤقتة رشح نفسه في انتخابات رئاسة الجمهورية بدورتها الأولى وأصبح أول رئيس للجمهورية الإسلامية بعد أن حصل على أحد عشر مليون صوتاً بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٨٠م ولكن بعد سنه وعدة أشهر صوّت مجلس الشورى الإسلامي بعدم أهليته السياسية وتمت إقالته من منصب الرئاسة.

قضى حوالي خمسة أسابيع متخفياً قبل أن يهرب برفقة مسعود رجوي رئيس منظمة مجاهدي الشعب (المنافقين) بتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٩٨١ على طائرة بويينغ ٧٠٧ قادها العقيد معزّي الطيار الخاص للشاه، وأقلعت من طهران نحو باريس، وكان العقيد معزي قد عاد إلى طهران

في كانون الأول ١٩٧٨م بعد أن أوصل الشاه إلى مصر ومن ثم إلى المغرب بعد أن تظاهر بتأييده للثورة الإسلامية.

٢ ـ **الحاج مهدي عراقي**: ولد عام ١٩٣٠م في طهران وانضم إلى صفوف اللجنة المركزية لتنظيم فدائيي الإسلام وعمره ١٦ عاماً.. بعد أن اعتقل الشهيد نواب صفوي من قبل نظام الشاه وألقي السجن، نفذ السيد عراقي مع ٣٥٣ شخصاً من زملائه إضراباً في سجن القصر، وبعد استشهاد السيد نواب صفوي قام السيد عراقي في العام ١٩٦٢م، مع جمع من زملائه، بتأسيس تنظيم (المؤتلفة الإسلامية) ولعبوا دوراً رئيسياً في انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣ من خلال المظاهرات التي قادوها في طهران ضد نظام الشاه البائد. وتم اعتقاله عام ١٩٦٤م ومكث ثلاثة أشهر في السجن.

في شباط عام ١٩٦٥م نفذ الجناح العسكري للمؤتلفة بإشراف السيد مهدي عراقي، عملية اغتيال رئيس الوزراء حسن علي منصور الذي طبق قانون الكابيتولاسيون الذي يمنح الحصانة القانونية للأميركان في إيران، بمشاركة السادة بخارائي وأماني ونيك نجاد ورضا صفار هرندي. بعد هذه العملية الناجحة التي نفذها السيد بخارائي ألقي القبض على جميع أعضاء المجموعة وحكموا بالسجن المؤبد، وعرف السيد عراقي باستقامته ومعنوياته العالية في السجن، كما عرف بذكائه الحاد ونشاطه الواسع وتعامله الحسن والودود مع زملائه في السجن.

أطلق سراحه في العام ١٩٧٦م وواصل كفاحه ضد نظام الشاه؛ وبعد أن هاجر سماحة الإمام من النجف إلى باريس أواخر عام ١٩٧٨م التحق السيد مهدي عراقي بسماحته وتعهد هناك بمسؤولية إدارة بعض

أعمال ونشاطات نوفل لوشاتو، بعدها عاد مع سماحته إلى طهران في تلك الرحلة التاريخية المعروفة.. وأخيراً تعرض السيد مهدي عراقي برفقة نجله إحسان في أيلول عام ١٩٧٩م إلى عملية اغتيال، استشهدا على أثرها، نُفِّذت من قبل فصيل الفرقان الإرهابي، وكان عمره آنذاك ثمانية وأربعين عاماً، أمضى خمسة عشر عاماً منها في سجون الشاه البائد.

٣ ـ نص **الرسالة التي بعثها سماحة الإمام الخميني** تزامناً مع مولد السيد المسيح (ع) بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٧٨م كالآتي:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«صلوات الله الأعظم وسلامه على سيدنا عيسى بن مريم روح الله والنبي العظيم الذي كان يحيي الموتى ويوقظ النائمين (باذن الله)!، وصلوات الله وسلامه على أمه العظيمة السيدة مريم العذراء الصديقة الحوراء التي منحت ظمآى الرحمة الإلهية مثل هذا الابن العظيم بفضل تلك النفخة الإلهية!.. تحية لرجال الدين والأحبار والرهبان الذين يدعون بتعاليم عيسى المسيح الأنفُس التائهة إلى الهدوء والسكون!.. تحية لأبناء الشعوب المسيحية الحرة التي تلتزم بالتعاليم السماوية لعيسى روح الله!.

أطالبكم باسم الشعب الإيراني المظلوم أنتم التابعين لتعاليم السيد المسيح (ع) أن تدعوا في أيامكم المباركة هذه لشعبنا الذي يخضع لجور سلطان ظالم وتطلبوا من الله العظيم أن يفرج عنهم.

كما أطلب منكم، أيتها الأمة العظيمة، أن تحذروا قادة بعض الدول المسيحية الذين يدافعون بقوتهم الشيطانية عن الشاه الجائر الذي يسعى بظلمه من أجل تدمير شعب ثائر وأن تدعونهم إلى تعاليم السيد المسيح (ع).

كذلك أطلب من رجال الدين المسيحيين أن ينصحوا زعماء بعض الدول المقتدرة ويدينوا كل أنواع الدعم الذي يقدمونه لمن يخالف كل تعاليم السماء. فالقرآن الكريم ذكر السيد المسيح بكل عظمة ونزّه السيدة مريم (ع) من كل سوء، فلا بُدّ لأتباع السيد المسيح (ع) الوفاء بدَينهم للمسلمين، والسلام[1].

(روح الله الموسوي الخميني)

٤ ـ **محمد حسنين هيكل** من مواليد مصر عام ١٩٢٣م، أنهى دراسته الجامعية في جامعة القاهرة قسم الصحافة والاقتصاد.. عمل بدءاً كمراسل حربي ثم تدرج في مهنته وأجاد فيها ليصبح صحفياً محترفاً وسافر إلى شتى دول العالم لإعداد الأخبار وتغطية أهم الأحداث وإجراء المقابلات الصحفية.

حصل هيكل، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، على جائزة الملك فاروق في الصحافة والإعلام، بعدها تقلد منصب رئيس تحرير صحيفة الإهرام التي كانت تطبع مليون نسخة حينها.. وكان من المقربين من جمال عبد الناصر ونشر مذكراته بعنوان (فلسفة الثورة) وعمل كأحد مستشاريه السياسيين والإعلاميين. بعد وفاة عبد الناصر لم تلتق أفكاره مع خليفته السادات الذي انتقده مراراً مما أدى به إلى السجن وأدى اعتقاله إلى غضب واحتجاج دولي مما أرغمه على إطلاق سراحه. سافر السيد هيكل عدة مرات إلى إيران والتقى كبار رجال الثورة الإسلامية ومسؤولي الحكومة الإسلامية ونشر كتابه المعروف (ايران، القصة الناقصة) بعد انتصار الثورة الإسلامية.

---

(١) كتاب (صحيفة الامام)، ج ٥ ص ٢٧٢.

٥ ـ **آية الله الشيخ الحاج حسين غفاري**: بدأ نشاطه السياسي في العام ١٩٦٢م من مسجد الهادي بطهران حيث كان يؤم المصلين فيه. ألقى عدة خطابات حماسية ضد قانون جمعيات المدن والمحافظات.

بعد حادثة الفيضية في مدينة قُم ألقى السافاك القبض على عشرات العلماء والطلبة ومنهم آية الله غفاري الذي هوجم بيته ومكث لفترة في السجن، وبعد إطلاق سراحه واصل جهاده السياسي ضد الشاه.

استشهد داخل السجن بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ١٩٧٤م إثر التعذيب الجسدي الشديد الذي تعرض له هناك مثل قلع الأظافر والأسنان وتهشيم العظام وغيرها.

حاول السافاك أن يدفن جسده سراً بعيداً عن أنظار الناس إلّا أن أبناء قُم المقدسة عرفوا ذلك فأقاموا له تشييعاً مهيباً، كما أقام له آية الله الكلبايكاني مراسم تأبينية في مسجد الأعظم بمدينة قُم المقدسة.

٦ ـ **الدكتور شولاتور** شخصية موقرة ورزينة ويتميز بذكاء وذاكرة جيدة، وعندما التقيته كان عمره ستة وثمانين عاماً ولكنه كان نشيطاً وفعالاً، طلبت منه أن يحدثني عن ذكرياته في نوفل لوشاتو فقال:

وقعت منذ اللحظة الأولى تحت تأثير جاذبية شخصية سماحة الإمام، فقد رأيته إنساناً بشخصية قوية جذابة وذي عزيمة وإرادة واستقامة.

فقد سألته: هل إن هناك نموذجاً في العالم تستند إليه في الحكومة التي تزمع إقامتها؟ فأجاب السيد الإمام: كلا، فسألته: هل تعتبرون الحكومة القائمة في السعودية المستندة للشريعة نموذجاً حكومياً قريباً من النظام الذي تريدون إقامته في إيران؟ فقال أيضاً: كلا؛ فقلت له: إذن ما

هي المبادئ التي سيعتمد عليها النظام التنفيذي لحكومتكم؟ فأوضح سماحته قائلاً: إن الحكومة التي نسعى لإقامتها في إيران ليست سوى ما يريده أكثرية أبناء الشعب الإيراني، إنه نظام مستند لآراء الشعب وتقام فيه الانتخابات الحرة التي من خلالها يتم انتخاب المسؤولين الكبار في الدولة بدءاً من القائد ورئيس الجمهورية وحتى نواب مجلس الشورى الإسلامي.

النقطة المهمة في حديث سماحته كانت الدور البارز الذي كان يراه للمدرسة القانونية والفقهية للعلماء الإيرانيين حيث قال: «إن أبناء الشعب الإيراني يريدون استقرار الضوابط والمعايير الدينية في المجتمع، لذا فإن حكومتنا ستدار استناداً للقوانين الإسلامية التي هي متطورة ومتقدمة للغاية.

سألت الدكتور شولاتور عن الصورة التي يحملها في ذهنه عن سماحة الإمام من خلال لقاءاته المتعددة معه، فنقل إحدى ذكرياته عن لقائه مع السيد الإمام خلال الرحلة التاريخية التي كان موجوداً فيها من باريس إلى طهران.

وكنت قد سمعت أن شقيقي صادق كان قد دعاه إلى الطابق العلوي في الطائرة حيث مكان استراحة وعبادة سماحة الإمام ليسجل اللحظات النهائية لرحلة الإمام إلى طهران.

فقال الدكتور شولاتور: تم اللقاء في آخر لحظات تلك الليلة حيث كان سماحة الإمام قد انتهى لتوه من أداء الصلاة ولم أر في وجهه أية آثار للتعب والإرهاق أو القلق، بل كان بالعكس يبدو بشوشاً ونشيطاً، حيث تحاورت معه بأمور عامة، والحوار كان أكثره مجاملات. بعد ذلك تحدث السيد صادق مع سماحته بشكل مختصر ثم خاطبني قائلاً: أريد

أن أضع ملفاً كأمانة لديك أرجو أن تحتفظ به حتى يتم الاتصال معك فيما بعد لو تعرضنا لأية حادثة غير متوقعة في طهران أو تم اعتقالنا أو حتى قتلنا أو أي أمر طارئ آخر، ولكن إن وصلنا بسلام إلى طهران وخرجنا من المطار دون مشاكل أرجو أن تعيده لي»، فسلمني السيد صادق ملفاً أصفراً. وقد صور السيد (كافمن) المصور المرافق لي تلك اللحظة.

وأضاف يقول: بعد ذلك التقيت السيد صادق وأعدت الملف له. بعد عدة أشهر أخبرني أن ذلك الملف كان يحتوي على مسودة الدستور الإسلامي الذي دوّن في باريس.

وهنا قال الدكتور شولاتور بفخر مشوب بالغرور: وهكذا فإني تشرفت بأن أكون حافظاً لدستور الجمهورية الإسلامية لمدة ساعتين تقريباً.

وخلال لقائي معه نقل الدكتور شولاتور حادثة أخرى لا زال يتذكرها جرت خلال الأشهر الأربعة التي أمضاها السيد الإمام في نوفل لوشاتو، فقال: سافرت إلى طهران لتصوير مظاهرات تاسوعاء وعاشوراء وأنجزت ما ذهبت من أجله، وبعد أن عدت إلى باريس زارني في مكتبي السيد أحمد والدكتور صادق طباطبائي وشاهدا الأفلام التي صورتها، وفي الختام سألني السيد أحمد: «هل من الممكن أن نأخذ الأفلام إلى نوفل لوشاتو ليشاهدها السيد الإمام»؟.. تم الإعداد لذلك من الناحية الفنية والتقنية وتم عرض الأفلام التي صورناها في طهران مع تحليل وضعناه عليها إمام سماحته في غرفته، وكان السيد صادق يترجم التعليق من الفرنسية للفارسية، وهكذا أعددنا ذلك بفترة قياسية للغاية رغم قلة الإمكانات الفنية والتقنية المتوفرة آنذاك.. وقد شاهدت كيف أن سماحته

فرح للغاية بعد مشاهدة الأفلام التي صورناها عن تلك المظاهرات الحاشدة لا سيّما حضور ومشاركة علماء الدين فيها.

وقد ذكر الدكتور شولاتور السيد أحمد باحترام ومودة وقال: لقد كان شاباً نشيطاً وصادقاً ومتحمساً ولا زلت أحمل في ذهني ذكرى طيبة عن شخصيته الحنينة والوقورة والمحترمة.

يُذكر أن الدكتور شولاتور له مؤلفات عديدة، وقد ترجم قسم منها إلى الفارسية مثل: (إيران مركز الهزات الأرضية) والعنوان يشير إلى وصف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بيغن للثورة الإسلامية حين انتصارها بأنها هزة أرضية في الشرق الأوسط.

كذلك التقى السيد شولاتور مرات عدة مع سماحة الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية.

٧ ـ بعد **عودة الإمام الخميني إلى إيران** وانتصار الثورة الإسلامية تم الحديث كثيراً عن الدستور الإسلامي، فالعدد الأكبر من المقربين ومسؤولي النظام كانوا يعتقدون أن المسودة التي دونت في باريس ووافق عليها كذلك المراجع يمكن عرضها للاستفتاء الشعبي، وقد قبل سماحة الإمام هذه الفكرة، إلّا أن المهندس بازركان أصر أن يشكل مجلس خبراء يقوم بتدوين دستور للجمهورية الإسلامية، وكان يقول إن تدوين الدستور يعتبر مشروع مهم للبلاد ولا بُدّ أن يشارك كبار الخبراء في تدوينه حتى لايقال إن شخصاً واحداً قام بتدوينه..

وفي النهاية تمت الموافقة على رأي المهندس بازركان وانتخب الناس خبراء المجلس الذين دونوا الدستور الاسلامي.

من المواضيع التي تم الاختلاف بشأنها بين المسودة والنص الذي

صودق عليه، يرتبط بـ (ولاية الفقيه)، حيث سمعت أن الدكتور حبيبي كان قد استخرج مبدأ (إشراف الفقيه) على مجموع عمل الحكومة من كتاب (كشف الأسرار) لسماحة الإمام، وثبت ذلك في المسودة، وقبل سماحة الإمام بذلك.. ولكن في مجلس الخبراء استخرج آية الله منتظري مبدأ (ولاية الفقيه) على مجموع عمل الحكومة من دروس سماحة الإمام التي كان يلقيها في النجف الأشرف حول الحكومة الإسلامية وكان يوضح ذلك في مناقشات المجلس، وقد قوبل بآراء متفاوتة بين القبول والرفض خلال الاجتماعات.

وكان والدي الذي كان من أعضاء مجلس الخبراء ينقل لنا أحياناً جانباً من المناقشات التي تدور في الاجتماعات.. حيث كان غالباً يتناقش مع آية الله منتظري ويعرض آراءه في اللجان المختصة التابعة للمجلس..

وكان والدي يرى أن بعض بنود ومواد المسودة أكمل من غيرها؛ وكان ينقلها لسماحة الإمام خلال لقاءاته المتعددة معه، إلّا أن سماحته لم يكن يرغب في التدخل والتأثير على آراء الخبراء وكان يعتقد أن الخبراء ينبغي أن يتابعوا الأمور بتسلط كامل وذهنية حرة ويناقشوا الأمور في أجواء علمية بحتة وإشباعها بحثاً قبل التصويت عليها في النهاية.

٨ ـ **سيد جلال الدين تهراني**: تقلد عدة مرات منصب الوزير والسناتور، كما تقلد منصب السناتور المعيّن عن طهران في الدورة الرابعة لمجلس الأعيان خلال الأعوام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٧م.

وكان يعرف بأنه يعطي الرأي الممتنع غالباً على اللوائح التي تقدم للمجلس، كما يُعرف بأنه السناتور الوحيد الذي خالف لائحة منح الحصانة للمستشارين الأميركان التي أصبحت قانوناً فيما بعد.

بعد إنهائه دراسته الأولية، اهتم بعلم الفلك وأصدر عدة دوريات

في هذا الموضوع، كما جمع مجموعة لا مثيل لها للآلات وأدوات علم الفلك وأوقفها فيما بعد، لمتحف الروضة الرضوية المقدسة.

في اجتماع عقده المجلس الملكي بتاريخ ١٥/١/١٩٧٩م عينه الشاه رئيساً لهذا المجلس، ولكن بعد يومين من هروب الشاه من إيران سافر السيد تهراني إلى باريس للقاء سماحة الإمام، حيث اشترط سماحته للقائه أن يستقيل من هذا المنصب، وقد وافق على ذلك وقدم استقالته قبل لقاء سماحته.

وكان نص الاستقالة كالآتي:

يوم الأحد ١/١١/١٣٥٧ هـ. ش
٢٠/١/١٩٧٩م
٢٢ صفر المظفر ١٣٩٩ هـ. ق

إن قبول منصب رئاسة المجلس الملكي كان فقط من أجل حفظ مصالح البلاد وضمان الهدوء في المجتمع، إلّا أن المجلس الملكي لم يعقد اجتماعاته بسبب سفري إلى باريس لنيل الهدف الرئيس.. وخلال هذه الفترة تغيرت بسرعة الأوضاع الداخلية في إيران بحيث أني واحتراماً للرأي العام، ونظراً لفتوى سماحة آية الله العظمى الخميني (دامت بركاته) بعدم قانونية هذا المجلس، أعلن لا قانونية هذا المجلس واستقالتي منه. أدعو الله وكذلك (اتوسل) بأجدادي الطاهرين والأرواح المقدسة لأولياء الإسلام أن تصان دولة إيران المسلمة في ظل عناية إمام العصر والزمان (عجل الله فرجه) من كل بلاء وأن يحفظ استقلال وطننا العزيز.

محمد الحسيني سيد جلال تهراني